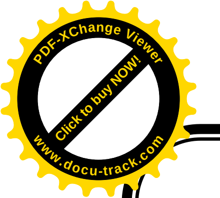






الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجيلالي ليابس– سيدي بلعباس–

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

# صراع رجال الإصلاح مع الإدارة الإستعمارية

# 1931 – 1956

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر

مشروع:تاريخ الإدارة الإستعمارية المحلية في الجزائر 1830– 1962

إعداد الطالب:

حليمي مصطفى

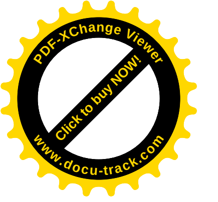
إشراف الأستاذ الدكتور:

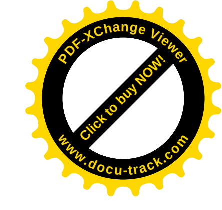
مجاود محمد

أعضاء لجنة المناقشة:

| الاسم و اللقب | الدرجة العلمية | المؤسسة | الصفة |
|---|---|---|---|
| ولد النبية كريم | أستاذ التعليم العالي | جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس | رئيسا |
| مجاود محمد | أستاذ التعليم العالي | جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس | مشرفا و مقررا |
| بوشنافي محمد | أستاذ محاضر أ | جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس | عضوا مناقشاً |
| تيزي ميلود | أستاذ محاضر أ | جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس | عضوا مناقشاً |
| بوهند خالد | أستاذ محاضر أ | جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس | عضوا مناقشاً |

السنة الجامعية: 2013 – 2014 م.




بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ







# كلمة شكر

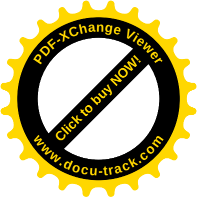
قال الله تعالى: " و لئن شكرتم لأزيدنكم "

أتقدم بالشكر الجزيل:

إلى الأستاذ الدكتور " مجاود محمد " الذي وجهني طيلة هذا العمل، و لم يدخر أي جهد في إرشادي و نصحي و توجيهي، فكان هذا العمل ثمرة جهد قمتبه بإشرافه.

و من الواجب الأخلاقي أن أشكر كل الأساتذة الذين ساهموا في تكويننا طيلة السنة النظرية وهم الأساتذة الدكاترة: كريم ولد النبية، لونيسي ابراهيم و الدكتور بن حويذقة علي و جيلالي بولوفة عبد القادر، و الأستاذ زايدي عز الدين.

كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في مساعدتنا في إنجاز هذا العمل







# الإهداء

**إلى أبـــــــــي و أمـــــــي**

**أهـدي هــذا العمـــل**

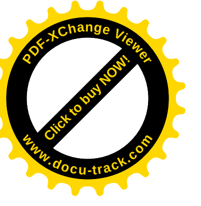






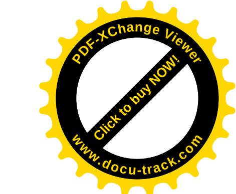
# قائمة المختصرات

| | |
|---|---|
| ج | الجزء |
| مج | مجلد |
| ط | الطبعة |
| ب.ت | بدون تاريخ |
| Op- cit | المرجع السابق |
| T | Tome |
| G G | Gouverneur Général |
| c. n. m. c. a | Comité National Métropolitain Du Centenaire de l'algerie |
| B. o. a. g. | Bulletin officiel des actes du gouvernement |
| O p u | office des publications universitaires |


PDF-XChange Viewer
Click to buy NOW!
www.docu-track.com


PDF-XChange Viewer
Click to buy NOW!
www.docu-track.com

# مقدمة

## مقدمة :

يمثل الدين و اللغة في المقاربة الثقافية الدور الإستراتيجي الموحد للمجتمع الجزائري و المقوي للروابط التي تربط عناصره المختلفة ، و كان الاستعمار الفرنسي على دراية و إدراك كامل لهذا الدور، و لهذا سعى إلى محو كل المقومات التي تشير إلى الجزائر و تاريخها، و عمل على تغريب الإنسان الجزائري و اختراق قيمه الدينية و الثقافية من خلال تغيير الحياة الاجتماعية الجزائرية، و قد أصرّت الإدارة الإستعمارية الفرنسية منذ البداية على طمس و محو هوية الكيان الجزائري العربي الإسلامي، هذا الكيان الذي رأى فيه أساتذة الإستعمار و مُنَظِّروه هاجسا و مواجها شرسا لكل تطلعاتهم التاريخية في السيطرة على الجزائر. فالقضاء على هذا الكيان يعني العودة بالجزائر إلى المجد الروماني الذي انقطع انقطاعا غير طبيعي من طرف "الغزو الإسلامي لبلاد المغرب". و استطاعت الإدارة الإستعمارية عن طريق سياستها الإستئصالية أن تصل عند احتفالها بمؤوية وجودها بالجزائر إلى يقين تام بالقضاء على الإسلام بعد أنج ففت المنابع الحضارية التي تتغذى منها المقاومة و الشعب الجزائري و عزلت الشعب عن محيطه العربي الإسلامي إلى حد كبير، و تمكنت من تعطيل المشروع الثقافي للأمة و عرقلة النمو الطبيعي و السوي للمجتمع الجزائري في إطاره العام.

لم يكن هذا الإستئصال المنهجي و العدواني من طرف الإدارة الإستعمارية يلق قبولا عند الجزائريين،فكثيرا ما عبّر النخبة و المصلحون منذ بداية الإستعمار عن رفضهم التام للسياسات الفرنسية في مختلف المجالات و الميادين، ثم انتقلوا مع بداية القرن العشرين إلى طرق جديدة نحت من خلالها المقاومة الجزائرية أكثر نحو الجوانب المطلبية الإجتماعية و الإحتجاجية النقابية بعدما شهدت المقاومة العسكرية شوطا لا بأس به من الغياب. غياب أوحى في الكثير من الأحيان بذوبان الشخصية الجزائرية في الحضارة الفرنسية "المتحضّرة".

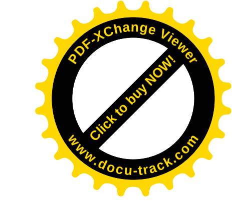



لقد انتبه العديد من العلماء الجزائريين إلى الضعف الذي ينتابهم جراء التشتت الذي يميز صفوفهم و نقص فعاليتهم في المجتمع على الرغم من أن بإمكانهم فعل الكثير، من هذا اقترح بعظهم اجتماع علماء الجزائر في جمعية أو هيئة إدارية تمثلهم. و بعد عمل مضني كان للعلماء الجزائريين أن اجتمعوا في "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" في 5 ماي 1931. و كانت هذه الجمعية هي الهيكل الإداري الذي تمناه كل جزائري أصيل. تدافع عن أصول الامة، تربي، تصلح و تنصح...، فأصبح الجزائريون يمتلكون من يمثلهم و يتكلم باسمهم في شؤونهم الدينية ، و يوصل انشغالاتهم إلى الحكومة العامة في الجزائر و حتى حكومة فرنسا بباريس. هذه المهام جعلت من جمعية العلماء المسلمين تدخل في تصادم مباشر مع الإدارة الاستعمارية كونها المتسبب الأول في الوضع المأساوي للدين الإسلامي و اللغة العربية

إن البحث في موضوع الإصلاح و الإدارة الاستعمارية الفرنسية و طبيعة العلاقة بينهما يستدعي رؤية و قراءة خاصة، فالمعلوم أن الصراع يجمع بين طرفين في مستوى متقارب و يكون لهذا الصراع أدواته و تجلياته، و كثيرا ما نجد أدوات الصراعات عسكرية يميزها صخب الآليات العسكرية و كذا الخرجات و المواقف السياسية. أما الموضوع الذي نحن بصدد البحث فيه فقد خرج عن هذا الإطار و طرح زاوية مغايرة عن تلك التي تميز بقية الصراعات ، فهو فريد من نوعه خاصة و أن أحد أطراف الصراع غير معلن، فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين حسبما جاء في قانونها الأساسي جمعية تربوية إصلاحية بالدرجة الأولى و مظهر " **الصراع**" الذي ميز علاقة المصلحين بالإدارة الاستعمارية نتج عن "**الرفض**" و محاولة "**التغيير**" كسياسة و منهج إداري لجمعية العلماء المسلمين.

إن القضايا التاريخية التي تحتفظ بخاصيتها في إثارة الجدل عند أدنى محاولة لإعادة النظر فيها و دراستها من جديد هي في الغالب أكثر المسائل أهمية و ارتباطا بالواقع . و يمكن القول أن العلاقة بين رجال الإصلاح و الإدارة الإستعمارية تنتمي إلى هذا النمط من القضايا ،لأن الحديث عن الإستعمار و الإصلاح هو حديث عن متضادين لا يلتقيان سواء بقراءة لغوية أو اصطلاحية فقد أخذ الإستعمار كل معاني التقتيل و التجهيل و النهب... و يأخذ الإصلاح معان مغايرة تماما،






فنجد الإحياء و التعليم و التربية... ، و إن الحديث عنهما في مجال جغرافي واحد يكتسي الكثير من الأهمية و الإثارة،فهو حديث عن صراع بين الخير و الشر، صراع بين حضارتين متباينتين واحدة في شبابها و أخرى في مراحل متقدمة من عمرها .

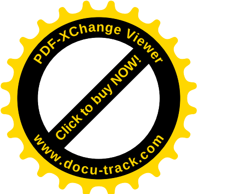
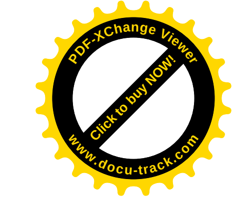
انطلاقا من مبدأ أن التاريخ لا يكتب مرة واحدة و أن الكتابة التاريخية عملية متجددة يمارسها كل جيل بالقدرة العقلية التي وصلها و الوثائق المتوفرة لديه و المستجدات الحضارية التي تجعل عملية الكتابة التاريخية صورة لما عليه الجيل من ثقافة و وثائق و إبداعات حضارية ،و أن الدراسات المتعاقبة تقرب من الحقيقة التاريخية و تدعمها . انطلاقا من كل هذا قررنا الولوج إلى تاريخ التيار الإصلاحي و طبيعة العلاقة التي ربطته بالإدارة الإستعمارية ، هذا التاريخ الذيلم توضح الدراسات السابقة التي تناولته بالشكل المناسب و الكافي قيمة الجبهة الثقافية التي قادتها جمعية العلماء ضد الإدارة الإستعمارية بل اقتصرت على وصفها بالإكتفاء بتهذيب النفس . و انتقدت هذه الدراسات موقف الجمعية الثورة و أنكرت عليها المساهمة في الحقل السياسي و بالتالي طعنت في بعدها الإستقلالي و الدليل على التقصير و علىأن الموضوع لم ينل حقه من الدراسة هو أن الموقف العام المأخوذ عن الجمعية ليس في المستوى المطلوب عند العامة و بعض الخاصة.

لقد وجدنا أنفسنا مندفعين اندفاعا غير طبيعي للبحث في موضوع علاقة رجال الإصلاح مع الإدارة الإستعمارية خلال حقبة تاريخية تعد من أكثر الحقب حرجا و أشدها حساسية و أعظمها أحداثا، لأنها كانت فاصلة في مسألة محافظة الجزائر على هويتها من عدمه و أن الإدارة الإستعمارية كانت تحتاج فقط إلى عقد أو عقدين بعد احتفالاتها المئوية لتدفن الإسلام في الجزائر ، و لهذا سنسعى من خلال هذا البحث تجاوز العرض المعرفي – الذي سبقتنا إليه العديد من الدراسات الأكاديمية و غير الأكاديمية –إلى محاولة إيجاد العلاقات بين الظواهر و فهم الدلالة التاريخية للصراع الإصلاحي الفرنسي الذي كان المشروع الثقافي البديل أهم محاوره




بعد قراءة أولية للموضوع الذي نحن بصدد دراسته و الموسوم بــ " **صراع رجال الإصلاح مع الإدارة الإستعمارية 1931 –1956** " حاولنا أن نحدد المصطلحات الأساسية فوجدنا "**رجال الإصلاح**"، "**الإدارة الاستعمارية**" و "**الصراع**" و هي مصطلحات في حجم المفاهيم من حيث العمق التاريخي و الحمولاتالفكرية الحضارية ،و تخضع هذه المصطلحات لتحديد كرنولوجي يمتد بين سنتي "**1931 –1956**"

لاحظنا من خلال قراءتنا الأولية أن اختلاف رؤية الطرفين هو المتسبب في توجه العلاقة بينهما إلى الصراع و لهذا حاولنا أن نوضح رؤية الطرفين للجزائر و الجزائريين . و لما استعرضنا هذه القراءة وجدنا أ ن التركيبة الأيديلوجية لرجال الإصلاح تتناقض تماما مع تركيبة رجال الإدرة الإستعمارية فكان الأوائل يريدون الجزائر أمة عربية مسلمة كما هو قسمها في القدر و حظها في التاريخ و حقها في الإرث و حقيقتها في الواقع ، كانوا يريدونها كذلك و يعملون لتحقيق ذلك . أما رجال الإدارة الإستعمارية فيريدونها هيكلا لا تترابط أجزائه و لا تتماسك أعضاءه. و لهذا فمس ألة صدامهم كانت حتمية تاريخية لا مفر منها ، لأن رجال الإصلاح لم يكتفوا برفض الواقع فقط بل تعدوا ذلك إلى محاولة تغيير هذا الواقع المأساوي للدين الإسلامي و اللغة العربية ، و كان هذا التغيير مساسا صريحا بالسياسة العامة للإدارة الاستعمارية بالجزائر و بالمصالح الفرنسية بشكل عام ، لقد كان من الصعب أن تتواصل العلاقة التي ربطت الطرفين على هدوئها و مسالمتها دون أن تتوجه إلى التصادم، فهي تحمل بذور الصراع منذ البداية لأن المنطلقات و المبادئ متناقضة تماما ، و المثير في هذا الصدام أيضا أن جمعية العلماء كممثل لتكتل مصلحي الجزائر طرف غير معلن –كونه لم يعلن صراحة عن رفضه و مجابهته للإدارة الاستعمارية في هذا الصراع– فهو لا يملك الإمكانيات اللازمة لمجابهة الإستعمار، و لكن الذي حدث أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقفت و قاومت بشدة الإدارة الإستعمارية بقوانينها و تشريعاتها رغم القمع المستمر. و هذا ما يقودنا الى طرح إشكال محوري : **كيف استطاعت الجمعية أن تقف في وجه الإدارة الاستعمارية و تكون منافسا لها، و**


**كيف استطاعت أن تجعل من الفعل الثقافي جبهة للصراع مع الإدارة الاستعمارية؟** و هي جبهة قلما نجدها، و لم نعهدها في الصراعات بين الشعوب و الأمم عبر التاريخ.

و البحث في هذا الإشكال يحيلنا إلى العديد من التساؤلات التي توضحه و تحلله أكثر ، و هي أساسا:

**كيف استطاعت جمعية العلماء أ ن تعمل في إطار القوانين المتاحة الفرنسية التي تتميز بالقمعية؟**

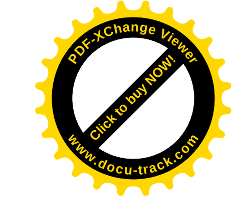
**لماذا وقع هذا التصادم و الصراع ؟**

**ما طبيعة هذا الصراع ؟**

**ما هي تجلياته و مظاهره الأساسية ؟**

**ما حصيلة هذا الصراع و ما الذي حققه المصلحون؟**

ككل بحث ينتمي إلى حقل العلوم الإجتماعية و الإنسانية حيث النسبية هي القاعدة في تحليل المعطيات و استخلاص النتائج و استقراء الأحكام ، نعتقد بضرورة استبعاد منطق الجزم و الوثوقية في معالجة هذه الإشكالية و تدقيق عناصرها ، كما ننطلق من وجود أكثر من ضرورة تحتم اعتماد التريث و عدم المواربة عند تشخيص مكونات المرحلة فضاء البحث و تحليل توتراتها خاصة و أن لهذا الصراع تداعيات كبيرة غيرت المجرى العام لما يسمى " الجزائر الفرنسية" و قادته إلى "الجزائر العربية الإسلامية" و قد تم هذا التحول عبر مجموعة من الأحداث التاريخية التي حاولنا الإحاطة بكل جوانبها قدر المستطاع ، و لذلك اعتمدنا أولا المنهج التاريخي في رصد الأحداث و ترتيبها ترتيبا كرونولوجيا و وصفها حسب كل مرحلة من المراحل الواردة في خطة البحث ،ثم انتقلنا إلى اعتماد التحليل الذي راعينا فيه ظروف الحدث التاريخي (السياسية ، الأمنية ، الإجتماعية ، الثقافية ، الإقتصادية) و ما خفي من أسبابه وقت حدوثه ، كما حاولنا في العديد من المرات تقديم قراءات

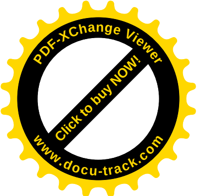



لبعض الأحداث من زاوية سيكلوجية و سوسيولوجية من ش أنها أن تقرب بحثنا من الحقيقة التاريخية المرجوة

إن الخوض في هذا الموضوع انطلاقا من الإشكالية و التساؤلات الفرعية يجرنا إلى الحديث عن الحركة الاصلاحية و رؤيتها الخاصة و كذا الحديث عن الإدارة الإستعمارية و رؤيتها أيضا للجزائر ، لأن هذه النظرة المختلفة في اعتقادنا هي التي شكلت و تسببت في الصراع، ثم يأتي بعد ذلك مظاهر الصراع و تطوراته في مختلف المجالات. انطلاقا من هذه المعطيات عمدنا إلى وضع خطة أولية تتكون من مدخل و ثلاثة (3) فصول، في كل فصل مبحثين يحتويان بدورهما على ثلاثة (3) عناصر فرعية.

هذه الخطة التي نقدمها لكم كفهرسة في نهاية هذا البحث هي خليط من عنوان البحث و ما حصلنا عليه من مادة علمية ، استطعنا من خلالهما أن ندرس و نحلل العناصر المؤسسة للموضوع و المؤطرة لمنطلقات مقارباته، و سنتحدث في المدخل عن الحركة الاصلاحية مفهوما و تاريخا ، ثم ننتقل إلى الحديث عن المحاولات الفردية للإصلاح قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين لننتهي إلى الأوضاع السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية للجزائر قبل سنة 1931.

أما الفصل الأول فعنوناه بـ "استعمار التاريخ... السياسة الفرنسية التي انتفض ضدها المصلحون" و قد اخترنا له هذا العنوان لأننا ندرك جيدا أن الجزائر ليست أرضا و حدودا جغرافية فقط ، بل هي شخصية معنوية تملك تراثا و أصالة و إرثا ثقافيا زاخرا و متنوعا أساسه الإسلام و اللغة العربية، يجتمعون كلهم فيما يسمى بالتاريخ ، و قد انتبه مُنَظِّرُو الإستعمار إلى أن احتلال جغرافية هذا البلد لا يتم إلا باحتلال تاريخه. أما الشطر الثاني من هذا العنوان فنحن نشير من خلاله إلى أن استعمار التاريخ أثار حفيظة المصلحين و رفضهم . و في هذا الفصل نوضح السبب الرئيسي للصدام و الصراع الذي وقع بين رجال الإصلاح و الإدارة الاستعمارية و قد كانت رؤيتهما المختلفة لواقع الجزائر أولى أسباب الصراع، و هذا ما سنتناوله في المبحث الأول و المعنون بـ "بين الواقع الجزائري و الطمس الإستعماري"، و حاولنا هنا أن نقدم مقارنة عامة بين نظرتي الطرفين حتى نبين التناقض و




الإختلاف الذي تسبب في الصراع . و في الضفة الأخرى من هذا الفصل تناولنا رد فعل المصلحين إزاء سياسة استعمار التاريخ ، فتعرضنا لخطة تأسيس الجمعية و قدمنا قراءة في قانونه ا الأساسي و ختمنا بعرض موقف الحكومة من هذا التأسيس .

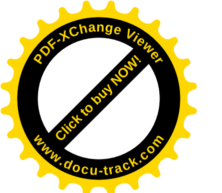
و ما يمكن أن يثير الإنتباه أن بعض محتويات هذا الفصل تمتد زمنيا إلى ما قبل فترتنا المدروسة و هذا عمل مقصود منا غرضنا منه أن نبين أن اجتماع علماء و مصلحي الجزائر في جمعية العلماء المسلمين لم يكن بسبب احتفال فرنسا بذكرى وجودها المئوي في الجزائر، بل بسبب القمع، الظلم و التجهيل الذي يمتد منذ يوم وطأ ت أقدام الفرنسيين أرض الجزائر، و بالتالي فإن هذا السبب " تَرَاكُمِـيّ" و كانت الإحتفالات المئوية هي السبب الأخير الذي تأسست بموجبه جمعية العلماء، و في هذا الصدد نذكر بالقاعدة المنهجية القائمة على فكرة أن أي حدث تاريخي لا يعود في غالبية الأحيان إلى سبب فريد، بل يعود إلى تراكم أسباب و سبب آخر يفيض الكأس. و من هذا الفصل نخلص إلى أن المبادرة بالإصلاح في الفترة الممتدة من 1931 و 1956 بعدما يشبه الغفوة يعتبر في حد ذاته تحديا كبيرا للإرادة و الإدارة الإستعمارية. فالمصلحون الذين قرروا الإصلاح و التربية لم يجدوا البساط الأحمر لأفكارهم بل واجهوا مقاومة و قمعا استعماريا و ردوا بتحدّ أكبر و هو ما شكل صراعا حادا صبغ تاريخ الجزائر و الحركة الوطنية بصبغة خاصة.

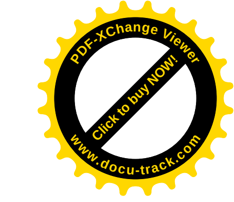
أما الفصل الثاني فعنوانه بـ *رجال الإصلاح يمارسون سياستي " الولاء " و " المهادنة" في إطار القوانين الفرنسية المتاحة* و تناولنا هنا المرحلة الأولى من عمل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تميزت بالمهادنة و "الولاء" ، خاصة و أن جهود المصلحين لم تتعد ما جاء في قانونها الأساسي . و تطرقنا في الجزء الأول من هذا الفصل إلى التعليم بين قوانين الإدارة الإستعمارية و مجابهة المصلحين، أما المبحث الثاني فتناولنا عملية الإصلاح الديني الذي بادرت به ا الجمعية . و ما يلاحظ على عناصر هذا الفصل أننا تناولنا موضوعي التعليم و الدين بطريقة الفعل و رد الفعل ( كما حصل في الواقع فعلا و كما هي عناصر مصطلح الصراع ) فشرحنا سياسة الاستعمار تجاه التعليم و الدين ثم عرضنا رد فعل رجال الإصلاح على هذه السياسة




و تناولنا في الفصل الثالث تطور موقف رجال الإصلاح من الإدارة الاستعمارية ، و كان هذا التطور خاضعا دوما لمراجع جمعية العلماء المسلمين و قانونها الأساسي إلى حد ما، و قد عنوناه بـ "مجابهة سياسية بمرجعية دينية " و في هذا الفصل نوضح كيف أن جمعية بسيطة ترفض سياسة و قرارات فرنسا الإستعمارية، فنجدها تفتح جبهة خارجية ضد الإستعمار الفرنسي و تحارب التجنيس و الإدماج و تشارك بفعالية في المؤتمر الإسلامي . أما الضفة الأخرى من هذا الفصل فكان عنوانها "الإصلاح و التربيةمظلة ناجحة لعمل جمعية العلماء" و نتناول فيه الوجه الخفي لعمل جمعية العلماء المسلمين التي جاء في قانونها الأساسي أنها جمعية إصلاحية تربوية ، فتطرقنا إلى الوجه السياسي للخطة الباديسية و ذلك من خلال عرض للعديد من التدخلات السياسية الخالصة التي خاضها رجال الإصلاح و كذا رد فعل الإدارة الإستعمارية على هذا الحراك السياسي ، و ختمنا هذا الفصل بتوضيح الموقف الإصلاحي من الحرب التحريرية التي قادتها جبهة التحرير الوطني

أما الخاتمة فكانت نتيجة لأحداث الفصول السابقة. فمن خلال جهود رجال الإصلاح للتغيير من الواقع الأليم الذي صنعته و فرضته الإدارة الإستعمارية على الجزائريين لاحظنا حقا أن رجال الإصلاح ارتقوا بالفعل الثقافي و جعلوه جبهة من جبهات الصراع مع الإستعمار الفرنسي و هو ما لم نعهده و لم نره في دول أخرى مستعمرة – و خاصة المستعمرات الإفريقية–، و استنتجنا أن الفعل الثقافي هو أقوى جبهات الصراع ضد الإدارة الإستعمارية لأن رجال الإصلاح تمكنوا من إفشال المشروع الإستعماري المسيحي و حققوا استقلالا ثقافيا يمكن أن نعتبره الجزء الأكبر من الإستقلال الشامل . و هنا حاولنا وضع الإستقلال الثقافي في مقام يليق به فهو لا يختلف عن الإستقلال السياسي بل هو مكمل له و ربما أحسن منه ، فالإستقلال السياسي لا يعبر إلا عن استقلال الجغرافيا أما الإستقلال الثقافي فهو يعني استقلالا في الهوية و الشخصية و الفكر ، و سَيُأَدِي بطريقة أو بأخرى إلى الإستقلال السياسي و الأحسن على الإطلاق الجمع بينهما.



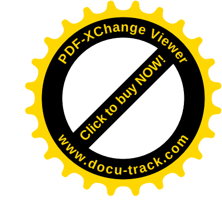


هذا تصورنا العام لموضوع الدراسة و طرحنا للموضوع و كانت هذه أهم المحطات التي سنمر عليها من خلال هذا البحث الذي سنحاول أن نرتقي به من مجرد سرد للمعلومات و جمع للبيانات إلى حوار للأفكار و قراءة و تفسير أكثر عدلا و عمقا، و ذلك لا يكون إلا بمحاولة وضع الأحداث في إطارها الزماني و المكاني و مراعا ة ظروفها الإجتماعية و النفسية و السياسية و غيرها من الظروف التي كان يمكن أن تكون سببا في اتخاذ بعض القرارات أو تعديل سيرورة حدث تاريخي سواء من طرف رجال الإصلاح أو من طرف الإدارة الإستعمارية. و قد يلاحظ القارئ أننا تجنبنا الحديث بعض المسائل كمسألة تأسيس الجمعية و هي مس ألة معرفية خالصة و عوضناها بالح ديث عن ما خفي من هذا التأسيس و كذا ما خفي من البنود و الفصول الموجودة في القانون الأساسي لجمعية العلماء

إن قراءتنا للصراع الإصلاحي مع الإدارة الإستعمارية قراءة موضوعية لا يمكن بلوغها إلا من خلال إعادة تكوين العلاقة بينه (= الصراع) و بين الواقع الذي نش أ فيه ، و إن أية محاولة لقراءته خارج ظروف و مستجدات هذا الواقع بملابساته تبقى محاولة غير مستوفاة الشروط و الجوانب . و هذا الواقع توفره لنا المصادر التاريخية المتوفرة . فبالإضافة إلى المعطيات العلمية المنهجية تطلب منا البحث الكثير من المعطيات المعرفية التي انطلقنا منها لنحلل ، و قد كانت الكتابات الإصلاحية متوفرة بشكل مقبول و جيد. و ليس بالضرورة أن تسهل كثرة المعلومات عملية إنشاء معرفة علمية تاريخية بل تضعنا أمام تحد صعب جدا يملي علينا بالضرورة العودة إلى كامل هذه التركة المعرفية للخروج بموقف ما .

تمايزت المصادر التي استعنا بها في أهميتها و حجم اعتمادنا عليها و قد كان الشهاب و البصائر لساني الحركة الإصلاحية الذين عمرا طويلا و أثرا تأثيرا جما على الجزائريين في تلك الفترة أهم مصادرنا.أما الكتابات الفرنسية فابتعدت عن الكتابة العلمية إلى المسؤولية الاجتماعية، فنلمس من خلال كتاباتهم أنهم كانوا ملزمين بقضية و يدافعون عن فكرة . و نقدم فيما يلي قراء استعراضية أولا ثم نقدية تحليلية لأهم المصادر و الدراسات السابقة التي اعتمدنا عليها.




وثائق الجمعية : و يأتي على رأسها القانون الأساسي الذي يعبر عن السياسة العامة لجمعية العلماء المسلمين ، ثم يأتي بعد ذلك دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أصولها التي نشرتها فيما بعد.

بالإضافة إلى ما خلفه رجال الإصلاح فرادى من كتابات و مذكرات كان على رأسها كتابات محمد خير الدين و توفيق المدني.

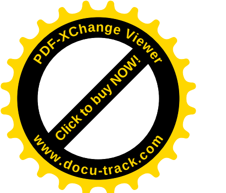
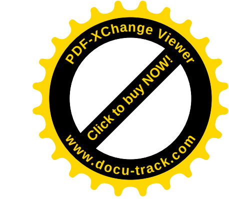
الصحف: لقد استطعنا الحصول على قدر كاف واف من الصحف الإصلاحية و منها : و "الشهاب" ، "السنّة" ،" الشريعة" ، " الصراط" و"البصائر" ، " La Defence "

1. الوثائق الفرنسية: وهي عبارة عن بعض الدراسات التي كانت تعدها مراكز الإعلام والدراسات في الولايات الجزائرية الثلاث ( الجزائر و قسنطينة و وهران) حول أوضاع الجزائريين السياسية، أو في الجزائر بصفة عامة كـ " exposé de la situation de l'algerie " بالإضافة إلى أرشيف ولاية قسنطينة و عديد الكتب المصدرية التي زامنت الحدث و المرجعية كـ **collot** (Claude), **henry** (jean-robert), le mouvement national algerien textes 1912 – 1954

**Elison** (caston guedj) , enseignement indigéne en algerie au cour de la colonisation ( 1832 – 1962)

**Fanny** (colonna) , instituteurs algeriens 1883 – 1939

الدراسات السابقة: الحقيقة أن هناك أكثر من دراسة تناولت جمعية العلماء المسلمين و كان على رأسها دراسة لعلي مراد بعنوان" الإصلاح الإسلامي في الجزائر من عام 1925-1940م" و قد نشرت في كتاب عام 1387هـ(1968) وهي باللغة الفرنسية و تم ترجمتها فيما بعد، ولعل إعداد هذه الدراسة في وقتت مبكر بعد حصول الجزائر على الإستقلال لم يمكن الباحث من الإطلاع على الوثائق الفرنسية. و لكنها بالرغم من ذلك دراسة ممتازة استفدنا منها كثيرا .

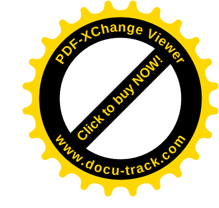
دراسة أخرى أكاديمية تتعلق بنشاط جمعية العلماء المسلمين قام بها الدكتور محمد مجاود في رسالة الدكتوراه في أفريل 1992 بجامعة بول فاليري بمونبيلييه بفرنسا عنوانها " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1920 – 1940 " رافقنا من خلالها الأستاذ الدكتور – المشرف - بتقديم التوجيهات المناسبة في بحثنا هذا

دراسة أخرى قام بها محمد القورصو بعنوان" تأسيس ونشاط جمعية العلماء في ولاية وهران 1931-1935م" لنيل دبلوم الدراسات المعمقة بقسم التاريخ في جامعة وهران عام 1397هـ(1977م) ، و ما يميزهذه الدراسة أن القورصو لم يرجع لصحف الجمعية مباشرة بل استقى معظم معلوماته من كتاب (ابن باديس حياته وآثاره) الأمر الذي فوّت عليه كثيراً من المعلومات الهامة.

بالإضافة إلى دراسة أخرى أعدها عبد الكريم بوالصفصاف بعنوان" جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945م) التي تقدم بها لنيل دبلوم الدراسات المعمقة من جامعة قسنطينة عام 1398هـ(1978م) ونشرت هذه الدراسة في كتاب عام 1401هـ(1981م) وهي في الحقيقة دراسة جيدة من حيث الجهد الذي بُذل في إعدادها، لكن الباحث اقتصر على الوثائق الفرنسية الموجودة بمديرية الوثائق بقسنطينة، ومعظم هذه الوثائق عبارة عن تقارير إدارة الأمن ( البوليس) وهذه تتصف غالباً بالعجلة والسطحية لطبيعة عمل محرريها.

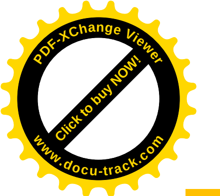
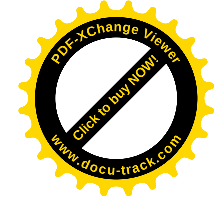
إن الباحثين الأكاديميين يعرفون بلا ريب ما يكابده الباحث في طريقه من صعوبات و عراقيل تتطلب إرادة و صبرا جميلا لتجاوزها ، و قد نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ثراء تجربة الصراع بين الطرفين، ثراء الأرشيف المطبوع الخاص بالجمعية و هو أمر جعلنا نعود إلى كل تلك المصادر و ليس للقراءة فقط بل للتحليل ، و من العراقيل التي يؤسف لها ما يعانيه الباحث المتردد على مراكز الأرشيف من غياب الإنفتاح على الباحثين و فرض إجراءات مثبطة للحصول على الوثائق إطلاعا دون النسخ بعرض حجج واهية تضعف روح الإرادة في الباحث .






# المدخل

- المفهوم اللغوي و الإصطلاحي للإصلاح
- الأصول التاريخية للحركة الإصلاحية في الجزائر
- بداية الإصلاح قبل تأسيس جمعية العلماء
- الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية للجزائر قبل سنة 1931


## المفهوم اللغوي و الاصطلاحي للإصلاح

الإصلاح نقيض الإفساد،و أصلح الشيء ضد أفسده، [1] و قد جاء في تفسير ابن باديس قوله:" و الإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من فساد، و الإفساد هو إخراج الشيء عن حالة اعتداله بإحداث اختلال فيه". [2] و جاء في قاموس تاج العروس من جواهر القاموس للمرتضى الزبيدي أن الإصلاح ضد الفساد، من الفعل (صلح) بالفتح و (صلح) بالضم، و الصالح هو الجابر لأموره و أعماله. و أصلح الشيء ضد أفسده. أي أقامه و عدله و سواه بعد أن كان فاسدا. و من المجاز: أصلح إليه أي أحسن إليه. و أصلح الدابة : إذا أحسن إليها فصلحت و صارت صالحة للاستعمال ، و الصلح بالضم أي التسوية بين الأطراف المختلفة بالسلم و الصلح، و الصلاح و الإصلاح من الصلح الذي هو ضد الفساد. **أما رجال الإصلاح أنفسهم فيعرفون الإصلاح بأنه " كلمة واضحة المعنى مفهومة لغة و شرعا و عرفا و هي ضد الإفساد و أجمع العقلاء من جميع الملل و النحل على أن الإصلاح محمود و ضده مذموم. و مرادنا نحن بالإصلاح الإصلاح الديني الشرعي أولا ثم الإصلاح العام".** [3] و قد جاء لفظ الإصلاح في القرآن الكريم مقترنا بعدة معان منها :

1 - أن لفظ الإصلاح جاء مقترنا بالفساد و نقيضا له: "و لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها"[4] .

2 جاء مقترنا بالثواب و الجزاء: " من عمل صالحا من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة و لنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون "[5].

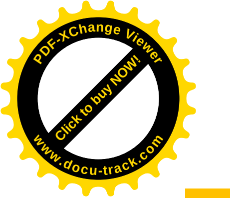
---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، مج 2 ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت 2005 ص 517

[2] ابن باديس (عبد الحميد)، تفسير ابن باديس، منشورات المعارف مؤسسة النشر و الطبع، وهران، الجزائر، 1991

[3] البصائر، العدد 4، 24 جانفي 1936، ص 4

[4] سورة الأعراف الآية 56.






من خلال هذه المقاربة اللغوية المعرفية نخلص إلى أن مفهوم الاصلاح أو الصلاح هو: الجبر، التسوية، الإقامة، و التعهد لما أفسد و ترك و أهمل من الأمور و المخلوقات و الموجودات [6]. و الإصلاح الديني هو إزالة البدع من العقيدة و الشريعة و إصلاح أمر من الأمور هو تحسينه تدريجيا للحصول على نتائج أفضل مثل الإصلاح الإجتماعي و السياسي ، و تقابله الثورة .[7]و هو أيضا عملية تغييرية تهدف الجهة المصلحة بها إلى إحداث تغيير و قلب في واقع المصلحين العقلي التصوري، و الروحي العاطفي، و السلوكي الإجتماعي و المادي العمراني، و ذلك وفق الخطة و الأهداف المرجوة عبر مرحلة زمنية و سننية كونية بأساليب و مناهج و وسائل حضارية تتفاعل اجتماعيا وحضاريا فيه الجهة المصلحة و المصلحة، بحيث تتغير الجهة المصلحة نحو الواقع الجديد[8].

أما الحركة الاصلاحية هي تعبير عن الحاجات الأساسية للمجتمع الإسلامي، و ذلك فيما يتصل بالنشاط الثقافي و العلاقات الإجتماعية و المتطلبات الإقتصادية و الأحوال السياسية، هذا ما جعل الحركة الإصلاحية بمثابة مشروع مجتمع يقوم على إحياء الحضارة و يهدف إلى تجديد النظرة إلى الحياة، و ذلك بعد أن بدأت المجتمعات الإسلامية تعرف نوعا من الجمود الثقافي و التقهقر الإقتصادي و التفكك الإجتماعي و الفوضى السياسية، و هي أيضا – الحركة الاصلاحية – رفض وجود الاستعمار والعيش تحت أقدامه، على أن ينظم ذلك الرفض في شكل حركة أو نشاط يشرف

---

[5]سورة النحل الآية 97

[6]عيساوي (احمد)، "الفكر الاصلاحي عند الشيخ العربي التبسي"، **الملتقى الوطني الرابع للفكر الإصلاحي في الجزائر** ، ج 1، الجمعية الثقافية العربي التبسي، الجزائر، ص ص 44 - 45.

[7] عجالي (كمال)، الفكر الإصلاحي في الجزائر الشيخ الطيب العقبي بين الاصالة و التجديد، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007 ص 32

[8]عيساوي (أحمد)، المرجع السابق ص ص 54- 55







عليه السلف الصالح، ويستمد ذلك من تجارب الماضي، وبذلك يكون السلف الصالح قد تحكم في تطلعات المستقبل إلى حد ما.[9]

## -الأصول التاريخية للحركة الإصلاحية في الجزائر

كان برنامج الإستعمار الفرنسي مسطرا منذ البداية خاضعا لأهداف معينة عمل على تحقيقها، و كان أهمها على الإطلاق هو إحياء المسيحية التي انطفأت بمجيئ الإسلام،[10] ففرنسا باعتبارها حامية الكنيسة الكاثوليكية قدمت و أسدت خدمة عظيمة للعالم المسيحي و شعوب البحر المتوسط باحتلالها للجزائر.[11] و ليس غريبا أن يخطب الجنرال دي بورمون في صلاته مع بعض رجال الدين بمناسبة سقوط مدينة الجزائر قائلا: " لقد أعدتم معنا فتح باب المسيحية لإفريقيا، و نتمنى في القريب أن نعيد الحضارة التي انطفأت فيها منذ زمن طويل "[12] و في سبيل ذلك قدمت الإدارة الاستعمارية تسهيلات كبيرة لرجال الدين و تمكنت الكنيسة المسيحية من إرسال عدد كبير من رجال الدين للقيام بمهمة التبشير " المقدسة"[13]. هذه الرؤية الإستعمارية الدينية ميزت الوضع العام للإحتلال الفرنسي طوال فترة وجوده و جعلت من ظهور فكرة الإصلاح ضرورة تاريخية فرضها الواقع. و لم تكن فكرة الإصلاح غريبة عن المسلمين الجزائريين بل هي ضاربة في القدم قدم القرآن الذي كان أول من أوحى إلى المجتمع الإنساني بفكرة الإصلاح و أوصى بتطبيقها وسط المجموعة

---

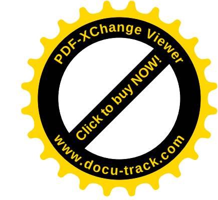
[9] سعيدوني (ناصر الدين)، الجزائر منطلقات و آفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت 2000 ، ص ص 210 – 211 .

[10] التميمي (عبد الجليل)، "انطباعات حول أهمية الدين في الممتلكات الفرنسية في افريقيا"، **المجلة التاريخية المغربية**، عدد 1 جانفي 1974 تونس، ص 37

[11] بقطاش (خديجة) ، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1971) ، منشورات دحلب، الجزائر، 2007، ص 17

[12] نفسه ص 20

[13] التميمي (عبد الجليل)، المرجع السابق، ص 35



الإسلامية، و ذلك ما حاولت فعله بعض الشخصيات الإسلامية منذ قرون. و من هنا يتبين أ ن الإسلام كان له دور بارز و هام في الإصلاح خلال العصور التي شهدت انحطاطا واضحا في الحياة الفكرية و الإجتماعية و الدينية، و لهذا فإن المصلحين الذين برزوا على رأس كل عصر كانوا يرجعون إلى منابع و تعاليم الإسلام في معالجة الأمراض الإجتماعية و محاربة البدع و الخرافات التي تحيط بالنفوس[14]. و قد تمثل رد الفعل بادئ ذي بدء في دعوات مختلفة كانت تدعو إلى إيقاظ الإنسان المسلم حتى يعي ذاته و يشعر بنفسه، و يرجع إلى أصول الشريعة الإسلامية الصحيحة و النهل منها زمن مصادرها الأولى، و ذلك حتى يدرك أن الواجب يحتم عليه أن ينطلق من نفسه، و يجعل شعاره في أي عمل إصلاحي يقوم على قوله تعالى" إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم "[15].

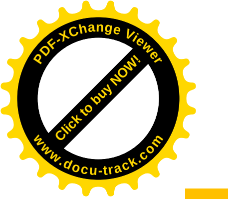
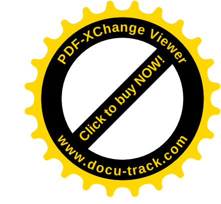
إن المسلم بغظ النظر عن الزمان و المكان ملزم بتغيير الواقع الفاسد إما بيده أو بلسانه أو بقلبه إن لم يستطع ، و يأتي في هذا السياق كل ما قام به رجال الإصلاح و الطرق الصوفية خلال السنوات الأولى للإحتلال و ما بعدها ، فأسسوا ما لا يحصى من الزوايا و المساجد و الكتاتيب القرآنية و المدارس في كل القرى و المداشر و الأعراش و كذا مؤسسات التربية و الثقافة و التكوين و التعليم، و حشدوا إليها الشباب و الكهول و وجهوهم لحفظ القرآن الكريم و تعلم العلوم العربية الدينية و العلمية و الأدبية و وفروا الإمكانيات المادية الملائمة للإنفاق على الطلبة من إيواء و تغذية و ألبسة و كتب و أغطية و مصاحف و كل ما يلزم للإقامة و التعلم [16] و مع بداية القرن العشرين عرف العالم الإسلامي ظهور العديد من المصلحين ذوو التأثير على طبقات واسعة من المسلمين أمثال جمال الدين الأفغاني و الإمام محمد عبده في المشرق و ابن باديس في المغرب العربي الإسلامي

---

[14] بوصفصاف (عبد الكريم) ، جمعية العلماء المسلمين و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1945، ط1 ، دار البعث للنشر، قسنطينة، الجزائر، 1981 ص ص 52-54

[15] سورة الرعد الآية 11.

[16] بوعزيز (يحي)، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995 ص 302

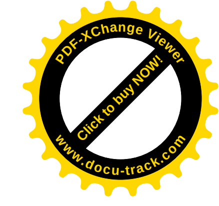






الذين اتفقوا على أن الأمة الإسلامية دخلت مرحلة دقيقة من تاريخها بسبب عودة الغزو الأوربي الذي ذكرها بالحروب الصليبية في القرنين الثاني و الثالث عشر ميلاديين و كان سقوط الجزائر هو النذير الأول، و لهذا ارتفعت صيحات الإصلاح في جوانب العالم الإسلامي تدعو الناس إلى معالجة أدوائهم بالقضاء على أسبابها و اجتثاث أصلها. و رأى ابن باديس أن سلاح اليقظة كان دائما عن طريق العودة إلى الإسلام الصحيح المستقى من الكتاب و السنة.

كان ابن باديس من بين كبار العلماء الذين برزوا بداية القرن العشرين إلى جانب ابن الموهوب و ابن سماية و المجاوي... و قد غادر جزء كبير من هؤلاء العلماء الجزائر عشية الحرب العالمية الأولى متوجهين إلى تونس و المغرب و الشرق الأدنى، و لعل هدفهم كان اتقاء الخدمة العسكرية التي سنتها السلطات الفرنسية إجباريا للجزائريين، و لعله كان أيضا الحصول على بعض الثقافة العربية و التوجه الإسلامي الذين لا يكادون يجدونهما في الجزائر، و قد شملت موجة المهاجرين الشبان زعماء المستقبل لجمعية العلماء : عبد الحميد ابن باديس، البشير الابراهيمي الطيب العقبي ... و تحت تأثير روح الإصلاح في الجزائر و حركة الجامعة الإسلامية في الشرق الأدنى قضى هؤلاء الزعماء المستقبليون كل فترة الحرب ( باستثناء ابن باديس) خارج وطنهم، و لما كانوا مهاجرين خلال أكثر العقود انقلابية في هذا القرن فإنهم تعلموا ليس فقط الأفكار النظرية عن الحضارة الإسلامية بل أيضا التصورات العامة عن مشاكل و قوى العالم كله. و عندما وضعت الحرب أوزارها رجع نفس المهاجرين إلى وطنهم بنظريات معادية للفرنسيين و شرعوا في وضع برنامج اجتماعي و ثقافي يستهدف توهين أسس فرنسا في الجزائر [17] و سعوا إلى تأسيس ما يشبه الجمعية الدينية و الثقافية التي توحدها الأحاسيس و

[17] سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930، ج2، ، ط4، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 1992 ص 386



الآمال و الطموحات المشتركة و تشع المثل الإصلاحي في بلادهم [18] و يمكن إجمال أسباب هذه الحركة الاصلاحية في عدة عوامل هي :

1 ـ الواقع النفسي الذي خلفته الحروب القمعية الإستئصالية الإستعمارية المتواصلة ضد الشعب الجزائري

2 ـ دعوة الشيخ محمد عبده [19] إلى الإصلاح: و على الرغم من معاداة الكثيرين لهذه الدعوة داخل المجتمع الجزائري إلا أنها أثارت في نفوس الناس التطلع إلى ما هو أفضل، و قد ساعد في تبني أفكار عبده بعض الأعداد من جريدة المنار التي كانت تصل إلى الجزائر، و لقد أكد مصلحي الجزائر في أكثر من مناسبة تأثرهم بدعوة الشيخ محمد عبده [20]. و ذكر ابن باديس أن أول من نادى بالإصلاح الديني علما و عملا نداءا سمعه العالم الإسلامي كله في عصرنا هذا هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، و أول من قام بخدمته بنشرة إسلامية عالمية هو تلميذه حجة الإسلام السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار رحمهما الله.[21] و يعترف الشيخ ابن باديس بفضل الشيخ محمد رشيد رضا و مجلة المنار عليه بقوله " نشرنا ما يلي من تفسير

---

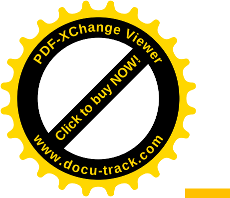
[18] مراد (علي)، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 الى 1940، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007 ص 91

[19] محمد عبده (1849 – 1905) ولد في دلتا مصر من العلماء المسلمين المعاصرين الدعاة إلى الإصلاح، اتصل بجمال الدين الأفغاني حرر جريدة " الوقائع المصرية " له رسالة التوحيد و هي عبارة عن دروس في الدين الإسلامي ألقاها على تلامذة المدرسة السلطانية في بيروت 1885، طبعت سنة 1897، و اعتبر محمد عبده أكبر مصلح مسلم في الفترة المعاصرة

[20] من باب أن " قراءة الكتب تثبت المشيخة و التتلمذ" أكد بوعلام بسايح أن اين باديس تلميذ محمد عبده على الرغم من أنه لم يتتلمذ على يده حضوريا ينظر :

بسايح (بوعلام)، "ابن باديس رجل علم و فكر و مصلح"، **مجلة الثقافة**، عدد 98، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، مارس افريل 1987 ، ص 8

[21] ابن باديس (عبد الحميد)، آثار ابن باديس، إعداد و تصنيف عمار طالبي، ج 1 ، مج2، الشركة الجزائرية، ط 3، 1997، ص 66






حجة الإسلام محمد رشيد رضا من آخر جزء أصدره من مجلة المنار اعترافا له بفضل السبق إلى نشر هداية القرآن على المسلمين بمجلة شهرية كانت قدوتنا فيما ننشر من مجالس التذكير"[22] و يضيف ابن باديس " فهذه الحركة الدينية الإسلامية [23] الكبرى في العا لم إصلاحا و هداية و بيانا و دفاعا كلها من آثاره " ،[24] و من المعروف أنه كان هناك اتصال شخصي بين الإمام محمد رشيد رضا و بعض رجال الإصلاح في الجزائر كالبشير الإبراهيمي الذي قابله في سوريا عندما ترك الحجاز ليقيم في سوريا و كذلك أبو يعلى الزواوي [25] أما عبد الحميد ابن باديس فقد اتصل به بالمراسلة فقط و بطريقة غاية في السرية و الكتمان خوفا من السلطات الإستعمارية التي كانت تحاول إثبات مثل هذا الإتصال إثباتا ماديا لضرب رجال الإصلاح

3 - زيارة الجزائريين للبقاع المقدسة و احتكاكهم بإخوانهم المسلمين القادمين من أصقاع العا لم الإسلامي.

---

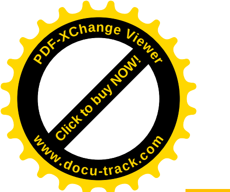
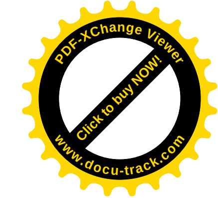
[22] مجالس التذكير : هي بعض المقالات التي قدمها ابن باديس في الشهاب و البصائر تتعلق بالدين الإسلامي ... ينظر : الشهاب، ج 7 ، مج 11 ، أكتوبر 1935

[23] إن الكتاب الفرنسيين يكادون يتفقون على أن أصل الفكرة الإصلاحية لدى العلماء تعود إلى الحركة الوهابية و الجامعة الإسلامية في الشرق الأدنى، و عندما أصبحت القومية العربية قوة هامة خلال الثلاثينات اعتاد نفس الكتاب أن يشيروا إلى العلماء على أنهم ناشروها أيضا، و الحق أن العلماء أيضا لم ينكروا علاقتهم بهذه الحركات فالشيخ الإبراهيمي الذي أصبح فيما بعد رئيسا لجمعية العلماء قد اعترف بأنه كان هناك تأثير كبير من حركة الجامعة الإسلامية على الحركة الإصلاحية الجزائرية و خص بالمدح زعيمين للجامعة الإسلامية هما محمد عبده و رشيد رضا. ينظر:

سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج2، المرجع السابق، ص 386

[24] الشهاب، ج 9، مج 11، ديسمبر 1935 ص 510

[25] أبو يعلى الزواوي ( 1862 - 1952) ولد و درس في زواو على يد شيوخها حفظ القرآن و هو ابن اثني عشر عاما تولى عددا من المناصب الرسمية منها الخطابة و التدريس في مسجد سيدي رمضان بالجزائر العاصمة كان له نشاط كبير في الصحافة الإصلاحية




4 -الثورة التعليمية التي أحدثها الشيخ عبد الحميد ابن باديس: بدروسه الحية و التربية الصحيحة التي كان يأخذ بها تلاميذه، و يضاف هذا إلى جهوده مع ثلة من أصحابه الذين أنشأو أول جريدة إصلاحية هي المنتقد في 1925 التي كانت تصدر خميس كل أسبوع، و استطاع ابن باديس أن يضم إليها خيرة الأقلام آنذاك مثل مبارك الميلي، الطيب العقبي، أبي اليقضان، محمد العيد و محمد الهادي السنوسي و آخرين من العائدين من جامعي الزيتونة و الأزهر.

5 - انتشار المطابع و المكتبات و الصحافة العربية الإسلامية الحرة [26]

## بداية الإصلاح قبل تأسيس جمعية العلماء

لقد كان الغزو الفرنسي للجزائر عسكريا ، دينيا ، ثقافيا و اقتصاديا في آن واحد عمل من أول يوم على طمس و محو شخصية الجزائر القومية و الدينية الإسلامية بصفة كلية و ذلك بالقضاء النهائي على الدين الإسلامي و الثقافة العربية الإسلامية [27] و إحلال الدين المسيحي و اللغة و الثقافة الفرنسية في إطار سياسة الإ دماج و الفرنسة و التنصير. و على هذا الأساس صادر جيش الإحتلال منذ السنة الأولى للإحتلال أملاك الأوقاف الإسلامية العقارية و المنقولة و استولى على المساجد و الزوايا و هدم الكثير منها و حول الباقي إلى كنائس و اصطبلات و مراكز إدارية و ضايق العلماء و رجال الدين. و هذا معاكس تماما لما وعد به الفرنسيون الذين أكدوا أن " سلطان فرانسة و جيوشه ليست هنا في الجزائر لمحاربتكم بل ستضمن لكم مساجدكم و مالكم و أراضيكم و بساتينكم و حوانيتكم و كل ما هو صغير أو كبير ... و الدين المحمدي يعبد كما سبق و يبقى على ما هو عليه[28].

[26] عيساوي (احمد)، المرجع السابق، ص 53.

[27] بوعزيز (يحي)، المرجع السابق ، ج1، ص 301

[28] زوزو (عبد الحميد )، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 2007، ص ص 26-28





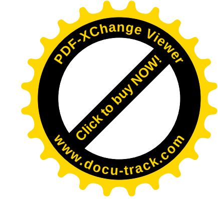

و كإجراء استعجالي ضيقت الإدارة الإستعمارية الخناق على الأمة الجزائرية و أوجدت ظروفا صعبة و قاسية يمتنع معها ظهور حركات سياسية على شكل جمعيات أو أحزاب سياسية من شأنها أن تدافع عن الجزائريين، و مع هذا فقد ظهرت محاولات فردية حاولت أن تبث الوعي القومي و أن تنهض بالفكر و الإصلاح بدرجات متفاوتة و أساليب متنوعة و ذلك ما قام به المفتي بن العنابي، حمدان خوجة، الأمير عبد القادر الجزائري 1222- 1300هـ/ 1807- 1883 و الشيخ صالح بن مهنا و الشيخ عبد القادر مجاوي 1848- 1913 و عبد الحليم بن سماية ( توفي سنة 1933 ) و محمد مصطفى بلخوجة 1281-1333هـ / 1865- 1917 و أبو القاسم الحفناوي 1229 – 1361 هـ/ 1852- 1942 و محمد بن أبي شنب... كما ظهرت في الفترة الممتدة من 1871- 1914 بعض المبادرات السياسية الفردية التي قام بها الجزائريون بصفتهم نوابا في المجالس العمالية أو مثقفين ثقافة أوربية حديثة حيث طالبوا بالمساواات في الحقوق السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية و المحافظة على قانون الأحوال الشخصية الإسلامي ، طبقا لمرسوم نابليون الثالث الصادر في سنة 1865 و من هؤلاء اسماعيل بوضربة و هو أول محامي جزائري تخرج من جامعة باريس سنة 1905 و الحاج عمار و الصادق دنداني حيث أسسوا صحفا وطنية باللسان الفرنسي تدافع عن حقوق الجزائريين.[29]

و مع بداية القرن العشرين ظهرت مساع حثيثة من بعض رجال الإصلاح الذين اهتموا بالإصلاح الإسلامي السياسي و كان على رأسهم الأمير خالد [30]. الذي عمل منذ البداية على

[29] بن خليف (مالك)، الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد ابن باديس، ط1،دار طليطلة ، الجزائر، 2010 ص35 – 36

[30] يعتبر شارل روبير أجيرون الأمير خالد أول الوطنيين الجزائريين بالنظر إلى مطالبه الوطنية التي لم يسبق لأحد أن طالب بها بالصيغة التي طالب بها الأمير خالد ينظر :

**Ageron** (Charles Robert), La petition de l'emire khaled au president wilson, (mai 1919 ) . revue d'istoire maghrebine. Octobre 1980. N 19 – 20. Tunis p 199





تقوية و توسيع فكرته عبر تعبئة و توسيع الرأي العام الجزائري و إقناعه ببرنامج الإصلاحات الفتي من مدينة إلى مدينة في النوادي الثقافية و الجوامع و الأعياد الدينية ، و أسس لذلك رفقة فريق صغير من المثقفين لا سيما بهلول و قائد حمود صحيفة الإقدام للدفاع عن المصالح الإسلامية في إفريقيا[31] و قد استطاع الأمير خالد[32] بفضل هذا الجهد أن يفتح السبيل لقيام حركات وطنية بمختلف تياراتها.[33]

أما الطرف الثاني الذي برز في مجال الإصلاح إلى جانب الأمير خالد فهو ألئك الذين عادو ا من المشرق و الشرق الأدنى إلى الجزائر حاملين معهم زاد ا لابأس به من العلم و المعرفة و أرادوا نقله إلى إخوانهم الجزائريين ، كان أبرزهم الشيخ عبد الحميد ابن باديس الذي كان إماما سلفيا يعادي الطرقية معاداة شديدة [34] بالإضافة إلى بعض رجال الإصلاح الذين ردوا على الإحتفالات المئوية بمؤلفات تاريخية ظهرت عشية الإحتفالات بالذكرى المئوية لغزو سيدي فرج، و كان أبرزهم مبارك الميلي و توفيق المدني و عبد الرحمان الجيلالي الذين أعلنت مؤلفاتهم و بصفة نهائية قطيعتها للتقاليد الإستعمارية في هذا الميدان ( ميدان التأليف التاريخي ) و قدموا للجزائريين تاريخهم الخاص بقرائة منهجية جزائرية خالصة. و قد كانت هذه المؤلفات على مستوى عال جدا ، فبالإضافة إلى ثروتها الوثائقية الحاصلة عن البحوث الكبيرة نجدها خاضعة لمنهجية تاريخية دقيقة و عرض تاريخي منظم

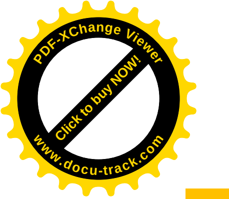
---

31 جغلول (عبد القادر)، الإستعمار و الصراعات الثقافية في الجزائرن، ترجمة سليم قسطون، دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1984 ص 211

32 عندما نذكر مقاومة الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر فينبغي أن نقف و بتمعن في هذه المقاومة . إن هذه المقاومة و هذا الحدث لم يكن عاديا أبدا ، إنه يشير إلى تواصل المقاومة في نظر الشعب و هي ترجع بذاكرة الجزائريين إلى مقاومة جده عبد القادر التي لا تزال عالقة بالاذهان و هو أمر استفاد منه الأمير خالد كثيرا .

33 بسايح (بوعلام)، المرجع السابق، ص 16

34 فضلاء (محمد الطاهر)، "الإمام الشيخ عبد الحميد ابن باديس لم يكن صوفيا و لا طرقيا" **المجلة التاريخية المغربية**، عدد 21 – 22، تونس، أفريل، 1981 ص 160







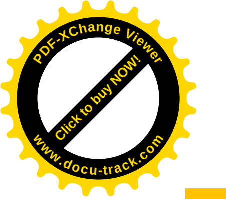
متوفر على الخرائط و الإحصاءات و الجداول و الإحاطة بالجوانب الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية التي تثبت خصوصية التاريخ الجزائري و فعاليته الحضارية المتفاوتة عبر العصور [35]

كان رجال الإصلاح إلى غاية 1931 يعملون فرادى، فكانوا يسيرون بفكرة لا تستند على نظام مقرر و لا برنامج محرر و هذا ما يجعل جل جهودهم تذهب سدى دون تحقيق المرجو ، و هو أمر أدركه الشيخ ابن باديس و معه الإبراهيمي و العقبي، فمنذ قدومهم من الحجاز دعوا إلى تكوين جمعية أو حزب يجمع العلماء و يوحد جهودهم و تصورهم و قد لاحظوا أن العمل الإصلاحي الفردي لم يظهر لأعمالهم من آثار تذكر و لا كان لصوتهم الخافت في مجموع الأمة من صدى و تأثير، ذلك لأن أهل هذه الطبقة لم تتوحد كلمتهم آنذاك و لم يتخذوا لهم برنامج عمل، و الحقيقة التي لا شك فيها هي أن العلماء المسلمين في اعتمادهم على الإصلاح الجماعي المنظم ( و لو بشكل نسبي ) كقاعدة أساسية في التغيير الحضاري قد اختلفوا في تجربتهم عن التجارب المشرقية التي غلب عليها الطابع الفردي حيث نحت نحو العمل المؤسساتي المبني على التنظيم و التعاون و التنسيق و توزيع المهام [36] و قد استطاعوا بذلك أن يبدؤوا حركة اجتماعية تجاوز بفضلها المجتمع الجزائري العهد الفردي و البطولات الشخصية إلى العمل الجماعي و البناء الإجتماعي، فكانت الحركة الاصلاحية تكريسا لنضج الضمير الجماعي للجزائريين،و قد شكل هؤلاء الرواد ابتداء من 1925 النواة الأولى لما سيصبح جمعية العلماء فيما بعد، و قد أص درت هذه النواة الملتفة حول الشيخ ابن باديس بقسنطينة صحيفة "المنتقد" ثم صحيفة " الشهاب" ، كما أصدر الشيخ العقبي ببسكرة صحيفة " الإصلاح" سنة 1927 قبل الإنتقال إلى العاصمة. و في سنة 1927 أسس بعض العلماء نادي الترقي في مدينة الجزائر لأغراض ثقافية محضة، القصد منها إحياء التراث العربي. و

---

35 صاري (الجيلالي)، قداش (محفوظ)، الجزائر في التاريخ المقاومة السياسية 1900 – 1954، الطريق الإصلاحي و الطريق الثوري، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1987، ص ص 254 - 255

36 عجالي( كمال)، المرجع السابق، ص 97







هي كلها جهود انصبت على مسألة دينية هامة هي المحافظة على طه ارة العقيدة الإسلامية من الشوائب والبدع الدخيلة.

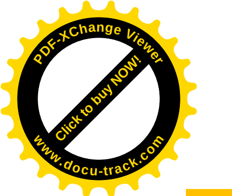
## -الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية للجزائر قبل سنة 1931

شهدت بداية القرن العشرين غياب أي ثورة عسكرية كتلك التي طبعت تاريخ المقاومة الجزائرية منذ 1830، و يبدو أن الجزائريين عندئذ قد فهمو ا أن التنظيم السياسي و نشر التعليم و إيقاظ الجماهير كانت أفضل بديل عن النشاط العسكري في مفهومه القديم، و لا يعني هذا أن المقاومة انتهت أو تعثرت بل غيرت من منهجها فقط، فمن منهج استعمال القوة العسكرية في المقاومة اتجه الجزائريون إلى المقاومة الدفاعية الممثلة في التمسك بالثقافية العربية الإسلامية ، و هي مقاومة شاملة يشارك فيها جميع الجزائريين أطفالا و شبابا و شيوخا و رجالا و نساءا أيضا ، لأن هذا النوع من المقاومة لا يكلف جهدا بدنيا كسابقه فيكفي أن يبقى الجزائري متمسكا بثقافته العربية الإسلامية ليعتبر مقاوما و حتى إن كان الجزائري فردا لا يعلم أنه مشارك في المقاومة و جزء من الأمة فهو فاعل و بقوة في هته المقاومة و إن كان ذلك دون شعوره ، و قد ساعد في هذا التوجه الظروف العامة التي مرت بها الجزائر في بداية القرن العشرين و التي كان أبرزها:[37]

1 -الإتصال المباشر مع الثقافة الأوربية
2 -تأثير الشرق الأدنى من خلال نداء حركة الجامعة الإسلامية
3 -التطورات العالمية كنتيجة للصراع بين القومية و الإمبريالية

---

[37] سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج2، المرجع السابق، ص 187







و خلال هذا العهد الذي تميز بالإجهاز الفرنسي على الجزائر نجد أن حركة وطنية انفصالية قائمة على المعارضة السياسية كانت غير ممكنة إطلاقا[38] بالنظر لما تعرضت له حركة الشبان الجزائريين من ضغط كبير من الإدارة الفرنسية و اتهامهم بأنهم يهدفون إلى طرد الفرنسيين من الجزائر ففي رأي رئيس بلدية الجزائر العاصمة دوريدو de redon أن ما تقوم به حركة الشبان الجزائريين هو محاولة لإعطاء فرصة للبرجوازية الجزائرية الإسلامية لكي تكون عندها السلطة و الشهرة و تستعملها ضد الأوربيين في الجزائر[39] و يمكن أن نستثني من ذلك حركة الأمير خالد الذي زاوج في حركته ما بين الدين و الوطنية[40] و استطاع أن يقدم برنامجا إصلاحيا قائما على فكرة المساوا ة بين الجزائريين و الفرنسيين، فقد كان في صالح تمثيل نيابي للجزائريين في المجلس الوطني الفرنسي و وقف القوى العقابية الخاصة التي كانت لحكام البلديات المختلطة و التعليم الاجباري بالفرنسية و العربية ، و تطبيق القانون العام على كل سكان الجزائر دون تمييز و المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين في الوظيف[41]

و ما يميز هذا العهد أيضا هو تشكل أنتلجنسيا جديدة مترسخة في الماضي الثقافي العربي – الإسلامي و لكنها منفتحة بشكل واسع على " الحداثة " الأوربية. هذه القوى الناشئة أصبحت تستخدم أشكالا نضالية جديدة : إضراب، عرائض، وفود، و أدوات تعبيرية جديدة: صحافة ، مذكرات، مقالات نقدية و أطرا تنظيمية جديدة: جمعيات نقابات ، أحزاب و إن اقتصرت أغلب مطالب تلك القوى في مجملها على المطالبة بإصلاحات لا تعترض على جوهر النظام الإستعماري باستثناء المطالب التي عبر عنها الحزب السياسي الجزائري الأول نجم شمال إفريقيا الذي تأسس في باريس سنة 1926 [42] . هذا الحزب الذي لم يلبث أن حلته الإدارة الإستعمارية قدم للحركة الوطنية

---

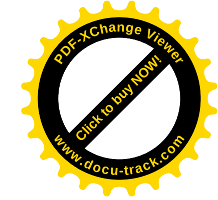
38 سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج2، المرجع السابق، ص 414

39 بوحوش (عمار)، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، 1997 ،ط1، ص 207

40 سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج2، المرجع السابق، ص 361

41 نفسه ص 362

42 جغلول (عبد القادر)، المرجع السابق، ص 199 - 200



رؤية واضحة حول كيفية تعامل الحركة الوطنية مع الإدارة الاستعمارية لأن مسألة حله أكدت أنه لا مجال للمقاومة العلنية في مثل هذه الظروف و الواقع بل ينبغي النضال و التستر في إطار الجمهورية الفرنسية .

إن الاستعمار الفرنسي في الجزائر كان يهدف – زيادة على الإستغلال الإقتصادي و الاستحواذ السياسي – إلى جعل الجزائر قطعة لا تتجزأ من التراب الفرنسي أرضا و لغة و ثقافة و دينا، و قد انتهج لذلك سياسة الفرنسة و هي إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع مجالات الحياة الإجتماعية حتى يصبح المجتمع الجزائري فرنسي اللسان و الثقافة و ينقطع بذلك عن تاريخه و يفقد مقومات شخصيته القومية تدريجيا و يذوب في بوتقة الأمة الفرنسية [43] أما الناحية المادية فلم تكن أحسن من سابقتها المعنوية فقد " كان الوضع الإجتماعي – غداة المؤوية – بالنسبة للأهالي مزريا جدا فقد كان الأطفال الأهالي يعانون الفقر و يتسولون و كان الحزن باديا على وجوههم" [44] و لم يختلف الوضع على باقي الطبقات الأخرى من الأهالي حتى أن الوضعية المزرية التي عاشها الأهالي من كل الطبقات من فلاحين و تجار جعلت المنفذ يكمن في التوجه نحو القرض الربوي الفرنسي [45] الذي يحرمه الشرع الإسلامي ، و لهذا نجد رجال الإصلاح على مر التاريخ حريصين على مقومات المجتمع الأساسية و مصر ين كل الإصرار على مطالبة فرنسا بإحترام ما تعهدت به عندما استولت على مدينة الجزائر [46] و كانت دوما ترد و تقدم الوعود بالإصلاحات، و من ذلك ما جاء على لسان الحاكم العام أ مام ممثلين عن الأهالي المسلمين الذي وعدهم بالمزيد من

---

[43] بن نعمان (احمد)، "العلاقة الجدلية بين الاستعمار الثقافي و الشخصية الجزائرية" **مجلة الثقافة**، عدد 49، يناير فبراير 1979 الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ص 118

[44] **Raymond** (ronz) , L'algerie du Centenaire vue par l'université de France, publications du c. m. c. a , 1930 pp 22 – 23

[45] L'Echo de la presse musulmane. . 1935/11/08. P 3

[46] الاشرف (مصطفى)، الجزائر الامة و المجتمع، ترجمة حنيفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007 ص 242







الإصلاحات الموجهة للأهالي و إنجاز العديد من المشاريع التي تعنى بهم و تحسن وضعهم [47] كما كانت تأكد بشكل متكرر بأ ن "الإستعمار الفرنسي في الجزائر هو وجه مشرق في العا لم بفضل إنجازاتنا" [48] و قد أعلن– في نفس السياق – وزير الداخلية الفرنسي بمناسبة المؤوية "أن المشاريع مازالت متواصلة و أن الجزائر الفرنسية ورشة كبيرة من المشاريع التي تصب في مصلحة الأهالي و عبر الأهالي ، إننا لا يمكن أن نقوم بأي شيء بدونهم" [49] و أكد الحاكم العام في أحد اجتماعاته بأن فرنسا تفتخر بما قدمته للجزائر من إنجازات خلال مئة سنة [50]

لقد كانت الإدارة الإستعمارية تعول كثيرا على القضاء على العنصر الأهلي بالقضاء على مقوماته المادية و المعنوية ، و في هذا الشأن يستشهد فيوليت في كتابه هل تعيش الجزائر l'algérie vivra-t-elle ? المنشور سنة 1932 مطولا بتقرير رسمي مؤرخ في 30 يناير 1925 حرره مفتش عام للصحة يقول فيه أن الأهلي مصاب بمعايب عديدة فهو يعاني نقص الغذاء و بلغت نسبة وفاة الأطفال الأهالي 138.7 في الألف [51] و إمكانية زواله قائمة بنسبة كبيرة ، إلا أن شارل

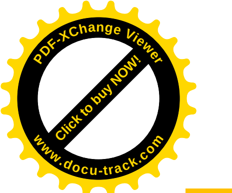
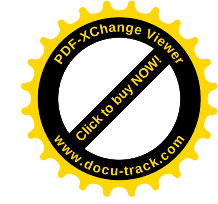
1. [47] M. Jonnart, Les Réformes Indigénes, 23 Juin 1918, Alger , Discours de M.Le (G.G) A L'ouverture de La Session Ordinaire de Délégations Financieres Algériennes Du 23 Juan 1918, pp 1 – 2

[48] Comité de L'afrique française Comptes – rendes du congrés de La Colonisation Rurale, Alger, 26-29 Mai 1930, 1er Partie, Alger, Anceienne Amprimerie Victor Heintz. p 2

[49] Pierre (Bordes), (G.G) a la veille du centenaire de lalgerie francaise / discours de M . le Gouverneur general a louverture de la session ordinaire de delegations financieres Algériennes, Novembre 1928 - Mars 1929, Alger, 1929, p 19

[50] COMITÉ DE L'AFRIQU FRANÇAISE, op-cit, p 1

[51] اوليفييه (لوكر غراندميزون)، في نظام الأهالي، ترجمة العربي بوينون، منشورات السائحي، ط 1، الجزائر، 2011، ص 249

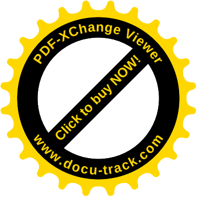



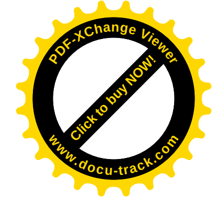


روبير أجيرون طعن في هذه الدراسة و أكد أن الجزائر المسلمة لم تكن متأثرة بعمق بالتواجد الفرنسي[52] و هذا لأن الجزائريين لجئوا بعد حرمانهم من العيش في إطار هويتهم و عاداتهم و تقاليدهم إلى مجابهة تحديات المشروع الإستطاني " فانغلقوا على أنفسهم كرد فعل و خشية تفرقهم أو استعابهم من طرف سيل المهاجرين ، و التجئوا إلى أسلوب الرفض المطلق الذي دأبو عليه طيلة هذا العهد المظلم من تاريخهم و كان لسان حالهم يقول :" احفظ الميم ( الحرف الأول من النفي في اللغة الدارجة من العربية ) يحفظك"[53]

[52] اجيرون (شارل روبير)، الجزائريون المسلمون و فرنسا 1871 – 1919، ج2، ترجمة م.حاج مسعود و ع.بلعربي، دار الرائد للكتاب ص 915

[53] نفسه ص 913




# الفصل الأول

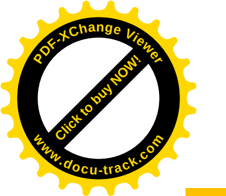
## جمعية العلماء تعارض الواقع الإستعماري

**أولا: بين الواقع الجزائري و الطمس الاستعماري**

- في قول ابن باديس : " الإسلام ديننا، العربية لغتنا و الجزائر وطننا "
- صورة الجزائر ضمن استراتيجية الاستعمار الفرنسي
- مشاريع المنظرين لمحو مكونات و عناصر الهوية الجزائرية

**ثانيا: تجمع رجال الإصلاح في مشروع جمعية العلماء المسلمين**

- خطة تأسيس الجمعية في ظل القوانين الفرنسية
- قراءة في القانون الأساسي لجمعية العلماء
- موقف الحكومة من تأسيس الجمعية







## أولا: بين الواقع الجزائري و الطمس الاستعماري

### 1 – في قول ابن باديس: الإسلام ديننا، العربية لغتنا و الجزائر وطننا

تختلف الشعوب بمقوماتها و مميزاتها كما يختلف الأفراد، و لا بقاء لشعب إلا ببقاء مقوماته و مميزاته، و هذه المقومات و المميزات هي اللغة التي يُعْرِبُ بها و يتأدب بآدابها و العقيدة التي يبني حياته عليها و ينظر لمستقبله من خلالها، [55] و كل ذلك يجتمع في أرض اسمها الوطن. و كان هذا الوطن الذي من الله به على رجال الإصلاح هو الجزائر التي اكتسبت وحدة أيديلوجية و إثنية خاصة، و توحد كيانها بوصول تيار العروبة و الإسلام منذ القرن الأول هجري[56]

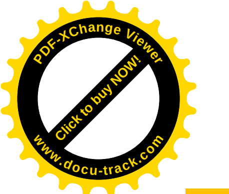
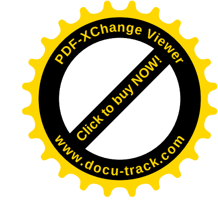
إذن فالجزائر ليست أرضا فقط و لا سماء فقط، و لكنها تاريخ و نضال قديم و قيم و مبادئ و تقاليد و أخلاق ساهمت في تكوينها و في إبرازها عوامل مختلفة. [57] و لما لاحظ الإستعمار الفرنسي ذلك عمد بفضل منظريه و أساتذته إلى إعادة بناء جزائر بمنظور فرنسي يعيد للمسيحية مجدها. و لما نتحدث عن إلتقاء الاستعمار و المنظرين فنحن نتحدث عن التدمير بحكمة و منهجية، فالإستعمار – بوجود المنظرين – ليس فقط تفكيك بنى المجتمع الجزائري و تفتيته بل هو أيضا

---

[55] الشهاب، ج 12، مج 12، فيفري 1937، ص 505

[56] بلاسي (نبيل أحمد) ، الاتجاه العربي و الاسلامي و دوره في تحرير الجزائر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 ص 5

[57] بشنون (الشيخ سليمان)، الجذور الشعبية في الحركة الإصلاحية، دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2012، ص 57




إعادة[58] بناء و خلق جزئي و جنيني لقوى اجتماعية جديدة [59] تكون من صناعة الإستعمار نفسه و تكون موالية له. و لهذا نجد رجال الإصلاح يركزون على الوطن الجزائري بكل تراثه الثقافي و الحضاري و التاريخي بحدوده المعروفة لأنه محتوى الشخصية الجزائرية، و هو جزء لا يتجزأ من الوطن العربي و الإسلامي، إذ بدون المحافظة عليه و تحريره من الإحتلال سوف يبقى الإسلام مهددا، [60] و إذا دققنا الملاحظة نجد أن رجال الإصلاح ركزوا على التراث اللامادي للجزائر و وجدوا في مفهوم الهوية بمختلف مقوماتها البعد النضالي القادر على التحسيس بواقع الاستعمار، و لذلك ستعتمد الهوية كأرضية لبلورة شعاراتها الأساسية في حقل الدفاع عن الدين و اللغة و كل ما يرمز إلى الشخصية الجزائرية في بعديها الإسلامي و العربي. [61] و قد تولت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الحفاظ على الشخصية الجزائرية الإسلامية و الدعوة إلى النهضة عن طريق العلم و الثقافة الدينية و التمسك بالغة العربية، وقد حدد بن باديس عميد و كبير رجال الإصلاح في تاريخ الجزائر المعاصر المسلك الذي يجب إتباعه، و كان الشعار المتفق عليه هو"الإسلام ديننا ، العربية لغتنا و الجزائر وطننا" كمبدأ للحركة الإصلاحية.

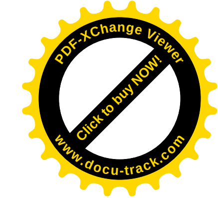
---

[58] هناك نظرية فلسفية تقول أن الطبيعة تخشى الفناء، و نعتقد أن الإدارة الإستعمارية كانت تدرك هذه النظرية و تعمل بها، ففي الوقت الذي كانت تدمر فيه القوى المحركة و المتحكمة في المجتمع الجزائري كالمسجد و دور التعليم كانت تعلم أنه من الصعب أن يبقى الجزائريون بدون غذاء روحي فعمدت إلى إنشاء قوى اجتماعية و دعم أخرى فاسدة كالزوايا الفاسدة ( و لا نعمم هذا الحكم بل نقصد البعض الفاسد منها ) و المرابطية و التبشير أيضا، و هذا حتى يحيد الجزائريون عن دينهم الصحيح و لغتهم العربية الفصحى و إذا حاد الجزائريون عن لغتهم و دينهم تخلوا عن وطنهم.

[59] جغلول (عبد القادر)، المرجع السابق، ص 199

[60] تركي (رابح)، "الصراع بين جمعية العلماء و حكومة الإحتلال الفرنسي في الجزائر بالفترة 1933 – 1939"المرجع السابق، ص 55

[61] مالكي (امحمد)، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، أوت 1994، ص 17




**الإسلام ديننا**

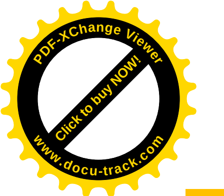
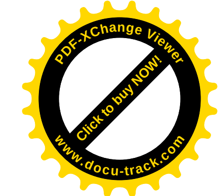
الإسلام من منظور ابن باديس منهج هداية و نظام اجتماعي شامل تنتظم ضمن فصوله أمور الحياة الدنيا و مطالب الحياة الأخرى، لأن الإسلام في جوهره و كما فهمه أئمة السلف هو سعي جاد إلى المواءمة بين الطبيعة و الإنسان و بين الحياة البشرية في جوانبها المادية و جوانبها الروحية و هو بهذا يسع الأوطان و الأقوام و الأجناس و يستوعبها و يحترم الأديان و يعترف بها و يدعو إلى حسن المعاملة حتى مع المخالفين للدين غير المحاربين مصداقا لقوله تعالى " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم و تقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين"[62] فالإسلام دين عدل و إنصاف و تسامح لأنه كما يقول ابن باديس دين الإنسانية التي لا نجاة لها و لا سعادة إلا به لأن خدمتها لا تكون إلا على أصوله.[63]

إن الإسلام عقد اجتماعي عام فيه كل ما يحتاج إليه الانسان في جميع نواحي حياته لسعادته و رقيه. و قد دلت تجارب الحياة كثيرا من علماء الأمم المتمدنة على أن لا نجاة للعالم مما هو فيه إلا بإصلاح عام. فالمسلم الفقيه في الإسلام غني به عن كل مذهب من مذاهب الحياة، فليس لرجال الإصلاح إذن من نسبة إلا الإسلام[64]، و إذا تتبعنا و لاحظنا نظرة ابن باديس للإسلام نجدها نظرة دقيقة و واقعية لا يتوفر عليها علماء عصره، ذلك أن الحقيقة الإسلامية بالنسبة إليه لا تنحصر فقط في العقائد و العبادات التي يلتزم بها الفرد التزاما شخصيا ، و لا في المعلومات و التعاليم التي تلقن للناس و يوجه الإهتمام فيها إلى تربية وجدانهم و تقويم سلوكهم و تهمل فيها الجوانب المتعلقة بتنظيم

[62] الممتحنة الآية :8

[63] فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس، دار الأمة، الجزائر، 2012، ص67– 68

[64] الشهاب، ج 8، مج 12، نوفمبر 1936 ، ص 357

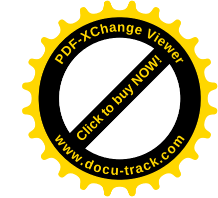



حياة الناس و تدبير شؤونهم و تحديد المسؤوليات و أساليب التحرك داخل المجتمع و معه و العلاقات التي تربط الفرد بغيره و بالمحيط الذي فيه. فالإسلام من هذا المنظور ليس اهتماما بالماضي و التراث و إغفالا للحاضر و المستقبل و ليس انغلاقا على الذات و انقطاعا عن الدنيا و المتع و الملذات المباحة، فهو عنده دين البشرية التي لا تسعد إلا به. إن الإسلام الذي يراه ابن باديس طريقا لخلاص الأمة من أوضاعها المتردية هو الإسلام الإيجابي الذي يحارب السلبية و الجمود و الإستكانة و الإستسلام لليأس و الكسل و يناهض كل أشكال الإستغلال و الإضطهاد و التمييز العرقي و الجنسي و يدفع المنتمين إليه إلى الثورة على ما في نفوسهم من ضعف و جبن و تردد و على الأضاع الفاسدة التي تعوق مجتمعهم عن النهوض و التقدم و مقاومة التخلف بكل أشكاله، و هكذا يتحدد المفهوم الإيجابي الذي يعطيه ابن باديس للإسلام كما يراه و كما يجب أن يراه العلماء. إنه الإسلام الذي يبنى فيه الإعتقاد على المعرفة و التدبر و التفكير و ليس على الوراثة و التقليد.[65]

لقد كانت التركيبة الأيديلوجية لرجال الإصلاح تتناقض تماما مع تركيبة رجال الإدرة الإستعمارية فكان الأوائل يريدونها أمة عربية مسلمة كما هو قسمها في القدر و حظها في التاريخ و حقها في الإرث و حقيقتها في الواقع ، كانوا يريدونها كذلك و يعملون لتحقيق ذلك . أما الآخرون فيريدونها هيكلا لا تترابط أجزائه و لا تتماسك أعضاءه.[66] فسعوا لذلك و نجحوا في بعض مسعاهم من إفساد للامة في عقيدتها و هويتها . و لما وقف ابن باديس باعتباره أحد قادة الإصلاح على مواطن الضعف و الفساد في الجزائر استقر رأيه على أن الدواء لكل هذا البلاء إنما يكمن في عقيدة الإسلام ذاتها، ففيها صلاح المسلمين جميعا، و لهذا ارتكز الإصلاح عنده على العودة إلى منابع الدين الاسلامى لأنه الدين الحق الذي ارتضاه الله لهداية الأمة ، كما أنه دين جامع لكل ما

[65] فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، المرجع السابق، ص 70

[66] الإبراهيمي (محمد البشير)، آثار محمد البشير الإبراهيمي، جمع و تقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج 3، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، 1997، ص 55




يحتاجون إليه سواء كانوا أفراد أو جماعات، ينور العقول و يزكى النفوس و يصحح العقائد، و في هذا السبيل نجد بن باديس يقول:"صلاح النفس هو صلاح الفرد و صلاح الفرد هو إصلاح الجموع و العناية الشرعية متوجهة كلها إلى صلاح النفوس، وما شرعه الله تعالى لعباده من الحق و الخير و العدل و الإحسان إلا وهو راجع عليها بإصلاح، و ما من شيء نهى الله عنه من الباطل و الشر و الظلم و السوء إلا و هو راجع عليها بالفساد". [67] فالإسلام يحفظ للشعب شخصيته و يجعله يعي ذاته و يناضل من أجل حياة حرة كريمة، و هو الكفيل بأن يغير أوضاعه من حالة الضعف إلى القوة و من اليأس إلى الرجاء و من الركود إلى العمل و من الإضطهاد و الهوان إلى الحرية و الكرامة، فالإسلام في نظر ابن باديس نظام اجتماعي عام يحوى جميع مجالات الحياة (سياسية اجتماعية ثقافية اقتصادية). و إذا كان الدين الاسلامى أساس الماضي لكونه دين و حضارة فإنه كذالك عماد النهضة الفكرية الإصلاحية في المستقبل و الحاضر لكل الأمم و الشعوب، لهذا نجد بن باديس مرتبطا به دائما و ملتزما به في كل جوانب حياته ، في أقواله، أفعاله و علاقاته مع الناس حتى مع الذين يضمرون له العداء.

و فى تأكيد بن باديس على أهمية الدين كأساس أول للإصلاح لابد من الإستناد إليه نجده يقول موضحا ذلك ومعللا اختياره الدين للنهوض بالأمة:"فإننا اخترنا الخطة الدينية على غيرها عن علم وبصيرة، و تمسكنا بها هو مناسب لفطرتنا و تربيتنا من النصح والإرشاد و بث الخير و الثبات على وجه واحد والسير في خط مستقيم " وفى هذا السبيل وهب ابن باديس نفسه لخدمته و نشر مبادئه و تطهيره من كل ما أحدثه فيه المحدثون من بدع

[67] رحماني(سعيد)، "مقاصد الشريعة عند الإمام عبد الحميد بن باديس" **مجلة الدراسات الإسلامية**، مجلة ثقافية سنوية يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى، جوان 2007 ، ص 90





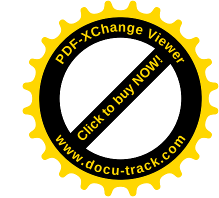


**العربية لغتنا**

اللغة في الأساس مستودع قيم الأمة و الحافظة لكيانها و الرمز المعبر عن حقيقتها و الوعاء الحامل لهويتها و تراثها فهي عقل الأمة و روحها و وجدانها و أساس وحدتها و عماد تفكيرها و منطلق نهضتها، و اللغة من جهة أخرى هي الجسر الذي يصل أبناء الأمة بأسلافها و بما تركوه من مجد و فكر، و هو الذي يصلهم بأبنائهم و أحفادهم في المستقبل و يعزز الروابط بين أفراد الأمة الواحدة. و اللغة العربية من بين اللغات التي تنطبق عليها هذه الحقيقة لأنها لغة أمة عريقة متميزة لها تاريخها الحافل و وحدتها الدينية و اللغوية و لها ثقافتها الخاصة وعوائدها و أخلاقها. لغة أمة امتدت حضارتها فشملت معظم بلاد العالم، بل كانت في فترة من الفترات مصدر ثريا للحضارات الإنسانية،[68] ثم إن هذه الأمة و منهج هداياتها قد أصبحت بفضل الحضارة العربية الإسلامية أول لغة انتشرت انتشارا واسعا في العالم فاكتسبت بذلك الصبغة العالمية، و قد انتشرت في هذه الأرض منذ أن أنعم الله عليها بالإسلام و منذ ذلك الوقت أصبحت لغة العامة و الخاصة و لغة الدولة و الشعب لأنها اللغة التي من خلالها استوعب المواطنون حقائق الإسلام . و ابن باديس الذي حفظ القرآن و تأثر بحقائقه و تشرب الثقافة العربية الإسلامية منذ صغره امتلأت نفسه حبا لهذه اللغة و تقديرا لقيمتها الثقافية فدرسها و درس تاريخها و آدابها و عرف الوظائف الحية التي تضطلع بها و القيم التي تزخر بها و أدرك بعمق ارتباطها بالإسلام و بوجدان الإنسان المسلم لأنها الأداة التي بها يناجي ربه و يفهم القرآن و يطلع على حقائق الإسلام و التراث و بها يتواصل مع أبناء جنسه و يحس بانتمائه القوي إلى أمته و بأن هذه اللغة جزء من كيانه وركن من أركان شخصيته.[69] و يعتبرها ابن باديس أيضا الرابط الذي يمتن وحدة الجزائريين على اختلاف أزمانهم و أعراقهم و لهجاتهم إذ

[68] فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، المرجع السابق، ص 84

[69] نفسه ، ص 84



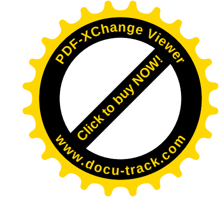
يقول:" لا رابطة تربط ماضينا المجيد بحاضرنا الأغر و المستقبل السعيد إلا هذا الحبل المتين، اللغة العربية لغة الدين لغة الجنس لغة القومية لغة الوطنية المغروسة، إنها الرابطة بيننا و بين ماضينا و هي وحدها المقياس الذي نقيس بها أرواحنا بأرواح أسلافنا و بها يقيس من يأتي بعدنا من أبنائنا و أحفادنا الغر الميامين، أرواحهم بأرواحنا و هي وحدها اللسان الذي نعتز به و هي الترجمان عما في القلب من عقائد و ما في العقل من أفكار و ما في النفس من آلام و آمال."[70]

**الجزائر وطننا**

لقد استطاع العرب المسلمون بيسر و سهولة و في وقت قصير جدا أن يفرضو ا سيطرتهم السياسية على هذه البلاد و يندمجوا مع سكانها الأمازيغ و يؤثروا فيهم بفضل المبادئ السمحة للدين الإسلامي الجديد الذي جاؤوا به و من أجله إلى هذه البلاد، و شكل هذا الإندماج السريع بين المسلمين الوافدين الجدد و بين سكان هذه البلاد الأصليين الوحدة الوطنية و القومية للإقليم و أزال ذلك التشتت و التمزق اللذين خلفهما العهد البيزنطي السابق و الروماني قبله فلنسجمت الوحدة الجغرافية و التاريخية للإقليم مع الوحدة السياسية و الدينية و اللغوية الجديدة.[71] و بذلك يكون الإسلام قد أثبت أنه المنبع الوحيد الذي أمد الشعب الجزائري في أحلك الظروف بالطاقات الروحية التي حفظته دوما من الضياع و من الإستسلام بل أنها تؤكد كذلك استحالة تصور أو فهم أي فكرة تاريخية أو سياسية أو اجتماعية أو ثقافية في غيابه . لكل ذلك و لغيره نقول أن الفكرة الوطنية الجزائرية بمفهومها الإسلامي الذي يعني تجاوز الحدود الجغرافية و العنصرية لم تعرف إلا بعد

[70] ابن باديس (عبد الحميد)، المصدر السابق، ج1 ، م2 ، ص 265 أو ينظر أيضا إلى: البصائر، العدد 171، 22 جوان 1939 ، ص 5 - 6

[71] بوعزيز (يحي)، المرجع السابق، ج1 ، ص 10




الإسلام.[72] فالوحدة الوطنية بمختلف أبعادها ( الإثنية و المذهبية ) التي تحققت بفضل الإسلام تعذر إنجازها بالقوة على امتداد كل الحضارات الوافدة على المغرب العربي، هذا الذي (= المغرب العربي) سيدخل مع القرن السابع مدارات دار الإسلام متفاعلا و فاعلا و هو الواقع الذي تأكده معطيات العصر الوسيط[73] و يأكده أيضا الدكتور البخاري حمانة الذي تجاوز في تعريفه للفكرة الوطنية[74] ذلك التعريف البسيط الذي يقصد به تلك الحركة التي تشمل كل المظاهر السياسية و الاجتماعية و الثقافية و العسكرية المرتبطة بتحرير شعب . بل رجع بظهور بهذه الفكرة في الجزائر إلى يوم اعتناق الجزائر للإسلام، ذلك أن الإسلام قد شكل منذ القرن الأول للهجرة و إلى اليوم بالنسبة للشعب الجزائري و لروحه و فكره واحدا من أبرز أحداث ذلك التاريخ. لكل ذلك فإنه يجب أن لا نستغرب كيف تمكن الإسلام و بسرعة تشكيل عقيدة و ثقافة للشعب الجزائري و لبقية شعوب المغرب رابطا بذلك و بصورة نهائية روحها و فكرها بل وحياتها بأكملها به.[75]

إذن فالجزائر هي تظافر لامتزاج عنصري الجغرافيا و التاريخ ببنيته الإجتماعية و الثقافية و الإثنية المتماثلة، و ذلك بالرغم من مظاهر التنوع التي تخصب مكونات هذه البنية أكثر مما تفعل في تباينها و تنافرها. و هي بكل هذا جزء من كل إفريقي و متوسطي.[76] و قد يصعب كثيرا – إن لم يكن مستحيلا – الإقتصار على المعاني الجغرافية لمفهوم الجزائر و الوقوف عند التحديدات و النعوت التي أعطيت له سواء بالتأليف التاريخي العربي الإسلامي أو بالإسطوغرافيا الأجنبية، و ذلك

---

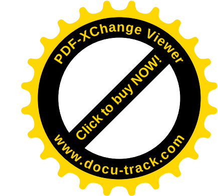
[72] حمانة (البخاري)، فلسفة الثورة الجزائرية، دار الغرب للنشر و التوزيع، ط 1 ، الجزائر، 2005 ، ص 56

[73] مالكي (امحمد)، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 38

[74] يناقش الدكتور بخاري حمانة هذه الفكرة بمنهج تاريخي فلسفي في فصل "بين الفكرة الوطنية و الفكرة الاستعمارية الفرنسية " ينظر الى: حمانة (البخاري)، المرجع السابق، ص ص 58- 65

[75] حمانة (البخاري)، المرجع السابق، ص 54 - 55

[76] مالكي (امحمد)، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 21

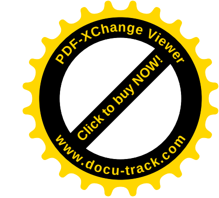




لتقديرنا أن الجزائر ليست فضاءا جغرافيا و حسب بل علاوة على كونها كذلك هي أيضا سيرورة تاريخية تضافرت في تكوينها ديناميات الإنتماء إلى الدين و التاريخ المشترك و التطور ضمن مجتمع تحكمه مقومات الوحدة و التماثل أكثر من مظاهر الفرقة و التباين، لذا فالأخذ بالمعنى الديناميمي لمفهوم الجزائر و ليس بتجلياته الجغرافية فقط لا يخلو من صعوبات موضوعية قد ترتبط بمدى تطابق فكرة الجزائر مع واقعها الجغرافي.

لقد أثبت التاريخ أن للبربر مدنيتهم الخاصة ترمز اليها طرق عيشهم ، كسوتهم، لغتهم، دينهم و طقوسهم ، و أن تراثهم سبق أن شهد تأسيس دول ، كما اتسمت علاقتهم بالحضارات الوافدة بطابع التفاعل و الرفض.[77] لقد استطاعوا تأسيس وطن لهم في شمال إفريقيا قبل أن تسمى الجزائر جزائرا ، هذه الأخيرة التي استكملت عناصر شخصيتها لحظة انتمائها إلى المشروعية العربية الإسلامية و وجدت في الدين و اللغة و الثقافة ما يرسخ هويتها إلى حد يجعل من المساس بأحد هذه المقومات امتهانا لهويتها و شخصيتها التاريخية.[78] و قد حصل أن عديد الحضارات الوافدة على الجزائر حاولت القضاء على فكرة الإنتماء إلى الشمال الإفريقي و حاولت إيجاد علاقة بين الشمال الإفريقي و أوربا رغبة منها في القضاء على الإحساس الوطني لسكان الجزائر، و لا يخفى على أحد أن الاستعمار الفرنسي كان أكبر استعمار استطاني في فترة بروزه و ذروته و قد تعرض تاريخ الجزائر العربي الإسلامي لمحاربة الاحتلال الفرنسي، و تمثلت هذه الحرب أساسا في تسخير التاريخ الجزائري لخدمة أهداف الإحتلال في محاولة لمسخ الشخصية الوطنية الجزائرية، و من ذلك على سبيل المثال أن المناهج الفرنسية قد صورت التاريخ الجزائري على أنه سلسلة تعاقب فيها أجناس عدة منها الرومان و العرب و الأتراك العثمانيون، كما صورت الغزو الفرنسي بأنه العهد الذي أنهى القرون المظلمة التي عاشتها الجزائر، مما أدى إلى انخداع بعض الجزائريين الذين درسوا في مدارس الإحتلال لهذا التزوير

[77] مالكي (امحمد)، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 47

[78] نفسه ، ص 109




المتعمد للتاريخ الجزائري فبات بعظهم من دعاة الإدماج و أصبح البعض الآخر ينكر وجود كيان جزائري[79] أو شخصية جزائرية. و قد مرت أيام على هذه الجزائر :" كانت فيها كلمة الوطن كلمة إجرامية لا يستطيع أحد أن ينطق بها و قليل جدا من يشعر بمعناها و إن كان ذلك المعنى دفينا في كوامن النفوس ككل غريزة من غرائزها لا سيما في أمة تنتسب إلى العروبة و تدين بالإسلام مثل الأمة الجزائرية ذات التاريخ المجيد، أما اليوم و قد صارت كلمة الوطن و الوطنية سهلة على كل لسان، و قد يقولها قوم و لا يفقهون معناها و قد يقولها آخرون بألسنتهم و لا يستطيعون أن ينتسبوا إليها في المكتوب من وطنياتهم و ينكرها آخرون زعما منهم أنها ضد إنسانيتهم و عمومياتهم."[80]

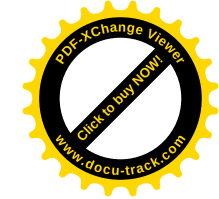
إن الوطن عند ابن باديس ليس الجزائر فقط بل هناك الوطن الأصغر و الوطن الأكبر فما المغرب الأدنى و المغرب الأقصى و بينهما المغرب الأوسط إلا وطن واحد لغة و عقيدة و آدابا و أخلاقا و تاريخا و مصلحة، ثم الوطن العربي و الإسلامي، ثم وطن الإنسانية العام و لا نستطيع أن نؤدي خدمة مثمرة لواحدة منها إلا إذا خدمنا الجزائر ، و ما مثلنا في وطننا الخاص – و كل ذي وطن خاص – إلا كمثل جماعة ذوي بيوت في قرية واحدة. إن الوطن في مفهوم ابن باديس أنواع فهو تارة ذلك الوطن الذي يرتبط به الإنسان في بداية حياته و هو البيت و الأسرة و هناك الوطن الذي يعيش فيه مع من يماثلونه في ماضيه و حاضره و ما ينظر إليه من مستقبله و يماثلونه في اللسان و المشاعر و النوازع و التقاليد و يشكل معهم أمة و شعبا و مجتمعا و هذا هو الوطن الخاص الذي يتميز بإقليم جغرافي و بوضع سياسي و اجتماعي و ثقافي ( مثل الجزائر ) و الوطن الأكبر الذي يلتقي فيه مع كل من يجد فيهم صورته البشرية و حقيقته الإنسانية و يحس بأنهم أناس مثله.[81]

---

79 نقصد هنا فرحات عباس الذي بحث عن الجزائر في التاريخ و لم يجدها

80 الشهاب، ج7، مج 13، سبتمبر 1937

81 فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، المرجع السابق، ص 103



إن الجزائر بالنسبة لابن باديس هي وطنه الخاص و ليست إقليما جغرافيا فقط بل هي تلك الجامع الأكبر لتاريخ الأمة الجزائرية من دين و لغة و ثقافة و تقاليد و عادات. هي كيان حي يجمع البشر و التاريخ و الجغرافيا و يقول ابن باديس في هذا :"... أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني به روابط من الماضي و الحاضر و المستقبل بوجه خاص و تفرض علي تلك الروابط لأجله فروضا خاصة و أنا أشعر بأن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة فأرى من الواجب أن تكون خدماتي أول ما تتصل بشيئ تتصل به مباشرة و كما أني كلما أردت أن أعمل عملا وجدتني في حاجة إليه، إلى رجاله و إلى ماله و إلى آلامه و آماله و كذلك أجدني أعمل – إذا عملت – قد خدمت بعملي ناحية أو أكثر مما كنت في حاجة إليه و هكذا... هذا الإتصال المباشر أجده بيني و بين وطني الخاص في كل حال و في جميع الأعمال و أحسب أن كل ابن وطن يعمل لوطنه الخاص، نعتقد أنه لابد أن نكون قد خدمناها و أوصلنا إليها النفع و الخير عن طريق خدمتنا لوطننا".[82]

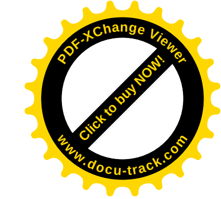
إن ما يفسر عمق الإحتلال الذي تعرضت إليه الجزائر هو أن استعمار الأرض تظافر مع الإستطان البشري و الإستطان المعنوي بكل ما يترتب عليه من انتقال للقيم الإجتماعية و أنماط السلوك الفردي و الجماعي و قد من الله على هذه الأرض بالعلماء ورثة الأنبياء الذين وجدوا في الأرض كقيمة و مقوم وازن في مسيرة تكون هوية و شخصية الجزائريين المهماز الذي أيقض إحساس و وعي الجزائريين بأهمية وحدتهم و استقلالهم [83] و وجدوا في مفهوم الهوية بمختلف مقوماتها البعد النظالي القادر على التحسيس بواقع الاستعمار و لذلك ستعتمد الهوية كأرضية لبلورة شعاراتها الأساسية في حقل الدفاع عن الدين و اللغة و كل ما يرمز إلى الشخصية الجزائرية في بعديها الإسلامي و العربي[84] و لهذا نجد أن من بين القضايا التي ظلت تشغل تفكير ابن باديس و تؤرقه هي

---

[82] فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، المرجع السابق، ص 102

[83] مالكي (امحمد)، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 137

[84] نفسه ص 17

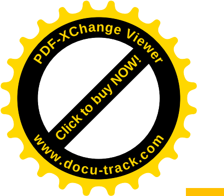



تأكيد عروبة الجزائر و إسلامها و هويتها الوطنية و انتمائها الحضاري، تلك القضية التي خاض من أجلها رجال الإصلاح معارك سياسية و فكرية ضد أطراف عديدة : ضد حكام فرنسا و ساستها و صحافييها من جهة و ضد النخبة الجزائرية المفرنسة من جهة أخرى تلك النخبة التي انساقت بسذاجة إلى أطروحات الفرنسيين التي تنكر وجود الأمة الجزائرية و تعتبر العرب الموجودين في الجزائر عناصر دخيلة قذفت بهم موجة الفتح الإسلامي الذي يعدونه "غزوا". و لهذا اعتبر ابن باديس أن الجهاد من أجل الجزائر و الذود عن الشخصية الجزائرية باللسان و الفكر و المواقف و دحض كل الشبهات و الأكاذيب واجب ديني و وطني، يجب أن يظطلع به كل المؤمنين بقضية الجزائر و كل العلماء و المفكرين الشرفاء و النزهاء و الذين يستلهمون دروس التاريخ و يستنطقون الأحداث الحضارية.[85] و اعتبر أيضا أن الرد على الذي فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها من أثر و فتش عنها في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خبر ، اعتبره ردا واجبا و شرعيا فرد عيه قائلا:"إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ و فتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت و وجدت كل أمم الدنيا ، و لهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال و لها وحدتها الدينية و اللغوية و لها ثقافتها الخاصة و عوائدها و أخلاقها بما فيها من حسن و قبيح شأن كل أمة في الدنيا. ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا و لا يمكن أن تكون فرنسا و لا تريد أن تصير فرنسا و لا تستطيع أن تكون فرنسا و لو أرادت. بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها و في أخلاقها و في عنصرها و في دينها، لا تريد أن تندمج، و لها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة.[86]

---

[85] فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، المرجع السابق، ص ص 110 - 111

[86] الشهاب، ج 3، مج 12، جوان 1936 ، ص ص 43 - 44






## صورة الجزائر ضمن استراتيجية الإستعمار الفرنسي

يتميز البحث التاريخي الإجتماعي بحضور الأنا القارئة، و قلما يتخلص موضوع من موضوعاته من مزالق التأويل و ضغط الأيديلوجيا. ففي أصل هذا الإختلاف يكمن التناظر الذي ساد الكتابات حول الجزائر و المغرب العربي و أطر أبعادها إلى حد يدفع إلى الجزم بأن لا أحد يستطيع اليوم أو في المستقبل القريب أن يحرر دراسات ما قبل تاريخ المغرب من قبضة أساتذة " جامعة الجزائر الاستعمارية"[87] و أن نضع مقابل النظرة الاستعمارية نظرة وطنية. و حين حاولنا مناقشة مرتكزات التأليف التاريخي الإستعماري و نحن بصدد تحديد مفهوم الجزائر من خلال عناصر شخصيتها كنا نستهدف الوقوف عند صورة الجزائر في الكتابات التاريخية الإجتماعية التي ارتبطت معرفيا و سياسيا بمشروع الإستعمار الذي محور استراتيجيته حول المس بالهوية الجزائرية و مقومات شخصيتها بغرض تقديم صورة باهتة عن الجزائر و شرعنة دخول الإستعمار إليها.[88]

### الدراسات التاريخية الفرنسية عن الجزائر و تسخير التاريخ الجزائري لخدمة أهداف الإحتلال

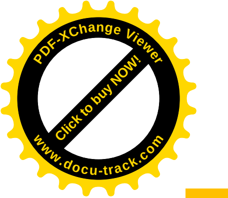
بدأت الدراسات التاريخية الفرنسية عن الجزائر في وقت مبكر من الإحتلال الفرنسي للجزائر، و قد نشطت الجمعية التاريخية الجزائرية [89] منذ وقت مبكر لإدخال النظم الفرنسية و كذلك المناهج

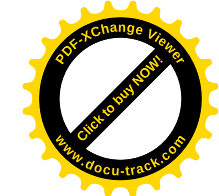
---

[87] مالكي (امحمد)، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 37 أو ينظر إلى: العروي (عبد الله)، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1984 ص 29 - 30

[88] مالكي (محمد)، "صورة المغرب العربي في الكتابات الاستعمارية" الملتقى الدولي حول **الاستعمار بين الحقيقة التاريخية و الجدل السياسي** 2 – 3 جويلية 2006 ، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 185

[89] ظهرت هذه الجمعية عام 1856 في الجزائر برئاسة بيار بروجير و يعود لها الفضل في إصدار المجلة الإفريقية








على الدراسات التاريخية و علم الآثار، و قد عبر قزيل أفضل تعبير عن المنهج الفرنسي عندما قال بمناسبة مرور مائة عام على احتلال الجزائر بأن الحملة على مدينة الجزائر المتبوعة بفتح تراب الجزائر قدمت للمؤرخين مهام جديدة بل فرضتها عليهم، و أفصح قزيل أكثر فقال بأن معرفة الماضي ضرورية جدا لمتطلبات الحاضر معبرا بذلك عن الإرادة في قراءة التاريخ الجزائري و تفسيره بما يتناسب و الحاضر الفرنسي و يخدمه. فماضي الرومان بالجزائر في نظر قزيل يقدم العبرة للفرنسيين و يرشدهم بتجنب المزالق التي وقعت فيها المؤسسات الرومانية في هذه البلاد. [90] و ليس ببعيد عن هذا الرأي نجد أن المؤرخين التابعين للبرنامج الاستعماري حرصوا خاصة بعد بالوت و كامبس على تلازم معلومتين : التشكيك في الأصل و نفي الفاعلية الحضارية، فالشمال الافريقي منطقة "ضائعة الهوية فاقدة القدرة على الإستقلالية". [91]

إذن فالتاريخ الجزائري العربي الإسلامي كان مسرحا للتشويه الفرنسي و وسيلة لخدمة أهداف الإحتلال في محاولة لمسخ الشخصية الوطنية الجزائرية، و من ذلك على سبيل المثال : أن المناهج الفرنسية قد صورت التاريخ الجزائري بأنه عبارة عن مسرح لسيطرة أقوام أخرى كالرومان و العرب و الأتراك، و صورت الغزو الفرنسي بأنه العهد الذي أنهى القرون المظلمة التي عاشتها الجزائر، مما أدى إلى انخداع بعض الجزائريين الذين درسوا في مدارس الاحتلال لهذا التزوير المتعمد للتاريخ الجزائري فبات بعظهم من دعاة الإدماج و أصبح البعض الآخر ينكر وجود كيان جزائري أو شخصية جزائرية. و رغم محاربة الإحتلال للتاريخ الجزائري و حرمان الجزائريين من تعلمه إلا أن الجمعيات التي عهد إليها بالتعليم الحر تحايلت على تدريسه تحت عناوين مختلفة مثل : دراسة المواريث، دراسة مواقيت العبادات، دراسة تاريخ الإسلام ، تاريخ التشريع .. [92]

---

[90] شنيتي (محمد البشير)، "تاريخ الجزائر القديم من خلال المصادر الفرنسية" **مجلة التاريخ**، العدد 20 ، الجزائر، 1985 ص 9

[91] مالكي (محمد)، "صورة المغرب العربي في الكتابات الاستعمارية" ، المرجع السابق، ص 170

[92] بلاسي (نبيل أحمد) ، المرجع السابق، ص 42






## تطبيق الإدارة الاستعمارية لتوصيات المنظرين

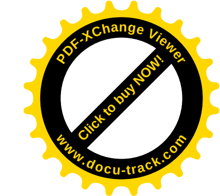
نستطيع أن نقول و نأكد – إلى حد ما – أن الاستعمار الفرنسي كان استعمارا علميا وظف النظريات العلمية التي وفرها جيش المستشرقين [93] الذي رافق الجيوش العسكرية الفرنسية. لقد قام المستشرقون بأعمال كثيرة في الجزائر خلال المرحلتين 1830 – 1889 و 1880- 1930. و من الصعب الحديث عن كل أعمالهم ، و من البديهي أن يهتم المستشرقون الفرنسيون بالشعب المستعمر دينا و لغة و آثارا و تاريخا. كما أنه من البديهي أن يتطور هذا الإهتمام حسب حاجة الإدارة الإستعمارية و حاجة الدولة الفرنسية نفسها في العالم. فالمستشرقون كانوا جنودا في الميدان و لكن بلباس مدني، بل إن بعظهم بدأ حياته في الترجمة في المجالات العسكرية [94] و نتفق هنا على أن أساتذة الإستعمار قدموا خدمة عظيمة للمشروع الإستعماري الفرنسي و أعطوه المشروعية اللازمة انطلاقا من الفضل الذي يقدمه للإنسانية، فارنست رينان يؤكد سنة 1871 بأنه إذا أقدمت أمة راقية على احتلال أمة أخرى من جنس وضيع فليس ثمة ما يدعو إلى الإستنكار. لئن كان احتلال الأجناس الراقية لبعضها البعض عملا مستهجنا فالعكس صحيح. ذلك أن إقدام الأجناس الراقية على إحياء الأعراق المنحطة مهمة نابعة من صميم العناية الإلهية بالبشر، و كتب أحد الأساتذة

---

[93] من أهم المستشرقين الذين زارو الجزائر و كتبوا عنها نذكر : شارل فيرو ( 1829- 1888م)، هنري دو فربيه ( 1840- 1892م)، أدريان دلبيش ( 1848- 1894م)، إميل ماسكري ( 1843- 1894م)، فاييسيت ( ؟ - 1900م)، البارون بواسوني (1811- 1902م)، لويس رين ( 1838- 1905م)، موتيلانسكي ( 1845- 1907م)، باسيه رينيه ( 1855- 1924م)، لوشاتلييه الفرد (1855- 1929م)، لوسياني دومينك ( 1851- 1932م)، جسيل (1857- 1932م)، مرسيه وليم (1874- 1956م)... ينظر الى:

مشري (محمد)، "الجزائر في كتابات المستشرقين الفرنسيين"، الملتقى الدولي حول الجزائر في الكتابات المتوسطية ، 7 – 8 جوان 2010 ، قسنطينة يناير 2011، ص ص179- 195

[94] نفسه ، ص 178




المتدخلين في محاضرة حول الواجب الإستعماري سنة 1897 يقول فيها : إن الاستعمار ليس مسألة مصالح و إنما مسألة واجب، فمن الضروري احتلال البلدان لأنه ثمة واجب سواء على مستوى الشعوب أو على مستوى الأفراد لاستخدام القوى والإمكانات التي حبتهم بها العناية الإلهية في صالح البشرية العام. و من هنا يصبح الإستعمار ضرورة ملحة لأنه يدخل ضمن جملة الواجبات التي تعود على عاتق الأمم العظمى.[95] أما جورج هاردي[96] بمؤلفه عناصر التاريخ الإستعماري[97] يقول :" يبدو لي أنه من أجل أن يصبح المرؤ استعماريا كمثل أن يكون راهبا، أستاذا أو جنديا، لا بد من حد أدنى من الموهبة."[98]

**تمجيد الإستعمار، الإجهاز على الهوية و صناعة القوانين المناسبة... في صلب المهمة الإستعمارية**

أُضيفَ إلى تلك المشروعية – الإنسانية – التي أقنعت الإدارة الفرنسية الفرنسيين بأنهم جاؤوا لأجلها الجانب الديني. و هو جانب مهم جدا يجعل الجيوش تندفع بقوة نحو الفوز بالمعارك أو الموت في سبيل القضية، و لهذا نجد الإدارة الإستعمارية قد لعبت على هذا الوتر الحساس ليعتقد الفرنسيون و خاصة منهم الجيوش أن ما يقدمونه ليس عاديا بل واجبا وطنيا و إنسانيا و إلهيا في نفس الوقت،

---

[95] خرشي (جمال)، الإستعمار وسياسة الإستيعاب في الجزائر 1830 – 1962، ترجمة عبد السلام عزيزي، دار القصبة، الجزائر، 2009 ص 14

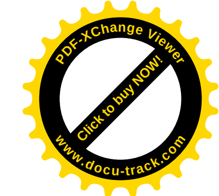
[96] يعد جورج هاردي واحدا من الباحثين الذين خدموا بإتقان و تفان المشروع الإستعماري بكتاباته الغزيرة التي تناولت قضايا الإحتلال و إشكالياته.

[97] يعتبر مؤلف عناصر التاريخ الاستعماري الذي أصدره جورج هاردي في مستهل عشرينات القرن العشرين محاولة منهجية لفهم ماضي المستعمرات الذي لم تتمكن الكتابات التاريخية الفرنسية من إدراك جزئياته عن :

georges hardy, les éléments de l'istoire coloniale . paris ; la renaissance du livre 1920

[98] مالكي (امحمد)، الحركات الوطنية و الإستعمار في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 113








و في هذا السياق يصرح وزير الحربية الفرنسي:" ليس من الغريب أن نرى العناية الإلهية تناشد الملك وريث سانلوي لينتقم للإنسانية و الدين و الإهانات الشخصية، أولا يمكن عندما نقوم في المستقبل بتمدين الأهالي[99] تحويلهم إلى مسيحيين" . أولم يكن أمر الجنرال بورمون في اليوم التالي للإحتلال بوضع علامة الصليب على أعلى مبنى في مدينة الجزائر فكرا صليبيا و حلما بإعادة الكنيسة الإفريقية.؟ نعتقد أنه كان كذلك و نتأكد أكثر حينما نسمع تصريح لافيجري ( lavigerie ) أسقف الجزائر موضحا سياسته التي لم يخفها على أحد :" لقد وجب إعادة بناء الشعب و فصم وقف حياته على القرآن الذي ارتبط به منذ زمن بعيد ... كما يجب على فرنسا أن تسمح بتقديم الإنجيل أو تعمل على طرد هذا الشعب إلى الصحراء بعيدا عن العالم المتحضر" [100]. ثم إن القوانين الإستثنائية التي أصدرتها السلطات الإستعمارية بشأن الجزائريين كانت كلها تقوم على الروح الصليبية و لو كانت في ظاهرها تخفي ذلك، و يدخل في ذلك قانون إلغاء القضاء الإسلامي و قانون الجنسية[101] الصادر سنة 1865 و إهمال التعليم الإسلامي و إطلاق الحرية للمبشرين و تسليط المستشرقين الفرنسيين للطعن في الإسلام، كل ذلك و غيره من القوانين الإستثنائية تجعل من الوجود

---

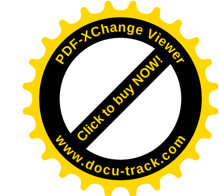
[99] كتب الأستاذ صولوس سنة 1927 :"تفيد كلمة أهلي في تعريف السكان البدائيين لإقليم استعماري ضمته فرنسا أو وضعته تحت حمايتها أو عهد به إلى انتدابها و قد يكون من غير المناسب بل و الخطير منحهم جميع الحقوق و الحريات الفردية التي ليسوا مهيئين للتمتع بها " ينظر :

اوليفييه (لوكر غراندميزون)، في نظام الأهالي، المرجع السابق، ص ص 81 –82

[100] التميمي (عبد الجليل)، المرجع السابق، ص 13 عن:

PICLET PERE, les Missions Catholiques Françaises au 19 Siécle, Paris,1925

[101] M. P. de Ménerville, Dictionnaire de la législation algérienne, code annoté et manuel raisonné des lois, ordonnances, décrets, décisions et arrêtés, Deuxiéme volume, publiés au "Bulletin officiel des actes du gouvernement" .1860-1866,p 151



الفرنسي ليس مجرد سلطة احتلال سياسي و استغلال اقتصادي و لكن قوة صليبية تحمل معها أضغان الماضي بكل بشاعتها.

و بحكم "العناية الإلهية" التي كانت ترافق الجيش الفرنسي في "واجبه الإنساني" و رغبة منه في "تمدين الجزائريين" و تحوويلهم إلى مسيحيين رصدت الإدارة الاستعمارية جيشا آخر من رجال الفكر و السياسة و الفلسفة و الأدب و العلوم لكي توفر الترسانة القانونية اللازمة، و تعطي للمشروع الإستعماري نوعا من "الشرعية المزورة". [102] و قد أكد في هذا الصدد الفيلسوف المنظر أرنست سيلبير[103]أن القضايا المرتبطة بالوضعية القانونية لأملاك الأهالي دفعت رجال القانون و الإقتصاد إلى صياغة مفاهيم جديدة بغرض و ضع الأسس القانونية التي تبرر تجريد السكان الأصليين من أملاكهم بعد أن أشيع عنهم أنهم غير مؤهلين للقيام بالأعمال التي يتطلبها الإقتصاد العصري.[104] أما الجانب اللامادي في المجتمع الجزائري ممثلا في الثقافة المحلية فقد اعتُبرت تحديا للإدارة الاستعمارية خاصة و أن الأمر يتعلق بالإستعمار الإستطاني، [105] فكان من الصعب معالجة هذا الأمر بشكل قوانين بل لجأت الإدارة الإستعمارية إلى إحدث مراكز كبرى للبحث و منها مركز الأبحاث للأنثروبولوجية و لما قبل التاريخ و للإثنوغرافيا المعروف بمركز الكراب بالجزائر. [106] (C.R.A.P.E) [107] و أمام هذه

[102] بشنون (الشيخ سليمان)، المرجع السابق، ص 44

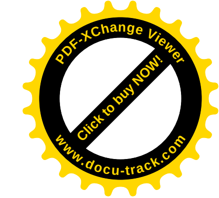
[103] لقد كان ارنست سيلبير من أكبر الفلاسفة المنظرين في موضوع التوسع الإستعماري و واضع نظرية تعليل الدوافع و القيم الإمبراطورية الجديدة المرتكزة على مشروعية الإحتلال كهدف و استعمال القوة كوسيلة

[104] اوليفييه (لوكر غراندميزون)، الإستعمار الإبادة، تأملات في الحرب و الدولة الإستعمارية، ترجمة نورة بوزيدة، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007 ، ص 37

[105] **SARI** (Djilali), l'émergence de l'intelligentisa Algerienne, (1850 - 1950) editions anep 2006 , p 5

[106] سعيدوني (ناصر الدين)، المرجع السابق، ص 78

[107] Centre de recherches antropologiques préhistoriques et ethnographiques




الترسانة القانونية و مراكز البحث المختصة كانت الأقلية الكولونيالية تتوقع – بحكم المنطق – أن العنصر الأهلي سيزول من تلقاء نفسه باتصاله بالحضارة و النظام الإقتصادي الأوروبي و أن القانون الطبيعي لا يقبل ببقاء الشعوب المتخلفة على وجه الأرض، [108] و إذا حدث و بقي بعظهم فينبغي دفعهم شيئا فشيئا خارج أراضيهم لكي نأخذ مكانهم، و في انتظار ذلك لا تطلب منهم سوى أن يكونوا خاضعين و لا توجد وسيلة لإخضاعهم سوى القوة [109]

**مناحي الإستراتيجية الإستعمارية اتجاه الجزائر :**

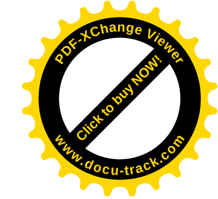
لقد كانت الإستراتيجية الإستعمارية تجاه الجزائر استراتيجية خاصة ، حيث نلاحظ أنها تأخذ بعين الإعتبار الوضع السياسي الراهن أي وجود فرنسا في الجزائر و تبحث عن المبررات التاريخية من أجل استحصال قوالب فكرية تخدم الوجود الفرنسي في الجزائر و تدعمه و تؤيده ، و بمقتضى هذا الإعتبار انحصرت الدراسات التاريخية و الإستراتيجية المستقبلية المتعلقة بالجزائر ضمن المناحي و المحاور التالية :

**المنحنى الاول : التركيز على فكرة أن الجغرافيا السياسية لشمال افريقيا جزء لا يتجزأ من أوروبا الغربية :** وقد تجلت هذه الفكرة – التي لا يزال الضرب على وترها جاريا حتى الآن – في شعار وحدة المتوسط الغربي متجاهلة ما يوجد بين ضفتي المتوسط الشمالية و الجنوبية من تباين وتناقض، و لكي يتفادى هذا المنحى ما يعترضه من صعوبات كان على المهتمين بهذا المجال أن يتجاوزوا ذلك بمفهومية جغرافية لشمال إفريقيا و الجزائر خاصة. و اعتقد غوتي أنه وجدها، فعبر

---

[108] خرشي (جمال)، المرجع السابق، ص 277

[109] الكسي (دو توكفيل)، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، ترجمة إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية 2008 ص 127




عنها بالعجز الطبيعي، أي عدم صلاحية الإقليم الجنوبي للمتوسط ليكون أمة و يحقق استقلاليته.[110] و فيما يتعلق بالمبررات الجغرافية استخلص قوتي كجغرافي مختص وقزيل كمؤرخ[111] بأن وضع البلاد الطبيعي لا يساعد على قيام كيان سياسي مستقل و موحد كما أنه يحول دون نمو حضارة متميزة به فالإمتداد العرضي بمحاذات المتوسط و التنافر الإقليمي بين جهات المغرب و انعدام إقليم مركزي يكون محورا للبلاد كما هو الشأن في فرنسا مثلا كلها عوامل تتناقص و الوحدة الجغرافية التي يمكن أن تنشأ على أديمها أمة و حضارة، و كَأَنَ هذه النواة المركزية التي ركز عليها كل من قزيل وقوتي لا توجد إلا خارج شمال إفريقيا، إن بلاد إفريقيا في نظر هؤلاء تتجه نحو الخارج و تنفتح عنه تعانق الأجنبي، و لهذا نجد للمغرب دائما أسياد أجانب. و كان على الجغرافيين أن يستمدوا من طبيعة المناخ و التضاريس ما يدعم فكرة الديمومة الجغرافية السلبية لبلاد المغرب إذ استنتجوا من طبيعة هذا المناخ حتمية قيام نمطين من المعيشة على الأقل.

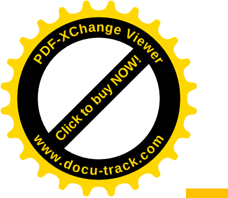
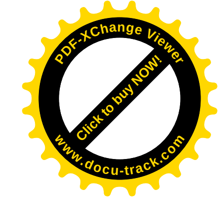
**المنحنى الثاني : ويتعلق بالدراسات الإثنية** و كان يستهدف تثبيت فكرة القصور الذاتي، أي العجز العرقي لإنسان الضفة الجنوبية من حوض المتوسط شمال إفريقيا و حاجته إلى معايشة الأجنبي و الترعرع في ظله و هي الفكرة التي عبر عنها جوليان بجملة مجازية سافرة هي الظل الأبدي[112] و لا شك أن هذا يرجع أساسا إلى اسراتيجيا الإستعمار التي تأسست على منطلقات سياسية أيديلوجية قدمت المغرب العربي كإطار تاريخي جغرافي مفتقر إلى المقومات التي تحفظ له تماسكه الإثني الإجتماعي عاجزا عن تكوين الدولة و المؤسسات التي تخوله صفة التميز و الخصوصية. و الأكثر من ذلك غير قادر على إيجاد الإطار الأيديلوجي الثقافي الذي من شأنه أن يوحد المكونات الإثنية و

---

[110] شنيتي (محمد البشير)، المرجع السابق، ص 8

[111] **GSELL** (Stéphane). Histoire ancienne de L'afrique du nord, Paris . Librairie Hachette , p 25

[112] شنيتي (محمد البشير)، المرجع السابق، ص 8



يسعفها على التفاعل و التمازج و ذلك بالرغم من دخول الإسلام بلدان المغرب و حضوره واقعا حيا في وجدان الناس و سلوكهم.[113] و قد ركز الباحثون في مجال الدراسات الإثنية و الفولكلورية على فكرة التناقص الإجتماعي الناتج في نظرهم عن التنافر البيئوي و إبراز الخصائص البدائية لدى مجموعات السكان المتجزئة إلى وحدات عرقية متمايزة الأقاليم الجغرافية، تجزئة تحمل في طبيعتها من خصائص التضاد أكثر مما تحمل من عوامل التآلف و الوئام، فهي تنزع إلى الإستقلال و الإنعزالية و تجاوز النظام و بعدم الخضوع للأطر الحضارية كما تبالغ في إلحاق الأذى ببعضها إلى حد الوحشية، إذ قال قزيل في معرض مقارنته للأهالي بالغاليين و الإغريقيين بأنه رغم ما يوجد بين هؤلاء "أي الغاليين و الإغريقيين "من تمايز فإن لهم إحساس بالأخوة التي لا يمكن أن نجدها لدى الأهالي الإفريقيين فالنظام يجب يفرض من فوق و من طرف قوة أجنبية تعمل على إرغام هذه الأنفار المتصارعة على التعايش في ظل القوة.[114]

**المنحى الثالث : و يتمثل في إبراز الحقبة الرومانية المسيحية في شمال افريقيا** باعتبارها في مفهوم المدرسة الفرنسية طبيعية في تاريخ المنطقة و بالمقابل حدث تجاوز مقصود للفترة الإسلامية أو تقليل من أهميتها لكونها انقطاعا غير طبيعي حدث في تاريخ البلاد حسب نفس المفهوم.[115] و قد جاءت فرنسا خصيصا للعمل على بعث روح روما و تجديد آثارها، روما التي أسعفت المغرب العربي في ولوج عتبة التاريخ لمعانقة المدنية و للإستفادة من تياراتها الحضارية.[116]

و تمحور هذا المنحى حول الحقبة الرومانية و المسيحية في شمال إفريقيا حيث ارتكزت الدراسات فيه حول محور أساسي لم تحد عنه إلا ظاهريا، و هذا المحور يتعلق بمدى فعالية التجربة الرومانية و

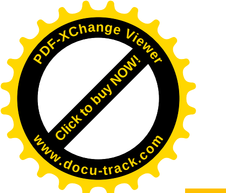
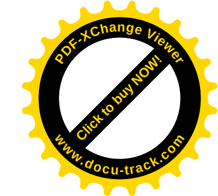
---

[113] مالكي (امحمد)، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 49

[114] **GSELL** (Stéphane). op-cit , T. V , p 136

[115] شنيتي (محمد البشير)، المرجع السابق، ص 8

[116] مالكي (امحمد)، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 115



الكنيسة الإفريقية [117] التي جاءت فرنسا لإحيائها. و أكد مبشروها بما أتوا به من حجج تدل على عدم نفاذ الدين الإسلامي في الجزائر، و أنه يجب على الجزائريين العودة إلى أصلهم، ونبذ دينهم الجديد[118]. و قد نجحت الإدارة الاستعمارية في نظريتها هذه بعض الشيئ ، فبعد أن منع البربر مرتين من أن يكون لهم مصير أوروبي من القرطاجيين و الإسلام ( كما أكد عميد جامعة الجزائر بالوا Balout)[119] رأت أن تأخذ على عاتقها هذه المهمة، فسعت الإدارة الاستعمارية من خلال دراسات علمية الترويج و إشاعة نظرية رومنة بلاد البربر romanisation de la berbérie و تكفلت بـ " بعث إفريقيا اللاتينية " و في هذا الإتجاه نفسه اجتهد فريق مجلة revue africaine في تعزيز الوجهة الغربية أو اللاتينية المسيحية للعالم البربري. و رغم أن هذه الاهتراءات[120] لم تكن تنطوي على أساس علمي إلا أنها عززت لدى العديد من المثقفين القبائل الشعور بخصوصيتهم البربرية و بعثت فيهم الإفتخار بالإنتماء إلى رقع إثنية أقرب إلى الغرب اللاتيني منه إلى المشرق العربي الإسلامي. و فضلا عن المناخ الفكري و الأدبي الذي كان مواتيا لها فإن الحركة البربرية وجدت نفسها مدعمة خلال الثلاثينات بالنشاط الثقافي و المطلبي للعديد من الجمعيات التي كانت فيها العناصر القبائلية المفرنسة مهيمنة و من ذلك مثلا جمعية المدرسين من أصل أهلي بالجزائر association des instituteurs d'origine indigéne d'algerie و جامعة المواطنين الفرنسيين ذوي الأصل الإسلامي ligue des citoyens francais

[117] شنيتي (محمد البشير)، المرجع السابق، ص 14

[118] وعلي (محمد الطاهر)، التعليم التبشيري في الجزائر 1830-1904، منشورات دحلب، الجزائر ، ب ت، ص ص60-61 .

[119] سعيدوني (ناصر الدين)، المرجع السابق، ص 76

[120] يأكد غراندميزون أنه رغم الإمتزاج العربي الأوربي لعشرات السنين و لأكثر من قرن من الزمن إلا أن الجنس العربي لم يتخل عن أصالتة و برجع ذلك أساسا إلى مزاجهم الشخصي و طبيعة نظامهم الإجتماعي الإسلامي ينظر :
اوليفييه (لوكر غراندميزون)، الجمهورية الإمبراطورية، في سياسة الدولة العنصرية، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر 2009، ص 36

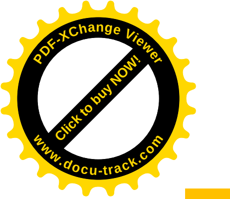





union catholique و الإتحاد الأهلي الكاثوليكي d'origine musulmane indigéne التي كانت تتوفر على منابر باللغة الفرنسية مثل la voix des humbles ( رابح زناتي ) و le m'tourni أي المتجنس بالجنسية الفرنسية جوزيف زنتار.[121]

**المنحى الرابع : و المتعلق بتجاهل التكوين التاريخي الجزائري:** تجلت صوره في القضايا التي طرحت حوله للمناقشة و هي تتمثل في مفهومية استعمارية مغلوطة مؤداها أن الجزائر و المغرب عموما كانت منطقة نزاع بين الأجانب تجدد حولها الخصام عبر العصور و تداولت السيطرة عليها قوة أجنبية خارجية ( فنيقيون، رومان وندال بيزنطيين عرب أتراك ثم الفرنسيون ) و ساد اعتقاد صحة هذا المفهوم بأن الأجانب هم الذين كانوا يتنازعون و يطارد بعضهم بعضا فاتح يطارد الاخر un conquerant chasse lautre على حد قول غوتي. حتى أن مارسال بن أبوا marcel ben abou قد تبنى هذا المفهوم بكل اقتناع وهو يكتب أطروحة عن المقاومة الإفريقية للرومنة la resistance africaine aux romanisation معتقدا أن هذه الفكرة من شأنها أن تعزز رأيه في كون الأفارقة لم ينجحوا يوما في التحرر من السيطرة الأجنبية بمفردهم. و نرى أن اعتماد بن أبوا على هذه المقولة و هو يحلل موضوع المقاومة المسلحة ضد الرومان قد قلل من أهمية تلك المقاومة حيث أصبغ على تلك المقاومة طابع الإنتفاضات البائسة التي كانت تبحث لنفسها دائما عن سد خارجي في نظره، ومن ثم إفراغها من عنصر الإصرار الذي يشكل في الواقع حركة رفض عنيدة تجاه السيطرة الأجنبية عبر العصور. و في سياق تجاهل التكون التاريخي طرحت قضايا تتعلق بأصول السكان و البحث عن بذورهم خارج المغرب. و لقد انقاد المختصون فيما قبل التاريخ أمثال كامس وراء الفرضية القائلة بكون سكان المغرب انحدروا إليه من أوروبا عن طريق إسبانيا و صقلية،

[121] مراد (علي)، المرجع السابق، ص 432







و راح يدافع عنها بإصرار معتمدا على فكرة التشابه الموجود في الخصائص الجنائزية بين سكان الشمال الإفريقي وسكان جزر المتوسط الغربي.[122]

و ضمن المنظور نفسه و تأكيدا لتجاهل التكون التاريخي الوطني لشمال إفريقيا مهد ستيفان غزيل لعمله الضخم الذي عنونه بالتاريخ القديم لشمال افريقيا بفصل حول المناطق الطبيعية التي حاول من خلاله إثبات فكرة ما، و يؤكد أن شمال إفريقيا لم تكن قط وحدة سياسية و إدارية،[123] و يضاف لذلك أن الفترات الإستقلالية التي تمكن فيها الجزائريون من انتزاع سيادتهم قليلة جدا، فمن الدولة النوميدية قديما إلى مماليك القرن الخامس والسادس إلى دولة الأمير عبد القادر مرورا بدولة الرستميين و الحماديين و الزيانيين كلها في منظور هذا الإتجاه محاولات فاشلة تأسست في ظل الأجانب أو ظهرت نتيجة تصاعد حرارة الرفض الأرعن للنظام الأجنبي ، و نمت نموا غير سليم لا يرتكز على الأسس الصحيحة للدولة، فكانت الفقاعات الجوفاء ما لبثت أن تفرقعت و تلاشت دون أن تترك تقاليد سياسية شرعية وطنية يحق للخَلَفِ أن يرثها عن السلف، و قد لخص قزيل هذه الوجهة في قوله " إن السلطة عند الأهالي فردية تغتصب بالقوة و تعتمد على عصبية قبلية و تحصر في عائلات معينة تعتبر الأرض ملكا لها والشعب مجموعة قبائل خاضعة "[124] و قد قرر قوتي ما يشبه ذلك إذ قال بأن حكام الجزائر و لم يقل ملوكا أو رؤساء. لم يكونوا سوى زعماء قبائل من ماسينيسا إلى الأمير عبد القادر.[125]

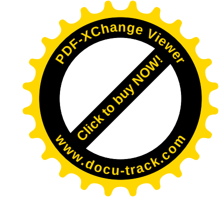
---

[122] شنيتي (محمد البشير)، المرجع السابق، ص 17

[123] مالكي (امحمد)، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 39

[124] **GSELL** (Stéphane). T. V. op-cit p 129

[125] شنيتي (محمد البشير)، المرجع السابق، ص 18



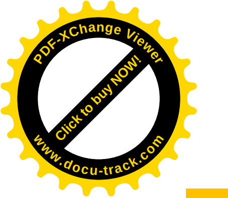
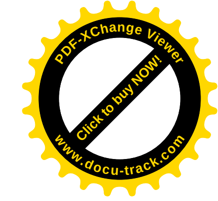

إذن فالجزائر تبدو من حيث إرثها التاريخي حقلا مثخنا بالأحكام المسبقة و مجالا غير متحرر من الصورة التي حددها الآخرون عنها. [126] صحيح أن المغرب العربي قدم بمجمل متون الكتابات التاريخية الأجنبية كفضاء مفتوح أمام الحضارات الوافدة الدخيلة عليه ( من الفينيقيين و حتى العرب) و الأخطر نظر إليه في سياق هذه التيارات كموضوع خانع مستجيب لقدره و ليس كفاعل مؤثر يقاوم الآخر دون أن يستكين لجروحه و حتى حين أرغم منظرو هذه الكتابات على الإعتراف بالتلاقح الواقع بين الحضارتين المغربية و الفينيقية و بإخفاق الرومنة ( romanisation ) و نجاح الإسلام في ترسيخ الوحدة الوطنية لشمال افريقيا و إكساب سكان شمال إفريقيا المشروعية التي كانو يفتقدون إليها ( الإنتماء إلى حقل أيديلوجي – ثقافي واحد) لم يترددوا في التقليل من تاريخية هذه المنعطفات و التشكيك في عمقها و حظوظ استمراريتها.[127]

**المنحى الخامس: نفي الفاعلية الحضارية :**

إن الصورة التي أعطيت للشخصية الجزائرية في أبعادها الإجتماعية و الثقافية و الحضارية ظلت رهينة الفرضيات التي على قاعدتها أسس التأليف الإستعماري مشروعه في حقل الكتابة التاريخية. و انطلاقا من كون الخصائص التي تميز حياة كل شعب أو أمة هي عنصرها البشري و تراثها الثقافي و إسهاماتها الحضارية في مجالات التنظيم الإداري و السياسي و فلسفة تدبير شؤون المجتمع، نجد أنه كلما فقدت الأمة هذه المميزات فقدت الهوية التي تضمن لها طابع التفرد و الإستمرارية، و من ثمة تقطع الصلات التي تقرر لها أحقية التواصل و الإنتماء التاريخي. و في هذا الصدد فقد حرص المؤرخون التابعون للبرنامج الاستعماري بعد بالوت و كامبس على تلازم معلومتين باستمرار و هما:

[126] مالكي (امحمد)، "صورة المغرب العربي في الكتابات الاستعمارية"المرجع السابق، ص 167

[127] مالكي (امحمد)، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 13



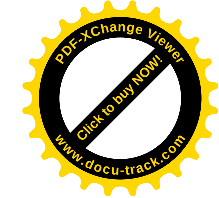
التشكيك بالأصل و نفي الفاعلية الحضارية، فالشمال الإفريقي منطقة ضائعة الهوية فاقدة القدرة على الإستقلالية و هذا ما جعل مجمل كتاباتهم تحكمها ثلاثة تساؤلات مركزية تمحورت حول طقس شمال افريقيا و أصل البربر و لغتهم.[128] و من الأحكام التي تخللت الكتابات الإستعمارية حول تاريخ المغرب ذلك الإقرار بغياب إسهام حضاري ما لسكان المغرب بل في سلبيتهم في بناء مدينتهم و فقر تفكيرهم في حقل تنظيم و تسيير مجتمعهم فضلا عن عجزهم عن كتابة تاريخهم بأنفسهم. و بالتالي استمرارهم في مشاهدة الآخر و هو يفرض تاريخه، الشيئ الذي جعل الحقبة الممتدة من القرن العاشر قبل الميلاد و حتى دخول الإسلام بلدان المغرب ( القرن السابع ميلادي ) تتعرض لجملة من الإفتراضات جعلت سكانه يظهرون بمظهر المراقب الخانع لقدره يستقبلون تيارات الحضارة القادمة إليهم دون أن يساهموا في بنائها و تطويرها و يستحسنون ديانات و لغاة الوافدين إليهم دون أن يكسبوا لغتهم و طقوسهم صفة التأصيل و العمق الحضاري[129] ... على الأقل هكذا روت مجمل الأبحاث التي وظفت التاريخ و معطيات العلوم المعاصرة لخدمة مشاريع الإستعمار في شمال افريقيا.

أمام هذا الوابل من الأحكام و النظرة الإستعلائية[130] و الأحكام التحقيرية و هذه الفرضيات التي وجهت أبحاث التأليف التاريخي الإستعماري و التي كان هدفها المركزي الحكم على شخصية شمال إفريقيا بالسلبية فكرا و حضارة – نعتقد أنه – لم يسعفها التاريخ في الاستمرارية تحديدا مع اقتناع الاستعمار بغموض مستقبله بشمال إفريقيا بالنظر إلى تصلب الوعي الوطني و القومي لدى الحركة الوطنية و ارتقائه إلى مستوى النضج من حيث التنظيم و صياغة الحلول لمواجهة الوجود

[128] مالكي (امحمد)، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 38

[129] مالكي (محمد)، "صورة المغرب العربي في الكتابات الاستعمارية"المرجع السابق، ص 180

[130] إن النظرة الإستعلائية إزاء الشعوب الأخرى و الأحكام التحقيرية المسبقة التي هيمنت على الذهنية الغربية هي التي هيأت للإستعمار و أضفته مشروعية أخلاقية و تاريخية – في نظرهم طبعا – ينظر :
مشري (محمد)، المرجع السابق، ص 75

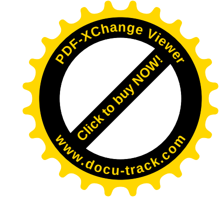



الفرنسي و لا نقصد هنا بالمواجهة طرد الاستعمار بل على الأقل مواجهة تأثيره السلبي على الجزائريين في مختلف الأصعدة و هو ما قامت به جمعية العلماء على سبيل المثال لا الحصر.

و دعونا نتفق هنا على تجنب تقديم حكم قطعي إزاء موقف الفرنسيين الباحثين من هذه النقطة ( نفي الفاعلية الحضارية عن الجزائر) بل نجد دو توكفيل يقدم شهادته حول وضع الجزائر قبيل الإحتلال و يؤكد في هذا الصدد أن المجتمع الإسلامي في إفريقيا لم يكن غير متحضر. كان فقط ذا حضارة متأخرة و غير مكتملة. كان يوجد فيه عدد كبير من المؤسسات الخيرية التي كان هدفها تقديم العون للمحتاجين و التربية العمومية ..." و يضيف . "وضعنا يدنا في كل مكان على عائداتها و حولناها عن مقاصدها السابقة . لقد أنقصنا عدد المؤسسات الخيرية و تخلينا عن المدارس و فرقنا حلقات الدروس، و توقف توظيف رجال الدين و رجال القضاء. بمعنى أننا أرجعنا المجتمع الإسلامي أكثر بئسا أكثر فوضى و أكثر جهلا و أكثر بربرية مما كان عليه قبل أن يعرفنا".[131]

إن قراءة متمعنة و عميقة لمتون كتابات السسيولوجيا الإستعمارية تحيل إلى عدة عناصر كفيلة بفهم فلسفة المشروع الذي طال الجزائر، لقد وفر المشروع الإستعماري لنفسه طبقة من العلماء الذين خلفوا لنا في إطار المدرسة الفرنسية ثروة هامة من المصادر المتعلقة بتاريخ الجزائر ( رغم أن معلوماتها التاريخية تشوبها العواطف الإستعمارية )، لقد كانت وظيفة هذه الطبقة من العلماء التفكير في الأسس التي تجعل المشروع الإستعماري مستصاغا و مقبولا ، فكانت تلك الترسانة من الكتابات في العديد من حقول و أصناف المعرفة التي غطت حقبة زمنية واسعة ، فالإستعمار من حيث كونه مبادرة و حركة تروم الهجوم و الإجهاز على الآخر ، على الذات المستعمرة، كان حريا على صانعي فلسفته أن يحددو ا نقط القوة في مشروعهم فكانت الهوية بكل ما يرمز إليها و الشخصية بكل مقوماتها

[131] الكسي (دو توكفيل)، المرجع السابق، ص 126



## مشاريع المنظرين لمحو مكونات و عناصر الهوية الجزائرية

كانت الإدارة الإستعمارية تخطط منذ البداية لدمج الجزائر عن طريق ربطها سياسيا و إداريا بفرنسا و هضمها ثقافيا و روحيا و لغويا في الشخصية الفرنسية.[132] و في سبيل ذلك اتخذت إجراءات آنية و أخرى بعدية يحضر لها المنظرون و أساتذة الإستعمار، أما الإجراءات الآنية التي قامت بها في الساعات و الأيام الأولى للإحتلال فهي كثيرة و يمكننا في هذا المقام ذكر بعضها:

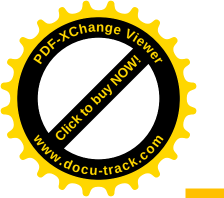
1 بمجرد ما اطمأنت على وجودها في الجزائر عملت كلما بوسعها لسد أبواب العلم و المعرفة في وجه كل جزائري و خاصة منهم الأطفال لأنهم مستقبل الشعب الجزائري ماديا و أدبيا

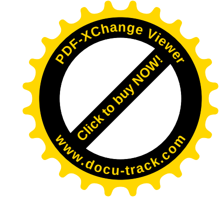
2 بادرت بتعطيل المؤسسات التعليمية و التثقيفية و التوجيهية بإلغائها إلغاء قانونيا و منع كل جزائري من التعامل معها، بل أقدمت على تحويل البعض منها إلى ثكنات عسكرية أو إلى مراكز إدارية أو إلى متاحف أثرية أو إلى كنائس تمارس فيها الطقوس الدينية المسيحية.[133]

3 هدم محلات – بأمر كلوزيل – تدعى القيصرية كانت تبيع الكتب التي هي أدوات الحضارة و تنير طريق الإنسان المثقف و فيها كان يوجد الناسخون لأن المطابع معدومة في إفريقيا و

[132] شهبي (عبد العزيز)، الزوايا و الصوفية و العزابة و الاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع 2007 وهران الجزائر ص 44

[133] بشنون (الشيخ سليمان)، المرجع السابق، ص 12







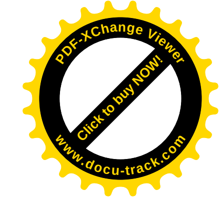
بما أن الفرنسيين كانوا ينوون إدخال الحضارة إلى إفريقيا فنتساءل لماذا وقع تهديم هذا المصدر الذي كان يعطي العلم و المعرفة في جميع الميادين؟.[134]

أما الإجراءات البعدية فهي أكثر خطورة و تدميرية من سابقتها لأنها صادرة عن كبار المنظرين و المختصين في مختلف المجالات، و اتفقت و اجتمعت نظرة المنظرين للمجتمع الجزائري على أنه مجتمع متخلف آيل للسقوط مفطور على عدم التأقلم و من المفروض أن يزول هذا المجتمع تطبيقا للقانون البشري الكوني لأنه مجتمع يحمل فسادا فطريا موجود في الأهالي، و سيؤول إلى التعفن لا محالة، و بالتالي فإن هذا المجتمع لا يملك ضميرا خلقيا و لا يقبل الإستمرارية ، إنه مجتمع ذو نظام عضوي مهيأ للفناء. إن هذه ( الرؤية العنصرية ) ليست آراء الصحفيين المعزولين نوعا ما و لكنها آراء شخصيات مهمة مثل لافيجري (la vigerie) و رئيس مجلس قضاء الجزائر دي منيفيل ( de ménerville) عندما أدلى بشهادته أمام اللجنة التشريعية بتاريخ 14 ديسمبر 1871 متسائلا :" ما هو هدفنا ؟ إنه احتواء الأهالي، عندما يقدم شعب من الشمال للإقامة في بلد ما فإنما يفعل ذلك للمكوث. قد يثور العرب و لكن سيتم احتوائهم" أما أوغست بوميل ( auguste pomel) و هو عضو بمجلس الشيوخ بوهران فـقد كان يؤكد أن العرب و الإسماعيليين لا يمكن مقارنتهم بالآخرين و يجب حشرهم في الجنوب، كما أنه لم يتكلم بنفس الطريقة عن البرابرة الذين يمكن و على عكس الأولين إحيائهم، و كان هؤلاء من أصل فينيقي أو ألماني بكل بساطة و لكن لا رحمة للعربي :" مصيره هو الزوال أمام الحضارة".[135] أما روبيون دي لاتريلوني ( rabion de la thélonnais) الذي كان لا يطيق البربرية الوحشية التي كان يتميز بها هذا الجنس من "الشياطين" فبالنسبة له فإن على الجزائري أن يقبل و يخضع لمصيره المقهور إما باتباع الحضارة أو الزوال "... لا

---

[134] خوجة (حمدان بن عثمان) ، المرآة ، تقديم و تعريب و تحقيق محمد العربي الزبيري، ط 2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1982 ص 277

[135] مهساس (احمد)، الحقائق الإستعمارية و المقاومة، دار المعرفة ، 2007، ص ص 10 – 11





تستطيع حياتهم الوحشية أن تتحمل الحضارة الأوربية التي يدفعها قانون القوة إلى الأمام لتحتوي كل ما يمكن احتوائه و تدوس على كل عائق". أما لافيجري فإنه كان يدعو لعدم تقوقع هذا الشعب داخل قرآنه و على فرنسا أن تقدم له الإنجيل أو أن تطرده إلى الصحاري بعيدا عن العالم المتحضر.[136]

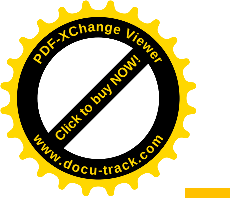
**... نحو صناعة جزائر بمواصفات فرنسية**

كان المشروع الأول الذي طرح على الإدارة الاستعمارية و الذي ينبغي تدميره تدميرا كليا و بأقصى سرعة هو الإسلام. لقد احتلت فرنسا الجزائر المسلمة العربية احتلالا مدبرا مبينا على برنامج واسع يدور كله على محور واحد و يرمي إلى غاية واحدة و هي محو الإسلام في الشمال الإفريقي كله [137] و كان أول عمل قامت به السلطات الفرنسية هو نقضها الوعود التي قدمتها بخصوص احترام العقارات و الأوقاف الإسلامية و كذا ممتلكات السكان و احترام الأشخاص و ممتلكاتهم، [138] و ألحقتها بمصادرة الأوقاف الإسلامية بجميع أنواعها في العاصمة و إلحاقها بأملاك الدولة المحتلة، و أصدرت قانونا تم بموجبه تعميم المصادرة في كل شبر تحلته، تم عمدت إلى القضاء على المساجد و ذلك بتدميرها أو تحويلها إلى كنائس أو مستودعات عسكرية ففي بداية الاحتلال و في سنة 1830م أغلقت فرنسا في العاصمة الجزائر 13 مسجدا كبيرا و 108 مسجدا صغيرا و 32 جامعا و 12 زاوية و في سنة 1862 لم يكن للمسلمين سوى 4 مساجد كبيرة و 8 مساجد صغيرة و تسع جوامع فقط و قد استشهد كثير من المسلمين في ميدان الشرف دفاعا عن تحويل مسجد كتشاوة لما حولته الإدارة الفرنسية إلى كاتدرائية "سيدة الجزائر " بتاريخ 18 ديسمبر 1832 و حول

[136] مهساس (احمد)، الحقائق الإستعمارية و المقاومة، دار المعرفة ، 2007، ص ص 10 - 11

[137] البشير الابراهيمي (محمد)، في قلب المعركة، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2007 ص 66

[138] المدني (احمد توفيق)، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية ، مصر، (د.ت) ، ص 92







مسجد علي بتشيني المشيد عام 1623 إلى كنيسة سيدة الإنتصار و ذلك سنة 1868 و حول مسجد صالح باي بقسنطينة سنة 1837 إلى كنيسة[139] و بعد أن استقر الأمر لفرنسا في جميع القطر عمدت إلى المساجد الباقية فاحتكرت التصرف فيها بنفسها و استأثرت بتعيين الأئمة و الخطباء و المؤذنين و المفتين و أجرت عليهم الأرزاق من خزينتها العامة ليبقوا دائما تحت رحمتها، فلا يقدم لوظيفة من من هذه الوظائف إلا من يجري في عنانها و في فلكها. و لكي تصبح الجزائر فرنسية الفكر و اللسان و الإتجاه كان للإستعمار ألف مكيدة خفية و علنية ابتغى من ورائها محو الإسلام، فقد شجع الخرافات و البدع و الضلالات الشائعة بين مسلمي الجزائر لعلمه أنها تفسد عقائد الإسلام الصحيحة وتحبط عباداته فتختلط السنة بالبدعة و الفضيلة بالرذيلة[140] كل هذا و رجال الدين المسيحيين يلحون و يطالبون بفسح مجال أكبر للنشاط التبشيري في الجزائر،[141] و من ذلك ما جاء في الخطاب التاريخي حول الجيش الفرنسي و مهمة فرنسا بإفريقيا أكد لافيجري أن الجزائر هي منطلق الإشعاع الحضاري المسيحي نحو افريقيا.[142] و لم تكن هذه الآراء موجودة عند لافيجري لوحده بل كانت موجودة في الدوائر السياسية عند المحافظ العام دي قيدون مثلا، فقد كان يرفض رفضا قاطعا القضاة الذين يحكمون باسم القرآن كما عارض المدارس الإسلامية و الزوايا، و كان ينوي بهذه الطريقة احتواء القبائل بالتدريج و من بعدهم القبائل القاطنون بالمناطق التلية. لقد كان يرى الأهالي على أنهم عائق ، و لهذا أراد أن يطرد جماعات منهم، و كان متيقنا أنهم عاجزون عن

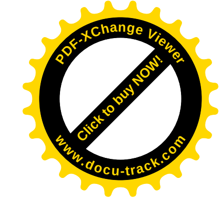
---

[139] بن خليف (مالك)، المرجع السابق، ص 59

[140] البشير الابراهيمي (محمد)، في قلب المعركة، المصدر السابق، ص ص 67 - 68

[141] التميمي (عبد الجليل)، المرجع السابق، ص 33

[142] سعيدي (مزيان)، النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867 – 1892 ، دار الشروق للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، الجزائر، 2009، ص 197




الدفاع عن أنفسهم أمام حضارة لم يستطيعوا التأقلم معها، كان الأهالي جنس آيل للزوال و من الأحسن أن يزول في أقرب وقت.[143]

كان الإستعمار الفرنسي ممثلا في السياسيين و الإد اريين يرى في الأهواء الدينية التي يثيرها القرآن الكريم مناوئة له و من الواجب قمعها و القضاء عليها، أما المنظرون فرأوا غير ذلك فمن الحسن تركها تنطفئ في الخرافات والجهل – تخوفا من رد فعل قوي قد يصدر عن الأهالي – مادام ينقص علماء الشريعة و الوعاظ و لا يتجددون ستكون زلة كبيرة يصاب بها الإسلام. لقد دعوا إلى العهد بأمور الإسلام إلى ساخط أو إلى محتال [144] و تدعيم ذلك ببرامج تعليمية منتقات يكون غرضها إنشاء مواطن مفرنس و مستأصل ثقافيا لا يعرف نفسه في المجتمع المستعمر و لا يملك نفس الصفة التي يملكها المستعمر، و كان يمثل هذا النوع في شكله الأكثر تقدما فئة الأنتلجانيسيا [145] الجدد أغلبيتهم من الشباب الجزائريون.[146]

---

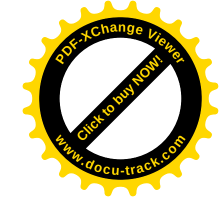
[143] مهساس (احمد)، المرجع السابق، ص 12

[144] الكسبي (دو توكفيل)، المرجع السابق، ص 129

[145] يشير مصطلح الأنتلجنسيا ( intelligentsia) حسب تعريف معجم أكسفورد لعلم الإجتماع إلى " طبقة المتعلمين بصورة عامة في أيّ من المجتمعات، و إلى المثقفين و المعنيين بشؤون الفكر على وجه التحديد. وقد حصر تاريخيا استخدام هذا المصطلح و نوقشت أصوله أيضا، و ظهر استخدامه بصورة مبكرة في القرن التاسع عشر خاصة في روسيا و بولونيا. بينما كطبقة اجتماعية اختلفت في البلدين لأسباب تاريخية جلية" . و طبقة الانتلجنسيا هي الفئة المتعلمة الواعية المدركة بالضرورة لمصالح أمتها و بلدها. و هي التي تسعى إلى فرض المشروعات الحضارية و التي يؤطرها إنتاج أو استقدام التكنولوجيا من جهة و إقرار الديمقراطية في البلد و التي تكفل العدالة الإجتماعية و تقود إلى تقدمه.و عليه فإنَّ لطبقة الأنتلجنسيا بصورة عامة و للمثقف منها بصورة خاصة أدوارا مهمة و مسؤوليات كبيرة تقع على عاتقه في كل الأحوال و الظروف. و تتوزع هذه المسؤوليات بحسب انتمائه و التزامه، و على وفق مؤهلاته و الفرص المتاحة له، سلماً أم حرباً ، و سواء كان محكوماً بسلطة دكتاتورية أم يتمتع بحرية مطلقة أو شبه مطلقة للتعبير عن رأيه وممارسة دوره. ينظر

**Oxford Dictionary of Sociology**, Oxford Dictionary of Sociology, 2nd, edit., Oxford University Press, London, 1998, p. 321

[146] مهساس (احمد)، المرجع السابق، ص 49



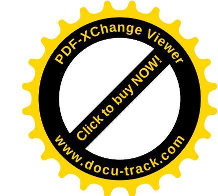

**اللغة العربية في مشاريع منظري و أساتذة الإستعمار**

كان الإستعمار الفرنسي يسعى إلى جعل الجزائر قطعة لا تتجزأ من التراب الفرنسي أرضا و لغة و ثقافة و دينا و قد انتهج لذلك سياسة الفرنسة، و هي إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع مجالات الحياة الإجتماعية حتى يصبح المجتمع الجزائري فرنسي اللسان و الثقافة و يذوب في بوثقة الأمة الفرنسيـة.[147] كان هذا الإحلال تمهيدا للمحو التدريجي للغة العربية الإسلامية لدى الجزائريين لكون هذه اللغة و الثقافة تشكلان أرضية لانتماء الشعب الجزائري الحضاري و تعتبران الوسيلتين الوحيدتين اللتين تمكنهما من الوقوف في وجه هيمنة اللغة الفرنسية و سيطرتها على الأجهزة الإدارية و دواليب الدولة و مؤسسات التعليم و وسائل الإعلام، و مما زاد في حقد الإستعمار على اللغة العربية كونها من أمهات اللغة الناقلة للعلوم و التي مجالها الحيوي من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي باعتبارها لغة العبادة لكافة المسلمين كما أنها لغة وطنية و رسمية للعديد من الدول و من أهم خصائصها كذلك أنها لغة مقدسة فهي لغة القرآن و لغة الحضارة الإسلامية التي ساهمت فيها الجزائر طيلة 14 قرنا بقدر وافر و هي أقرب ما تكون إلى اللسان العامي المستعمل في العديد من الجهات الجزائرية.[148]

كانت أول ضربة قاسمة تلقاها التعليم العربي في الجزائر ذلك الذي صدر عن الجنرال دي بورمون في 8 سبتمبر 1830 الذي وضعت بموجبه فرنسا يدها على الأوقاف الجزائرية ثم قرار 7 ديسمبر 1830 الذي يخول السلطة الفرنسية حق التصرف في الأملاك الوقفية بالتأجير، فتقلص

[147] بن نعمان (احمد)، المرجع السابق، ص 118

[148] سعيدوني (ناصر الدين)، المرجع السابق، ص 72



التعليم العربي حتى كاد ينعدم إلا ما بقي محصورا في بعض المساجد و الزوايا الواقعة في المناطق الجبلية و الصحراوية. ثم تلاه قرار آخر مهم و هو الذي صدر في 24 ديسمبر 1904 الذي يمنع على الجزائريين فتح أو تولي مدرسة عربية أو قرآنية إلا بترخيص مسبق من الحاكم العام المدني أو العسكري و المخالف لذلك يتحمل عقوبة الحبس و الغرامة المالية. [149] لقد حطم الإستعمار كل الكتاتيب القرآنية و ألغى التعليم في المساجد التي دمر و هدم أكثرها ثم لم يعوض ذلك بشيئ آخر لأنه يعلم أن الأمة إذا علمت قاومت الإستعمار و لم ترضخ لقيوده و سعت السعي الحثيث للتخلص منه. فسياسة التجهيل كانت إلى جانب سياسة التفقير شعار الإستعمار الفرنسي في قطر الجزائر و القانون الذي سار عليه. [150]

تنبه منظروا الإستعمار إلى المزيج الجنسي الذي تتكون منه الجزائر ممثلا في الجنسين العربي و الأمازيغي اللذين صهرهما الإسلام في الجزائر كوطن، فأوعز هؤلاء المنظرون للإدارة الإستعمارية على الإستثمار في اختلاف لهجات الجزائريين خاصة منها بين المتحدثين باللغة العربية و الأمازيغية اعتقادا منهم أن عزل هؤلاء عن ألئك و خلق الخلاف بينهم سيسهل عليها فرنسة المتحدثين بالبربرية لإيهامهم بأنهم من عنصر أوربي غير عربي و أنهم من أصحاب البلد الأصليين. و قد استعمرهم العرب و فرضوا عليهم لغتهم العربية و الإسلام. و كثرت في سبيل ذلك الأبحاث الأنثربولوجية و الإثنية ( بتوجيه من الإدارة الاستعمارية ) لمحاولة إثبات الفوارق العرقية و الثقافية بين العرب و البربر. و قد أنشئت الإدارة الإستعمارية في سبيل ذلكمراكز كبرى للبحث و منها مركز الأبحاث للأنثروبولوجية و لما قبل التاريخ و للإثنوغرافيا المعروف بمركز الكراب بالجزائر. [151]

---

[149] بن خليف (مالك)، المرجع السابق، ص 73

[150] المدني (احمد توفيق)، هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص 140

[151] سعيدوني (ناصر الدين)، المرجع السابق، ص 78






(C.R.A.P.E) [152] و أنشأت أيضا قناة إذاعية للإرسال بالبربرية بلهجة بلاد القبائل الكبرى، [153] كما اهتمت الإدارة الاستعمارية باللهجات المحلية و اللسان العامي على حساب تعلم الفصحى و استعمالها و استحدثت إجراءات باللهجات البربرية الأمازيغية و شهادات باللسان العامي الدارج، و حتى تربطها بالواقع المعيش و تشجيع الطلبة على الإنتساب إليها أصبحت تشترط هذه الإجازات في الوظيف العمومي و عند الترقية و شرطا للحصول على الجنسية الفرنسية كما نص على ذلك قانون 8 مارس 1944 في المادة الثالثة منه، [154] و في إشارة منه إلى أهمية التعليم في تسهيل الغزو و المسخ الثقافي كتب الفرنسي إيميل ماسكوري في 1876 ما يأتي :" إذا نحن أردنا ذلك فإن بلاد القبائل ستكون قد تبدلت خلال جيلين و صارت فرنسية و يكفي من أجل ذلك معلم واحد في كل قبيلة " و في نفس السياق كذلك استحدثت بموجب مرسوم 9 نوفمبر 1881 ثمانية مدارس في بلاد القبائل. و قد كانت ردود الأفعال حول إنشاء هذه المدارس متباينة و رافضة من طرف المتعصبين فقد كتبت جريدة الأطلس :" يمكننا أن نتساءل أيضا لماذا ندفئ في أحضاننا أبناء هؤلاء الأفاعي و لماذا عمرت ثانوية الجزائر بشباب عرب يعودون إلى جحورهم مثل الذئاب التي نريد استأناسها و التي سرعان ما تصبح حرة" و أما جريدة الأخبار فقد كتبت :" يتردد القبائليون كثيرا على المدارس و يتعلمون جيدا و بسرعة فائقة ...إننا نصاب بالرعب من رؤية العديد من العرب المتعلمين و إننا لنتسائل ماذا سنفعل عندما يصبحون كبارا." [155]

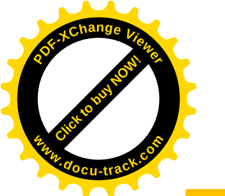
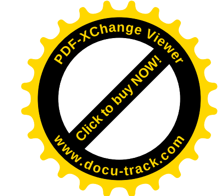
---

[152] Centre de recherches antropologiques préhistoriques et ethnographiques

[153] بن نعمان (احمد)، المرجع السابق، ص 120

[154] سعيدوني (ناصر الدين)، المرجع السابق، ص ص 74 - 75

[155] اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، ترجمة عياش سلمان، مج2، دار الأمة، 2008 ، ط 1، ص 251



كانت المعطيات الرقمية[156] و حصيلة التعليم الفرنسي في الجزائر هزيلة و كارثية و فاشلة [157] بكل المقاييس. و تجد هذه الأرقام الزهيدة للتعليم الفرنسي تفسيرها قبل كل شيئ في الرفض الذي واجه به السكان المسلمون لسياسة التعليم الفرنسية، فالسلطات لم تكرس جهودها في الواقع لاستقبال الأطفال في المدارس الحضرية و مدارس المداشر مع التعزيز بالمكافآت و المنح و الإمتيازات البسيطة[158] و بالتالي فالتعليم كان قليلا و نادرا و إن وجد فبطريقة ثانوية. [159] و يضاف إلى ذلك التضييق الذي كان المنتخبون الفرنسيون يمارسونه، فقد طالبوا بغلق ثلاث مدارس، هذه "المدارس الداخلية الغامضة التي كان تلاميذها النجباء الأعداء الأكثر شراسة للحضارة الأوربية"، و قد أخضعت لمراقبة شديدة بوليسية و تم فيها تطوير تعليم الفرنسية حيث أسند التعليم الديني لمشرفين فرنسيين لأن في ذلك ضمانات أكثر. و كانت المجالس المنتخبة قد طالبت بالغاء "مدارس التعصب" هذه[160] و لم يكتف التخطيط الفرنسي لتجهيل الجزائريين بهذا بل امتد إلى أعلى هرم في السلطة

[156] ينظر الى الملاحق رقم : 2 – 7 - 9 أو ينظر إلى :

G.Le Beau, (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1935 , Alger, Ancienne Imprimerie Solal, 1936 , p 28

J . Carde (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1930, Alger, Ancienne Imprimerie Victor Heintz, 1931 , p 273

J . Carde (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1933, Alger, Ancienne Imprimerie Solal Rampe de La Pêcherie, 1933 , p 680

[157] يتناول اجيرون هذه الفكرة بقوله "سياسة تعليم المسلمين و اخفاقها النسبي" و هو بذلك يدعي أنها كانت ناجحة نسبيا .

ينظر:

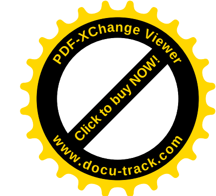
اجيرون (شارل روبير)، المرجع السابق، ص ص 250- 259

[158] نفسه، ص 246

[159] مهساس (احمد)، المرجع السابق، ص 41

[160] اجيرون (شارل روبير)، المرجع السابق، ص 248







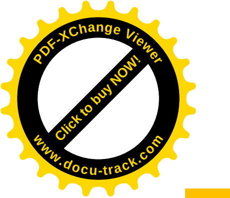
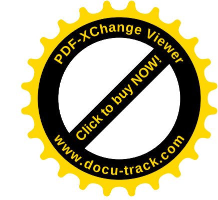

ففي مراسلة موجهة إلى أحد الوزراء بخصوص المدارس المخصصة لتعليم الجزائريين جاء فيها :" من الخطأ الكبير الإعتقاد بأن المدارس يمكن إلغاؤها في المستقبل شبه البعيد، و ليس هناك من شيئ غير تركها تسقط شيئا فشيئا و تنطفئ في غياب العناصر المغذية."[161]

و في سياق الفرنسة أيضا أنشات الإدارة الإستعمارية جامعة الجزائر، هذه الجامعة التي لم تكن أبدا في صالح أبناء البلد الأصليين من الأهالي بل الهدف الأساسي منها هو منع الهجرة في الإتجاه المعاكس، بمعنى الخوف على أبناء المعمرين من الهجرة بغرض التعليم نحو الوطن الأم ثم عدم العودة. و الواقع أن إنشاء مؤسسة ثقافية بحجم جامعة الجزائر و ما لها من دور في توجيه العلوم خاصة في المسائل المتعلقة بتبرير الوجود الإستعماري و مسألة الرسالة الحضارية المزعومة يجعلنا نتسائل حول المجالات العلمية و الأدبية التي خدمت الإستعمار و عملت على ترسيخ أطروحاته و كذلك عملت على إنماء الهزيمة و الأفكار التخذيرية و الشعور بالدونية لدى السكان الأصليين و أصحاب الأرض المدعوين للدفاع عنها. كل ذلك تم من خلال هدم المؤسسات الأصيلة التي تعمل على إشعاع العناصر المميزة لهوية الأمة من لغة و دين و انتماء حضاري و ثقافي و الإغراق في تشويهها. و قد نشطت الجمعية التاريخية الجزائرية [162] منذ وقت مبكر من الإحتلال الفرنسي لإدخال النظم الفرنسية و كذلك المناهج على الدراسات التاريخية .

**الإستطان** : عمدت الإدارة الفرنسية إلى خطة الإستلاء على الأرض و تجويع كل جزائري بحيث يتحتم عليه في النهاية أن يخضع للسلطة الفرنسية و العمل على ترحيل سكان الأرياف – بمختلف الطرق– إلى المدن ليسهل على السلطات الفرنسية نقل العادات و التقاليد الفرنسية إليهم لأنهم إذا

[161] اجيرون (شارل روبير)، المرجع السابق، ص 249

[162] ظهرت هذه الجمعية عام 1856 في الجزائر برئاسة بيار بروجير و يعود لها الفضل في اصدار المجلة الافريقية





ما اعتصموا في الجبال و رفضو الاختلاط بالأوربيين فإن ذلك يقود إلى ثورات في الجبال و خلق متاعب جديدة للإدارة و الجيش الاستعماري [163] لقد أصبحت الجزائر في ظرف وجيز تمثل صورة إقطاع ديمقراطي حيث المواطنون الفرنسيون هم النبلاء و الأهالي هم التابعون. فالأهالي الجزائريون مرتبطون بالأرض مثل قدامى العبيد إذ أنهم يجازون بعقاب نظام الأهالي حينما يقيمون دون إذن مسكنا معزولا خارج القرية أو يسافرون دون رخصة سفر خارج البلدية التي ينتمون إليها أو يأوون أجنبيا لا يحمل رخصة صالحة.[164]

بذلت السلطات الإستعمارية جهودا معتبرة لتطوير الهجرة و الإستعمار، ففي الوقت الذي كانت فيه تحت تأثير الصدمة قامت باستدعاء عائلات المزارعين الفرنسيين من ضحايا الحرب في منطقة الألزاس و اللورين و قامت بمنحهم امتيازات كبيرة و كان من وعود الإدارة الإستعمارية لسكان الأزاس و اللورين منحهم 100000 هكتار من خيرة الأراضي الجزائرية و خصصت لهم قرضا قدره 400000 فرنك [165] و قد ازدادت قرارات الإستيلاء على الأملاك بكل أنواعها منذ السنوات الأولى للإحتلال و بشكل رهيب و كان الهدف منها تفقير الجزائريين و إجبارهم على الهجرة و منح هذه الأملاك للأوربيين أو بيعها لهم بقصد الإستطان و الإستعمار،[166] و اعتمدت في ذلك على أمرين أساسيين هما : إقطاع الأرض للفرنسيين و الإتيان بأكبر عدد منهم إلى البلاد حتى تمحى صبغتها العربية الإسلامية و تغدو أرضا لاتينية مسيحية، و الثاني حكم البلاد حكما مباشرا لا

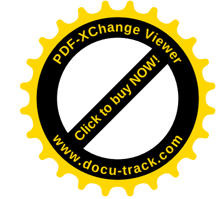
---

163 بوحوش (عمار)، "سياسة الإدماج و مصادرة الأراضي في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي" ، **المجلة التاريخية المغربية**، عدد 12، تونس ، جويلية 1978، ص 225

164 اوليفيه (لوكر غراندميزون)، في نظام الأهالي، المرجع السابق، ص 75

165 اجيرون (شارل روبير)، المرجع السابق، ص 114 – 115

166 سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج1، المرجع السابق، ص 77



دخل لأهل البلاد فيه أو بما يمكن اعتباره اللعب على أوتار الديمغرافيا للسيطرة على الجغرافيا و قد اشتهر الفرنسيون بأعمال التنكيل و المذابح الجماعية و إفناء المسلمين بالجملة حتى تخلو الأرض لساكنيها الجدد [167] و ما بقي من هؤلاء السكان اعتبرتهم السلطات الإستعمارية ملكية خاصة حصلت عليها بفعل الإحتلال و الإستعمار فأصدرت بحقهم ما يسمى بقانون الأندجينا [168] فقد اعتبرت مخالفات خاصة بالأهالي و مستحقة للعقوبات الواردة في المواد 465 و 466 من قانون العقوبات الأفعال و الوقائع المذكورة أدناه : الإهمال أو التأخر لأكثر من ثمانية أيام في التصريح بالولادة، التهاون في التبليغ عن جريمة أو جنحة...[169]

كان الصراع بين السلطات الإستعمارية و الجزائريين صراع بقاء. فمنظرو الإستعمار يرون أنه :" يجب دفع الأهالي شيئا فشيئا خارج أراضيهم لكي نأخذ مكانهم، و في انتظار ذلك لا تطلب منهم سوى أن يكونوا خاضعين و لا توجد وسيلة لإخضاعهم سوى القوة" [170] و في مقابل ذلك يكفي توفير الحرية الفردية و ضمان الملكية لكي تجذب الإدارة الفرنسية المزيد من الأوربيين [171] إلى هذا الجزء الجديد من فرنسا. فها هي إحصائيات سنتي 1861 الى 1872 تبين انخفاض عدد

---

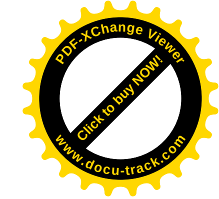
[167] المدني (احمد توفيق)، هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص ص 96 - 97

[168] قانون الأهالي : هو مجموعة من القوانين الإستثنائية غير الإنسانية التي طبقت على الجزائريين فقط، و فيها لا يخضع المتهم لأي شكل من أشكال القضاء المتعارف عليها. و تم فرضه بمقتضى قوانين 29 أوت و 11 سبتمبر 1874 أي منذ ظهور قانون ينظم== القضاء الجنائي الخاص بالجزائريين و الذي أخضعهم إلى المخالفات الخاصة، ثم عممت و جمعت هذه المخالفات في قانون 28 جوان 1881 عندما اتسعت الأراضي المدنية على حساب الأراضي التي تخضع إلى الحكم العسكري للإطلاع أكثر ينظر : ولد النبية (كريم)، "سياسة الإخضاع و قوانين الأنديجينا من خلال أرشيف الإدارة الإستعمارية في الجزائر" ، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية** عدد 2 ، ديسمبر 2011 ص 61 - 62

[169] اوليفييه (لوكر غراندميزون)، في نظام الأهالي، المرجع السابق، ص 113

[170] الكسي (دو توكفيل)، المرجع السابق، ص 127

[171] نفسه، ص 216



سكان الأهالي[172] ب 600000 ساكن و تناقض هذه المعلومة سياسة التعمير[173] المدعمة من طرف بعض الأخصائيين في الدراسة الديمغرافية مثل روني روكو (réne recoux) الذي كان يظن سنة 1880 أن الأهالي يصعب عليهم النهوض من جديد منذ المصائب التي عرفوها ما بين سنتي 1867 و 1871 و كان معظمهم يفكرون بهذه الطريقة في الأوساط الإستعمارية متيقنين بشدة أن الشعب الجزائري سيزول لا محالة عن قريب. كان هذا الحكم بعد الإضطهاد و القمع المادي و المعنوي للشعب الجزائر و كذا المجاعة التي عرفتها الجزائر في تلك الفترة . و سنة 1875 كان يحتمل لوبلان دي بريبوا (leblanc de prébois) قدوم ستة ملايين إلى سبعة ملايين مستوطن. هؤلاء المستوطنين الذين كان من المقرر أن يقيموا و يسكنوا بطريقة مجانية:" سنأخذ للعرب و عن طريق الحجز أو الطرد نصف أراضيهم " و نشكل مجتمعا و نظاما اقتصاديا و حياتيا من شأنه كسر مقاومة المجتمع التقليدي الجزائري[174] أما الشريف بن حبيلس فقد أجرى معاينة بين الأهالي و العنصر الأوربي و أكد أن الجزء الأعظم من موارد الميزانية يصرف لفائدة العنصر الأوربي وحده تقريبا مضيفا أن "حاجات الأهالي الأكثر استعجالا لا يكاد يستجاب لها، و في كثير من البلديات تخصص مبالغ هامة لنفقات كمالية مع إهمال أعمال أساسية للسكان المسلمين و أن هذا الوضع لمن

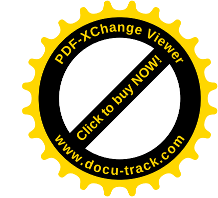
---

[172] تمثل هذه الفترة انتهاء المقاومات الشعبية الكبرى التي انتشرت في الجزائر منذ دخول الإستعمار الفرنسي أرض الجزائر و يضاف إلى ذلك أسلوب الجيش الفرنسي الذي تفنن في تقتيل السكان المدنيين و الأسرى العزل و التمثيل بجثثهم، و لهذا فمن المنطقي و الطبيعي أن ينخفض عدد سكان الجزائر إلى هذا المستوى أو أكثر ينظر: اوليفييه (لوكر غراندميزون)، الإستعمار الإبادة، تأملات في الحرب و الدولة الإستعمارية، المرجع السابق، ص 174

[173] من المفارقات التي أشار اليها جون بول سارتر و نعتقد بصواب رأيه أن النظام هو المتسبب في تكاثر السكان لإحباط كلفة اليد العاملة و هو نفسه كذلك الذي يمنع اندماج السكان المحليين . و لو كان لهم حق التصويت لفجر تفوقهم العددي كل شيئ في الحين، و الإستعمار يرفض حقوق الإنسان لأناس قهرهم بالعنف. ينظر:

سارتر (جان بول)، مواقف مناهضة للإستعمار، ترجمة محمد معراجي، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر و الاشهار anep الجزائر 2007 ص 55

[174] مهساس (احمد)، المرجع السابق، ص ص 12 - 13



الشذوذ بحيث أن الميزانية العامة و كذا ميزانيات البلديات و الدوائر إنما تتغذى في معظمها من الضرائب التي يدفعها الأهالي."[175]

**سياسة الطمس الثقافي**

كان الهدف الأسمى للنظام الإستعماري الفرنسي في الجزائر هو القضاء على الإسلام و العروبة تمهيدا للإنصهار الكلي للأمة الجزائرية في الكيان الفرنسي و سلك في سبيل ذلك طرق و وسائل عديدة.[176] و كانت الأمة الفرنسية مليئة بألئك المتحمسين للفكرة الإستعمارية من أساتذة و منظرين متشبعين بالوازع الديني المسيحي و متحمسين لرؤية فرنسا الإمبراطورية، و كانوا يعتقدون أن من واجبهم تسهيل العملية الإستعمارية و لهذا عملوا على تأسيس علم السياسة الإستعمارية و تأسيس فروع علمية و تقنية في ميدان الأساليب الإستعمارية[177] فاتفقوا على أن السياسة التي ينبغي العمل بها في الجزائر هي الفرنسة و إبادة الهوية الجزائرية. [178]لقد سعوا بضراوة إلى تحطيم المجتمع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، كما حاولوا أن يجعلوه صفحة بيضاء و يحولوا الجزائر إلى مقاطعة فرنسية، و لكن لم يتماشى ذلك التجهيل الهادف إلى تطويق اللغة العربية و است ئصال الإسلام و أحيانا تشويهه مع رفع المستوى الثقافي الفرنسي، مثلما قد يبدو لنا منطقيا كان الهدف هو ضرورة مكافحة الشخصية الجزائرية. [179] لقد مارس منظروا الإستعمار سياسة التظليل إزاء تلقين الثقافة

---

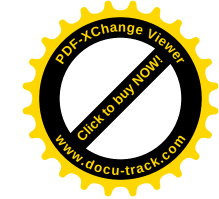
[175]**Ben hbilise** (cherif), L'algerie francaise vue par un indigéne. Imprimerie oriontale fontana fréeres. Algerie. p 121

[176]بن خليف (مالك)، المرجع السابق، ص 71

[177] اوليفيير (لوكر غراندميزون)، الجمهورية الإمبراطورية، في سياسة الدولة العنصرية، المرجع السابق، ص 60

[178] مالكي (محمد)، "صورة المغرب العربي في الكتابات الاستعمارية" المرجع السابق، ص 19

[179]مهساس (احمد)، المرجع السابق، ص 26




الفرنسية للجزائريين فقد كانوا يجبروهم على ترك ثقافتهم العربية الإسلامية و في نفس الوقت يمنعوهم من الوصول إلى ثقافة القوة الإستعمارية كما هو الشأن بالنسبة للأوربيين. لقد أصر الإستعمار على تغريب الإنسان الجزائري و اختراق قيمه الدينية و الثقافية، و من الثابت أنه أوجد لهذا الغرض أكثر من نظرية كما وظف معطيات العلم المعاصر و مناهجه[180] و كان الدافع من وراء كل هذه الخطوات واضحا و قويا و مقنعا جدا " أليس الهدف النهائي هو تأسيس فرنسا ما وراء البحار حيث سيتم إحياء لغتنا و حضارتنا بالتعاون الوثيق أكثر فأكثر بين الأهالي و الفرنسيين. يجب أن ندفع الأفارقة إلى التحدث بلغتنا و تبني بعض مناهجنا و أفكارنا و الذوبان فينا شيئا فشيئا "[181]

جاء في خطاب بيجو في 15 جانفي 1840 أنه يجب على فرنسا أن تدمر الجنسية العربية لكي تفرض السيطرة المطلقة الضرورية لإخضاع البلاد[182] و في مقابل ذلك تواصلت الجهود لتكوين نخبة متفهمة ومتعاطفة مع التصورات و الأحكام و التوجهات الفرنسية و رافضة للمقومات الأساسية للشخصية الجزائرية بأصالتها العربية الإسلامية. [183] و كذا فرض القوانين الفرنسية التي كانت تستمد شكلها و بعدها من المعطيات الثقافية و الحضارية و الإنسانية للشعب الفرنسي و لا تأخذ بعين الإعتبار ثقافة المسلمين إطلاقا [184] كما عمدت السلطات الإستعمارية في إطار مشروعها للفرنسة إلى إرسال أطفال جزائريين إلى فرنسا بغية تكوين نخبة من الجزائريين بثقافة فرنسية و صناعة أنتلجنسيا تدافع عن الرؤى الفرنسية. و قد فرضت الفرنسية في الإدارة و المحيط الاجتماعي

---

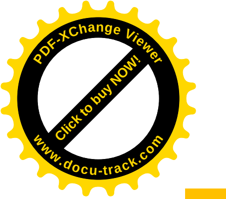
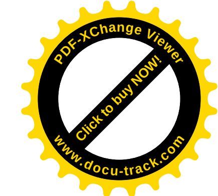
[180] مالكي (امحمد)، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 236

[181] التصريح يعود الى اوغستين برنارد الأستاذ بالمدرسة الحرة للعلوم السياسية و المنظر المتحمس للاستعمار ينظر : بسايح (بوعلام)، المرجع السابق، ص 9

[182] و هي التوجهات التي نالت نجاحا كبيرا سنة من بعد و كلف بتنفيذها عندما نصب حاكما عاما للجزائر في 29 ديسمبر من نفس السنة (1840) ينظر: اوليفييه (لوكر غراندميزون)، الإستعمار الإبادة تأملات في الحرب و الدولة الإستعمارية، ص 173

[183] سعيدوني (ناصر الدين)، المرجع السابق، ص 87

[184] بشنون (الشيخ سليمان)، المرجع السابق، ص 48




و أجهزة الإعلام و في أسماء المحلات و الشوارع و الأبواب و كل المرافق العامة و المؤسسات بإعطائها أسماء رومانية و أوربية و دينية مسيحية و تاريخية [185]

فرض الإستعمار الفرنسي على الجزائر صراعا عنيفا ضد الشخصية الجزائرية و حاول تحطيم قيمها الثقافية و الحضارية حيث لا ينكر أي إنسان مثقف بأن الوضع الثقافي لأي شعب من الشعوب يعتبر انعكاسا لواقعه السياسي و بنائه الإقتصادي و تركيبته الإجتماعية ، و قد كانت حالة الجزائر الثقافية سيئة جدا أمام محتل همه الوحيد هو الحرق و التقتيل و الإستغلال و النهب. و قد استمر الإستعمار في بداية القرن العشرين في شل الحياة الفكرية و نشر الأمية في أوساط الجزائريين و ذلك عن طريق إغلاق المدارس و محاربة التعليم باللغة العربية و كذلك الإسلام فشعار الاستعمار هو التفقير و التجهيل و نشر المسيحية

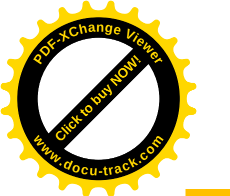
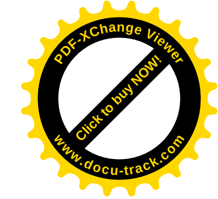
**تقييم لمشاريع المنظرين الفرنسيين**

عندما كان الغزو في أوجه كانت الأيديلوجية الإستعمارية المنتصرة و حسب اتجاهاتها المتفتحة أو المتطرفة تفترض الزوال المادي و المعنوي للمجتمع الجزائري. من المفروض أن يعرف هذا المجتمع حالة ضعف مقارنة بديناميكية الحضارة و التعمير الأوربيين، و ذلك بسبب صدمة الإستعمار و الحروب و الأوبئة و القمع و نزع الملكية... و رغم سياسة الإعدام التدريجي للمجتمع الجزائري التي مارسها الإستعمار الفرنسي إلا أن هذا المجتمع بقى صامدا صمودا غير طبيعي. لقد حقق معجزة بقاءه في ظل سياسة استدمارية لم يشهد لها مثيل في تاريخ الإنسانية . و قد لا يعد مخالفا للصواب إذا قلنا أن هذه القوة في البقاء تكمن في نظام القيم و الإيمان الذين يرجع إليهما المجتمع

---

[185] بن نعمان (احمد)، المرجع السابق، ص 119 ينظر كذلك الى:

سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج1، المرجع السابق، ص 70



الجزائري،[186] و بصفة عامة لم يفقد الجزائريون الأمل في التحرر من المستوطن الأجنبي حتى خلال أصعب الأوقات في التاريخ مكنهم ذلك الأمل القليل و المعقول من تجاوز الصعاب و عدم الإستسلام. لقد بقي صامدا على الأقل حتى تأسست جمعية العلماء التي تكفلت بنهضته الثقافية.

من خلال كل هذا يمكننا التأكد من أن السياسة الإستعمارية هي سياسة تدميرية للمجتمع الجزائري ماديا و معنويا، خاصة الهوية الجزائرية ممثلة في الدين و اللغة لأنهما أبرز مقومات الشخصية الجزائرية و يمكن أن نلخص أهم الخطوات التي اتبعتها الإدارة الإستعمارية لذلك في العناصر التالية :

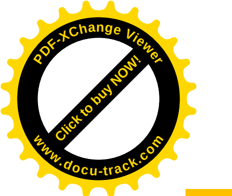
1 إنكار عروبة الجزائر بالإدعاء بانتماء الجزائريين عرقيا إلى بلاد الغال بجنوب فرنسا و ليس من شبه الجزيرة العربية كما هو رأي معظم المؤرخين الثقا ة، و ذلك حتى يقبل الجزائريون فكرة الإدماج مع فرنسا باعتبار وحدة الجنس هي القاسم المشترك بين الجزائريين و الفرنسيين.

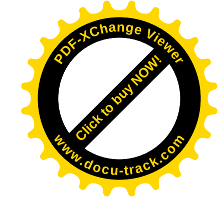
2 تجاهل علماء الآثار و التاريخ الفرنسيين لتاريخ الجزائر العربي الإسلامي و تركيزهم على دراسة تاريخ الجزائر في العهدين الروماني و الفرنسي إبان الاحتلال الفرنسي و ذلك حتى يفهم المثقفون بالفرنسية أن بلادهم فرنسية في حاضرها رومانية في ماضيها.

3 اعتبار الفتح العربي الذي نشر الإسلام بالجزائر و دام ثلاثة عشر قرنا احتلالا عربيا للجزائر و أن فرنسا هي التي حررت الجزائر من هذا الإستعمار في العصر الحديث.

4 حرمان الجزائريين من دراسة تاريخهم من خلال إعطاء التاريخ الجزائري للطلبة في صورة مشوشة تفتقر إلى التسلسل التاريخي في حين أن تاريخ فرنسا يدرس إلى الطلبة في جميع

[186] كان أحد أساتذة الإستعمار الذين رافقوا الحملة الفرنسية على الجزائر يسمع أحد العامة بصف ما يحدث للجزائر بأنه قدر محتوم، فوصف مستهزءا المجتمع الجزائري بأنه انهزامي و قدري، و لم يكن يعلم أن ذلك الرجل من العامة نفسه كان يقول أيضا أنه سيأتي يوم و يخرج الإستعمار الفرنسي من أرض الجزائر ... لم تغب هذه الفكرة يوما عن أذهان الجزائريين، فقد كانوا يدركون أن الإستعمار الفرنسي بلاء و سينتهي عاجلا أم أجلا . هذه الفكرة لم تكن نابعة عن منطق و لا دراسة و لا قانون ... إنه يقين ايماني بثه روح التحرر في الإسلام .








العصور حتى ينشأ أبناء الجزائر على جهل تام بتاريخ بلادهم كما أن معاهد التعليم العربي الحر قد ضغط عليها من قبل الإستعمار لمنعها من دراسة و تدريس تاريخ الجزائر

5 - منع تدريس جغرافية الجزائر و تعويضها بجغرافية فرنسا

6 - التدمير المعنوي و المادي للجزائري بتجهيله و زيادة بأسه. و يأكد غراندميزون هنا أنه :"بعد انقضاء 105 سنوات على احتلال الجزائر لا زال الفلاح الجزائري جاهلا برغم الحضارة الفرنسية و لا زال بؤسه م أساويا لحد الآن، و لا زال أهل الريف يعيشون حالة من الضعف البدني الصارخ و لا زال الجهل سيد الموقف فمن بين 950000 طفل في سن ارتباد المدرسة يتمدرس منهم فقط 65000 و بقي قرابة 900000 طفل محكوم عليهم بأن يبقوا أميين [187] و هو وضع عام شمل مختلف الجوانب الإجتماعية التي عانى فيها الأهالي الفقر و التسول و البؤس[188] حتى أن بعض الجزائريين وجدوا أنفسهم ملزمين و مجبرين للإستعانة بالقرض الربوي الفرنسي[189] الذي يحرمه الشرع الإسلامي

7 - الإستطان.

8 - العمل على عرقلة التطور التاريخي للجزائر من خلال دمج النخبة المفرنسة و تأخير و تجهيل و تفقير بقية الجماهير.[190]

[187] اوليفييه (لوكر غراندميزون)، في نظام الأهالي، المرجع السابق، ص 242

[188] **Raymond** (ronz) , op- cit , pp 22 - 23

[189] L'Echo de la presse musulmane. . 1935/11/08. P 3

[190] مازوني (عبد الله)، الثقافة و التعليم في الجزائر و في المغرب، منشورات maspero ، باريس، 1969 ص 176





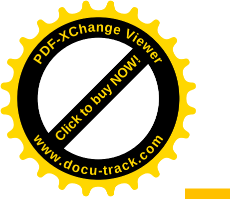

## ثانيا: تجمع رجال الإصلاح في مشروع جمعية العلماء المسلمين

### -خطة تأسيس الجمعية في ظل القوانين الفرنسية

تميزت السنوات الأولى من القرن العشرين ببروز بوادر نهضة تحمل في طياتها العديد من المزايا للجزائريين بفضل بعض المثقفين و العلماء الذين برزوا على الساحة الجزائرية. لكن سرعان ما واجهتهم ظروف خاصة جعلتهم يغادرون الجزائر، فعشية الحرب العالمية الأولى غادر الجزائر جماعة من العلماء الشبان متوجهين إلى تونس و المغرب و الشرق الأدنى. و في فترة العشرينات و بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تميز الوضع العام في الجزائر – و بناء على رأي الإبراهيمي- بوجود نوعين من المتعلمين في الجزائر: الأول هو العلماء كابن باديس و ابن الموهوب و ابن سماية و المجاوي... أي ألئك المثقفون الذين كانوا واعين سياسيا و لأغلبهم اتجاه إصلاحي، و الثاني قليلوا الثقافة الذين لهم اتجاه ديني و الذين تخرجوا من الزوايا المحلية و غيرها من المراكز الدينية،[191] أما الصنف الأول و الذين يتزعمهم ابن باديس فقد أسهموا مساهمة جبارة في دفع التعليم العربي في الجزائر، و من ذلك أن بن باديس بدأ عمله بعد أن رجع من تونس مباشرة بصياغة برنامج للتعليم و الإصلاح في جامع سيدي الأخضر للكبار مساء و في جامع سيدي قموش للصغار نهارا [192]، و كان هدفه الآني هو تعليم اللغة العربية و القرآن للجزائريين و مكافحة الخرافات و الأمراض التي فتكت بالمجتمع الجزائري. و

[191] سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج4، المرجع السابق، ص ص 386 - 388

[192] BELKASEM (SAADALLAH), the algerian ulamas 1919 – 1931, **Revue d'histoire maghribine** , N 2 , tunis , juillet , 1974 , p 141







لكن هدفه البعيد المدى كان وطنيا و سياسيا[193]. كان النوع الأول من المتعلمين و على رأسهم ابن باديس[194] و الإبراهيمي ينادون بإحياء الثقافة المحلية و إعادة الاعتبار للمميزات الإقليمية بحجة تأصيل الثقافة و بعث التراث لمواجهة التعتيم الذي تمارسه الإدارة الفرنسية و ما يحمله من مخططات مضادة للتوجهات الوطنية الجزائرية و التي نسجت خيوطها فيما وراء البحر و أصبحت الآن تنسج شبكتها بالجزائر بفعل نشاط ممثليها و تواطئ المتعاملين معهم[195]

لقد خاض المصلحون في إطار القوانين الفرنسية الصارمة جدا و القمعية حربا ضروسا ضد البدع و الخرافات و الجهل مستعينين في ذلك بوسائلهم الخاصة[196] متمثلة في الصحافة بصفة خاصة التي

---

[193] سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج4، المرجع السابق، ص 391

[194] ولد عبد الحميد بن باديس في 05ديسمبر 1889 بقسنطينة، تلقى تعليمه الأول بمدينة قسنطينة على يد الشيخ حمدان.انتقل بن باديس سنة 1908 ثم إلى تونس لمواصلة تعليمه بجامع الزيتونة ، و به تتلمذ على يد الشيخ الطاهربن عاشور ، و تحصّل بعد 04 سنوات على إجازة الزيتونة . و من تونس رحلإلى الحجاز لأداء فريضة الحج و استقر بالمدينة المنورة أين التقىمعلمه الأول حمدان لونيسي و هناك واصل تلقي العلم حتى حاز درجة العالم . بعد استقراره بقسنطينة بدأ الشيخ بن باديس مهمته الإصلاحية.و قد اختصر مشروعه الإصلاحي في " : الإسلام ديننا ، و العربية لغتنا و الجزائر وطننا . ".وقد وقف في وجه دعاة الاندماج وقاومهم ، و عمل مع أقرانه من أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي، العربي التبسّي والطيب العقبي على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريينفي 05 ماي 1931 وانتخب رئيسا لها إلى غاية وفاته في 16 أفريل 1940 . من أهم أقواله الشعرية:

شَعْبُ الجزائرِمُسْلِمٌ \\\ وَ إلىَ العُروبةِ يَنتَسِبْ

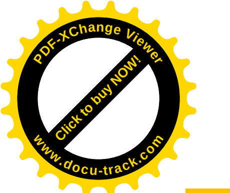
مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أصْلِهِ \\\ أوْ قَالَمَاتَ فَقَدْ كَذبْ

أَوْرَامَ إدمَاجًا لَهُ \\\ رَامَ المُحَال من الطَّلَبْ

[195] سعيدوني (ناصر الدين)، المرجع السابق، ص 69

[196] هناك العديد من الوثائق و الطرق التي اعتمدتها الحركة الإصلاحية لتمرير أفكارها نذكر منها: العرائض، الدوريات، الجرائد، الكتب. و هناك مصادر و مراجع أخرى يمكن الرجوع إليها للبحث في الحركة الإصلاحية منها: مذكرات توفيق المدني و خير الدين و ابن العقون و ابن عتيق و غيرهم ينظر:

مريوش (أحمد) ، "الإصلاح الإسلامي في الجزائر، مصادره و مراجعه العربية فيما بين 1920 – 1950"، **الملتقى المغاربي الأول المصادر و المراجع العربية لتاريخ الجزائر 1830 – 1962** يومان دراسيان الجزائر 28 – 29 ديسمبر 1992 ص ص 99 - 100







تضمن تدريجية العمل الإصلاحي، و كان من أهم جرائد المصلحين " المنتقد"[197] و بعد منع "المنتقد " من الصدور أنشأ ابن باديس سنة 1925 أيضا " الشهاب " التي كانت من أكبر المجلات الجزائرية تأثيرا خلال عقدين. و قد بدأت تصدر كأسبوعية ثم شهرية و كانت تنشر للكتاب و الشعراء الجزائريين و العرب و لم تكن الشهاب الجريدة الرسمية للعلماء حتى بعد خلق جمعيتهم و لكنها كانت ميدانا لكل المؤيدين المهتمين بالإصلاح الإجتماعي في الجزائر.[198]

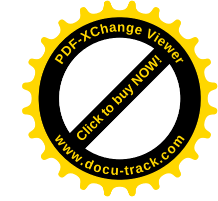
لقد تميزت الجزائر بتعدد تياراتها المؤثرة في فترة العشرينات، و رغم أن رجال الإصلاح كان بإمكانهم تأسيس " جمعية للإصلاح الديني " تخصهم وحدهم – في هذه الفترة – بدليل أن التفكير في ذلك بدأ في الحجاز سنة 1913 ثم أوائل العشرينات إلا أنهم عدلوا عن ذلك و لم يريدوا عزل زملائهم المحافظين، لذلك كان العلماء الإصلاحيون مقتنعون بأن أية منظمة ناجحة يجب أن تظم المحافظين أيضا، و لم تتحقق هذه الخطة إلا سنة 1931،[199] و لكن العلماء و رغم تشتتهم و تفرد عملهم إلا أنهم ساهموا بقسط كبير خلال العشرينات في خلق و بعث التاريخ الوطني، فبفضلهم نشر الماضي الجزائري و عرفه الطلاب و كانوا يدعون الجزائريين إلى اليقظة من سباتهم الطويل إضافة إلى إدخالهم تدريس تاريخ العرب الحديث إلى الجزائر و كانوا يعلمون طلابهم أن جميع سكان شمال إفريقيا من أصل عربي، و في هذا الصدد فان ظهور مبارك الميلي كأول مؤرخ جزائري حديث لم يكن محل استغراب بالنظر إلى الجهود الكبيرة التي بذلها رجال الإصلاح و التي تمخض عنها محاولته إعادة

---

[197] و هي جريدة عربية أسبوعية و لم يظهر من هذه الجريدة سوى ثمانية عشر عددا قبل أن تمنعها السلطات الفرنسية من الصدور . و كان من المساهمين الفاعلين فيها المؤرخ مبارك الميلي الذي نشر فيها مقالا بعنوان " العقل الجزائري في خطر" و كذا الطيب العقبي الذي نظم شعرا بعنوان " الى الدين الخالص"

[198] سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج4، المرجع السابق، ص 399

[199] نفسه، ص 388


كتابة التاريخ الجزائري على أساس وطني [200] من خلال كتابه " تاريخ الجزائر في القديم و الحديث "[201]

استفادت الساحة الجزائرية من مرحلة الإعداد الثقافي و الروحي التي أعدها المصلحون و خاصة منهم تلك الموجة من الشبان الجزائريين الذين هاجروا صوب تونس و المغرب و الشرق الأدنى بهدف دراسة علوم اللغة العربية و الدين الإسلامي بعد أن عمل الإستعمار على محاربة مقومات الشخصية الجزائرية ممثلة في الدين و اللغة و التاريخ و الثقافة العربية، [202] هذه الموجة التي هاجرت كانت تدرك أن التعليم هو الحجرة الأساسية و الدعامة الحيوية لهيكل كل أمة من الأمم، ذلك أنا نرى أن الحركات الإصلاحية و الإجتماعية و السياسية في كل قطر من الأقطار إنما يكون لها ضمان البقاء و الإزدهار إذا كان الشعب الذي تدور فيه تلك الحركات على نصيب وافر من الثقافة و المعارف، و هو أمر كان يجب على قادة الأمة الجزائرية أن يعوه و أن يبنوا حركاتهم على أساس متين يضمن لهم النجاح في مأموريتهم و يبعث فيهم الإرتياح و الإطمئنان لما أوجدته أياديهم البيضاء ألا و هو تعليم الشبيبة الناشئة، لأن الشباب هم رجال المستقبل و هم حاملوا لواء مجد أمتهم ، و لهذا وجب عليهم زيادة الدعوة الإصلاحية الإجتماعية و أن يعتنوا بالتعليم عناية كبرى [203]. لقد تميزت رؤية الإصلاحيين بالصرامة في التحليل و اليقضة التي جعلتهم يدركون الإنتماء المزدوج الأمازيغي العربي للمجتمع الجزائري و قد صرح الإبراهيمي أنه خلص و ابن باديس من دراسة عميقة للمجتمع الجزائري إلى نتيجة مفا دها أن المشكل الأساسي و البلوى التي بلو بها هي الثقافة التي هجرت من

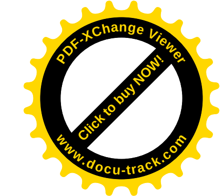
---

[200] سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج4، المرجع السابق، ص 401

[201] ظهر الجزء الأول من كتابه " تاريخ الجزائر في القديم و الحديث " سنة 1928 و ظهر الجزء الثاني في سنة 1932 و أنهى الميلي كتابه بالقرن السادس عشر و رغم أنه عاش إلى سنة 1943 إلا أنه لم يصل بكتابه إلى القرن الحاضر ، غير أن ابنه محمد الميلي قد أكمله بعد استقلال الجزائر بإصداره الجزء الثالث مبنيا على ما وجده من مخطط و أوراق والده

[202] بلاسي (نبيل أحمد) ، المرجع السابق، ص 49

[203] الشهاب، ج 1، مج 13 ، 14 مارس 1937 ، ص ص 30 - 31





مركزها الطبيعي إلى زوايا واقعة في جبال وعرة وصحار محرقة، فالقضية هنا قضية تربية و تعليم،[204] و هذا ما جعلهم يصرون على الإتحاد ليجعلوا لجهودهم معنى و نتيجة و هو أمر سعوا إليه منذ سنين طويلة.

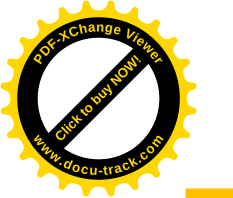
كانت حركة ابن باديس ( التعليم – الصحافة – النوادي – التوعية بالزيارات و الدروس )[205] في حاجة إلى عقد العشرينات لتنتشر و تتجذر و يعرفها الناس، فالشيخ الابراهيمي لم يدخل بعد ميدان الإصلاح العملي و نشاط الشيخ العقبي كان إلى سنة 1929 ما يزال محصورا في نواحي بسكرة و لم يكن نادي الترقي بالعاصمة قد تكون إلا سنة 1927 و لم تظهر كتلة النواب الموالية للإدارة إلا سنة 1927 . يضاف إلى هذا أن الظهور المقتضب لنجم الشمال الافريقي سنة 1926 و صدور قرار بحله سنة 1929 و صورة نفي الأمير خالد ( 1923) كانت ما تزال ماثلة أمام أعين الجماعة الإصلاحية. لقد كانت هذه الجماعة تحس بالفراغ السياسي الرهيب في الجزائر و بطش الإدارة الإستعمارية المتسلحة بقانون الأهالي. و لهذا فتكوين تنظيم يملأ ذلك الفراغ في ظل تلك الظروف كان يحتاج إلى تبصر و حنكة و قراءة متأنية للعواقب. و لنتصور أن جمعية العلماء وضعت في قانونها الأساسي الذي قدمته للإدارة الاستعمارية مادة تنص على أنها تشتغل بالسياسة أو تدعو بالاستقلال أو نحو ذلك فهل كانت إدارة ( ميرانت ) مسؤول الشؤون الأهلية آنذاك ستوافق على طلبها ؟. إننا في ضوء ما حدث لحركة الأمير خالد و ما صدر ضد النجم و ما حدث للشيوعيين نعتقد أن طلب الجمعية كان سيرفض لا محالة، و لنفرض أن الجمعية لم تنص على العمل السياسي و لكنها سلكت طريق الدعوة الصريحة للإستقلال الوطني و وضعت لذلك برنامجا سياسيا فهل كانت

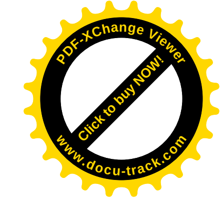
---

[204] **Boualem** (bessaih), Les grandes figures de la résistance algerienne, par l'epée et la plume 1830 – 1954 casbah edition alger 2009 p 202

[205] كانت للصحافة، المدارس و النوادي الثقافية دور كبير في نشر الفكر الإصلاحي و توغله داخل المجتمع الجزائري و لهذا نجد أن الجمعية استثمرت بجد في هذا المجال لأنه السبيل الوحيد لنجاح فكرتها و هدفها . ينظر :

BELKASEM (SAADALLAH), op-cit , p p, 139 – 140








الإدارة الإستعمارية ستقف منها موقف المتفرج ؟ لا نظن ذلك. إن أبسط ما كانت الإدارة ستفعله عندئذ هو حل الجمعية و الزج بعناصرها البارزين في السجن و القضاء على مدارسها و صحفها على الأقل، هكذا كان موقف الإدارة الإستعمارية من التجمعات الأخرى خلال العشرينات. و بذلك تتحول جمعية العلماء إلى حزب سياسي يعمل في الخفاء.[206]

## تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين [207]

إن ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين [208] في ظرف حساس بعد فترة طويلة من النقاش الحاد من خلال جريدة "الشهاب" [209] جاء ليعيد للشعب الجزائري القيم الدينية التي ما انفكت

---

[206] سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج4، المرجع السابق، ص 144

[207] نتفق مع الدكتور عمار بوحوش في تعريفة للجمعية و ذلك في قوله : هي حركة سياسية ذات قاعدة شعبية لا مثيل لها في تاريخ الجزائر فهي حركة سياسية ذات رسالة ثقافية و علمية اجتماعية تهدف إلى حماية التراث الوطني من الذوبان في الحضارة الأوربية و بعث الروح الوطنية في النفوس عن طريق تعليم الشباب و خلق الوعي الإجتماعي و محاربة رجال الدين المزيفين الذين حاولت فرنسا أن تستعملهم في تثبيط عزائم الجزائريين و نشر إسلام مزيف يخدم مصلحة الإدارة الإستعمارية و يساعد على تنفير الجزائريين من دينهم الإسلامي الحنيف ينظر :

بوحوش (عمار)، المرجع السابق، ص 244

و يعرفها رجال الإصلاح أنفسهم بأنها : جمعية ارشادية تهذيبية مؤسسة حسب نظام و قواعد القانون الفرنسي قصدها محاربة الآفات الإجتماعية كالخمر و الميسر و البطالة و الجهل و كل ما يحرمه صريح الشرع ينظر :

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وثائق الحركة الوطنية، نصوص أساسية و وثائق ( 1931 – 1944 )، مطبوعات مديرية الوثائق لولاية قسنطينة، ط2 ، 1982 ، ص 4

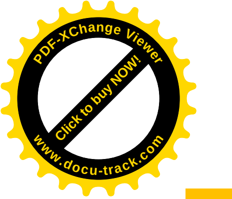
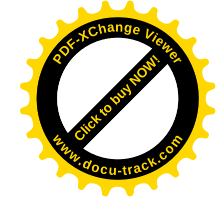
[208] للاطلاع أكثر حول موضوع تأسيس الجمعية عد إلى المصادر التالية :

الإبراهيمي، مجلة الشهاب، ج 5، مج 7، عدد ماي 1931، ص 341 أو

ابن باديس، مجلة الشهاب، ج 6، مج 7، عدد جوان 1931 ، ص ص 351 - 356 أو

المدني (توفيق)، حياة كفاح، ج 2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1977، ص 172 و ما بعدها

[209] **Claude** (collot), **jean-robert** (henry), le mouvement national algerien textes 1912 – 1954 , o p u , alger 1977, p 44




تتلاشى منذ الغزو الفرنسي على الجزائر.[210] ففي فيفري 1931 قرر برجوازي من العاصمة يدعى عمر إسماعيل أن يشكل الحزب الديني المأمول منذ مدة طويلة، لقد خصص عمر إسماعيل جائزة قدرها ألف فرنك لكل مثقف يتوصل إلى وضع أسس جمعية اسمها جمعية العلماء[211]، و قد وعد أيضا بدفع ألف فرنك أخرى إلى صندوق هذه الجمعية بمجرد الإعلان عن إنشائها و إصدار قوانينها.[212]

و توجت الجهود بأن انعقدت الجمعية التأسيسية لجمعية العلماء المسلمين على الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء 17 ذي الحجة 1349 الموافق لـ 5 ماي 1931 بنادي الترقي[213] و انعقدت الجمعية التأسيسية بحضور 72 من علماء القطر الجزائري و طلبة العلم و أسسوا "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"،[214] كان الاجتماع لوضع القانون الأساسي[215] و عين للرئاسة المؤقتة أبي يعلى الزواوي و للكتابة محمد الأمين العمودي[216]

---

[210] -**Vatin** (Jean Claude), L'Algérie politique, histoire et société; éditions El Maarifa, Alger, 2010, p 187.

[211]**Claude** (collot), **jean-robert** (henry),op-cit p 44

[212] مراد (علي)، المرجع السابق، ص 154

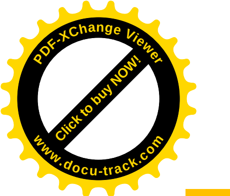
[213] يعد نادي الترقي النواة الأولى لجمعية العلماء المسلمين و قد كان في بادئ الأمر مقر لجماعة من المفكرين الجزائريين، يعقدون فيه الندوات الفكرية و الحفلات الكبرى، في هذا النادي تم استخلاص مبادئ مقاومة أفكار الإدماج و الجنسية الفرنسية و الدعوة إلى الإسلام و العروبة. أنظر:

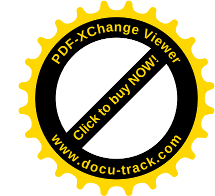
خير الدين (محمد)، مذكرات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، دون طبعة، 2000، ص 106.

[214] الإبراهيمي (محمد البشير)، المصدر السابق، ج 1، ص 71

[215] كان للإمامين ابن باديس و الإبراهيمي الدور الحاسم في بلورة الفكرة و رسم معالمها و تحديد أهدافها و تدوين قانونها الأساسي و كل ذلك من وراء الستار حتى لا يثير حفيظة الطرقيين أعوان الإستعمار فيجهض المشروع من أساسه ينظر: الدراجي (محمد)، مواقف الإمام الإبراهيمي، عبد الحميد بن باديس، عالم الأفكار، ط 1 ، الجزائر ، 2007 ، ص 11

[216] الإبراهيمي (محمد البشير)، المصدر السابق، ج 1، ص 71







و في مساء ذلك اليوم أعيد الاجتماع العمومي لانتخاب الهيئة الإدارية و تم اقتراح كل من : عبد الحميد ابن باديس، محمد البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، محمد الأمين العمودي، مبارك الميلي، إبراهيم بيوض، المولود الحافظي، مولاي بن شريف، الطيب المهاجي، السعيد اليجري، حسن الطرابلسي، عبد القادر القاسمي، محمد الفضيل اليراتني، و أُعْلِمَ هؤلاء أن مهمتهم هي إيجاد رئيس لهم.[217]

و بعد أن تم الإتفاق على تأسيس الجمعية و تحديد أعضائها و انتخاب مكتبها تدارس الأعضاء القانون الأساسي للجمعية الذي يحدد قوانين العمل و يضبط المهام المنوطة بالجمعية قبل أن يقدم للإدارة للتصديق عليه . و من بين المواد التي تجب الإشارة إليها تلك التي أوضحت رسالة الجمعية و خطتها[218]:

1- لا يسوغ للجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض أو تتدخل في المسائل السياسية

2- القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر و الميسر و البطالة و كل ما يحرمه صريح الشرع وينكره العقل وتحرمه القوانين الجاري العمل بها.

3- للجمعية أن تأسس شعبا [219] (فروعا) في القطر و أن تفتح نوادي و مكاتب حرة للتعليم الابتدائي

---

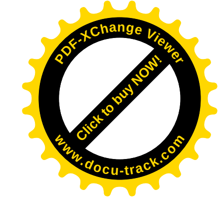
[217] الشهاب، ج 5، مج 7، ماي 1931

[218] للإطلاع أكثر ينظر إلى الملحق رقم: 01 أو ينظر:

**Claude** (collot), **jean-robert** (henry),op-cit p 44 - 47

[219] ضمت جمعية العلماء عند تأسيسها مجموعة من الفروع عبر كل الجزائر و هي : شعبة الأصنام، الأغواط، البرواقية، بجاية، البليدة، بوفاريك، تيزي وزو، دلس، سطيف، سيق، سدراتة، تموشنت، شلالة، القل، الغزوات، عين مليلة، غليزان، قصر البوخاري، المدية، وهران، تلمسان، خنشلة، عنابة، البويرة، مغنية. ينظر :

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المصدر السابق، ص 7




**تحليل خطة تأسيس الجمعية**

توجت جمعية العلماء جهودا طويلة بذلها رجال الإصلاح، لقد كان هذا المشروع ثمرة نقاش دام خمس سنوات ونصف يمتد من نوفمبر 1925 إلى ماي 1931 تحت إشراف ابن باديس و في إطار مجلة الشهاب،[220] و هذا ما يفسر لنا لماذا أصبح جل أعضاء هذا الفريق على رأس جمعية العلماء،[221] و منهم بن باديس – الإبراهيمي – العقبي – الميلي... غير أن هذه الجمعية لم تكن لتعتمد من قبل السلطات الفرنسية لو لم يكن المناخ العام في الجزائر موسوما بالإنفراج، ذلك أن سنة 1930 كانت بالنسبة للفرنسيين سنة المئوية الباعثة على النشوة، في سنة 1931 كانت الأضواء الإصطناعية لم تنطفئ بعد، كان الفرنسيون لا يزالون تحت وقع الإحتفالات الباذخة التي أقيمت بمناسبة مرور قرن من التاريخ الإستعماري الفرنسي و كان يحذوهم التفائل حيال الأهالي و نوع من الأبوية أو ما يشبه الرفق، و قد ترتب عن ذلك تليين للسياسة الأهلية للإدارة الجزائرية.[222] في مثل هذه الظروف لم يواجه إنشاء جمعية العلماء اعتراضات شديدة من سلطات الإدارة الاستعمارية، و لا شك أنه يجب أن نفسر بدقة أكبر هذا الرفق الإداري الذي استفاد منه مؤسسوا جمعية العلماء خاصة بالدعم الذي لقيه ابن باديس من طرف إدارة جون ديبارمي g. desparmet التي لم تعترض على إنشاء جمعية العلماء في 1931[223] إضافة إلى وجود جون ميرانت على رأس الشؤون الأهلية في الحكومة العامة، هذا الشخص الهام الذي كان يعد ماسونيا franc-maçon كان

---

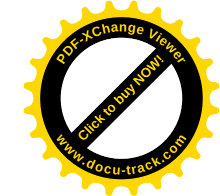
[220]**Claude** (collot), **jean-robert** (henry),op-cit p 44

[221]استطاع فريق الإصلاحيين الإستأثار بمناصب القيادة في اللجنة المديرة لجمعية العلماء بيد أن شيوخ الزوايا اكتفوا بمناصب المساعدين الثانوية رغم أنهم كانوا يمثلون ستة زوايا كبير منتشرة عبر التراب الجزائري ينظر :

اجيرون (شارل روبير)، المرجع السابق، ص 534

[222] مراد (علي)، المرجع السابق، ص 155

[223] اجيرون (شارل روبير)، المرجع السابق، ص 555

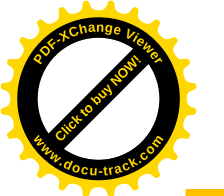
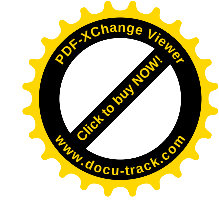


قد ظهر في السابق معاديا للنظام المرابطي ،و يكون من الممكن أن يكون نتيجة لذلك قد أراد أو شجع أو على الأقل لم يثبط المشروع الإصلاحي منذ البداية بأن أمهل نفسه التدخل وفق التطورات الآتية للجمعية و الآثار التي قد تحدثها في نفوس الجماهير. يضاف إلى ذلك أن مؤسسي الجمعية قد أبدوا مهارة لا تنكر بسعيهم إلى جلب الإدارة لصالحهم قبل التماس الرخص الضرورية. و كانوا قد أغلقوا الطريق عن المعترضين منذ شهر مارس 1931 من خلال الشهاب حينما أعلنوا بأن الجمعية المأمولة هي جمعية دينية صرفة تنأى بنفسها عن الولوج في الشؤون ذات الطابع السياسي[224]

كانت طريقة عقد و تأسيس جمعية العلماء بالنظر إلى صرامة القوانين الفرنسية الصارمة تعتبر قمة الدهاء خاصة في ظل الحساسية التي تميز بعض الأقطاب المؤسسين للجمعية و كان أبرزهم بن باديس الذي لم يحضر الإجتماع التأسيسي للجمعية من الأول، و كان وراء ذلك هدف يوضحه الشيخ خير الدين [225] أحد المؤسسين الذين حضروا الجلسات العامة و الخاصة لتأسيس الجمعية يقول:كنت أنا و الشيخ مبارك الميلي في مكتب بن باديس في قسنطينة يوم دعى الشيخ أحد المصلحين (محمد عبابسة الأخضري) فطلب إليه أن يقوم بالدعوة إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العاصمة و كلفه أن يختار ثلاثة من جماعة نادي الترقي الذين لا يثير ذكر أسماءهم شكوك الحكومة أو مخاوف أصحاب الزوايا، و تتولى هذه الجماعة توجيه الدعوة إلى العلماء لتأسيس الجمعية في نادي الترقي بالعاصمة حتى يتم الإجماع في هدوء و سلام و تتحقق الغاية المرجوة من نجاح التأسيس، و يقول الشيخ خير الدين : و أسر إلينا بن باديس أنه سوف لن يلبي دعوة الاجتماع و لا يحضر يومه الأول حتى يقرر المجتمعون استدعائه مرة ثانية بصفة رسمية لحضور الإجتماع العام فيكون بذلك مدعوا لا داعيا، و بذلك يتجنب ما سيكون من ردود فعل السلطة الفرنسية و أصحاب الزوايا و من يتحرجون من كل عمل يقوم به بن باديس، و هكذا تأسست

[224] مراد (علي)، المرجع السابق، ص 155

[225] خير الدين (محمد)، المصدر السابق، ج1 ، ص105- 106


الجمعية و تشكل مجلسها الإداري المنبثق عن الإجتماع العام . و قد حرص أعوان الحكومة و من معهم أن تكون للوجوه التي يرضون عنها مكانة في هذا المجلس حتى يستطيعوا توجيهه كما يشاؤون ، لكن عملية انتخاب الأعضاء خيبة آمالهم، فقد فاز العلماء المصلحون الموالون لابن باديس بأهم المناصب فيه برئاسة هذا الأخير، و هذه النتيجة لم ترض أعوان الإدارة الإستعمارية و لا أتباع الطريقة العليوية بالخصوص، [226] و كان أن انتخبت الهيئة الإدارية ابن باديس غيابيا للرئاسة و الإبراهيمي نائبا له و للكتابة العامة الأمين العمودي. [227] و هكذا بدأ العمل الإصلاحي الجماعي ضمن إطار ثابت و تنظيم متقن. تنظيم يتخذ من المسجد [228] و المدرسة و الصحيفة و النادي أدوات لحركته. و قد استقبل المواطنون عامة والمثقفون خاصة هذا الحدث بكامل الإرتياح و أصبح الشعار الذي أطلقه بن باديس على الحركة الإصلاحية "الإسلام ديننا ، العربية لغتنا و الجزائر وطننا" على كل لسان، و هكذا تبدأ المرحلة الإصلاحية الحاسمة التي أصبحت تزعج الإدارة الإستعمارية.[229]

كان الدستور الذي أعده رجال الإصلاح واضحا غير مشوب و لا توجد فيه أي ثغرة يمكن أن تستغلها الإدارة الاستعمارية فقد نصت المادة الأولى من دستور العلماء على أن الجمعية لن تتدخل في الشؤون السياسية بأي حال و تصف نفس المادة الجمعية بأنها منظمة إرشادية و أخلاقية، و تحدد المادة الثانية أهداف هذه المنظمة بأنها تحارب الأمراض الإجتماعية مثل الخمر و القمار و البطالة و الجهل و كل شيئ يمنعه الشرع الإسلامي و يحرمه العقل الإنساني و تشجعه الممارسة العامة، و يضيف الدستور أن الجمعية ستحقق هذا البرنامج بكل الوسائل التي تراها مناسبة و مفيدة و التي هي غير محرمة في القانون. و لتنفيذ هذا الدستور و تسهيل الإشراف على تطبيقه و متابعة

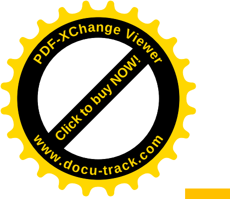
---

[226] فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، المرجع السابق، ص 53

[227] بوصفصاف (عبد الكريم) ، المرجع السابق، ص 102

[228] اختار ابن باديس المسجد حتى يبث رسالته الإصلاحية ريثما تتوفر الأسباب و الوسائل لتشييد مدارس حرة ينظر: بسايح (بوعلام)، المرجع السابق، ص 16

[229] فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، المرجع السابق، ص 53







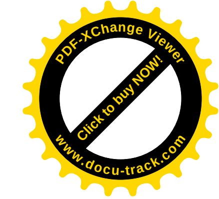
عمل الجمعية خاصة العمل التربوي الذي يقدم في المدارس الحرة التي بدأت تنتشر في أرجاء الجزائر، كلف الإمام عبد الحميد ابن باديس باقتراح من الجمعية الشيخ الطيب العقبي بأن يتولى الإشراف على العمل الذي يجري في العاصمة و ما جاورها و كلف الشيخ البشير الإبراهيمي بأن يتولى الإشراف على العمل الذي يجري بالجهة الغربية من البلاد انطلاقا من تلمسان،و أبقى قسنطينة و ما جاورها تحت إشرافه شخصيا ، و هكذا تقاسم الثلاثة العمل على القطر كله ، يضاف إلى ذلك و تنفيذا لما تظمنه القانون الأساسي للجمعية تم إحداث فروع لها (شعب) في جهات مختلفة من القطر ففي السنة الأولى تم تأسيس 22 شعبة وفي سنة 1936 كان عدد الشعب 33 شعبة أما في سنة 1938 فقد تطور الى 58 شعبة واستمر هذا الجهد التعليمي و الإصلاحي رغم العراقيل و الإضطهادات التي كان العلماء و المعلمون عرضة لها، و لكن الملاحظة التي يجب تسجيلها هنا هي أن الشعب أقبل على التعليم الحر بكيفية خارقة للعادة لذلك انتشرت المدارس في جميع مدن الجزائر و قراها . و بعد مضي ست سنوات من عمر الجمعية بادر الإمام عبد الحميد بن باديس بوضع إطار حر وشامل للجمعية وهو أشبه بميثاق أو دستور وضعه لتسير على هديه الجمعية في نشاطها الإصلاحي و التعليمي فحدد من خلال هذا الإطار ما أسماه بدعوة جمعية العلماء و أصولها [230] ونشره في مجلة الشهاب في جوان 1937 ثم طبع على حدة في كراسة خاصة ووزع على العموم [231]

كانت العلاقة مشوبة بالحذر منذ أن منحت الإدارة الفرنسية رخصة الموافقة على تأسيس جمعية العلماء و اتخذت تجاه الجمعية موقفا معتدلا اعتبارا لمضمون قانونها الأساسي عند إنشائها. و لما وافقت الإدارة الاستعمارية على تأسيس جمعية العلماء المسلمين بالشكل الذي ظهرت به عام 1931 لم تحاول التعرض لنشاطها في البداية و كان أمل سلطات الإحتلال أن يسيطر أصحاب الزوايا و الموالين لفرنسا على الجمعية و تحويلها إلى جمعية دينية تستقطب شعور مسلمي الجزائر و

---

[230] ينظر إلى الملحق رقم : 14

[231] الشهاب، العدد4، مج 13، جوان 1937



بواسطة الموالين لها يمكن وضع الجمعية تحت هيمنة الإدارة الفرنسية. [232] و لكن الجمعية لم تشأ أن تفصح عن نواياها إلا تدريجيا لأنها كفكرة ثم كمولد ما زالت تحتاج إلى الكثير من المعاونة و من ثم فقد نهجت سياسة التفاهم مع السلطة و مهادنة الطرقية. أما بالنسبة للتفاهم مع السلطة فإن الشيخ ابن باديس قد عقد سلسلة من الاجتماعات مع : ميرانت مدير الشؤون الاهلية بالولاية العامة و ميشيل الكاتب العام للشؤون الأهلية بالعاصمة الجزائر و دور سييل عامل عمالة قسنطينة و غيرهم من المسؤولين بمدن الجزائر الأخرى، و قد نالت الجمعية من هؤلاء الإستحسان و التشجيع لمبادئها الإصلاحية في محاربة الآفات الإجتماعية و بعدها عن التدخل بالسياسة و ما أن انقضى العام الأول في التنظيم و التنسيق حتى وثب فريق المصلحين إلى المراكز القيادية في الجمعية مما أدى إلى مهاجمة ابن عليوة زعيم العلويين و أنصاره لهم.[233]

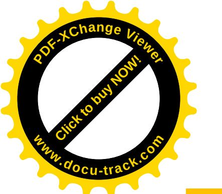
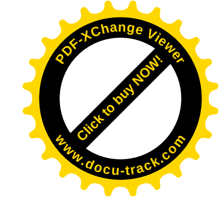
كانت السنة الثانية التي تلت عقد المجلس التأسيسي لجمعية العلماء إيذانا بتلقيها انتقادات لاذعة سواء من الإدارة الإستعمارية أو من بعض النواب و الطرق الصوفية التي فقدت مناصبها في الجمعية و كان رد ابن باديس عن هذه الإنتقادات واضحا و جريئا [234] بعض الشيء فقد جاء في رده عن الخطاب الذي ألقاه ابن غراب ما يلي :" و زعم – يقصد و يخاطب النائب ابن غراب – أن الحكومة ساعدت الجمعية أوّلا و رخّصت لها. و الحكومة ما عرفت منها الجمعية مساعدة خاصة لا أوّلا و لا أخيرا، و أيّ مساعدة شاهدناها من الحكومة و قد أقرت قرار بريفي الجزائر الذي يمنع رجال الجمعية من وعظ العامّة و إرشادهم في المساجد , و أيّ مساعدة و الحكومة قد أغلقت

---

[232] القورصو (محمد)، تأسيس و نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عمالة وهران 1931 – 1935 رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ، جامعة وهران، 1977 غير منشورة، ص 215

[233] بلاسي (نبيل أحمد) ، المرجع السابق، ص 61

[234] يعتبر هذا الرد غريبا بعض الشيء عن سياسة رجال الإصلاح الذين قرروا مهادنة الإدارة الاستعمارية

PDF-XChange Viewer
Click to buy NOW!
www.docu-track.com



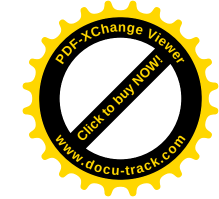
مكاتب و امتنعت من الترخيص في مكاتب أخرى لمجرّد انتماء المعلمين أو الطالبين للتعليم للجمعية، فمن الأولى مدرسة سيق و مدرسة بلعباس و مدرسة قمار و من الثانية مدرسة القنطرة . هذا هو الواقع مع الأسف الشديد , و لكن من الحق الذي يجب أن نقوله و أنه ليس كل واحد من رجال الحكومة راضيا بهذه المعاكسة التي لامبرر لها و التي هي ضدّ جمعية إصلاحية تهذيبية. و أمّا ترخيص الحكومة للجمعية فالفضل في ذلك للقانون الفرنسي الحكيم"[235]

رغم هذا الرد الجريء نوعا ما إلا أنه يمكننا الحكم على مجمل تدخلات رجال الإصلاح في تعاملاتهم مع الإدارة الاستعمارية على أنها اتخذت سياسة المهادنة و الليونة. و كان على رأس هذه السياسة ابن باديس الذي تحاشى مواجهة الإدارة الفرنسية بل سلك معها أسلوب المرونة و المسالمة في مواقفه منذ الأشهر الأولى لتأسيس جمعية العلماء اقتناعا بالواقع السياسي لا اعترافا بالوجود الفرنسي في الجزائر أو قبولا به و كثيرا ما كان يغلف أفكاره السياسية بالطابع الديني و التظاهر بمسالمة الحكومة الفرنسية و في الوقت نفسه يدعو الناس إلى التمسك بالشخصية الوطنية الجزائرية كرقعة جغرافية لها من مميزات كثيرة عن فرنسا في اللغة و الدين و التاريخ و التي عمل المحتلون على طمسها[236] باعتبارها من مقومات الأمة الجزائرية.

و قد أثارت المادة الخاصة بامتناع الجمعية عن الخوض في المسائل السياسية الكثير من النقاش سواء من الكتاب المسلمين أو غير المسلمين، و الحقيقة أن بعض الكتاب الغربيين أدركوا حقيقة الإسلام و بالتالي استطاعوا فهم أهداف الجمعية و نجد أحدهم يقول :"و بالرغم من التصريحات المختلفة التي تنفي وجود أهداف سياسية توحي بأن اهتمام المصلحين بالأهداف القومية كان ضعيفا و لكن يجب رفض هذا لا لأنها غير صحيحة بل لعدم فهم الدوافع النفسية وراء

[235] الشريعة، ع7، 28 أوت 1933، ص 1

[236] الخطيب (أحمد)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 ص 235



الإصلاح "[237] و من الثابت أن الجمعية التي أسست لأغراض دينية محضة لم تتخلى عن دورها السياسي.

و لهذا كثفت الإدارة الإستعمارية جهودها لنسف الجمعية بطريقة غير مباشرة و لم تلجأ إلى حلها نتيجة التخوف من رد فعل الشارع الجزائري، لكن لما سيطر المصلحون على الجمعية تحت قيادة ابن باديس و تصدوا للطرقيين باءت محاولات فرنسا بالفشل لأن المصلحين كانت لهم الأساليب الفكرية و القدرة على الإقناع بقوة الكلمة مدعمة بالآيات و الآحاديث النبوية الشريفة.[238]

و قد انطلق نشاط الجمعية في تنفيذ برامجها الذي كان قد ضبط محاوره الإمام بن باديس في الإجتماع الذي عقده عام 1928 مع صفوة من العلماء الذين رجعوا من المشرق و من تونس و استجاب الشعب لهذا البرنامج و بدأ يؤسس المساجد و ينشأ المدارس و النوادي بأمواله الخاصة و يستقبل العلماء وييسر لهم الإضطلاع بمهمتهم [239]

---

[237] مطبقاني (مازن صلاح)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1939، عالم الأفكار، 2011 ، ص82

[238] حمزة (محمد)، مواقف ابن باديس السياسية من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931 – 1940 ، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2000 – 2001 ص 15

[239] فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، المرجع السابق، ص 53 - 54







## قراءة في القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين[240]

على الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء 17 ذي الحجة 1349 الموافق لـ 5 ماي 1931 اجتمع 72 من علماء القطر الجزائري و طلبة العلم لتأسيس "جمعية العلماء المسلمين" [241] كان الإجتماع مخصصا لوضع القانون الأساسي [242] و عين للرئاسة المؤقتة أبي يعلى الزواوي و للكتابة محمد الأمين لعمودي. [243] و قبل أن تنفض الجلسة الصباحية على الساعة الحادية عشرة كانت الجمعية العمومية قد أقرت القانون الأساسي . و هنا يتبادر إلى الذهن عدة تساؤلات : هل كان بالإمكان وضع القانون الأساسي و مناقشته و إقراره خلال جلسة لا تزيد عن ثلاث ساعات ؟ هل كان القانون الأساسي معدا و معروفا لدى الجميع أو معظمهم مما سهل هذا الامر !!؟ . الحقيقة أن القانون الأساسي كان معدا من قبل و هذا ما أعلنه الشيخ البشير الإبراهيمي بقوله :" فأعلنا تأسيس الجمعية في شهر ماي بعد أن أحضرنا لها قانونا أساسيا مختصرا من وضعي أدرته على قواعد من العلم و الدين لا تثير شكا و لا تخيف " و لعل الإبراهيمي يقصد أن القانون الأساسي صيغ بحيث لا يثير شك الإدارة أو خوفها و لا يريب الطرقيين أيضا و ليس الإبراهيمي وحده من قام بهذا الدور الحاسم بل نجد بالإضافة إلى ذلك ابن باديس ، حيث عملا معا على بلورة الفكرة و رسم معالمها و تحديد أهدافها و تدوين قانونها الأساسي و كل ذلك من وراء الستار حتى لا يثير حفيظة الطرقيين أعوان الاستعمار فيجهض المشروع من أساسه [244]

---

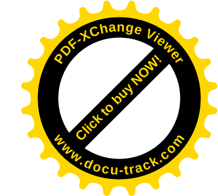
240 ينظر الملحق رقم : 1

241 الإبراهيمي (محمد البشير)، المصدر السابق، ج 1، ص 71

242 كان القانون الأساسي منبرا لترويج الجمعية لأفكارها و الذي يوضح أنها مؤسسة حسب الجمعيات الدينية المبينة بالقانون الفرنسي المؤرخ يوليو 1901 الذي يمنع هذه الجمعيات من التدخل في السياسة

243 الإبراهيمي (محمد البشير)، المصدر السابق، ج 1، ص 71

244 الدراجي (محمد)، المرجع السابق، ص 11

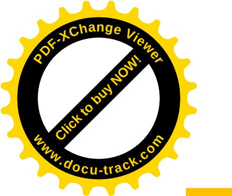
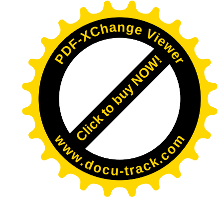






و في مساء يوم التأسيس نفسه أعيد الإجتماع العمومي لانتخاب الهيئة الإدارية و تم افتراح كل من : عبد الحميد ابن باديس ، محمد البشير الإبراهيمي ، الطيب العقبي ، محمد الأمين العمودي ، مبارك الميلي ، إبراهيم بيوض ، المولود الحافظي ، مولاي بن شريف ، الطيب المهاجي ، السعيد اليجري ، حسن الطرابلسي ، عبد القادر القاسمي ، محمد الفضيل اليراتني و أعلم هؤلاء أن مهمتهم هي إيجاد رئيس لهم فكان من نتائج الإجتماعات خروجهم باختيار المجلس الإداري الأول و هو كالتالي:[245]

| | | |
|---|---|---|
| 1 | عبد الحميد ابن باديس | رئيسا |
| 2 | محمد البشير الابراهيمي | نائبا |
| 3 | محمد الأمين لعمودي | كاتبا |
| 4 | الطيب العقبي | معاونه |
| 5 | مبارك الميلي | امين المال |
| 6 | إبراهيم بيوض | معاونه |
| 7 | المولود الحافظي | مستشار |
| 8 | مولاي بن الشريف | مستشار |
| 9 | الطيب المهاجي | مستشار |
| 10 | السعيد اليجري | مستشار |
| 11 | حسن الطرابلسي | مستشار |
| 12 | عبد القادر القاسمي | مستشار |
| 13 | محمد الفضيل اليراتني | مستشار |

[245] الشهاب، ج 5، مج 7، ماي، 1931



أما عن لجنة العمل الدائمة فكانت من سكان العاصمة كالتالي :

| | | |
|---|---|---|
| 1 | عمر إسماعيل | رئيسا |
| 2 | محمد المهدي | عضوا |
| 3 | ايت سي احمد عبد العزيز | عضوا |
| 4 | محمد الزمرلي | عضوا |
| 5 | الحاج عمر العنق | عضوا |

### تحليل[246] فصول و أقسام القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين[247]

كانت كل مواد القانون الأساسي مهمة. و لا شك أن الإدارة الفرنسية قد أولت اهتماما لبعض المواد على حساب أخرى و أهم ما يمكن ملاحظته على هذا القانون.

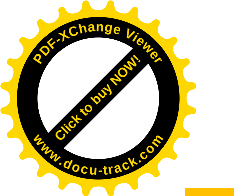
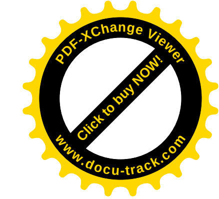
1 اتخاذ الجمعية لمركزها العام بالجزائر في نادي الترقي بساحة الجمهورية بالجزائر العاصمة يوحي بثلاثة أشياء :[248]

أ –مركزية القرار باعتبار العاصمة المركز الإداري للدولة، كما أن العمل المركزي يزيد من حظوظ نجاح السياسة العامة، فلا تتفرق الأهداف و تتلاعب بها الأهواء و التيارات، ثم إن عاصمية المقر الإداري يكسب الجمعية بعدا وطنيا.

[246] راعينا في هذا التحليل الظروف التاريخية ، السوسيولوجية ، السيكلوجية و حتى السياسية

[247] ينظر الملحق رقم 1 الذي يتضمن القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين

[248] دربال (بلال)، السياسة اللغوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2010 – 2011 ، ص 131



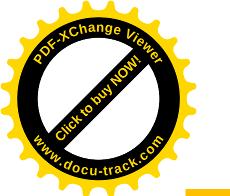
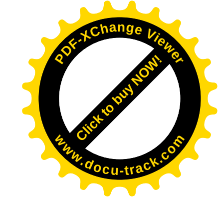
ب – العمل وفق الشرعية القانونية و تجنب العمل السري، أي العمل في وضح النهار بلا تخفي و لا هروب من أعين الإدارة الفرنسية التي تفتعل الحجج للإجهاز على مثل هذه المشاريع الإصلاحية و هذا يزيد من أنصار الجمعية و المتعاطفين معها حتى من غير الجزائريين و المنصفين من أبناء فرنسا.

ت – لفظ العاصمة يزيد الجمعية هالة من الفخامة و الإجلال و الرمزية : لما في مصطلح العاصمة من إيحاء بالشرعية الوطنية و الدولية ، كما أن مصطلح العاصمة يلغي إمكانية قيام مشكل الجهوية على الجمعية و يفتح الباب على مصراعيه لكل جزائري من كل منطقة و عمالة

2 الجمعية أصبحت جمعية قانونية معترف بها لها تسمية قانونية هي : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و قد أخذت شرعيتها من إدارة الإحتلال الفرنسي باعتبارها السلطة الحاكمة للجزائر آنذاك ، وهذا يجعل كل نشاطاتها شرعية إذا لم تخرج عن إطار ما حدده قانونها الأساسي فكما يبدو فإن الجمعية تحت سلطة الدولة [249]

3 كل من انتمى إلى هذه الجمعية أصبح انتماءه قانوني و مأطر بأهداف و استراتيجية الجمعية و إسهاماته الإصلاحية تأخذ طابع الجمعية

[249] دربال (بلال)، المرجع السابق، ص 129

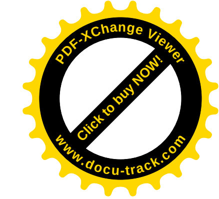


4 الجمعية و السياسة : تأكيد الجمعية على أنها لن تخوض في المسائل السياسية هو من باب ذر الرماد على العيون فتمسك الجمعية بسياستها اللغوية و الدينية سيجعلها تتصادم بشكل مباشر مع الإدارة الاستعمارية و لو بعد حين ، فالإدارة الفرنسية تدخلت بشكل سافر في وظائف اللغة المحلية لأغراض غير لغوية[250] حتى تدخل البلاد في تآكل داخلي، و من باب دفاع الجمعية عن مبادئها و أهدافها ستدخل في صراع مع الإدارة الاستعمارية بشكل حتمي، و سيكون صراعا سياسيا بمرجعية اجتماعية ثقافية لغوية لأن خلف كل حرب لغوية حرب من نوع آخر سياسية اقتصادية أو ثقافية أو غيرهما كما يأكد كالفي[251] أما عن الجانب الديني فيؤكد الإبراهيمي أن الإسلام دين كامل شامل لكل شؤون الحياة و دفاع الجمعية عن الشأن الديني هو دفاع عن كل مناحي الحياة و منها السياسة و الإقتصاد و الإجتماع و في ذلك يقول الإبراهيمي: " إذا كان الإسلام دين و سياسة ، فجمعية العلماء دينية سياسية...و الجمعية ترى أن العالم الديني، إذا لم يكن عالما بالسياسة ، و لا عاملا لها ، فليس بعالم ، و إذا تخلى العالم الديني عن السياسة فمن يصرفها و يديرها ؟ "[252] .

[250] حاولت الإدارة الإستعمارية إدخال المجتمع الجزائري في حالة استلاب ثقافي حتمي بتدميرها التدريجي للغة العربية و مؤسساتها و في مقابل ذلك قدمت لغتها الفرنسية و ثقافتها كبديل للغة و الثقافة العربية... و لهذا عملت على تجنيد النخب المضادة لغويا للجمعية و على رأسهم جماعة النخبة و بعض الأفراد من الأمازيغ الذين أحسنت استغلالهم لتعطيل المشروع اللغوي للجمعية لصالح المشروع اللغوي والثقافي الفرنسي.

[251] **Louis- jean** (calvet). La guerre des langues et les politique linguistiques. Hachette littératures. France. 1999 p 282

252الإبراهيمي (محمد البشير)، المصدر السابق، ج4، ص170 .




5 في مسألة الجمعية و السياسة : نعتقد أن تبرأ الجمعية من السياسة نابع من معرفة دقيقة جدا بالإدارة الاستعمارية . لنتصور أن جمعية العلماء وضعت في قانونها الأساسي الذي قدمته للإدارة الاستعمارية مادة تنص على أنها تشتغل بالسياسة أو تدعو بالإستقلال أو نحو ذلك فهل كانت إدارة ( ميرانت ) مسؤول الشؤون الأهلية آنذاك ستوافق على طلبها ؟ . إننا في ضوء ما حدث لحركة الأمير خالد و ما صدر ضد النجم و ما حدث للشيوعيين نعتقد أن طلب الجمعية كان سيرفض لا محالة . و لنفرض أن الجمعية لم تنص على العمل السياسي و و لكنها سلكت طريق الدعوة الصريحة للإستقلال الوطني و وضعت لذلك برنامجا سياسيا فهل كانت الإدارة الإستعمارية ستقف منها موقف المتفرج ؟. لا نظن ذلك . إن أبسط ما كانت الإدارة ستفعله عندئذ هو حل الجمعية و الزج بعناصرها البارزين في السجن و القضاء على مدارسها و صحفها على الأقل.[253]

6 أما الفصل الرابع من القسم الثاني و المتعلق بغاية الجمعية و أهدافها فنعتقد أنه القسم الأهم لأنه استطاع تمويه نظرة الإدارة الاستعمارية التي اعتقدت أنها ستوافق على قانون أساسي كبقية القوانين الأساسية التي سبق و أن قدمتها الجمعيات ، فقد أكد العلماء أن جمعيتهم علمية و دينية بحتة و تعمل عملا دؤوبا على إحياء فريضتي الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بحكم أنهما منبع الفضائل الإسلامية، بالإضافة إلى إحياء هدي السلف الصالح في وقت طغت فيه البدع، فهي تدعو إلى تلقي العلم النافع و تدعو إلى الدين الخالص و تعمل على تثبيته و تقوية وازعه في نفوس الأمة [254] و يأكد ابن باديس مخاطبا أعضاء الجمعية :" إنّ جمعيتكم هذه أسست لغايتين شريفتين لهما في قلب كل عربي مسلم بهذاالوطن مكانة

[253] سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج4، ص 144

[254] السنة النبوية المحمدية، العدد 13 ، 3 جويلية 1933

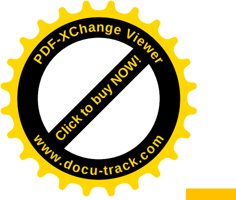
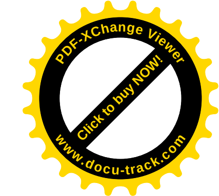





لا تساويها مكانة و هما إحياء مجد الدين الإسلامي و إحياء مجد اللغة العربية. فأمّا إحياء مجد الدين الإسلامي فبإقامته كما أمر الله أن يقام، بتصحيح أركانها لأربعة العقيدة و العبادة و المعاملة و الخلق , و أمّا إحياء مجد اللسان العربي فلأنه لسان هذا الدين و المترجم عن أسراره و مكنوناته، لأنّه لسان القرآن الذي هو مستودع الهداية الإلهية العامة للبشر كلهم لأنّه لسان محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم صفوة الله من خلقه و المثل الأعلى لهذا النوع الإنساني...، و لأنّه قبل ذلك و بعد ذلك لسان أمة شغلت حيزا من التاريخ بفطرتها و آدابها و أخلاقها و حكمها و أطوارها و تصاريفها في الحياة و دولها في الدول "[255] و يأكد في مقام آخر و يربط بين الواقع الجزائري و ما جاء في الفصل الرابع من القسم الثاني للقانون الأساسي :" الناس كالنبت معرضون في حياتهم إلى عدة آفات يكادون لا يسلمون منها فمنها ما يصيب العقول و منها ما يصيب الأبدان و منها ما يصيب الأموال و منها ما يعم ذلك كله، و لا يسلم المجتمع البشري إلا بمحاربة هذه الآفات كلها و ذلك نص الفصل الرابع من القانون الأساسي لجمعية العلماء الذي يقول " القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الإجتماعية كالخمر و الميسر و البطالة و الفجور فكل ما يفسد على الناس عقولهم أو يضيع عليهم أموالهم فهو من الآفات، و لهذا حاربت الجهل و الجمود و الدجل و الخرافة و كل أنواع الأباطيل و حاربت كل واقف في طريق التعلم و التعليم و حاربت الزردات و الوعدات و بدعة المآتم و منكرات الولائم و كل وجوه السرف و أكل أموال الناس بالباطل و حاربت أصحاب المال القاعدين عن تأسيس المشاريع الإقتصادية و العلمية و الخيرية لأن ذلك من أسباب البطالة و الفجور ..."[256]

[255] الشريعة، ع4، 7 أوت1933 ص ص 2 – 1

[256] الشهاب، ج 8، مج 12 ، نوفمبر 1936



7 في الفصل الخامس والسادس : أبقت الجمعية على المجال مفتوحا أمام الوسائل التي ستنشط بها و أكدت على حق التنقل عبر كامل التراب الوطني و في أي وقت كما لها الحق في توسيع مجال عملها عبر خلايا تنظيمية تشرف عليها الإدارة المركزية إشرافا مباشرا و من دلالات هذين الفصلين ما يلي :

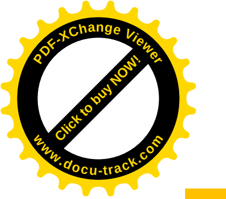
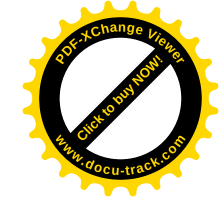
أ –الإبقاء على الباب مفتوحا أمام الوسائط التي تحقق الأهداف : وهذه غاية المرونة في مواجهة واقع التطور العلمي والنظري والمؤسساتي الذي يفرضه العصر فقد يرميهم الإزدهار العلمي والتكنولوجي بنظريات ووسائل مفيدة فتستفيد الجمعية من مغانمها و قد حصل فعلا عند تأسيس فرق الكشافة الإسلامية أسوة بالكشافة المسيحية و استفادة من منشآت العصر كالملاعب و قاعات السينما والمسارح... بل واعتماد الصحافة منبرا حرا لعرض أفكارها و الدفاع عنها.

ب – توسع عمل الجمعية لتكتسح كل التراب الوطني، و هذا فيه تشتيت لجهود الإحتلال في تتبع نشاطات الجمعية و محاصرتها في أرض هي أعرف بها منه و فيه تخفيف من وطأة بعض ضربات الإدارة الاستعمارية

8 اهتمت الجمعية في القسم الثالث و الخامس بما يتعلق بالأمور التنظيمية و الإدارية و الهيكلية و أكدت أنها تتحمل مسؤولية أي خرق قانوني لمواد القانون الأساسي لذا حرصت الجمعية حرصا كبيرا على الإلتزام بما تعهدت به في قانونها الأساسي حتى لا تعطي للإدارة الفرنسية فرصة تدارك خطأ الإعتراف بها فتعمد إلى حلها.[257]

---

[257] دريال (بلال)، المرجع السابق، ص ص 130 – 131



9 أما القسم الرابع فخصص لمالية الجمعية و كل ما يتعلق بالإعانات و قبولها أو رفضها و جاء اهتمام الجمعية بهذا الجانب انطلاقا من فكرة أن الإستقلال المالي أهم عامل لنجاح و استمرارية و استقلالية الجمعية

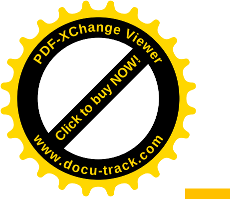
بعد استعراض أقسام و فصول القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين يتضح لنا أن هناك مواد مهمة و أخرى أكثر أهمية خاصة لدى الإدارة الفرنسية، و هي أساسا الفصل الثالث المتعلق بالتدخل في الشأن السياسي الذي أساءت الإدارة الإستعمارية تقديره لأنها لا تعرف حقيقة الإسلام، و من يدرك حقيقة الإسلام يدرك حدود مطالب جمعية العلماء. فالإسلام نظام كامل للحياة فيه بالإضافة إلى الدين الإقتصاد و السياسة و الشؤون الإجتماعية ... و كل ما يتعلق بالإنسان و بالتالي فقول الجمعية أنها ستلتزم بما جاء في الإسلام و تحرم ما يحرمه و تحل ما يحله فإنها ستجد نفسها تتدخل في الشؤون الدينية و السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية و هذا أمر يعلمه العلماء و لا تعلمه الإدارة الإستعمارية . و إذا عدنا إلى الواقع نجد ما يثبت ذلك، فالتجنس بالجنسية الفرنسية أمر سياسي خالص في التشريع الفرنسي أما في الإسلام فله صبغة و غطاء ديني جعل العلماء الجزائريين يفتون بارتداد الشخص المتجنس و خروجه عن الدين الإسلامي و بذلك نفذت جمعية العلماء أجندتها السياسية بغطاء ديني أبعد الريبة و الشك عنها ، و يلزمنا المقام هنا الإشارة إلى مسألة نشر الجمعية لدعوتها التي لم تنشر مع نص القانون الأساسي ، و أهم ما يلاحظ على هذه الدعوة[258] أنها مكملة للقانون الأساسي و أكثر جرأة منه، فهي تتعرض بشكل مباشر

---

[258] ينظر الى الملحق رقم 14 أو :

ابن باديس (عبد الحميد)، المصدر السابق، ج1، مج2 ، ص ص 131 - 134 أو:

الشهاب، ج 4، مج 13 ، 11 جوان 1937



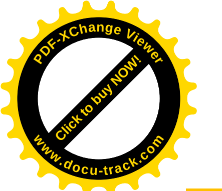




للطرقية الضالة و الظلم و الاستعباد و و الجبروت الإستعماري ... و هي أمور لا نجدها في القانون الأساسي الذي تميز بالعمومية بحكم مشاركة الطرقيين فيه و مراقبة الإدارة الاستعمارية له.

و من خلال كل ما سبق يمكن القول أن الإدارة الإستعمارية تعاملت مع تأسيس الجمعية تعاملا باردا و ضعيفا لم تقرأ له حساباته المستقبلية المطلوبة، و نظرت إلى الجمعية نظرة تحكمها رؤيتها لما سبقها من جمعيات تأسست و هي تعمل و تنشط من غير أن تقتله أو تشكل عليه خطرا أو تهدد مصالحه و وجوده و ثقافته و هيمنته. و كل هذا يعود إلى الطريقة التي صيغ بها القانون الأساسي حيث تم إحكامه جيدا و ضبطه ضبطا دقيقا لم يبق ثغرات و فجوات لا مبدئية و لا قانونية من شأنها أن تثير أي شبهة – خصوصا الشبهة السياسية الظاهرية منها – حول صبغتها وطبيعة أهدافها التي حصرت ظاهريا في الهدف التهذيبي التربوي الأخلاقي و الذي حدد في محاربة الآفات الإجتماعية كالخمر و الميسر و البطالة و الجهل و كل ما يحرمه صريح الشرع و ينكره العقل و تحجره القوانين الجاري بها لعمل و أنها تتذرع للوصول الى غايتها بكل ما تراه صالحا نافعا لها غير مخالف للقوانين المعمول بها مع التأكيد على التقيد بعدم ممارسة العمل السياسي، من حيث أنه لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض أو تتدخل في المسائل السياسية كهيئة و كمؤسسة ، لكن كأفراد فهذا لم يشر إليه القانون ، ليترك رجال الإصلاح الباب أمامهم مفتوحا و واسعا لأنهم و كما سنلاحظ سيتبنون بعض المواقف السياسية فرادى كمطالب ابن باديس للمؤتمر الإسلامي[259] و مواقف رجال الإصلاح في الشهاب و حتى مواقف رجال الإصلاح و انضمامهم للثورة فرادى قبل 7 جانفي 1956

[259] ينظر الملحق رقم 11






## موقف الحكومة من تأسيس جمعية العلماء

إن أول ما يمكن ملاحظته في مس ألة تأسيس جمعية العلماء المسلمين هو أن السلطات الفرنسية لم تتأخر في منح الجمعية الترخيص الرسمي بعد أيام من تقديم طلبها. حيث قدمت الجمعية طلب الترخيص حالما انتهت من جلساتها التمهيدية و في 22 ماي 1931 حصلت على التصريح من الحاكم العام و نشر في الجريدة الرسمية بتاريخ 31 ماي 1931 و لا شك أن هناك عدة عوامل جعلت الإدارة الفرنسية تقبل تأسيس الجمعية في هذا الوقت القياسي. منها تسامح مدير الشؤون الأهلية[260] المسيو ميرانت mirante[261] و عطفه و أما السبب الثاني فيعود إلى أن فرنسا كانت تظن أنها ستمتص غ ضب الجزائريين الذين رفعوا أصواتهم منددين بالإحتفالات المئوية الصارخة بالسماح لتكوين هذه الجمعية و بذلك تكون أعطت بعض الحقوق للمسلمين في الجزائر كما سمحت للديانات الأخرى بإقامة مؤتمراتهم و تكوين جمعياتهم الدينية و النشاط بكل حرية [262] أما السبب الثالث فهو أن توحيد كل القوى الدينية في هذه الجمعية يسهل على الإدارة الإستعمارية مراقبتها و الإشراف عليها و تسيرها وفقا لسياستها الإستعمارية، يضاف إلى ذلك اعتقادها بأن

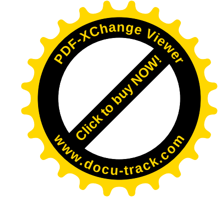
---

[260] مطبقاني (مازن صلاح)، المرجع السابق، ص ص 89 – 90

[261] كان مدير الشؤون الأهلية الماسوني الشرس ميرانت mirante كان غالبا ما يعلن مقته للمرابطين و لهذا شجع أو على الأقل لم يعارض إنشاء جمعية إصلاحية ينظر :

اجيرون (شارل روبير)، المرجع السابق، ص 535

[262] حشلاف (علي)، المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها 1931– 1939، رسالة لنيل شهادة الماجستير، معهد علوم الاعلام و الاتصال، جامعة الجزائر 1994، ص ص 139 – 140




جمعية العلماء جمعية دينية بعيدة عن السياسة ،و لكن سرعان ما تفطنت الإدارة الفرنسية للخطر الذي سينجم عن الجمعية خصوصا بعدما تتبعت أثرها و فهمت حقيقة نشاطها[263].

بعد هذا التأسيس السريع و الحذر سلك رجال الإصلاح أسلوب المرونة و المسالمة في مواقفهم منذ الأشهر الأولى من تأسيس جمعية العلماء اقتناعا بالواقع السياسي لا اعترافا بالوجود الفرنسي في الجزائر أو قبولا به[264] . و كثيرا ما كانوا يغلفون أفكارهم السياسية بالطابع الديني و التظاهر بمسالمة الحكومة الفرنسية و في الوقت نفسه يدعون الناس للتمسك بالشخصية الوطنية للجزائر كرقعة جغرافية لها مميزات كثيرة عن فرنسا في اللغة و الدين و التاريخ و التي عمل المحتلون على طمسها [265] و لما وافقت الإدارة الإستعمارية على تأسيس جمعية العلماء لم تحاول التعرض لنشاطها في البداية ،

---

[263] قلايلية (العربي)، منهج بن باديس الإصلاحي وأثره في بناء الشخصية الوطنية الجزائرية، **العصور**، العدد 2، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر، الجزائر، 2002، ص105.

[264] لقد تعرض رجال الإصلاح بصفة عامة و رجال الجمعية بصف خاصة إلى نقد لاذع فيما يتعلق بموقفهم من الوجود الفرنسي في الجزائر و مسألة "ولائهم لفرنسا" ... هذا قولهم و رؤيتهم للموضوع . أما نحن فنعتقد شيئا آخر . إن نظرة دقيقة و عميقة إلى مواقف كبار رجال الإصلاح و شعاراتهم و على رأسها " الإسلام ديننا العربية لغتنا و الجزائر وطننا " يدلنا إلى شيئ آخر، لنترث عند هذا الشعار و نتسائل : هل يمكن لهذا المبدأ أن يتلائم مع فكرة الجزائر فرنسية ؟ إن قول رجال الإصلاح أن الجزائر وطننا هو موقف يجعلهم في مواجهة أي مشروع أو قانون أو فكرة تدعو إلى ضم الجزائر إلى فرنسا و هو ما حصل بالفعل. و إن كان المقام يحتاج إلى مثال و دليل ففتوى جمعية العلماء فيما يخص تجنس الجزائريين بجنسية فرنسية تكفي، لقد عبرت فيه الجمعية عن أن المتجنس مرتد عن الإسلام و هي تهمة عظيمة يتجنبها كل مسلم و هو بذلك يتجنب الجنسية الفرنسية و يتجنب الإدماج... إننا نعتقد أن الجمعية أنضجت و عمقت الإحساس بفكرة الوطن و الأمة الجزائرية في قلوب الجزائريين و قدمتهما للثورة الجزائرية جاهزة تحتاج إلى بعض القوة فقط لتحقق الإستقلال. و لهذا – نعتقد – أن الحكم على تاريخ الحركة الإصلاحية و ربع قرن من النظال ينبغي أن يأخذ حقه من العدل و التفهم . و لا يكون ذلك إلا بوضع الأحداث في إطارها التاريخي الخاضع للزمان و المكان، و احترام ظروفها السياسية، الأمنية، الإجتماعية و حتى الإقتصادية. و ندعو أيضا إلى الإستعانة بمناهج العلوم المساعدة كعلم النفس، الإجتماع، الفلسفة، لأن من شأنها أن تقدم لنا رؤية موضوعية و من زوايا عديدة تقربنا من الحقيقة التاريخية أكثر

[265] الخطيب (أحمد)، المرجع السابق، ص 235








أملا في سيطرة أصحاب الزوايا و العمال الدينيين الرسميين عليها و من ثم سيطرة الإدارة الإستعمارية على كل الشؤون الدينية بطريقة غير مباشرة [266]

**جمعية العلماء السنة الجزائريين**

كان ضمن جمعية العلماء عند تأسيسها عناصر غير إصلاحية و كان على رأسهم مولود الحافظي و هو من قدامى الأزهريين و هو شخص معقد و متقلب الأطوار من نوع المغامرين الفكريين المعتد بنفسه و بعلمه المشرقي ، لم يكن راضيا و لم يستصغ فكرة دور المساعد التي منحت له في تسيير الجمعية و لما كان يحدوه الطموح في بلوغ مركز نفوذ في صلب اللجنة المديرة للجمعية ترأس المعارضة و نصب نفسه ناطقا رسميا باسم العناصر غير الإصلاحية و المدافع الحماسي عن المرابطية [267] و بدعم من الإدارة حاول الطرقيين إحداث انقلاب داخل المجلس الإداري عندما يراد تجديده، و لما حان انعقاد الإجتماع السنوي العام في السنة الثانية من تأسيس الجمعية و فيه يتجدد أعضاء المجلس الإداري أخذت تدبر المؤامرات لإحداث انقلاب يطرد العلماء المصلحين من الجمعية، و كان من فصول المؤامرة أن يكون الإنقلاب بواسطة الانتخابات، إلا أن علماء الإصلاح تنبهوا لهذه المؤامرة فرفع بن باديس الجلسة و أمر ب إخلاء القاعة حتى لا تقع حوادث تتسبب في حل الجمعية. و لما فشلت مساعيهم قررت الشخصيات الرئيسية التي اعتقدت أنها تعرضت للإقصاء من جمعية العلماء ، قررت تأسيس جمعية خاصة بها بمساعدة عمار إسماعيل المالية و تسهيل الإدارة الفرنسية و في 15 سبتمبر 1932 أسس الشيخ مولود الحافظي جمعية العلماء السنة الجزائريين أمام جمع ضم 750 من الحضور ، و كررت هذه الجمعية الأهداف التي أعلنت في القانون الأساسي

---

[266] القورصو (محمد)، المرجع السابق، ص 215

[267] مراد (علي)، المرجع السابق، ص 157







لجمعية 5 ماي 1931 [268] و عملت على تشويه سمعة جمعية العلماء المسلمين معتمدة جل الطرق و الوسائل كالسب والشتم عن طريق الصحافة فأسسوا جريدة البلاغ التي كان يتزعمها الشيخ بن عليوة[269] ثم المعيار التي لم تكن تتورع عن الحديث في أعراض كبار العلماء المصلحين بأحط النعوت و أقبحها مما اضطر أنصار الإصلاح إلى إصدار جرائد لمواجهة هذه الحملة المسعورة مثل الجحيم التي كان شعارها العصا لمن عصى و وصفها المصلحون بأنها مثل جهنم تتنفس مرة في الأسبوع و يحررها نخبة من شبان الزبانية شعارهم العصا لمن عصى [270] و لما رأى بن باديس المعركة تدنت إلى هذا المستوى المنحط تبرأ من جريدة الجحيم التي أصبحت في رأيه لا تمثل الجمعية بالإتجاه الذي سلكته لأنهم لا يجابلون السفه بالسفه [271] و بعد صراع طويل بين العلماء و علماء السنة قاربت السنتين رجحت كفة الصراع لصالح الإصلاحيين في خلال الشهور و السنين الموالية و ركنت جمعية علماء السنة إلى الهزيمة و فقدت نفوذها السياسي كله شيئا فشيئا بعدما قامت بتعطيل صحيفتها و مع ذلك ظل عدد مريديها كبيرا جدا . و في نوفمبر 1935 حل مدير شؤون الأهالي ميليو milliot جمعية علماء السنة[272]

[268] اجيرون (شارل روبير)، المرجع السابق، ص 536

[269] BELKASEM (SAADALLAH), op-cit , p p 143 - 144

[270] هي من إنشاء الأمين العمودي و سعيد الزاهري و كانت إلى جانبها جرائد أخرى تدافع عن الإصلاح و المصلحين و لكنها لم تنتهج النهج الذي كانت عليه الجحيم في الإقذاع ، من هذه الجرائد " المرصاد " ثم " الثبات " لمحمد عبابسة و " الليالي " لعلي بن سعد و بوكوشة و " الدفاع " للامين العمودي و كان لابي اليقظان عدد من الجرائد منها : الامة ، النبراس ، وادي ميزاب ...

[271] فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، المرجع السابق، ص 55 - 56

[272] يؤكد شارل روبير اجيرون أن جمعية العلماء السنة تلقت دعما مباشرا من طرف الحاكم العام للجزائر السيد كارد carde و ذلك لمحاولة تمزيق وحدة الصف في جمعية العلماء و تشجيع بعض العناصر الموالية للإدارة الفرنسية على إنشاء جمعية أخرى مضادة ينظر :

**Ageron** (Charles Robert), histoire de l'algerie contemporaine , paris p.u.f ,1979, p 342






### قرارات ميشال

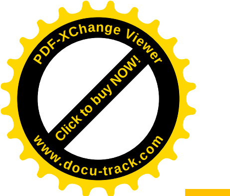
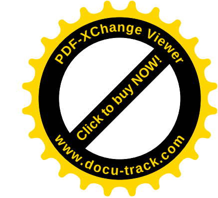
حدثت صراعات بين الإصلاحيين و الممثلين الرسميين للشعائر الدينية المسلمية و تحولت هذه المعارضات من منافسة أشخاص إلى قضية دولة ، و لم تفت على الإدارة إذ استغلتها لتتدخل أكثر في الشأن الإسلامي و تغذى هذا التدخل حينما دق ناقوص الخطر من قبل قائد مرابطي بثقل منصب المندوب المالي للقليعة المدعو سي علي مبارك المالي بن علال ، و قد عبر هذا المندوب في أكتوبر 1932 عن أمل مؤداه حرمان الدعاة الإصلاحيين من دخول المساجد التي هي جزء من أملاك الدولة، ذلك لأنهم يستغلون المساجد لإلقاء أحاديث سياسية، و انطلاقا من هذا قررت و بدأت الإدارة الإستعمارية تتحرك ضد الإصلاحيين [273] و لم تتوان عن إصدار التعليمات للحد من نشاطهم فكان قرار ميشال [274] الصادر في 16 فيفري 1933 تحت رقم 3407 يطلب من الولاة و المتصرفين و رؤسال الشرطة و شيوخ البلديات مراقبة ما يدور في اجتماعات الجمعية، و أن تشمل هذه المراقبة المكاتب القرآنية ، و بعد يومين من هذا المنشور أصدر ميشال بالنيابة عن والي الجزائر تعليمات إلى جميع الولاة يأمرهم فيها بعدم السماح لأي عالم بالوعظ و الإرشاد في المساجد الرسمية إذا لم يكن من الموظفين الدينيين ما لم يتم استشارة الحاكم العام في ذلك. [275] كما أصدر ميشال قراره الثالث [276] في 24 فيفري 1933 بحل الجمعية الدينية الإسلامية التي كان يرئسها أحمد بن صيام الذي رفض الإستجابة لطلب ميشال بمنع العلماء من الوعظ في المساجد و قام بتولي رئاسة

[273] مراد (علي)، المرجع السابق، ص 177

[274] فرناند يوليوس ميشال : كان السكرتير الإداري لوالي الجزائر ، هو الذي أعد و وقع على القرار الخاص بمنع الخطابة و التعليم في المساجد إلا للموظفين الرسميين . تولى ميشال رئاسة الجمعية الدينية الإسلامية بعد أن أعفى رئيسها المسلم أحمد بن صيام من منصبه في فبراير 1933

[275] البصائر، ع31 ، 7 اوت 1936 ص ص 4 – 5

[276] ينظر الملحق رقم : 12



الجمعية[277] و عين مجموعة من أنصاره الذين لا يعصون له أمرا [278] و كان من آثار السلسلة الأولى من التدابير المتضمنة في مذكرة ميشال circulaires michel المؤرخ في 16 و 18 فيفري 1933:

1 -منع الدعاة الإصلاحيين من الدخول الى المساجد المسمات رسمية

2 -مراقبة مختلف القائمين بالدعاية الإصلاحية ( المحاضرون – معلمو المدارس الحرة – الصحافيون ...)

هذه التدابير التي اتخذتها ولاية العاصمة توسعت شيئا فشيئا بحيث شملت مجموع الأقاليم الجزائرية و قد تجلت في إغلاق العديد من المدارس العربية بـ ( تلمسان – سيق – سيدي بلعباس – مستغانم – بريقو – غليزان – سعيدة – عين تموشنت .... ) و رفض فتح مدارس جديدة تحت قيادة إصلاحية و حرمان الإصلاحيين من حرية التحرك و التنقل و حتى الحكم بالسجن على عدد من أعوان الدعاية الإصلاحية[279] و قد امتد مفعول هذا المنشور إلى كافة العمالات الجزائرية و قد جرى بموجبه منع دروس الوعظ نهائيا في المساجد و إغلاق الكثير من مدارس العلماء و قد كان الهدف منه عرقلة التعليم العربي الحر.[280]

[277] كان حكام الإدارة الفرنسية بالجزائر بصفة عامة و ميشال بصفة خاصة يلقى تأييدا كبيرا من السلطات الفرنسية في باريس فحينما قدم السيناتير فيوليت ( حاكم عام سابق للجزائر ) سؤالا إلى وزير الداخلية يتعلق بقانونية الإجراءات التي اتخذها ميشال حين حل الجمعية الدينية الإسلامية فكان جواب الوزير أن والي الجزائر لم يبطل هذه الجمعية و انما انتزع منها حق التصرف في الأماكن المعدة لإقامة الشعائر الدينية ( و هي إجابة مراوغة كاذبة) و هو بذلك يؤيد موقف ميشال و يدافع عنه . ينظر إلى:

ملحق رقم : 4 أو

الصراط العدد7، 30 أكتوبر 1933

[278] مطبقاني (مازن صلاح)، المرجع السابق، ص 197 - 198

[279] مراد (علي)، المرجع السابق، ص 177

[280] الخطيب (أحمد)، المرجع السابق، ص 189









اعتبر الإصلاحيون هذه الإجراءات ظلما خطيرا و قرروا الطعن في هذه التدابير آملين في الحصول على إبطال لهذه التدابير التي نسبوها فقط لانعدام بعد النظر لدى الإدارة الإستعمارية التي رأت بأن الصحف الصادرة باللغة العربية يجب أن تدرج في عداد الصحف المنشورة باللغة الأجنبية التي يجوز للحكومة منعها [281] أما بالنسبة للمماطلة في إعطاء التصاريح، فقد كتبت الصراط أن كثيرا من المعلمين لم يعرفو سبب رفض مطالبهم و عندما يقدم طالب التعليم ما يلزمه الى الحكومة منتظرا الجواب تبقى أوراق طلبه مهملة الشهور الطويلة ثم يأمر الحاكم بإحضار صاحب الطلب و يبلغة أن السيد العامل قد رفض طلبه[282]

و قد قام المجلس الإداري للمجلس لجمعية العلماء بتوجيه برقية احتجاجية إلى المسؤولين الفرنسيين، و هم وزير الداخلية و رئيس مجلس الوزراء و رئيس مجلس الشيوخ و رئيس مجلس النواب و رئيس جمعية حقوق الإنسان و الوالي العام الفرنسي على الجزائر و إلى مختلف لجان السياسة في باريس و نثبت فيما يلي البرقية لأهميتها التاريخية : [283]

"احتجاج جمعية العلماء على قرار بريفي الجزائر" . الجزائر في 26 جوان سنة 1933

" إن الجمعية العمومية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقدة في اجتماعها السنوي العام بنادي الترقي بالعاصمة الجزائر ، تكرر إعلانها بارتباطها بالجمهورية الفرنسية و التزامها للعمل التهذيبي الإصلاحي حسب قانونها الأساسي في دائرة قوانين الجمهورية ثم :

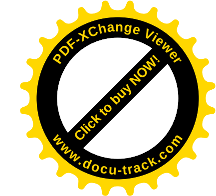
1 – تحتج بكل قواها على منشور بريفي والي الجزائر المؤرخ في 1933/2/16 الذي رماها فيه بوصمات منافية لدينها ومبادئها وهي منها بريئة

---

[281] مراد (علي)، المرجع السابق، ص 178

[282] الصراط العدد 4 9 أكتوبر 1933

[283] ينظر: الشريعة، عدد 1 ، 17 جويلية 1933 ، ص 4



2 - و تحتج عى قراره المؤرخ في 18/ 02/ 1933 القاضي بمنع العلماء غير الموظفين من القيام بالتعليم الديني في المساجد

3 - و تحتج على أمره المؤرخ ب 27 فيفري 1933 القاضي بحل الجمعية الدينية بالجزائر.

و تقدم شكواها بهذا كله الذي هو مس لكرامة الجمعية و تدخل في أمور دينية بحتة بالحل و التحجير ـ إلى الرأي العام الفرنسي و رجال الدولة العظام– مستثيرة عطف فرنسا و مستجيرة بمبادئها الجمهورية العالية واثقة بها ، هاتفة باسمها بكل تعظيم و احترام .

**تعطيل الصحف**

أعلنت الحكومة الإستعمارية الحرب على نشاط الجمعية فوجهت جهودها إلى تعطيل جرائدها و إغلاق مدارسها و ملاحقة معلميها و علمائها و منعتهم من دخول المساجد الرسمية و إلقاء دروس الوعظ بها و لكن الجمعية لم تستسلم لهذه المضايقات فكانت كلما عطلت الحكومة جريدة عوضتها الجمعية بجريدة أخرى، و قد كانت أولى الجرائد تعرضا للبطش الإستعماري جريدة السنة النبوية التي ظهر منها العدد الأول في قسنطينة بالمطبعة الإسلامية الجزائرية في أول مارس 1933 و أسست أساسا للوقوف في وجه جمعية علماء السنة[284] و لكنها تعطلت بقرارمنوزارةالداخلية رغم أنها جريدةدينيةبعيدةكلالبعدعنالسياسة [285] و تم تعطيل هذه الجريدة في 1933/6/22 دون الخضوع لأي محاكمة أو حكم قضائي [286] و صدرت بعد 17 يوما من تعطيل السنة جريدة أخرى هي

[284] ناصر (محمد)، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954 ، دار الغرب الإسلامي، ط 3 ، بيروت، 2007 ص 198

[285] الشريعة، ع1، 17 جويلية 1933 ، ص 1

[286] ناصر (محمد)، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954 ، المرجع السابق، ص 201






الشريعة النبوية بتاريخ 17 جويلية 1933 [287] و كان أول المقالات في هذه الجريدة هو احتجاج[288] من جمعية العلماء على تعطيل السنة، إلا أن هذه الجريدة لقيت نفس مصير الجرائد الأخرى حيث أصدر وزير الداخلية الفرنسي بتاريخ 9 أوت 1933 أمرا بتعطيل جريدة الشريعة [289]

## التضييق على رجال الإصلاح

رأت الإدارة الفرنسية في أن الوضع في الجزائر عام 1932 قد أصبح فوضى، و للسيطرة على هذه الفوضى قام الحاكم العام كارد carde بتفويض مدير الشؤون الأهلية ميرانت mirante بعرقلة أعمال الجمعية حين تتقدم بطلب الترخيص لفتح المدارس الحرة و ذلك إما بالتأخير البيروقراطي أو التأخير المتعمد و أحيانا رفض الترخيص لهذه المدارس، كما أصدر رئيس مكتب الحاكم العام بيروتون peyrouton تعليماته إلى جميع الولاة أن يكونوا على حذر من المشكلات التي يثيرها العلماء، و لكنه مع ذلك لم يجزم بطبيعة الخطر، حيث يقول في رسالته أن أهداف جمعية العلماء الحقيقية لا تزال غامضة، و لكن قد يكمن خطرها في دعوتها للوهابية الجديدة [290] و لذلك فرضت الرقابة من طرف الإدارة الإستعمارية على الشخصيات المسؤولة في جمعية العلماء استنادا إلى قرار 18 فيفري 1933[291]

تميزت سنة 1933 بتقدم سريع أحرزته جمعية العلماء حيث روعت الجمعيات المرابطية بسرعة انتشارها. وهذا ما هال الإدارة التي حذرها الملاحظون الأوروبيون المختصون في شؤون الأهالي غير

---

[287] ناصر (محمد)، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954 ، المرجع السابق،ص 224

[288] ينظر الملحق رقم 3 الخاص بحل جريدة السنة

[289] الصراط، العدد1، 11 سبتمبر 1933 ، ص 2

[290] مطبقاني (مازن صلاح)، المرجع السابق، ص 197

[291] **Ageron** (Charles Robert), histoire de l'algerie contemporaine , op-cit, p 331






مرة خلصت إلى الإعتقادات أن الدعاية الإصلاحية تشكل خطرا حقيقيا على السياسة الفرنسية في الجزائر، و قد كان من السهل إقامة تقارب و مقارنة بين توسع الحركة الإصلاحية في الجزائر و تغلغل الأفكار الوطنية في أوساط السكان المسلمين، ذلك أن جل التظاهرات الدينية أو الثقافية للإصلاحيين كان لها وقع جزائري و هذا لأنها كانت موضوعه تحت شعار الإسلام و الثقافة العربية[292] و تستحضر التاريخ السابق لفرنسا للوطن الجزائري و أنها تقصي الحضور الفرنسي خاصة و أن كل الأمجاد التي يحييها العلماء كانت فرنسا غير حاضرة فيها

و على هذا الأساس توتر الوضع سنة 1933 بين العلماء و الإدارة الإستعمارية خاصة بعد صدور منشور ميشيل المؤرخ في 16 فيفري 1933 و الذي هاجم فيه جمعية العلماء و اعتبر أعضائها أناسا مشوشين يعملون لجهات أجنبية هي الجامعة العربية و الجامعة الإسلامية اللتان كانت الدعوة إلى قيامهما منتشرة في صحف و مجلات المشرق العربي في ذلك الوقت ثم أردف منشوره المذكور بقرار مؤرخ في 18 فبراير في نفس العام [293] 1933 يمنع فيه رجال جمعية العلماء من التدريس بالمساجد و إقامة حلقات الوعظ و الإرشاد للمسلمين الجزائريين في المساجد الجزائرية [294]، و ادعى الأمين العام للولاية في الجزائر العاصمة أن المسلمين الموالين لإدارة الإحتلال قد اشتكوا من الدعاية المغرضة لجمعية العلماء، [295] و كان أول إجراء ضد العلماء هو منعهم من الوعظ و الإرشاد في مسجد تلمسان سنة 1933 و قد نددت لجنة الشعائر الرسمية المشرفة على الشؤون الدينية في تلمسان بتعليم المدارس الإصلاحية مما أدى إلى غلق الكثير من المدارس المنافسة لها في

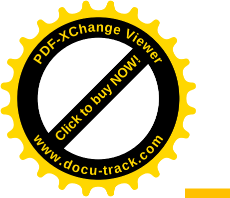
---

[292] مراد (علي)، المرجع السابق، ص 175

[293] الشريعة، العدد1 ، 17 جويلية 1933 ، ص 4

[294] تركي (رابح)، "الصراع بين جمعية العلماء و حكومة الإحتلال الفرنسي في الجزائر بالفترة 1933 – 1939" المرجع السابق، ص 61

[295] بوحوش (عمار)، المرجع السابق، ص 254






منطقة وهران. و في نفس العام أمر الكاتب العام لعمالة الجزائر بن صيام رئيس لجنة الشعائر الدينية أن يقوم بمنع الشيخ العقبي من إلقاء الدروس في المسجد و بذلك منع الشيخ من الوعظ و الإرشاد في المساجد الرسمية [296] و في نفس السنة السنة أيضا أرسلت الولاية العامة كتابا إلى الإمام ابن باديس؛ تسأله فيه عن امتلاكه لرخصة التعليم تسمح له في التدريس في الجامع الخضر من عدمها.[297]

و تلى هذه الإجراءات ما قام به الكاتب العام لعمالة الجزائر حيث حل الجمعية الدينية الإسلامية في عاصمة الجزائر بتاريخ 27 فبراير سنة 1933 و كون بدلها جمعية دينية إسلامية اختار أعضائها من بعض أعوان الإدارة و تولى هو رئاستها و أصبح اسم الجمعية الجديد الجمعية الدينية الإسلامية برئاسة[298] مسرِي ميشال . و قد كان قرار منع العلماء المصلحين من أعضاء جمعية العلماء من التدريس و الوعظ و الإرشاد في المساجد ثم قرار الكاتب العام لعمالة الجزائر بحل الجمعية الدينية في العاصمة و تكوين أخرى بدلها تحت رئاسته و هو رجل مسيحي كاثوليكي مهزلة المهازل في ازدراء الدين الإسلامي وعلمائه و مساجده و مقدساته و أتباعه في القطر الجزائري [299]

و قد امتعض ابن باديس و استنكر بشدة المعاملة التي لقيها رجال الإصلاح من الإدارة الاستعمارية[300] ، فقد :" لقيت هذه الجمعية الإصلاحية من الحكومة العنت و البلاء و لم تبال في سبيل إرهاق الجمعية بكرامة المسلمين في دينهم و حرمة مساجدهم فأوصدت المساجد في وجوه العلماء و شحت برخص التعليم العربي و القرآني و تدخلت في شؤون المساجد و رجالها و

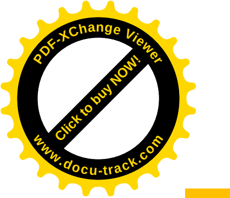
[296] بوصفصاف (عبد الكريم) ، المرجع السابق، ص 201

[297] الصراط السوي ، عدد7 ، 30 أكتوبر 1933 ، ص06

[298] ينظر: البصائر، أعداد 26، 27، 30 الصادرة في شهري جويلية و أوت سنة 1936

[299] تركي (رابح)، "الصراع بين جمعية العلماء و حكومة الإحتلال الفرنسي في الجزائر بالفترة 1933 – 1939"، المرجع السابق، ص 61

[300] أرسلت جمعية العلماء تلغرافا إلى الحاكم العام تحتج فيه على منع الوعاظ و المعلمين من عملهم. ينظر الملحق رقم 8





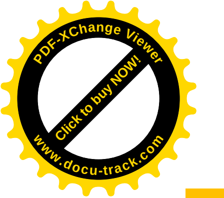


الجمعيات الدينية و أعضائها بواسطة من لا يدينون بالإسلام و لا يشعرون شعوره و لا تهمهم مصلحته مما لا نعرف له نظيرا في أمة من الأمم، و صورت رجال الجمعية بصورة الأعداء لتبعد عنهم كل من يعيش معها أو يرجو مصلحة لديها . كل ذلك و الجمعية تصبر على البلاء و ترد بأعمالها و أقوالها كل افتراء"[301] و لما تأكد عامة المسلمين و المنتخبين منهم خاصة بأنهم لن ينالو ا أي شيئ من الإدارة الجزائرية رغم الوعود الفرنسية الكثيرة توجه وفد مكون من 3 منتخبين مسلمين للمقاطعات الجزائرية الكبرى إلى باريس في 17 جوان 1933 إلا أن وزير الداخلية الفرنسي رفض استقبالهم و كذلك لجنة المستعمرات بغرفة النواب [302]

ازداد نشاط و خطر ابن باديس مع بدأ تحركاته الأولى في الغرب الجزائري في 1931 و 1932 و ازداد معه تخوف الإدارة الإستعمارية، فراحت تتبادل الرأي في عرقلته و وقفه، فهذا الحاكم العام يأمر الوالي بمراقبة سرية لنشاط الجمعية، و هذا نائب الوالي بمستغانم ينصح إما بوقف نشاط ابن باديسس أو إخضاع تحركاته إلى إجراءات معينة تسمح بمراقبته عن ك ثب ، ذلك أن ابن باديس قد ركز نشاطه في نظر نائب الوالي المذكور على وهران و تلمسان بالخصوص و أن الشيخ متأثر بالفكر الوهابي و أنه يراسل بعض تلاميذه في المنطقة. و عندما حل الشيخ ابد باديس بتلمسان في صيف 1932 رفضت السلطات الفرنسية السماح له بالقاء درس بالجامع الكبير معتمدة أيضا على رأي مفتي تلمسان عندئذ. و يفهم من تقرير نائب الوالي بتلمسان أن محمد سعيد الزاهري هو الذي مهد لمجيئ ابن باديس و أن هناك فئة من أعيان تلمسان كانت تقف إلى جانب ابن باديس ( و منهم : طالب عبد السلام، بوكلي حسن، مرزوق الحاج، فخار بن علي )

[301] الشهاب، ج 8، مج 12 ، نوفمبر 1936 ، ص 356

[302] مراد (علي)، المرجع السابق، ص 181







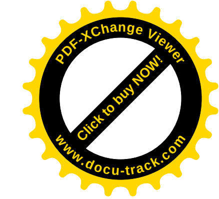

هي التي قدمت طلبا للسلطات بتلمسان تطلب السماح للشيخ بإلقاء درس بالجامع الكبير و عندما رفض طلبها احتجت لدى الحاكم العام ثم لدى وزير الداخلية.

و منذ أن حل الإبراهيمي في أول يناير 1933 بتلمسان التي تعتبر نقطة ساخنة في ولاية وهران حتى شعرت الإدارة الاستعمارية بخطرها، فهذا الوالي العام بالجزائر يكتب إلى والي وهران بعد أقل من أسبوعين من وصول الإبراهيمي إلى تلمسان يطلب منه الحضور لاجتماع بالجزائر لدراسة عدة مسائل منها " الدعاية التي تقوم بها جمعية العلماء في الجزائر و الإجراءات الكفيلة بمحو هذه الحركة التي تتطلب انتباه السلطات العامة " و بعد يومين فقط حاول الإبراهيمي في تلمسان أن يلقي دروسا في الجامع الكبير فاستدعته السلطات المحلية و نبهته إلى منع الخطب و الدروس في المؤسسات الدينية الإسلامية و على إثرها كتب والي وهران إلى الوالي العام بالجزائر يلفت نظره إلى خطورة النشاط الوهابي الذي ينشره الإبراهيمي في شمال إفريقية، و في تقرير آخر جاء أنه من الخطر غير المناسب أن يكون هذا الأهلي قادرا على متابعة دروسه في النوادي بتلمسان [303]

عاد الابراهيمي إلى تلمسان في خريف 1934 و استأنف نشاطه في التعليم و المحاضرات التي كانت مصدر قلق للسلطات الإستعمارية عموما، فقد وصلت أصداء ذلك النشاط إلى الولاية العامة فأرسل الوالي العام إلى الوالي بوهران يخبره عن القلق الذي يساوره من جراء الدعاية المضادة لفرنسا بتلمسان و التي يقوم بها الشيخ الإبراهيمي ، كما أخبره أن العلماء قد اتخذو من تلمسان مركزا خاصا لدعايتهم و أن سياسة العلماء سياسة وطنية بكل وضوح و لذلك طلب منه اليقظة و إجراء بحث دقيق و سري يحدد أهداف الشيخ الإبراهيمي. و يوضح أبو القاسم سعد الله في هذا الشأن أن في هذه المراسلة التي جمعت الوالي العام و والي وهران خلاصة لنشاط الإبراهيمي في نهاية سنة 1934 ، فالشيخ بتلمسان أصبح يعتمد على الجمعية الدينية الثانية برئاسة طالب عبد السلام و هي التي مكنته من المحل الذي يلقي فيه الدروس. و هو يدعو إلى الوحدة الإسلامية و يتحدث

---

[303] سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج3 .ط1. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990 ص ص50-53




عن التاريخ الإسلامي و هو يشاور الأهالي و يطلب منهم تعلم العربية و يحذرهم من الوقوع في ربقة الطرقية و المرابطين و هو يستقبل الصحفيين و معظم الوطنيين، و الخلاصة أن الإبراهيمي يعمل على تحرير الأهالي[304] و قد جاء في أحد تقارير الشرطة عن إحدى خطب الإبراهيمي أنها خطبة أخلاقية و لكن تسعة أعشار الحاضرين لا يفهمون معنى لغة الإبراهيمي مما يترك المجال عندهم للتأويل و التخمين و لذلك فإن الخوف يظل قائما عند السلطات من أن ذلك التأويل سينصب على فكرة الإستقلال نتيجة الأفكار التي يبثها الشيخ ابن باديس و أنصاره. و في تقرير لاحق مكتوب سنة 1940 جاء فيه أن الإبراهيمي قد أصبح في حوالي سنة 1935 ليس فقط " محركا للضمير العام" و لكنه أصبح المحرك لكل الأنشطة السياسية المحلية الأهلية ذات الطموح المضاد لفرنسا، بينما كان يخطط في كل فرصة و مناسبة و مكان لتوحيد الأهالي لأجل نهضة الإسلام[305]

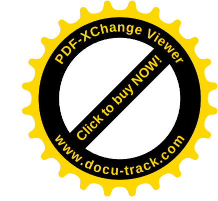
و من هنا يمكن أن نستخلص حقيقة تاريخية هامة و هي، أن الإدارة الإستعمارية، لم يكن في تصورها، عندما سمحت في أول الأمر لجمعية العلماء، بحركة التعليم العربي الحر، أنها ستخرج عن قانونها الأساسي؛ لأنها كانت كغيرها من الجمعيات الدينية الأخرى، في نظر الحكومة" بل ربما كانت ذاهبة في تخمينها إلى أبعد من ذلك؛ بحيث كان الأمل يحودها في أن هده المؤسسة، ستكون عونا للإستعمار في الجزائر، مثل غيرها من الجمعيات الدينية الأخربو بالتالي تستوعبها و تدجنها، و توظفها في لعبة حقيرة، هدفها تبييض سياستها الدنسة، في حق الأمة و رموزها من العلماء و مؤسساتها العلمية و التعليمية. وعلى هدا الأساس لم تكن السلطة الإستعمارية وقتذاك. تتوقع أن ينجم عن ذلك الإذن اليسير، ما هب على كيانها من خطر كبير . و هي التي تعودت و ألفت التعامل مع إسلام الطرقية و الصوفية التي لا تمتنع عن مرضاتها.

---

[304] سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج 3، ص 57

[305] نفسه، ص 64




# الفصل الثاني

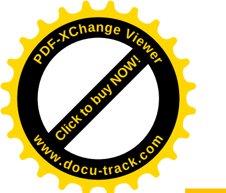
## رجال الإصلاح بين خيار المهادنة و المواجهة

**اولا: نشر التعليم العربي رغم تعسف الإدارة الإستعمارية**

- مكانة اللغة العربية في المشروع الاصلاحي
- السياسة الفرنسية تجاه التعليم
- مقاومة المصلحين لسياسة الفرنسة الاستعمارية

**ثانيا: الوضع الإجتماعي و الديني و موقف المصلحين منه**

- أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر
- وضع الدين الإسلامي في مخطط الإدارة الاستعمارية
- الوعظ المسجدي و شرح تعاليم الإسلام في منهج رجال الإصلاح






## أولا: نشر التعليم العربي رغم تعسف الإدارة الإستعمارية

### مكانة اللغة العربية في المشروع الاصلاحي

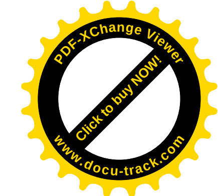
يعتبر رجال الإصلاح اللغة العربية هي الرابط الذي يمتن وحدة الجزائريين على اختلاف أزمانهم و أعراقهم و لهجاتهم إذ يقول ابن باديس " لا رابطة تربط ماضينا المجيد بحاضرنا الأغر و المستقبل السعيد إلا هذا الحبل المتين اللغة العربية لغة الدين لغة الجنس لغة القومية لغة الوطنية المغروسة. إنها الرابطة بيننا و بين ماضينا و هي وحدها المقياس الذي نقيس بها أرواحنا بأرواح أسلافنا و بها يقيس من يأتي بعدنا من أبنائنا و أحفادنا الغر الميامين أرواحهم بأرواحنا، و هي وحدها اللسان الذي نعتز به و هي الترجمان عما في القلب من عقائد و ما في العقل من أفكار و ما في النفس من آلام و آمال"[306]،و لا يمكن لأي شعب من الشعوب أن يفقد حياته و كيانه إلا عندما يفقد لغته و يصبح من الناطقين بلغة حكامه، في هذه اللحظة بالذات يكون الشعب قد انصهر في بوثقة الغزاة و اندمج فيهم اندماجا يفقده هويته، و هو التغيير اللساني الإجتماعي الذي بدأ يحدث لصالح الإدارة الإستعمارية و الذي يجعل رسم سياسة لغوية إصلاحية مطلبا ملحا لأن الردة اللغوية بدأت تكتسح قطاعات واسعة من الجزائر.[307]

و تعد اللغة العربية كذلك الوطن الذي نعيش فيه و ننجذب إلى أهله و تربطنا بهم روابط من الماضي و الحاضر و المستقبل و نغار عليه و نتألم لما يصيبه، و ارتباطنا بالوطن الذي هو كيان حي و ليس إقليما جغرافيا فقط ينمي نفوسنا على أسس المواطنة و روح الوطنية الصادقة التي تتجلى في

---

[306] طالبي ( عمار ) ، المصدر السابق، ج1 ، م2 ، ص 265 و ينظر أيضا : البصائر، العدد 171 ، 22 جوان 1939

[307] درბال (بلال)، المرجع السابق، ص 138




حب الجزائر و العربية و الإنتماء إلى العروبة و العقيدة الإسلامية، لأن العيش في وطن نجهل أو نتجاهل لغته و لا نحس في أعماقنا بأي ولاء تجاهه هو نوع من الغربة القاتلة أو لنقل هو منفى.[308] فاللغة العربية بالنسبة للشعب الجزائري ليست مجرد أداة للنطق و التعبير فقط بل هي ضمانة لاستمرار التواصل الثقافي و الحضاري الإسلاميين و " لا يرى ابن باديس أي تعارض بين أن يكون الجزائري أمازيغيا و أن يكون لسانه ناطقا باللغة العربية بل إنه يعتبر هذا دليلا على أصالة الشعب الجزائري و ارتباطه الوثيق بعقيدته الإسلامية و لغته العربية"[309]

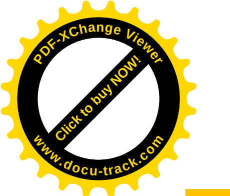
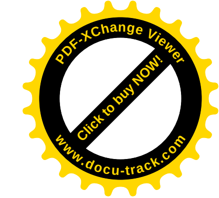
و اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة و لا دخيلة بل هي في دارها و بين حماتها و أنصارها و هي ممتدة الجذور مع الماضي مشتدة الأواخي مع الحاضر طويلة الأفنان في المستقبل ممتدة مع الماضي لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين ترحل برحيلهم و تقيم بإقامتهم فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد أقامت معه العربية لا تبرح ما دام الإسلام مقيما لا يتزحزح، و من ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس و تنساغ في الألسنة و تنساب بين الشفاه و الأفواه، يزيدها طيبا و عذوبة أن القرآن يتلى بها و أن الصلوات بها تبدأ و تختم، فأصبحت لغة دين و دنيا، و جاء دور القلم و التدوين فدونت بها علوم الإسلام و آدابه و فلسفته و روحانياته و عرف البربر على طريقها ما لم يكونوا يعرفون[310] و هي بذلك تثبت أنها لغة حية بفضل الدور الذي لعبته في توصيل الثقافات القديمة و أداء وظيفتها خير الأداء.[311] و يقول الإبراهيمي حول وظيفة اللغة

[308] فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، المرجع السابق، ص 87 – 88

[309] فلوسي (مسعود)، الإمام عبد الحميد ابن باديس لمحات من حياته و أعماله و جوانب من فكره و جهاده، ط 1، دار قرطبة للنشر و التوزيع، الجزائر ، 2006 ، ص 127

[310] الإبراهيمي (محمد البشير)، المصدر السابق، ج 3 ص 206 أو ينظر: البصائر، ع 41 ، 28 جوان 1948

[311] دودو (أبو العيد)، "مفهوم الثورة الثقافية في الجزائر"، **مجلة الثقافة** ، عدد 11 الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، نوفمبر 1972 ، ص 43

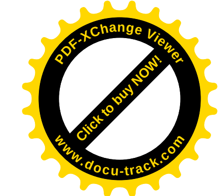






العربية : "و أما إحياء مجد اللسان العربي فلأنه لسان هذا الدين و المترجم عن أسراره و لأنه لسان تاريخ هذا الدين و مجلي مواقع العبر منه، و لأنه قبل ذلك و بعد ذلك لسان أمة شغلت حيزا من التاريخ بفطرتها و آدابها و أخلاقها و حكمها و أطوارها و تصاريفها في الحياة (الوظيفة الرسمية – العلمية و الرزمية – )ودولها في الدول (وظيفة الاستعمال الدولي) و ما أمة أضاعت لغتها إلا و أضاعت وجودها"[312]

و لا عجب أن يخصص رجال الإصلاح للغة العربية مكانة في مشروعهم الإصلاحي و إعطائها الرتبة الثانية ضمن بنود شعارهم الوطني الثلاثي " الإسلام ديننا ، العربية لغتنا و الجزائر وطننا"، و من أهم الدوافع التي جعلت رجال الإصلاح يمنحون للغة العربية هذا الإهتمامام و يناضلون – بتفان – في سبيل إحيائها و نشرها و تعليمها للأجيال و اعتمادها طريقا لتأصيل الشعور الوطني هو أنهم يرون فيها شخصية المجتمع و تاريخه و قوميته و وطنه ، فاللغة العربية هي إحدى الدعائم الثلاث التي تقوم عليها شخصية المجتمع الجزائري و لا يمكن أن تتحدد معا لم الشخصية و تزدهر من غير أن تكون العربية الأساسية لها و الروح النابضة بحقيقتها و الرمز المعبر عنها ، و اللغة العربية من جهة أخرى هي التاريخ الذي يربط ماضي الجزائر بحاضرها و مستقبلها و أجداد أبنائها بأحفادهم، التاريخ الذي نسج حياتها الثقافية و مزج بين عناصرها و صنع من ذلك كله كيانا واحدا محددا أبوه الإسلام و أمه الجزائر و لسانه العربية ، و لا يمكن لهذا المجتمع إلا أن ينظر إلى اللغة العربية على أنها تاريخه الحي الذي يطلعه على تراثه و يصله بجهود أمته و جهادها و يفتح عينيه على ما قدمه علماؤنا من أجل إقامة صرح الحضارة العربية الإسلامية . و اللغة العربية كذلك هي القومية، و القومية عند رجال الإصلاح هي أوسع دلالة من الجنس لأنها تعبير عن الهوية و المقومات الذاتية و هي لغة التفكير القومي الذي هو أساس تفكيرنا و الذي يتميز وفقا لمميزات

312 الإبراهيمي (محمد البشير)، المصدر السابق، ج1 ، ص 134

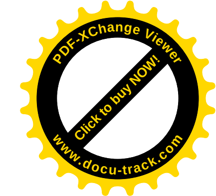






قوميتنا، إذ يؤكد ابن باديس أن الشعوب تختلف بمقوماتها و مميزاتها كما يختلف الأفراد، و لا بقاء لشعب إلا ببقاء مقوماته و مميزاته، فالجنسية هي مجموع تلك المقومات و هي : اللغة التي يعرب بها و يتأدب بآدابها و العقيدة التي بنى حياته على أساسها و الذكريات التاريخية التي يعيش عليها و ينظر لمستقبله من خلالها و الشعور المشترك بينه و بين من شاركه في هذه المقومات . و حينما يتحدث ابن باديس عن اللغة العربية فإنه يضمنها كل هذه المقومات باعتبارها لغة القرآن و الرابطة القوية التي تربط بين أفراد الأمة الواحدة و التي من خلالها تبرز الذكريات التاريخية التي يعيش عليها المجتمع و الشعور المشترك الذي يؤلف بين قلوب أفراد المجتمع. و هكذا فاللغة من الوجهة القومية هي الرابطة الشعورية و الفكرية التي تربطنا بجنسنا و بقومنا و ثقافة هذا الجنس هنا هي العروبة و هي شعور وجداني و كيان ثقافي و اتجاه حضاري[313]

إننا نلمس كثيرا من هذه المعاني و المفاهيم في أقوال رجال الإصلاح الذين يجمعون فيها دائما بين الدين و اللغة و الوطن و التاريخ لأن اللغة هي الواجهة التي تبرز من خلالها هذه المعاني كلها، فاللغة كما هو معروف ليست ألفاظا و رموزا تيسر عمليات الإتصال و التواصل بين الناس فحسب و ليست أداة تخاطب و تخابر بين المتعايشين فقط، و اللغة من ناحية أخرى ليست قواعد و مفردات و أساليب و أنساق تعبيرية تعلم للناس ليكتسبوا القدرة على الخطابة و القراءة و الكتابة فحسب إنما هي تجارب و مشاعر و أحاسيس و أفكار و طريقة للتفكير و أداة لتنمية المشاعر و صقل الأذواق و نشر القيم، و وسيلة حية للبناء النفسي و الفكري و تحقيق الترابط الإجتماعي و ترقية الشعور الوطني و تعميق الإنتماء إلى التاريخ والتراث

[313] فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، المرجع السابق، ص 85 – 87




كان رجال الإصلاح على يقين تام مفاده أن اللغة العربية عامل أساسي في تحقيق الوحدة الوطنية و القومية بين أفراد الأمة و أنها تفوق الإعتبار العرقي الذي يقوم على السلالة الواحدة في تحقيق وحدة الشعوب[314] و لهذا السبب نجد جمعية العلماء قد ركزت في سياستها اللغوية على تعليمية اللغة العربية باعتبارها حاملة و حامية للدين و الثقافة و الوطنية ، يقول عبد القادر فوضيل:" و كانت اللغة العربية هي المادة الأساسية التي ركزت عليها مدارس الجمعية باعتبارها المدخل الذي لا بد منه لتربية الأجيال و تعريفها بتاريخها و دينها و تراثها و بناء وجدانها ، لذلك لم يكن الهدف من تعليم اللغة العربية هو تمكين الأجيال الصاعدة من معرفة لغتها و امتلاك القدرة على استخدام هذه اللغة فقط و لكن كانت إلى جانب ذلك أهداف تربوية أخرى لم ينص عليها برنامج الجمعية حرفيا"[315] و تأكيدا على الوظيفة الرمزية ربطت الجمعية اللغة العربية بالتاريخ المجيد للجزائر و المسلمين ، يقول الإبراهيمي حول اعتزاز الجزائر بالإنتماء القومي العربي منذ الفتوحات :" و جمعية العلماء هي التي أثبتت للإستعمار أن الدماء البربرية التي مازجت الدم العربي أصبحت عربية بحكم الإسلام ، و بحكم العمومة و الخؤولة الممتدتين في سلسلة من الزمن ذرعها ثلاثة عشر قرنا، مزاج فطري، أحكمت القدرة تداخل أجزائه "[316]

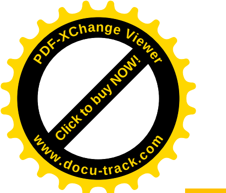
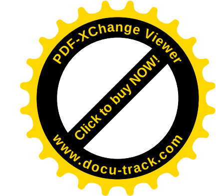
و سعيا منهم لنشر أفكارهم قام رجال الإصلاح بالإستعانة بمختلف الطرق و الوسائل، فقد نشر الشيخ مبارك الميلي كتابه المشهور تاريخ الجزائر في الحاضر و الماضي سنة 1929 و تصدى فيه للفرنسيين الذين كانوا يقولون أن الحضارة الرومانية قد أثرت في الجزائريين و أن الإسلام جاء بالدين فقط و لم يأت بأية حضارة و كان لكتابه الذي نشره سنة 1929 و الجزء الثاني سنة 1932 أثر

---

[314] بن خليف (مالك)، المرجع السابق، ص 382

[315] فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، المرجع السابق، ص 97

[316] الإبراهيمي (محمد البشير)، المصدر السابق، ج3 ، ص 57 نقلا عن:
البصائر، ع 2 ، 1 اوت 1947




كبير في نفوس الجزائريين الذين أقبلوا على قراءته بشغف كبير [317] و فكر ابن باديس في تأسيس كلية للعلوم الشرعية لتخرج العلماء و الدعاة إلى الله على بصيرة، فاقترح على الشيخ الإبراهيمي أن يسطر الجانب التربوي لهذه الكلية إيمانا منه بقدرة الإبراهيمي العلمية و التربوية [318] و لم تنس السياسة اللغوية للجمعية أن تستهدف من شملهم التعليم باللغة الفرنسية في المدارس الفرنسية لإعادة تصحيح مفاهيمهم اللغوية و العقائدية، و قال ابن باديس " " لقد وضعت الجمعية برنامجا صالحا لتعليم الصغار اللسان العربي و تكميل معلومات من تعلموا باللسان الأجنبي، كما خصصت دروسا للكبار[319] و استعان الشيخ ابن باديس بالأمين العمودي في الفترة الممتدة من 1931 إلى غاية 1935 و كلفه بإصدار جريدة " الدفاع" باللغة الفرنسية و تبليغ رسالة جمعية العلماء المسلمين إلى الجزائريين الذين تعذر عليهم تعلم لغتهم العربية[320]

لقد استطاعت المدرسة الإصلاحية أن تسع الجزائريين الذين لم تستوعبهم المدارس الفرنسية خاصة و أن عدد المدارس العامة الخاصة بالأهالي لسنة 1932 قدر بـ 602 مدرسة[321] فقط و هي مدارس تحتوي على قسم أو قسمين على الأكثر [322]. فوفرت لهم التعليم بلغتهم الوطنية و أنقذتهم من الجهل و أتاحت لهم الفرصة لكي يقرؤوا تاريخ بلادهم و يتحصنوا بمعرفة تراثهم

[317] **ben chneb** (Saadedine) *quelques histoires arabes modernes d'algerie * . **revue africaine**. Tomc. 1956 . pp. 475 – 499

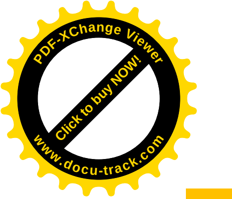
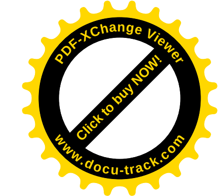
[318] الدراجي (محمد)، المرجع السابق، ص 14

[319] ابن باديس (عبد الحميد)، آثار ابن باديس، المصدر السابق، ج2 ، م2 ، ص 332

[320] **Ageron** (Charles Robert), histoire de l'algerie contemporaine , op-cit, p 326

[321] J . Carde (G.G) Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1932 Alger Imprimerie Solal 1933, p 676

[322] G.Le Beau, (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1936 , Alger, Ancienne Imprimerie Victor Heintz, 1937 , p 79




الإسلامي و لغتهم العربية . و عليه فإن استراتيجية جمعية العلماء قد قامت منذ البداية على أساس استثمار طاقات الإسلاميين في تكوين الشباب و تزويدهم بالعلم و المعرفة حتى يتمكنوا من فرض وجودهم على الإستعمار الأوربي في بلادهم، و قد اعتمد العلماء هذه الخطة لقناعتهم بأنها ستكون مثمرة في المستقبل خاصة و أن الشخصيات البارزة في جمعية العلماء كانت تنتمي إلى سلك التربية و التعليم و ليس إلى الأحزاب السياسية المتنافسة على كراسي المسؤولية و السلطة في المجالس المحلية المنتخبة[323]

انطلق ابن باديس ورفاقه وتلاميذه يعلمون في المدارس الحرة في شتى أنحاء القطر الجزائري و لقيت هذه الجهود المخلصة نجاحا منقطع النظير، كما يصور ذلك ابن باديس بقلمه حيث يقول : الشعب الجزائري شعب مسلم طبعه الإسلام على تعظيم التعليم و حب التعلم و احترام المتعلمين، فلما دبت فيه الحياة و هب للنهوض و اندفع للتعلم اندفاعا أدهش قوما و حير آخرين، فقدم له علماؤه المسلمون قبسا من نور الإيمان الذي هو في حنايا ضلوعه بلغة دينه التي تتصل بروحه ليفهم ذلك الدين و يتذوق معانيه و تتشرب روحه حقائقه و أحكامه [324] و قد ركز رجال الإصلاح على مناح واضحة و أنواع محددة من التعليم و هي :

1 التعليم المسجدي ( و كانت الجمعية تستغله في الدروس العامة و الخاصة و تعليم القرآن )

2 التعليم المكتبي ( الإبتدائي )

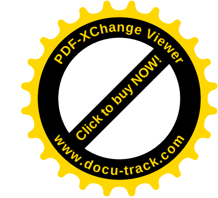
3 تعليم الطلبة ( يتولاه ابن باديس شخصيا و منه تخرج نخبة من المشايخ )

4 تعليم الكبار ( محو الأمية )

---

[323] **Ageron** (Charles Robert), histoire de l'algerie contemporaine , op-cit, . p 337

[324] فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، المرجع السابق، ص 99




و قد استطاعوا بهذا التفصيل في التعليم من تحقيق نجاح كبير، ففي سنة 1936 تمكنت جمعية العلماء من تأسيس 136 مدرسة حرة في الجزائر [325] و استطاعوا بإمكانياتهم القليلة جدا مواجهة دولة فرنسا الإستعمارية التي فرضت على الجزائريين واقعا سيئا في مسألة التعليم ، فقد كان عدد المدارس العامة الخاصة بالأهالي قليلا جدا مقارنة بالقوة الديمغرافية التي يمثلها الجزائريون من مجموع السكان حيث تحصي الإدارة الاستعمارية 570 مدرسة فقط سنة 1930[326] و لم تكتف الجمعية بهذا فقط بل طالبت بترسيم اللغة العربية إلى جانب اللغة الفرنسية و هو ما أكد عليه ابن باديس في المطالب التي اقترحها على المؤتمر الإسلامي الجزائري [327]

كانت جمعية العلماء تدرك جيدا قيمة اللغة العربية في حفظ الهوية، و هذا يعني أنها تعي سبب اندفاع فرنسا لقهر العربية[328] . فالجمعية تعلم أن فرنسا تريد أن تعيد ترتيب البيت اللغوي الجزائري و تعبث بقوانين "السوق اللغوي"، بحيث توجد فيه نوعا من الإنتظام اللغوي بين اللغات بعلاقة القوة بدلا عن علاقة التعايش، مما يعني إلزامية أن تكون الغلبة للأقوى، فتجبر العربية على خوض مغالبة هوية قبل كل شيئ. و في هذا يدخل حرص رجال الإصلاح على التعليم عموما و على تعليم اللغة العربية و آدابها خصوصا. و لما فطنت السلطة الإستعمارية للغاية التي كان يتوخاها المصلحون من

---

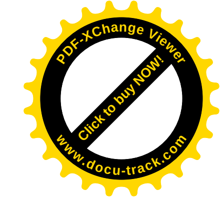
325 بوحوش (عمار)، المرجع السابق، ص 252

326 J . Carde (G.G) Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1930, op-cit , p 333

327 ينظر الملحق رقم : 11

328 كانت الإدارة الاستعمارية تتفنن في قهر و تدمير العربية و تمنع أي نوع من تعليمها و لكنها في نفس الوقت كانت تنشر تعليم العربية في وسطها الإداري الذي يتعامل مع الجزائريين بشكل مباشر حتى يتمكنوا من الإجهاز التام على الجزائريين و التعامل معهم بدون وساطة ينظر :

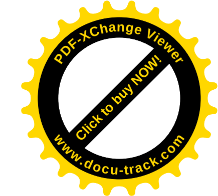
Bulltin mensuel du comité de l'afrique française et du comité du maroc. Paris 1940 p 511



جهودهم المتواصلة في مجال تعليم الناس لغتهم و أساسيات دينهم و تاريخهم أوجدت العراقيل أمام تلك الجهود و منعت كل تعليم للغة العربية بأية طريقة و وسيلة حتى يهدموا الشخصية الإسلامية من أصلها و ليقضوا عليها بالقضاء على مادة حياتها . لقد علموا أن لا بقاء للإسلام إلا بتعليم عقائده و أخلاقه و آدابه و أحكامه و أن لا تعليم له إلا بتعليم لغته فناصبوا تعليمها العداء و تعرضوا لمن يتعاطى تعليمها بالمكروه و البلاء فمضت سنوات في غلق المكاتب القرآنية و مكاتب التعليم الديني العربي و الضن بالرخص و استرجاع بعضها حتى لم يبقوا منها إلا على أقل قليل، و لما رأوا تصميم الأمة على تعلم دينها و لغة دينها سعوا سعيهم حتى يقمعوا معلمي القرآن و الإسلام بينما غيرهم من معلمي اللغات و الأديان المروجين للنصرانية في أمن و أمان، بل في تأييد بالقوة و المال. فما كان من رجال الإصلاح أن قالوا : سنمضي بعون الله في تعليم ديننا و لغتنا رغم كل ما يصيبنا و إننا على يقين من أن العاقبة – و إن طال البلاء علينا –و النصر سيكون حليفنا لأننا قد عرفنا إيمانا و شاهدنا عيانا أن الإسلام و العربية قضى الله بخلودهما و لو اجتمعوا كلهم على محاربتهما . و يؤكد الشيخ البشير الإبراهيمي هذه الروح النضالية و هذا التصميم على خوض المعركة مهما كان الثمن، إذ يقول : و الأمة الجزائرية من أوفى الفروع العربية لهذه اللغة و أكثرها تمجيدا و اعتزاز بها، و قد جاهدت هذه الأمة في سبيل لغتها جهادا متواصلا كان من ثمرات النصر فيه هذه النهضة التعليمية التي ولدت الكتاب و الشعراء و الخطباء و الوعاظ، و هي نهضة لم تعتمد الأمة فيها إلا على ما في نفسها من حيوية موروثة و لم تلتمس فيها عونا من أجنبي بل لم تلق من الأجنبي إلا المعارضة الحادة و التثبيط القاتل ، و كان من نتائج هذه النهضة إلحاح الأمة في المطالبة بمظهر سياسي وطني للغتها و هي أن تكون رسمية في المدارس و الدواوين و الأقلام و الأحكام و أن يعترف لها بمكانتها في وطنها و أن تمحى عنها تلك الوصمة التي لم تسب بأشنع منها و هي أنها أجنبية في دارها.[329]

[329] فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، المرجع السابق، ص ص 100 – 101

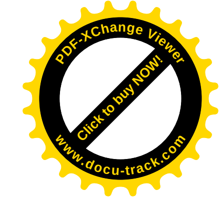




لقد كانت الإدارة الإستعمارية بمختلف هياكلها و ممثليها و خاصة المندوبون الأوربيون في مختلف المجالس يرون في تعليم المسلمين خطرا متربصا بهيمنتهم و بميزانية المستوطنة [330] و لهذا وجب ترك الجزائريين مع جهلهم، و لا بأس أن تتكفل الزوايا و الطرق الصوفية بتعليمهم فهي في الأصل تقدم تعليما متخلفا جدا بدون أي قيمة معنوية أو أخلاقية أو اجتماعية [331] عكس ما كان يقدمه رجال الإصلاح، و لهذا ناصبتهم الإدارة الإستعمارية العداء و عرقلت كل أعمالهم و في هذا يقول الإبراهيمي الذي عبر عن اعتزازه بالسجن في سبيل العربية قائلا: " بدأت دعوة المعلمين إلى المحاكم و نقدر أنها ستعم و أن أول المطر قطرة و أن الأحكام ستكون بالغرامة و السجن، و لكننا سندخل هذه المحاكم برؤوس مرتفعة – وهو هنا يتحدث بلسان جميع معلمي اللغة العربية – و نستقبل هذه الأحكام بنفوس مطمئنة بالإيمان و سندخل السجون بأعين قريرة ، و سنلتقي بإخواننا المجرمين في مجالس الأحكام و مقاعد الإتهام و حسبنا شرفا أن يكون ذلك سبيل ديننا و لغتنا ، و حسبنا فخرا أن تكون التهمة فتح مدرسة دينية و قرآنية بدون رخصة و حسب الإستعمار ديموقراطية أن يحاكم معلمي العربية و الإسلام و يسجنهم على التعليم كما يحاكم المجرمين و يسجنهم على الإجرام في محكمة واحدة و سجن واحد.[332]

[330] اجيرون (شارل روبير)، الجزائريون المسلمون و فرنسا 1871 – 1919، ج2، المرجع السابق، ص 533

[331] MIRANTE (Juan), La France Et Les œuvres indigénes en Algerie, Publications du Comité National Métropolitain du Centenaire de L'algerie 1930 , p 73

[332] فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، المرجع السابق، ص **ص 101 – 102**



## السياسة الفرنسية تجاه التعليم

ترتكز منطلقات التوجه المعادي للعروبة للسياسة الفرنسية في الجزائر على مفاهيم و نظريات أقل ما يقال عنها أنها مدبرة، لا سيما و أن مجملها كانت تهدف إلى خلق وضع رافض للإنتماء الحضاري العربي الإسلامي انطلاقا من منهج محدد تقوم على التسليم بأطروحات و أفكار مسبقة كفيلة بتوفير المناخ الملائم و المساعد على التأثير و الإقتناع ثم الإنتشار و محاصرة القوى الوطنية الجزائرية التي تبث هذا التوجه العروبي،[333] و لهذا فالهدف من سعي الإستعمار لمحو العربية و إحلال الفرنسية مكانها هو صبغ الجزائر بصبغة فرنسية خالصة في كل صغيرة و كبيرة حتى تنقطع جميع الروابط التي تربط الجزائر بانتمائها الحضاري و بذلك تصبح أسهل انقيادا للسياسة الفرنسية و أكثر تقبلا لنتائجها، و يمكن أن نجمل السياسة الفرنسية و نحصرها فيما يلي :[334]

1 – محاربة اللغة العربية والثقافة العربية
2 – فرنسة التعليم في جميع المراحل
3 – محاولة تشويه تاريخ الجزائر في ظل العروبة والإسلام

هذه هي النقاط الرئييسية التي اعمدتها الإدارة الإستعمارية في مسعاها لفرنسة الجزائر

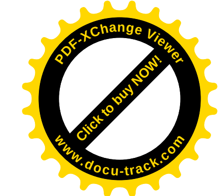
لقد كان المنظر ريمون توماسي ( raymond thomassy )[335] منسجما مع منطلق الإحتلال حين ألح على فرنسا و باستمرار بأن تبادر إلى التعرف على ساحة المعركة حيث تنتظرها مصائر تزداد مجدا كلما كانت أقل دموية و انتصارات تزداد رسوخا كلما نيلت بأسلحة أكثر سلمية. ليضيف بأكثر جرأة و شفافية ممكنة أن العلم هو أحد هذه الأسلحة و أول سلاح ينبغي توظيفه

---

[333] سعيدوني (ناصر الدين)، المرجع السابق، ص 72

[334] شهبي (عبد العزيز)، المرجع السابق، ص 39

[335] ريمون توماسي : من الأوائل الذين نظرو الى الاحتلال الفرنسي بشمال افريقيا ، بالمساهمة بفعالية في استعمار الجزائر




لأنه هو الذي سيعمل على تعبيد الأرضية التي يتعين الزحف عليها. و صرح الدوق دومال يوما أن بناء مدرسة يعادل فيلق عسكري لإحلال الأمن[336] كما راهن آخرون على الطب بالقول " الطب يجمعنا و الدين يفرقنا" و "يفعل الطب ما لا تفعله البنادق ".[337] و فعلا، اعتمدت الإستراتيجية الإستعمارية العلم كأداة لتعميق الصدع و تفكيك الوحدة الجزائرية.[338] و كان بذلك أول عمل أقدم عليه الإحتلال الفرنسي هو استلاؤه على المراكز الثقافية و المدارس و المساجد و الزوايا ليحولهم إلى كنائس و ثكنات لجنوده، حتى أن هؤلاء الجنود كانوا يحرقون و يمزقون كل ما هو مكتوب باللغة العربية ظنا منهم أنه قرآن، و بقضائهم على هذه الأوراق سوف يقضون على كل رموز الثقافة العربية الإسلامية.[339] ثم عمدت كإجراء مقابل إلى طمس معالم اللغة العربية بالجزائر باتباع أسلوب متدرج بدأ بغلق المدارس و المعاهد و تشريد المعلمين و الطلبة ثم تدرج مع بداية القرن 20 إلى منع تعلم اللغة العربية باعتبارها لغة أجنبية و عدم السماح لأي شخصأن يمارس تعلميها أو يتولى إدارة مدرسة عربية أو الكتاب لتحفيظ القرآن الكريم إلا بترخيص خاص و في حالات استثنائية كما نص على ذلك قانون أكتوبر 1894 و هذا ما تسبب في الربع الأول من القرن 20 في حالة مزرية من الأمية و الجهل. و أثناء ذلك بدأ العمل على نشر اللغة الفرنسية عن طريق المدارس و الأجهزة الإدارية و المعاملات التجارية فاستشرط في كل ترقية اجتماعية تعلم اللغة الفرنسية، و قد نجح الفرنسيون في ذلك إلى حد بعيد عندما حاولوا فصل اللغة العربية عن الإسلام و إيجاد بديل عن ترابطهما العضوي بالترويج لفكرة أن الجزائريين مسلمون فرنسيون. و الإيحاء غير المباشر إلى بعض الجزائريين برفع

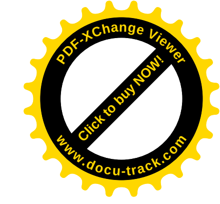
---

[336] ايفون (تيران)، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، دار القصبة، الجزائر، 2007 ص 21

[337] نفسه، ص 55 و المقولة مقتبسة من تصريح للجنرال دولاري و نسبها آخرون إلى عميد كلية الجزائر

[338] مالكي (محمد)، "صورة المغرب العربي في الكتابات الاستعمارية"، المرجع السابق، ص 192

[339] قريشي (محمد)، الأوضاع الإجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة التحريرية الكبرى 1945 – 1954 ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2001 – 2002 ، ص 116




شعارات و أطروحات (الجزائر جزائرية) و قد أشار إلى هذا الواقع تقرير مجلس إدارة جمعية العلماء برئاسة الإبراهيمي منددا بموقف الولاية العامة (G .G.A)[340]

... إنه التعليم الذي حددت وظيفته باستراتيجية الإحتلال في ترسيخ قيم التغريب و الأوربة و الإنسلاخ عن مقومات الإنتماء العربي الإسلامي . فالتعليم – في منظور السياسة الفرنسية – لم يشكل مجرد أداة عادية لإستنفاذ أهداف عامة و حسب بل مثل واحدا من الأسلحة الإستراتيجية لدى الإدارة الإستعمارية.[341] و لا يخفى على أحد أن السياسة الاستعمارية في مجال التعليم عملت على تحقيق هدفين أساسيين، يتمثل الأول في محاربة التعليم الأهلي بكل مؤسساته التعليمية الموجهة للأهالي و وسائله [342] الموصوفة بالتجهيل لدى الفرنسيين [343] و هذا ما يفسر جانبا من الوصول الضعيف إلى المستويات الجامعية من خلال خلق نمط من التعليم لا يؤدي الى الجامعة سمي بالتعليم الابتدائي العالي أو الصنف ( ب ). و تعكس الإحصائيات بدورها الصورة الهزيلة لرواد التعليم العالي الفرنسي في الجزائر، فإذا نظرنا إلى التعليم الثانوي فإننا لا نجد إلا حوالي 125 طالب مسلم سنة 1905 في مجموع الثانويات الفرنسية في الجزائر و ارتفع العدد إلى 180 طالب سنة 1910 ثم

---

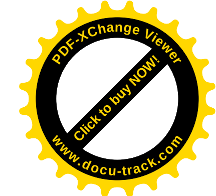
[340] سعيدوني (ناصر الدين)، المرجع السابق، ص 73

[341] مالكي (محمد)، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 297

[342] كانت الصحافة إحدى الركائز الأساسية و الوسائل الهامة في نشر الثقافة العربية و قراءة الأحداث بزاوية عربية، و لهذا عمدت الإدارة الإستعمارية إلى إحداث قانون للصّحافة يوجب على مدير الصّحيفة أن يقدّم طلبا مع نسختين من جريدته لمدير البريد طالبا منه الإذن بتوزيعها , و مدير البريد لا يأذن بتوزيع الجريدة إلاّ بعد جواب وكيل الحق العام بكون هذه الجريدة قائمة بواجب القانون الصّحافي، و بهذا تكون الإدارة قد ضمنت أن ما تحتويه هذه الجرائد لا يعادي التوجه العام للسياسة الفرنسية من جهة و يأدي إلى عرقلة صدور هذه الجريدة من جهة أخرى، ينظر :
الصراط، ع3، 25 سبتمبر1933 ، ص 6

[343] MIRANTE (Juan), op-cit , p 73







تقهقر الى 170 طالب سنة 1914 ليصل إلى 813 طالب في إحصاء 5 نوفمبر 1933[344] و الذين لا يوفق منهم إلا عدد قليل في شهادة البكالوريا.[345] حيث لا تتعدى نسبة الخمسة في المائة على الأكثر.[346]تتوافق الإحصائيات السابقة مع الإحصائيات الجامعية، فالمدارس العليا لم تسجل سنة 1884 سوى 6 طلبة مسلمين فقط، و ارتفع هذا العدد إلى حوالي 50طالب سنة 1907 ثم إلى 62 طالب سنة 1922[347] و 93 طالب سنة 1930[348] ثم 103 في 1933[349] ثم انخفض في إحصاء 31 جويلية 1935 إلى 102 طالب[350]

و بهذا يمكن الحكم على السياسة التعليمية في الجزائر بالإنحياز للفرنسية على حساب العربية. فقد أهملوا تعليم اللغة العربية في مدارس البلاد و جعلوا المدارس كلها فرنسية، بحيث لو تسنى لجزائري أن

[344] ينظر الملحق رقم 7 أو :

J . Carde (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1933, op-cit , p 680

[345] Expose de la situation général en algerie (1894 – 1960 ) voir aussi, statistique general de l'algerie (1894 – 1929 )

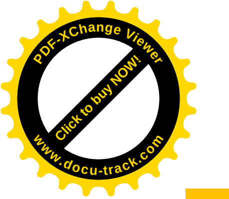
[346]G.Le Beau, (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1935, op-cit , p p 29 – 33

[347] بارفيلي (غي)، النخبة الجزائرية الفنكوفونية 1900 – 1962، ترجمة محمد سعود و آخرون، دار القصبة، الجزائر، 2007 ص28

[348] J . Carde (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1930, op-cit , p 273

[349] J . Carde (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1933, op-cit , p 662

[350]G.Le Beau, (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie en 1935, op-cit , p 28








يدخل هذه المدارس لما خرج منها إلا فرنسيا[351] و بالرغم أيضا من أن الأهالي الجزائريين كانوا يمثلون قوة ديمغرافية إلا أن مسألة تعليمهم كانت تأرق الإدارة الاستعمارية و كانت تفتخر بوجود 66794 أهلي ( منهم 60176 أولاد و 6618 بنات ) مسجلين بالمدارس الأوربية[352] و 631 مدرسة خاصة بالاهالي الجزائريين[353] ( منها 595 مؤسسة مخصصة للذكور و 36 مخصصة للاينات ، و تستوعب 65420 تلميذ مسجل منهم 59684 ذكور و 5741 بنت)

و زيادة على جعل التعليم باللغة الفرنسية و محاولة تكوين النخبة المفرنسة من الجزائريين الذين يساعدون على نشر اللغة الفرنسية بين أهليهم. فرضت اللغة الفرنسية في الإدارة و المحيط الإجتماعي و أجهزة الإعلام فأصبحت هي اللغة الرسمية في الإدارة و هي اللغة الوحيدة المستعملة في كتابة أسماء المحلات و الشوارع و كل المرافق العامة ، و كانت الإدارة الإستعمارية من وراء ذلك إلى جعل البيئة الثقافية الجزائرية قطعة من البيئة الثقافية الفرنسية حتى يكون لفرنسة التعليم سند من فرنسة الإدارة.[354] و مهما يكن من أمر فإن حرية التعليم بالنسبة للأهالي ظلت أمرا مستحيلا و ذلك منذ إصدار قانون 15 أوت 1878 و الذي تنص المادة الثامنة منه على منح الحاكم العام الحق في منع المدارس الحرة للتعليم حماية للنظام العام.[355] و يعد هذا القانون أحد أكبر العراقيل في وجه المنظومة

---

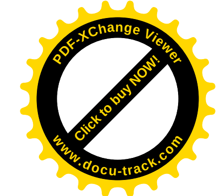
[351] سالم (محمد يهي الدين)، المرجع السابق، ص 24

[352]G.Le Beau, (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie en 1935, op-cit , p 91

[353]J . Carde (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1933, op-cit , p 731

[354] بن نعمان (احمد)، المرجع السابق، ص 119

[355]بارفيلي (غي)، المرجع السابق، ص 36



التعليمية الشعبية الحرة و أحد الإجراءات الوقائية التي سنتها الإدارة الإستعمارية لحماية المنظومة التربوية الفرنسية أمام نظيرتها العربية.[356]

كان التعليم أيام الحكومة الفرنسية استعماريا بحتا لا يعترف باللغة العربية و لا يقيم لوجودها أي حساب، فاللغة الفرنسية هي وحدها لغة التدريس في جميع مراحل التعليم [357] و كانت في كل مرة تعزز ترسانتها القانونية لحماية لغتها الفرنسية و قمع اللغة العربية و من ذلك قانون 18 أكتوبر 1892 الذي وصفه الابراهيمي بأنه أصل البلاء كله على التعليم العربي، و كل ما جاء بعده فهو فرع عنه أو تكميل له،[358] و كانت كلما اشتدت حركة التعليم العربي و امتدت ظهر للحكومة فيها رأي فسنت لشلها قانونا أو قرارا، [359] فكانت كل الوسائل التي تتذرع بها الحكومة لمقاومة التعليم العربي في الجزائر هي : إما قوانين أصدرها مجلس الأمة في فرنسا في أوقات مختلفة و لأسباب متنوعة و إما قرارات إدارية فردية مصدرها الجزائر و مبناها على إيعازات بوليسية، توجبها الروح الإستعمارية و النوع الأول غالبه عام مطلق يشمل كل تعليم حر لم تباشره الحكومة بأية لغة كان و من أي جمعية صدر و الثاني خاص بنا معشر المسلمين مصبوب علينا وحدنا موضوع بالقصد المباشر للتضييق على لغتنا و ديننا، و قد كثر هذا النوع و توالد، و كلما زادت الأمة إقبالا على تعلم لغتها و دينها زادت الحكومة في القيد تضييقا. [360] و لم تكتف الإدارة الإستعمارية بهذا بل "عمدت إلى ابتكار أنواع جديدة من العرقلة أخرجت بها قضية التعليم من باب القانون و النظام و المحافظة على الصحة إلى باب العناد السخيف و المعاكسة اللئيمة و بناء برنامج عملي واسع و عميق ذا شعب متعددة و

---

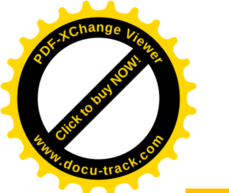
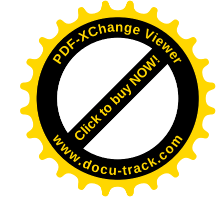
[356] بشنون (الشيخ سليمان)، المرجع السابق، ص 65

[357] المدني (أحمد توفيق)، جغرافية القطر الجزائري، مكتبة النهضة ، ط 2، 1963 ص 138

[358] الإبراهيمي (محمد البشير)، المصدر السابق، ج 3 ، ص 238 أو ينظر: البصائر، ع 71 ، 14 مارس 1949

[359] نفسه، ج 3 ، ص 232 أو ينظر: البصائر، ع 69 ، 28 فيفري 1949

[360] الإبراهيمي (أحمد طالب)، المصدر السابق، ج 3 ، ص 217 أو ينظر: البصائر، ع 65 ، 31 جانفي 1949



مرام بعيدة لحرب التعليم العربي من خلال التسلط على رجال العلم و عدم العناية بتعليم أولاد المسلمين إلا القلة القليلة التي تتلقى برنامجا فارغا مضطرب الساعات فيخسر التلميذ التعليم العربي و لا يحصل على التعليم الفرنسي. و هناك تسعون بالمائة من التلاميذ الجزائريين لا يجدون لأنفسهم مكانا في المدارس الفرنسية و أوليائهم يدفعون الضرائب التي تبني هذه المدارس.[361]

إنه لمن الغريب أن يحرم الإستعمار الفرنسي التعليم على مسلمي الجزائر و يفرضه على أبنائه في وطنه، فأعجب – يقول الإبراهيمي – لشيئ واحد يحرم في وطن و يفرض في وطن، و من عرف الإستعمار معرفتنا به لم يعجب و لم يندهش، خصوصا في وطن كالجزائر لغته العربية و دينه الإسلام،[362] فالحكومة الجزائرية مصممة على محو التعليم العربي و التضييق عليه و معاكسته و ما فتأت الجمعية تندد بالإجراءات الحكومية و معاملاتها إزاء التعليم العربي و تشهر بقوانينها و قراراتها و معبرين عن رفضهم لهذه القوانين لأنها مفروضة على المسلمين وحدهم.[363] و يضيف الإبراهيمي : " لقد أصبح من عقائدنا الراسخة بل أصبح من الحقائق الواقعة أن هذه الحكومة عاملة على إفساد تعليمها الرسمي لأبنائنا حتى تصيره هيكلا بلا روح، فهي تتعهد بالتنقيص من المفيد و الزيادة من السفاسف "[364] و رغم التوظيف الحكومي الفرنسي للمعلمين العرب في مدارسها ألا أنها كانت تشتكي دوما من نقص وجودهم[365]

---

[361] الإبراهيمي (أحمد طالب)، المصدر السابق، ج 3 ، ص 228 – 229 أو ينظر البصائر، ع 68 ، 21 فيفري 1949

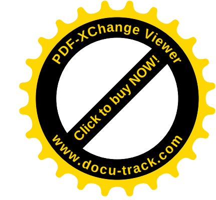
[362] نفسه، ج 3 ، ص 220 أو ينظر: البصائر، ع 66 ، 7 فيفري 1949

[363] نفسه، ج 3 ، ص 224أو ينظر: البصائر، ع 67 ، 14 فيفري 1949

[364] نفسه، ج 3 ، ص 230أو ينظر: البصائر، ع 68 ، 21 فيفري 1949

[365] يعود هذا إلى رفض الإدارة الاستعمارية الإعتماد على الإطارات و المعلمين الذين توفرهم جمعية العلماء ينظر :

J . Carde (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1933, op-cit , P 660




كل المعطيات كانت في غير صالح المسلمين فقد كان تخوف الساسة شديدا و معارضة المعمرين صلبة لعملية تعليم الأهالي، لهذا كان يمر التلميذ المسلم من مرحلة تعليمية لأخرى وفق تصفيات عسيرة عادة ما تكون مقترنة بموقف أوليائه من الإستعمار و علاقتهم به [366] يضاف إلى ذلك مسألة التأطير التي قننتها الإدارة الإستعمارية بشكل رهيب حيث بلغ عدد المدارس العامة الخاصة بالأهالي 570 مدرسة منها 544 للأولاد و 26 مدرسة للبنات و تدرس هذه المدارس 51542 تلميذ منهم 47957 ذكور و 3585 بنات [367] و لم يتغير العدد كثيرا في السنة الموالية حيث بلغ عدد المدارس العامة الخاصة بالأهالي في 5 نوفمبر 1932 602 مدرسة منها 571 خاصة بالذكور و 31 مدرسة خاصة بالبنات و تحتضن هذه المدارس 59777 أهلي مسجل منها 54926 ذكور و 4851 بنات.[368] و لا يمكن هنا أن نأخذ بأن كلمة مدرسة تشير إلى المصطلح المتعارف عليه من المدارس العادية المتوفرة على أقسام و تهيئة و إدارة حازمة و غيرها مما يتوفر في باقي المدارس، بل إن المدارس الخاصة بالأهالي تحتوي على قسم واحد أو قسمين على الأكثر و هذا لا يلبي حاجيات التعليم الابتدائي الخاص بالأهالي فقد كانت كل المدارس التي أنشأتها الإدارة الإستعمارية سنة 1936 و هي 26 مدرسة خاصة بالأهالي منها 13 مدرسة بعمالة الجزائر و 4 بعمالة وهران و 9 بعمالة قسنطينة كان بعضها يحتوي على قسم واحد أو قسمين على الأكثر[369]

و لم تكن الثانويات تقبل سوى أبناء الخيام الكبرى من حاشية الإستعمار و خدمه من قياد و معلمين أهليين و أعوان الصحة و الإدارة و الجيش، و نادرا ما كان يلتحق بالكولاجات

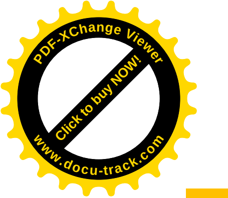
---

[366] بارفيلي (غي)، المرجع السابق، ص 47

[367] J . Carde (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1930, op-cit , P333

[368] ibid . 1932. p 676

[369] G.Le Beau, (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie en 1936 , op-cit , p 79







الفرنسية أو الثانويات أبناء من عائلات غير نافذة أو ميسورة، و فيما يخص طبيعة التعليم فكانت خطة ذكية لحرف المسار التعليمي لأبناء الأهالي، فوجود فئتين من المدارس "أ" و "ب" حيث ينتهي المطاف بتلاميذ الفئة ( ب )[370] في أحسن الأحوال كمعلمين و هم أحسن من الفئة الأولى، فهذا يعبر من جهة عن نية مبيتة لحرمان الأهالي من التعليم العالي على نطاق واسع و يفسر من جهة أخرى قلة التحاقهم بالجامعة.[371] و قد لقيت هذه السياسة العقيمة نقدا لاذعا من مختلف الأطراف الجزائرية بمختلف مشاربها فها هو النائب محمد بن الطيب[372] يؤكد سنة 1947 أن من آثار السياسة الفرنسية أن 90بالمئة من الأطفال المسلمين لم يأكلو قط اللحم و يمشون حفاة و لم يناموا قط على فراش.[373] و يقول الإبراهيمي :" لقد قلنا للحكومة : إن تعطيل المدارس العربية بالأوامر الإدارية – لأن المعلم الذي يعلم أو الجمعية التي تدير غير مرضي عنهما – يعد عقوبة للأطفال الصغار الذين لم يرتكبوا ذنبا ، و قلنا لها أن هذه المدارس التي شيدتها الأمة لأبنائها بأموالها و لم تدفع فيها خزانتك درهما و لا دينارا قد أصبحت تضاهي مدارسك سعة و نظاما و جمالا و استكمالا لشرائط الصحة"[374] و قال أيضا : "مازلنا نعلن للملأ و نقول للحكومة : " إن البلاء

---

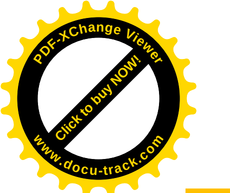
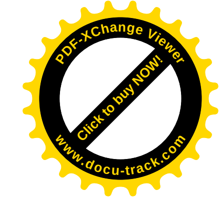
[370] **Elison** (caston guedj) , enseignement indigéne en algerie au cour de la colonisation ( 1832 – 1962). edution les ecrivans, paris 2000 p 78

[371] كانت نسبة نجاح الأهالي في اجتياز مرحلة البكالوريا و الإمتحانات الجامعية ضئيلة جدا و لا تتعدى الخمسة في المائة على الأكثر و هذا كنتيجة مباشرة للسياسة التجهيل الفرنسية ينظر :
G.Le Beau, (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie en 1935 , op-cit , p p 29 – 33

[372] محمد بن الطيب ( 1901 – 1982 ) هو عضو الجمعية الوطنية نائب عن مدينة الجزائر ( 1946 – 1951 ) ثم انتخب في الجمعية الجزائرية ( 1953 – 1956 ) و الجلسة كانت بتاريخ 19 اوت 1947

[373] اوليفيه (لوكر غراندميزون)، في نظام الأهالي، المرجع السابق، ص 244

[374] الإبراهيمي ( أحمد طالب)، المصدر السابق، ج 3 ، ص 221أو ينظر: البصائر، ع 66 ، 7 فيفري 1949




المنصب على تعليمنا آت أقله من القوانين و أكثره من تنفيذها و من القائمين على تنفيذها" [375] و قد طالبت جمعية العلماء بإلغاء جميع القرارات القديمة المتعلقة بالتعليم العربي و استبدالها بقانون موحد يكون للأمة رأي فيه و لجمعية العلماء اشتراك في وضعه، لأن التعليم العربي بالنسبة لها هو وسيلة تثقيف و بالتالي يجب ترقيته و القرارات السابقة هي محاولة لقتله [376] و ها هو الإبراهيمي من جديد يعبر عن سخطه و ينتقد التشريع الفرنسي في الظروف الخاصة قائلا:"عان التعيم العربي أيضا من التشريع الذي ناله في أيام الحرب و الذي سنته لجنة التحرير القومي و هما قانوني 6 اوت 1943 و قانون 27 نوفمبر 1944 و أن التشريع أيام الحرب للأمور الإجتماعية كالتعليم مثلا يخطئه التوفيق و يحالفه السفه و الخطل، لأن زمن الحرب زمن ضرورة و رخص و استثناء فما يصلح فيه لا يصلح لغيره و أن أوجع الضربات المسددة للتعليم العربي من هذا التشريع الحربي ما فرضه على المدارس العربية من تعمير خمسة عشر ساعة في الأسبوع بتعليم اللغة الفرنسية"[377]

كان لرجال الإصلاح و على رأسهم الإمام عبد الحميد ابن باديس رأي خاص في مسألة تعليم أبناء المسلمين و في هذا السبيل نجده يقول:" إنّ مسألة تعليم أولادنا دينهم و لغة دينهم هي في نظر كلّ مسلم مسألة المسائل و أعظم المطالب... فلن نستطيع صبرا على منعنا من تعلمنا لغتنا و لاسكوتا على من يتسبّب في ذلك المنع كائنا من كان... إنّنا يسرّنا أن يكون القانون الفرنسوي بعيدا عن هذا المنع مُنزّها عنه. فباسم ذلك القانون المحترم و باسم مبادئ الجمهورية الفرنسوية العظيمة نوجّه طلبنا إلى الإدارة العليا و على رأسها جناب م.كارد في أن يَدَعُونا نقوم بتعليم أولادنا ديننا و لغة ديننا و أن يكون الإذن بالتّعليم للقطر[378].

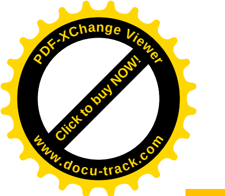
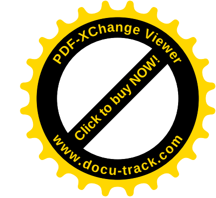
---

[375] الإبراهيمي ( أحمد طالب)، المصدر السابق، ج 3 ، ص 241 أو ينظر: البصائر، ع 72 ، 21 مارس 1949

[376] البصائر، ع 1 ، 25 جويلية 1947 ، ص ص 3 – 4 ينظر كذلك إلى الملحق رقم : 20

[377] الإبراهيمي ( أحمد طالب)، المصدر السابق، ج 3 ، ص 245 أو ينظر: البصائر، ع 73 ، 28 مارس 1949

[378] الصراط، ع3 ، 25 سبتمبر1933 ، ص 1



لكن يبدو أن دعوة ابن باديس هذه لم تلق آذانا صاغية كون الإدارة الإستعمارية كانت تمقت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و قد ذكر أحد مسؤولي الإدارة الاستعمارية[379] لأحدهم – جاء طالبا لرخصة التعليم – أنه لو جئتم بمعلم من طلبة الزوايا لما عارضتكم في شيئ و لوجدتم مني المساعدة و الإعانة و لكنكم اتصلتم بجمعية العلماء و جئتم بالمعلم من تلامذتها و أنصارها و أنا لا أسمح أن يدخل إلى وطني هذا الميكروب [380] و تثبت الوثائق الأرشيفية هذا التوجه المعادي للتعليم العربي الإسلامي من خلال عدد الرخص المخصصة لفتح أي مدرسة قر آنية و التي قدرت بـ 21 رخصة [381] بالإضافة إلىالشروط القاسية لفتح مدرسة قرآنيةممثلة فيملف دقيق يحتوي على إثباتات للحالة المدنية و تقارير صادرة عن الإدارة و أخرى صادرة عن الشرطة ، و جاء في أحد التقارير الصادر عن الشرطة بتاريخ 22 نوفمبر 1941 موجها لبريفي عمالة قسنطينة جاء فيه معلومات مفصلة عن معلم قرآن طلب رخصة للتعليم و معلومات عن حالته الشخصية و العائلية و عمره و انتهي التقرير بتزكية المعلم [382]. و هذا دليل واضح على المتابعة الصارمة التي تخصها الإدارة الاستعمارية لرجال الإصلاح و لم يكن هذا حالة شاذة أو خاصة يمكن استثنائها بل شمل هذا كل العمالات[383] و قد رصدنا العديد من المراسلات [384] من بعض رؤساء البلديات إلى عامل عمالة

---

[379] المفارقة المثيرة للإنتباه هنا أن الإدارة الإستعمارية كانت تشتكي من عدم وجود معلمين عرب في مدارسها ( خاصة مدرستها بتلمسان ) و في الوقت نفسه رفضت التعامل مع الجمعية و أساتذتها ينظر :

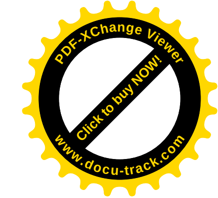
J . Carde (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1933 , op-cit , P660

[380] الإبراهيمي ( أحمد طالب)، المصدر السابق، ج 3 ، ص 227 أو ينظر: البصائر، العدد 67 ، 14 فيفري 1949

[381] A w c , boite 20 ,( servises reformes ), 26 – 02 – 1942 N= 41/1942

[382] A w c , boite 20, ( servises reformes ), 22 – 11 - 1941 , N= 3244

[383] تلقى رؤساء بلديات قسنطينة و إدارييها أمرا من عامل عمالة قسنطينة يلزمهم فيها بمعرفة كل ما يمكن معرفته حول عدد المدارس القرآنية الموجودة في بلدياتهم خلال السنة الحالية إضافة إلى عدد معلمي القرآن ، و عدد الطلبة المتابعين لتعليمهم ، و أشار عليهم أن هذا الإحصاء سيتم تضمينه لـ annuaire statistique de l'algerie ينظر :



قسنطينة تتعلق بمتابعة المدارس القرآنية الموجودة في قسنطينة و من ذلك ما جاء في مراسلة بلدية فج مزالة التي قدرت عدد المدارس القرآنية ب 59 مدرسة و 59 معلما[385] ، و مراسلة أخرى من رئيس بلدية العلمة المختلطة إلى بريفي العمالة و جاء في التقرير أنه لا توجد أي مدرسة قرآنية في البلدية المختلطة العلمة باستثناء بعض معلمي القرآن ( talebs ) الذين هم من خارج المدينة و المنطقة جاء بهم بعض أغنياء المنطقة لتعليم أولادهم ، و ذكر التقرير أن عملية تدريس القرآن تتم تحت مراقبة جيدة و سيتم منح تراخيص فتح مدرسة قرآنية بشروط و ظوابط دقيقة[386] و نفس موضوع المراسلة تناوله رئيس بلدية بسكرة الذي أكد أن هناك 11 مدرسة قرآنية ببلديته[387] ، و تقرير آخر صادر عن رئيس الشرطة في خنشلة يأكد وجود 8 مدارس قرآنية ، أما سطيف فبها 5 مدارس قرآنية مفوضة و مقبولة من الإدارة الإستعمارية و تكون 55 طالبا[388] ، أما بلدية تبسة المختلطة فتضم 50 مدرسة قرآنية[389] ، أما عين البيضاء فتضم 18 مدرسة قرآنية بها 222 طالب[390]

كل هذه المعطيات الرقمية تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الصراع كان محتدما بين الإدارة الإستعمارية و رجال الإصلاح و لم يحدث أن التقت رؤيتهما في موقف واحد، و حتى حينما دعيت جمعية العلماء من طرف الإدارة الإستعمارية سنة 1947 لحل مشكلة التعليم العربي و مسألة الشؤون الدينية و عينت الجمعية رسميا المفاوضين الأساتذة: العربي التبسي، أحمد بوشمال، عبد القادر

---

A w c , boite 20, ( servises reformes ), 04 – 02 - 1941 , N= I. 722

[384] لاحظنا من خلال تصفحنا لـ ( servises reformes ) boite 11 أن هناك العديد من التقارير و المراسلات كلها ترد على مراسلة بريفي العمالة رقم AM.2/ 1961 و تتعلق هذه المراسلة بمتابعة المدارس القرآنية في عمالة قسنطينة

[385] A w c , boite 11, ( servises reformes ) , 01 – 12 – 1943

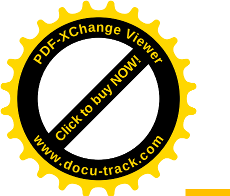
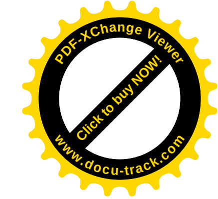
[386] A w c , boite 11, ( servises reformes ), 27 – 11 – 1943 , N= 5008

[387] A w c , boite 11, ( servises reformes ), 02 – 12 – 1943 , N= 1369

[388] A w c , boite 11, ( servises reformes ), 29 – 11 – 1943

[389] A w c , boite 11, ( servises reformes ), 08 – 12 – 1943 , N= 6852

[390] A w c , boite 11, ( servises reformes ), 08 – 12 – 1943




محداد. و اجتمع المفاوضون مرتين تبين منهما البعد السحيق بين وجهتي النظر [391] و تأكد من خلالها الإبراهيمي أنه منذ 18 سنة و منذ 1931 تعاقب على الجزائر سبعة ولاة مختلفي الميول السياسية و أربعة مديرين للشؤون الأهلية و لم يقدم أحدهم شيئا للتعليم العربي لأن الطبيعة الإستعمارية واحدة في الجميع.[392]

لعلنا من كل هذا نخلص إلى أن تأسيس الإستعمار لمنظومته الثقافية يعتبر اعتداءا بشكل أو بآخر على النظم الثقافية الأصيلة، و كل نظمه تهدف إلى الفرنسة التدريجية لمختلف مناحي الحياة الجزائرية. و لا نعني بـالفرنسة فقط استخدام اللغة الفرنسية على نطاق واسع ، بل نعني بالفرنسة إحلال الثقافة الفرنسية محل الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر حتى ينسى الجزائريون بمرور الزمن لغتهم العربية و ثقافتهم القومية و يستبدلونها بلغة و ثقافة المستعمر و بذلك تصبغ كل البلاد بالصبغة الفرنسية في طريقة الحياة و لغة التخاطب و العلوم و أبسط الجزئيات المتعلقة بالحياة بمعنى العمل على جعل الجزائر هي فرنسا أو بعبارة أخرى امتداد حضاري و جغرافي لأرض فرنسا.

و الملاحظ كذلك أن الإدارة الفرنسية اهتمت بشكل ضعيف بالتعليم العربي الأهلي لأنها كانت بحاجة فقط إلى بعض المتعلمين الذين تستعملهم لخدمة مصالحها لأن تدهور نظام التعليم التقليدي طرح مشكل نقص المثقفين و القضاة، كما أن الأعوان الأوربيين لم يكن بمقدورهم شغل كل المصالح التقنية لعدم معرفتهم باللغة العربية و بالتالي الإهتمام بهذا التعليم وفق المصالح الفرنسية، كذلك لم يكن ممكنا نسب أعمال و وظائف الدين و القضاء الإسلامي لغير المسلمين.[393]

---

[391] الإبراهيمي ( أحمد طالب)، المصدر السابق، ج 3 ، ص 235 أو ينظر : البصائر، العدد 70 ، 7 مارس 1949

[392] نفسه، ج 3 ، ص 233 أو ينظر: البصائر، عدد 69 ، 28 فيفري 1949

[393]**Fanny** (colonna) , instituteurs algeriens 1883 – 1939 , office des publication universitaires . alger . 1975 p 80






## مقاومة المصلحين لسياسة الفَرْنَسَة الإستعمارية

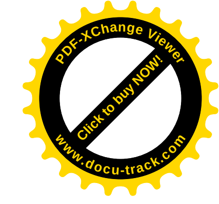
يمثل الدين و اللغة في المقاربة الثقافية الدور الإستراتيجي الموحد للمجتمع و المقوي للروابط، و كان الإستعمار على دراية و إدراك كامل لهذا الدور، و لهذا أصر على تغريب الإنسان الجزائري و اختراق قيمه الدينية و الثقافية، و من الثابت أنه قد أوجد لهذا الغرض أكثر من نظرية، كما وظف معطيات العلم المعاصر و تقدم مناهجه، و قد استطاعت السياسة الفرنسية من خلال تركيزها على تعليم اللغة الفرنسية و غرس القيم الغربية أثره تكوين شرائح اجتماعية منفصلة عن واقعها الحضاري تؤمن بالقيم و المبادئ الفرنسية.

كان للمخطط الفرنسي بالجزائر بعد طائفي شعوبي، و لذلك ينبغي الرجوع إلى المخطط الإستعماري لفهم الواقع و ما يفزه من سلوكات و مفاهيم هادفة إلى نسف الأسس التي يقوم عليها التماسك الإجتماعي للشعب الجزائري العربي المسلم. و قد أدى التوجه المعادي للعروبة و الإسلام في السياسة الفرنسية في الجزائر إلى توقف نمو المجتمع الجزائري المتكامل في إطاره الحضاري العربي الإسلامي[394] و لاحظ ابن باديس أن الجزائري أصبح يعاني ضعفا في ملكة الكلام حتى في الأمور الجارية المألوفة و يتضح ذلك إذا ما دعت مناسبة إلى حكاية قصة من القصص أو شرح واقعة من الوقائع فهناك ينكشف الستار و يظهر العار و تتجلى للعيان فاقة اللسان و فقده لنصاب الألفاظ الذي لا غدو عنه للتفاهم في الشؤون العامة. و اللغة العامية عربية الأصل على نسبة لا تقل عن 70 في المائة[395]

---

[394] سعيدوني (ناصر الدين)، المرجع السابق، ص 70

[395] البصائر، ع 8، 21 فيفري 1936 ، ص 1



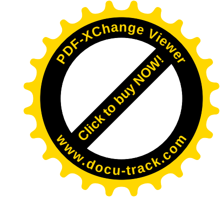
لم ينقطع الخير و الصلاح أبدا من الجزائر منذ بدأ الإحتلال الفرنسي رغم كيد الكائدين، فالخير و الصلاح لا ينقطعان من أمة محمد صلى الله عليه و سلم، فما عمل جمعية العلماء و إصلاحها إلا استكمال لمن سبقها في العمل الإصلاحي ، فحتى قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين كان ابن باديس يجوب البلاد مسديا نصائحه و مشجعا الإرادات الحسنة و جامعا للطاقات في مختلف بقاع الجزائر و قد زار تباعا : سطيف، البرج ، تامزالت، آقبو، بني وغليس، زاوية سيدي عبد الرحمان الأيلولي ، دلس، سيدي عيش، بوجي ( بجاية )، عزازقة، تيزيوزو، تيقزيرت، أزفون، الأربعاء، عين الحمام ( ميشلي ) ، هذا المسار يشكل تخوم الرقعة الجغرافية حيث كان الإشعاع الفكري و الديني لقسنطينة محسوسا و عند نهاية 1930 تجاوز مجال نفوذ الحركة الإصلاحية الباديسية المثلث الأولي : قسنطينة سطيف بسكرة إذ شمل مجموع القطر القبائلي و جزءا من منطقة العاصمة، و هكذا لوحظ امتداد للحركة الإصلاحية صوب الغرب انطلاقا من 1931 [396] و ما ميز ابن باديس هو أسلوبه الخاص في التعليم و التدريس، فلم يكن مقتفيا فيه أثر القدامى من أقطاب المدارس التعليمية التقليدية فقد كانت دروسه المرتكزة على المجهود الذهني تستثير الذكاء و تستدعي التفكير[397] على أن الدرس الديني ذاته أو الفقه الذي تتخلله استطرادات أو تطبيقات مما يجري في الحياة العامة من قضايا و أحداث كان يسلك فيه سبلا تقوده إلى التاريخ أحيانا و تجره إلى علم الإجتماع أحيانا أخرى أما الإبراهيمي الذي استقر بالغرب الجزائري فقد لقيت دروسه و محاضراته رواجا هائلا في الغرب الجزائري [398] و إلى جانبهم كان مبارك الميلي و أحمد توفيق المدني قد تركا بصماتهما على الحركة الإصلاحية و أديا دور حاسما في إحياء و تكوين الأجيال الصاعدة في مادتي التاريخ و الجغرافيا المتعلقين بالجزائر و بالخصوص في بداية الثلاثينات فقد كان كتاب التاريخ القديم

---

[396] مراد (علي)، المرجع السابق، ص 167

[397]**Boualem** (bessaih), op-cit , p 260

[398] بسايح (بوعلام)، المرجع السابق، ص 17




والحديث للجزائر 1928 – 1932 بحق مرجعا نموذجيا في توضيح و تجسيد التعاليم التي تنشرها جمعية العلماء و هذا مع التشييد التدريجي للمؤسسات التعليمية التي بدأت تتكاثر عبر الترابط الوطني[399]

كان رجال الإصلاح يدركون من البداية أن مواجهة الإستعمار الفرنسي لا تكون بالإصطدام بالإستعمار بجموع مازالت تعتقد أن المجنون ولي الله و أن الأمي المشعوذ عالم[400] و لهذا فعودة الجزائر إلى لغتها العربية يعني في الوقت ذاته استرجاعها لشخصيتها القومية التي مسخها المحتل الأجنبي و عمل على طمس مقوماتها و إفرغها من محتواها و مضامينها منذ وقت مبكر[401] بل يجب على قادة الأمة الجزائرية أن يبدأو ا من حركاتهم على أساس متين يضمن لهم النجاح في مأموريتهم و يبعث فيهم الإرتياح و الإطمئنان لما أوجدته أياديهم البيضاء ألا و هو تعليم الشبيبة الناشئة، لأن الشباب هم رجال المستقبل و هم حاملوا لواء مجد أمتهم فيه و يجب عليهم زيادة الدعوة الإصلاحية الإجتماعية و أن يعتنوا بالتعليم عناية كبرى[402] . إن التعليم هو الحجرة الأساسية و الدعامة الحيوية لهيكل كل أمة من الأمم، ذلك أنا نرى أن الحركات الإصلاحية و الاجتماعية و السياسية في كل قطر من الأقطار إنما يكون لها ضمان البقاء و الإزدهار إذا كان الشعب الذي تدور فيه تلك الحركات على نصيب وافر من الثقافة و المعارف[403] و لهذا فليس من

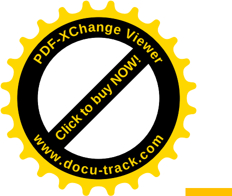
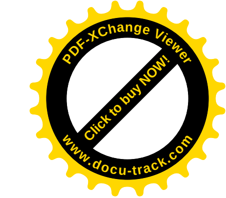
[399] **sari** (Djilali), op-cit , p p 230 – 235

[400] بلعربي (خالد)، "الفكر الإصلاحي عند الشيخ العربي التبسي و سماته الوطنية"، **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية**، العدد الأول، ص 74

[401] دودو (أبو العيد)، المرجع السابق، ص 44

[402] الشهاب، ج1 ، مج 13 ، 14 مارس 1937 ، ص 31

[403] الشهاب، ج1، مج 13 ، 14 مارس 1937 ، ص 30




الغريب أو من العجب أن تتفق العائلات التلمسانية التي أهدت الأرض التي سمحت بتشييد أول مدرسة عمومية سنة 1872 و هذا كرد فعل لما حدث لمسجد الجامعة التشفينية الذي تعرض للتهديم النهائي و كان يمثل تحفة هندسية إسلامية و هو أحد أحجار الفن المعماري للغرب الإسلامي، و قد تم هدمه بحجة بناء مساحة عمومية [404] و بهذا يمكن أن نجزم أن رجال الإصلاح لم يكونوا منعزلين عن العامة بل جزء منهم يتبادلان التأثير و التأثر، فكان التشديد على الدفاع عن اللغة و تجديد نظمها التعليمية و تحديث مؤسساتها في صلب الدعوة إلى الإصلاح و رافدا لها و لم يكن مجرد رد فعل على الإستعمار و حسب.[405]

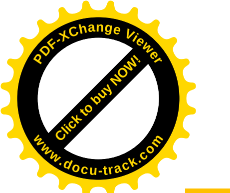
لقد واجه رجال الإصلاح واقعا صعبا جدا خاصة في المجال الذي يعملون فيه من تربية و تعليم و تثقيف فبعد انقضاء أكثر من مائة سنة على احتلال الجزائر بقي الفلاح جاهلا برغم الحضارة الفرنسية و زاد بؤسه مأساوية بعد المئوية ، أما من ناحية التعليم فمن أصل 950 ألف طفل في سن ارتياد المدرسة مقابل 1300 قسم تستقبل 65 ألف تلميذ و تبقى قرابة 900 ألف طفل محكوم عليهم بالبقاء طوال حياتهم أميين [406] و لهذا فقد اعتبرت الجمعية دوما أن من أعدائها الرئيسيين الإستعمار و أنصاره و صنائعه، و هي في صراع دائم معه و الأمة الجزائرية هي محل هذا الصراع و هدفه، فالجمعية تريدها أمة عربية مسلمة كما هو قسمها في القدر و حظها في التاريخ و حقها في الإرث و حقيقتها في الواقع ، تريدها كذلك و تعمل لتحقيق ذلك . أما الإستعمار فيريدها

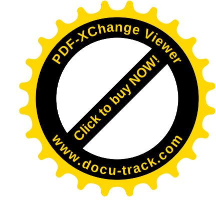
---

[404] **sari** (Djilali), op-cit , p 6

[405] مالكي (محمد)، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 236

[406] اوليفيه (لوكر غراندميزون)، في نظام الأهالي، المرجع السابق، ص 242





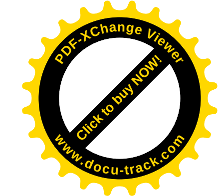



هيكلا لا تترابط أجزائه و لا تتماسك أعضاءه [407] و من هذا المنطلق حارب رجال الإصلاح الإستعمار بالمعطيات المتوفرة وقتئذ و حاربوا النزعة البربرية من أجل قضايا العقيدة الإسلامية و اللغة العربية [408] و اعتمدوا لنصرة العقيدة الإسلامية و اللغة العربية العمل على جبهتين في مسألة التعليم، أما الأولى فهي تخريج جيل جديد من الكفاءات و الزعامات ذوي التأهيل العالي لمواجهة خصوم الإصلاح، و الثاني إيقاض الجماهير من سباتها بالإتصال المباشر بها [409] فعمل رجال الإصلاح على نقد تعامل الإدارة الإستعمارية مع اللغة العربية و الدين الإسلامي و في مقابل ذلك عملوا على إيجاد البديل من خلال تعليم اللغة العربية و الدين الإسلامي في المدارس الحرة و المساجد، و بقدر الإضطهاد و القوانين التعسفية الفرنسية تجاه الشخصية الجزائرية كان رجال الإصلاح يحتجون و يندّدون و هو أقصى ما كان بإمكانهم وقتئذ، و في هذا كتب الشيخ ابن باديس مقالا يتسائل فيه عن سبب منع أطفال الجزائريين من التعليم بعنوان " لماذا نُمنع من تعليم أولادنا ؟ ! " و مما جاء فيه : " قبل اليوم كنّا إذا تحدّثنا عن هذا الإهمال حّملنا وزره على الُحكومة و على الآباء و نقول إذا كانت الُحكومة قّصرت في واجبها من تأسيس المكاتب لتعليم هؤلاء الأولاد فلماذا يُقّصر الآباء في تأسيس مكاتبُ حّرة من مالّيتهم . أّما اليوم فإّننا نحّمل مسؤولّية هذه الحالة الّسيئة على الُحكومة فقط , وذلك أّن آباء الأولاد قد تنّبهوا و أرادوا أنُ يؤّسسوا مكتبا لتعليم أولادهم و قّدموا طلب الإذن لهم في ذلك من الحكومة و لكّن الحكومة لمُ تجب طلبهم وفي "القنطرة" رجل عالم فاضلُ مجمع على علمه و فضله و هو الأخ الّشيخ الأمين ابنُ سلطانُ مستعّد لتعليم أبناء قومه و تهذيبهم و إنقاذهم من براثن الجهل و لكّنه لم يجد مّمن بيدهم أمر البلدة إّلا الإعراض عن طلبه و الإهمال له . نحن كما لُا نحّب أن يقول الّسّواح عن أبنائنا أّنهمُ مهملون

[407] الإبراهيمي ( أحمد طالب)، المصدر السابق، ج 3 ، ص 55

[408] اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 944

[409] بلاسي (نبيل أحمد) ، المرجع السابق، ص 50

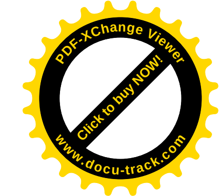


ُمتشرّدون كذلك لاُ نحّب أن يقولوا عن الُحكومة أّنهاُ مهملة لأبناء رعاياها و تاركة لهم في تلك الحال و لهذا فنحن بنشر هذه الحقائق الُمؤلمةُ نريد تنبيه من بيدهم الأمر إلى تداركها و ما تداركها إّلا بترك الُمسلمين يعّلمون أبناءهم و منح الإذن لهم بذلك مهما طلبوه ... وجمعّيتنا الُمؤّسسة ـ لنشر العلم والفضيلة وُ محاربة الجهل و الّرذيلة ـ تطلب من جناب الوالي العام أن يجعل مسألة تسهيل الّتعليم على الُمسلمين بمنح الإذن لهم فيه ـ من أهّم ما يبدأ به في إصلاح الحال الّتي كثرت الّشكوى منها وُ يراد إصلاحها و في ذلك أعظم ترضّية لهم وأجّل خدمة ُتقّدم لفرنسا في أبنائها وُسمعتها.[410]

و كتب الشيخ ابن باديس مقالا آخر في جريدة الصراط السوي [411] يتسائل فيه عن المسؤول عن تجهيل الجزائريين تحت عنوان " من المسؤول عن المنع من تعليم أولادنا؟" جاء فيه :" إّن مسألة تعليم أولادنا دينهم و لغة دينهم هي في نظر كّل مسلم مسألة المسائل و أعظم المطالب لأّنها عبارة عن حفظ الإسلام في قلوب أبنائنا و بقائهم مسلمين لا يموتون إّلا و هم مسلمون و هذا الإسلام الشريف عندنا أعّز من الأرواح و الأموال و كّل عزيز , فكان الّتعليم الذي يحفظها علينا أَلزَم لنا من القوت الذي تتغذى به الأبدان و من الهواء الذي يعيش عليه الحيوان , وَ منُعنا منه أشّد علينا من منعنا منهما , فلن نستطيع صبرا على منعنا منه ولا سكوتا على من يتسّبب في ذلك المنع كائنا من كان . و نحن ـ معشر المسلمين الجزائريين ـ قدُ منعنا منه في كثير من جهات قطرنا مثلما ذكرنا في العدد السابق من هذه الصحيفة و ما ظهر هذا المنع إّلا في هاتين السنتين الأخيرتين , كما كثرت الطلبات لفتح المكاتب لتعليم أولادنا مبادئ الإسلام و لغة الإسلام فمن المسؤول عن هذا المنع يا ترى ؟ لا يمكن أنُ نحّمل مسؤولية هذا المنع على القانون الفرنسوي العام ونحن نرى اليهود ـ مثلا ـ يفتحون المكاتب الخاّصة لتعليم أبنائهم دينهم

[410] الصراط السوي، ع2 ، 18 سبتمبر 1933 ، ص 1

[411] نفسه ، ع3 ، 25 سبتمبر 1933 ص 1

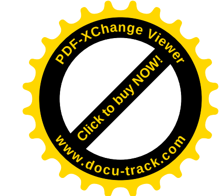






, و لا يمكن أنْ نحمّل مسؤولية المنع على الإدارة العليا للجزائر لأّننا نجد مكاتب خاصّة في بعض الجهاتُ يعّلم فيها أولاد المسلمين دينهم و لغتهم , ففي الجزائر مدرستان و في دّلس مدرسة و في البليدة و في الأغواط و في معسكر و في قسنطينة و في الميلية و في جيجل و في بجاية و في ساطارنو و في بسكرة و في تبسة , و إذا نظرت إلى هذه المدارس التي عددناها وجدت سبعة منها لعمالة قسنطينة و خمسة بعمالة الجزائر و واحدة بعمالة وهران فمسؤولية المنع في كّل عمالة محمولة على عاملها , غير أّننا نجد كّل عمالة لم تخل من عدد و لو كان نزرا من المدارس , فلماذا كان الإذن في ذلك الّنزر اليسير و كان المنع في غيره ؟ فلا نرى إذًا أسباب المنع صادرة إّلا من حّكام الدوائر في العمالات الثلاث بما يقّدمونه من أنظار تعتمد عليها دار العمالة في المنع , على أّننا لاُ نخلي دّيار العمالة من تحّمل المسؤولية كما لاُ نخلي ـ بعض الشيء ـ من هو فوقها . إّننا يسّرنا أن يكون القانون الفرنسوي بعيدا عن هذا المنعُ منّزها عنه و إن كان هذا المنع من بعض الّنواحي الأخرى . فباسم ذلك القانون المحترم و باسم مبادئ الجمهورية الفرنسوية العظيمة نوّجه طلبنا إلى الإدارة العليا و على رأسها جناب ـ م . كارد ـ في أنَ يَدُعونا نقوم بتعليم أولادنا ديننا و لغة ديننا و أن يكون الإذن بالّتعليم للقطر كّله كما كان لتلك البلدان القليلة . فإّن في منح المسلمين هذا أعظم إصلاح لحالهم و أنجع دواء لجبر قلوبهم و أحسن الأثر الّطيب لممّثلي فرنسا عندهم و أجمل الّسمعة لها عند بقّية المسلمين"[412]

لم يكن رجال الإصلاح يرفضون مبدئيا تعلم أطفال الجزائريين في المدرسة الرسمية الفرنسية لما في ذلك من منافع لهم تكسبهم مزيدا من العلوم على بساطتها، و قد عبر رجال الإصلاح عن ذلك بقولهم :" نحبّ لأبنائنا أن يتعلّموا اللّغة الفرنسيّة و ما يُعلّم باللّغة الفرنسيّة فهي لُغة علميّة عالميّة و

[412] الصراط السوي، ع3 ، 25 سبتمبر 1933 ص 1



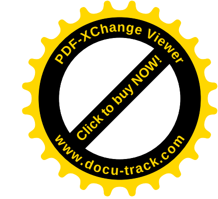

لغة الأمّة التي تربطنا بها روابط اجتماعيّة و الحكومة التي تتّصل شؤوننا و مصالحنا بها. نحبّ لأبنائنا هذا دون أن نرضى بأن يُمسّ شيء و لو قليلا من أمر عقيدتهم و صبغتهم الدّينيّة لأنّ العقيدة و الصّبغة الدّينيّة عندنا هي فوق كلّ شيء و قبل كلّ شيء و أعزّ من كلّ عزيز و أعظم من كلّ عظيم. فلهذا يجب علينا عندما نأخذ بيد أبنائنا لتعلّم اللغة الفرنسيّة و ما يُعلّم بها أن نبحث عن المدرسة التي نُريد تقديمهم إليها هل هي من المدارس العلمانيّة المحضة التي لا تتعرّض للدّين و العقيدة لا بشيء تعرضه على الصّبيان و لا بشيء تناقشهم فيه و لا بكلمات دينيّة يفتتحون بها الدّرس و لا بدعوات دينيّة تُقام في بعض الأوقات أم هي مدرسة دينيّة لا تخلو من شيء من هذا و لو كان قليلا"[413]

إلا أن هذه المسالمة من جانب رجال الإصلاح قوبلت دوما بالإضطهاد من الجانب الفرنسي، و لهذا نسجل في عديد مراحل العلاقات بين رجال الإصلاح و الإدارة الإستعمارية كثرت احتجاجات الأفراد و فروع جمعية العلماء في مختلف مناطق القطر الجزائري ضد الإضطهادات التي تتعرض لها حركة التعليم العربي الحر فقد احتجت الجمعية على منع " العالم الدّاعي إلى الله الأستاذ السّعيد الزّاهري من الوعظ و قبله منع الأستاذ العلاّمة الشّيخ الطّيّب العقبي من الوعظ في مسجد الجزائر " [414] و احتج سكان بسكرة في برقية وجهوها إلى الوالي العام ضد قرار بريفي الجزائر الذي منع العلماء من القيام بوظيفة الوعظ و الإرشاد و تعليم الدين بالمساجد [415] كما كثرت احتجاجات جمعية العلماء إلى إدارة الاحتلال في الجزائر و إلى حكومة فرنسا في باريس بفعل كثرة الإضطهاد و التعتيم الإعلامي الممارس على الحركة الإصلاحية ، و قد تعجب السيد أحمد بوشمال

[413] الصراط السوي، ع6 ، 23 أكتوبر1933 ، ص 1

[414] نفسه ، ص 3

[415] السنة النبوية المحمدية، ع12 ، 26 جوان 1933



مدير جريدة السنة الذي تقدم باحتجاج إلى مجلس الدولة الفرنسي يوم 29 جوان 1933 ضد القرار التعسفي بغلق مقر جريدته ، تعجب من جواب مجلس الدولة الفرنسي الغريب نوعا ما ، إذ أبلغه أنه يحق للسلطات الفرنسية أن تقوم بمنع صدور أي جريدة تنشر بلغة أجنبية في الأراضي الفرنسية [416] كما رفع ابن باديس باسم جمعية العلماء احتجاجا إلى الوالي العام الفرنسي على الجزائر و قد جاء فيه ما يلي : سيدي الوالي العام ... متألم و متأسف جد الأسف للمظالم و الإعتداءات المتكررة على رؤساء و أعضاء جمعيات التهذيب و التعليم العربي ، و بما أن جميع طلبات الرخص [417] لفتح المكاتب تلغى بغير سبب أو لا يجاب أصحابها رغم امتثالهم تمام الإمتثال لقانون 18 أكتوبر 1892 [418] و محسنين الظن بالحكومة ، و حيث أن الذين يفتحون المكاتب بهذه الكيفية و بهذه الطريقة المعقولة يحاكمون و يساقون إلى المجالس العدلية كأنهم جناة و حيث أن العمل الممقوت في عدد كثير من المدن و القرى بالعمالات الثلاث كوهران و الأغواط و شرشال و بجاية و عدة بلديات بناحية قالمة و أوراس. لهذه الأسباب و الموجبات يلتمس المجلس الإداري من السيد العام و يطلب منه بكل إلحاح أن يرسل حينا إلى الحكام المحليين الأوامر و التعاليم اللازمة ليسهلوا فتح المكاتب القرآنية التي تبقى لا محالة تحت مراقبة الحكومة في دائرة العدل و الإنصاف و

---

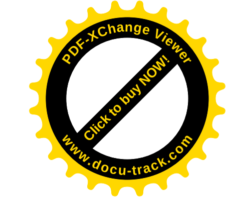
[416] لم يكن أحمد بوشمال الوحيد الذي تعجب من رد الإدارة الاستعمارية على احتجاجه فحتى الباحث الفرنسي اجيرون تعجب لذلك ينظر:

**Ageron** (Charles Robert), histoire de l'algerie contemporaine , op-cit, p 344

[417] لم تقتصر الرخص على فتح المدارس فقط بل امتدت حتى لترميم المساجد ، و ليس ذلك بالامر الهين بالنسبة للمسلمين الجزائريين لانه لا يتم الا بموافقة و استأذان الحاكم العام ينظر :

A w c , boite 307, ( servises reformes ), 08 – 05 – 1938 , N= 2160

[418] يعتبر قانون 18 أكتوبر 1892 معلميا في مسالة التعليم الفرنسي و يتعلق بتنظيم التعليم و منح الرخص لطالبيها و الحكومة لها المراقبة فقط




يكفوا عن محاكمة الذين فتحوا بعض المكاتب بغير مخالفة للقوانين "[419] إلا أن رسالة ابن باديس هذه لم تلق سوى مزيدا من التعنت و القمع الإداري الفرنسي تجاه التعليم العربي الإسلامي فقد تواصل إغلاق المدارس[420] و سجن المعلمين[421] و قد كتبت جريدة البصائر[422] اللسان المركزي لجمعية العلماء تندد بالعراقيل التي تضعها إدارة الإحتلال في وجه التعليم العربي الحر تحت عنوان " محاربة التعليم العربي في الوطن الجزائري " قالت: " و هذه حكومتنا ( تعني حكومة الإحتلال) أكبرت علينا بضع مدارس لا يأوي مجموعها ألف ولد من أمة تعد ستة ملايين نسمة " و قالت :" أصبحت الحكومة لا تسمح لنا بالتعليم إلا برخصة و لا تمنح الرخصة لطالبها و لو انتظرها السنين"

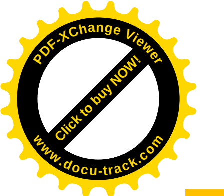
---

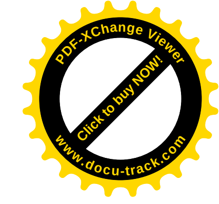
[419] البصائر، ع 76 ، 23 جويلية 1937 ، ص 2

[420] في هذا الشأن و لتفصيل اكثر ينظر نماذج من اغلاق المدارس الحرة من طرف إدارة الاحتلال
البصائر، ع 157 ، 17 مارس 1939

[421] في هذا الشأن و لتفصيل اكثر ينظر نماذج من سجن المعلمين الاحرار
البصائر، ع 151 ، فيفري 1939 ، و ينظر كذلك الى :
البصائر، ع 178 ، أوت 1939 ، ص 1

[422] البصائر، ع 90 ، 10 ديسمبر 1937








## حول قانون 8 مارس

بدأت الإدارة الإستعمارية جرائمها في حق التعليم العربي منذ وطأت أقدامها أرض الجزائر إلا أن هناك بعض القرارات يمكن اعتبارها قاصمة للتعليم العربي و قاتلة له، و من ذلك أن الإدارة الإستعمارية أصدرت قرارا تم بموجبه منع المشروبات الحلال في النوادي و هو أمر نتيجته إفقار النوادي من روادها، و قد صدر هذا القانون ( قانون النوادي )[423] في 20 جانفي 1938 من وزير داخلية فرنسا، و قد ترجمته جريدة البصائر و نشرته في عددها الصادر بتاريخ 15 افريل 1938 و قد اعتبرته جمعية العلماء بمثابة أمر بغلاق النوادي و بالتالي القضاء على نشاط الجمعية الحيوي في ميدان رعاية الشباب و تربيتهم و توجيههم توجيها عربيا إسلاميا، و بعد شهرين من إصدار هذا القانون أصدرت الإدارة الإستعمارية ممثلة في وزير داخليتها شوطان[424] camille chautemps قرارا حمل اسمه Décret chautemps بتاريخ 8 مارس 1938[425] و الهدف منه تضييق دائرة التعليم العربي الحر و منع العلماء من التدريس و يتلخص هذا القرار في :

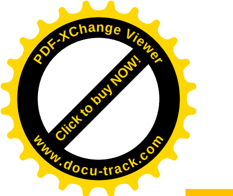
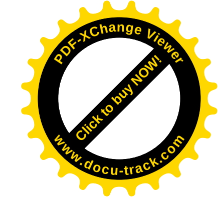
[423] كانت الحكومة تدرك جيدا أن النوادي ليست محلات اجتماع اعتيادية و إنما ملجأ لكل القائمين و المحركين لدولاب النهضة التي تشهدها الجزائر، ففيها تلقى المحاضرات و الدروس و تؤسس الجمعيات و ترسم الخطط لصالح الأمة و تقرر الأعمال الهامة لتسيير الحركة و قد كانت الحكومة تدرك أن المشروبات التي تقدم في هذه النوادي هي مورد هام لهذا النادي. للتفصيل في أهداف الحكومة من إصدار قانون النوادي ينظر:

البصائر، ع 108 ، 15 افريل 1938 ، ص 3

[424] تولى رئاسة الوزراء عدة مرات ممثلا للحزب الاشتراكي المتطرف عام 1934 ثم عام 1937 عن الحزب اليساري الديمقراطي

[425] أساس ما يتظمنه هذا القانون أنه لا يجوز لأي شخص أو منظمة تأسيس مدرسة و التعليم فيها إلا برخصة خاصة من الإدارة الإستعمارية و كل من يعلم أو يفتح مدرسة بدون رخصة يعاقب بالسجن أو التغريم أو بهما معا . و من الناحية القانونية التقنية فإن هذا القانون عمل على تطبيق قانون 18 أكتوبر 1892 الخاص بتنظيم التعليم الحر في فرنسا و قد عمم على الجزائر و لكنه لم يعمل على تطبيق المادتين 47 – 48 اللتين تنصا على أن المدارس تكون فقط تحت مراقبة إدارة التعليم و تحت تفتيشها و لا علاقة له بمنع رخص التعليم عن طالبيها . ينظر:

البصائر، ع 174 ، 14 جويلية 1939 ، ص 2




- أن افتتاح أي مدرسة خاصة دون تصريح يعد أمرا غير قانوني و يستحق مرتكبه العقوبة
- مراقبة المدارس الخاصة الموجودة
- إعطاء حكومة الجزائر السلطة لإغلاق أي مدرسة إسلامية يتهم مدرسوها بأن لديهم أي ميول وطنية

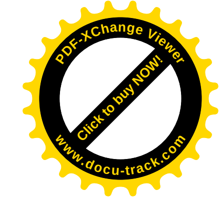
و يعتبر هذا القانون أخطر من القرار الذي صدر سنة 1933 الخاص بمنع الخطب و المواعظ في المساجد على العلماء من غير الموظفين[426] في الإدارة الفرنسية ، و كان من الشروط التي اشترطتها الإدارة الاستعمارية للموافقة على طلب رخص التعليم هو إتقان المعلم للغة الفرنسية و هو الشرط الذي يفتقر إليه معظم معلمي المدارس التابعين لجمعية العلماء و يعد شرطا تعجيزيا يفظي في النهاية إلى المنع، و هو ما مكن الإدارة الفرنسية من غلق عدد من مدارس الجمعية و ملاحقة المعلمين الذين كانوا يقومون بالتدريس فيها و تهديدهم بالمتابعة القضائية إذا ما مارسوا التعليم دون رخصة[427]

رفض رجال الإصلاح هذا القانون رفضا مطلقا و اعتبروه ضد التعليم الإسلامي في الجزائر و كان الرد عليه قويا من جانب العلماء خاصة في البصائر عدد 156 -157-163-107[428] و قد انتقد ابن باديس من خلالها هذه الإجراءات التعسفية و هاجمها بعنف من خلال مقالاته فقد صور في أحد مقالاته أثر هذا القانون على الأمة الجزائرية و ذكر :" لقد هز قانون 8 مارس الذي صدر لعرقلة التعليم الإسلامي و لغته بهذه البلاد الشعب الجزائري هزة عنيفة و رفعت الأمة بلسان نوابها و هيئاتها و علمائها صوتها عاليا بالإحتجاج و الإستنكار، و تظافر النواب المسلمون على المطالبة بحرية تعليم الدين و لغة الدين و قدموا تقريرا في جلسة 15 جوان 1938 يشتمل على لزوم

[426] البصائر، ع 114 ، 20 ماي 1938 ، ص 2

[427] حمزة (محمد)، المرجع السابق، ص ص 89 - 90

[428] ناصر (محمد)، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954 ، المرجع السابق، ص 284




إعطاء رخص التعليم الإسلامي الحر للجميع مع إحداث المراقبة على المدارس الحرة فمدرسة دار الحديث مازالت مغلقة و مثلها مدرسة القلعة و المعلمون في بجاية و غيرها مازالو يعانون التغريم و يساقون إلى المحاكم كمجرمين و طلبات الرخص مازالت تقابل بالرفض أو بالسكوت اللهم إلا نزرا يسيرا جدا بوسائل خاصة لا يدل على تغيير في الحال و لا تبديل [429] كما استنكر المثقفون هذا القانون و رفعوا انشغالهم إلى النيابة المالية و هي أعلى نيابة في الوطن بواسطة النواب المسلمين [430] و قدمت لهم الحكومة وعودا لحل هذه المشكلة لكن دون جدوى ، لأن الإدارة الإستعمارية حاولت اقتلاع جذور الثقافة العربية الإسلامية و القضاء على الشخصية الوطنية حيث عطلت الكثير من المدارس التابعة للجمعية بناء على قانون 8 مارس و أدخلت بعض المعلمين السجن و حاكمتهم كمجرمين و نفت البعض الآخر من الزعماء المعروفين[431]

و رغم أن جمعية العلماء اتهمت بأنها هي التي أفهمت العامة بأن غاية قرار 8 مارس هي معاكسة تعليم الدين و اللغة العربية [432] إلا أن ذلك لم يثنها عن محاربة هذا القانون و الإتفاق على أنه لا بد من بذل جهود أكبر و أكثر من أي وقت مضى لاسترجاع ما ضاع من النظام الثقافي الأصيل من طرف الإستعمار و لابد من استرجاع حق تعليم اللغة العربية لغة الجماهير الجزائرية الذين رفضوا القرار الصادر في 1935 من قبل مجلس الدولة و دعمه من جديد سنة 1938 قرار شوتان

---

[429] ابن باديس (عبد الحميد)، آثار ابن باديس، المصدر السابق، ج 1 ، مج2 ، ص ص 258 – 259 أو ينظر: البصائر، ع 140 ، 18 نوفمبر 1938 ص 1

[430] اثر صدور قانون 8 ماس 1938 قام بعض المندوبين الماليين بالقيام بحملة احتجاجية في 15 جويلية 1938 عجزت هي الأخرى عن ثني الإدارة عن عزمها ينظر:

اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 564

[431] بوصفصاف (عبد الكريم) ، المرجع السابق، ص 209

[432] طالبي (عمار)، آثار ابن باديس، المصدر السابق، ج1، مج2، ص 261 أو ينظر: البصائر، 21 جوان 1939 ص 1







معلنا اللغة العربية لغة أجنبية [433] و حتى يعطي ابن باديس بعدا واسعا و أكثر تأثيرا لتهجمه على قانون 8 مارس وجه دعوات لجميع أعضاء الفروع التابعة لجمعية العلماء لعقد مؤتمر عام يجمعهم في نادي الترقي بالعاصمة حدد تاريخه ليوم 27 مارس 1939 للبحث عن القواعد القانونية و الإتفاق على الطرق الكفيلة التي تسمح لهم بالدفاع [434] عن التعليم العربي الحر و المطالبة بإلغاء هذا القانون و قد حدد في نص الإستدعاء ظروف تعليم اللغة العربية و ملاحقة رجال التعليم و العقوبات المسلطة عليهم بموجب قرار 8 مارس المشؤوم [435]

في الوقت الذي كان فيه رجال الإصلاح يحتجون على الواقع المر للتعليم العربي كانوا يقومون في الوقت نفسه ببناء و تشييد المدارس حيث كان عدد المدارس التابعة لجمعية العلماء في فترة 1934 – 1935 سبعين مدرسة تدرس ثلاثة آلاف تلميذ . و لم تكن الإدارة تعلم منها سنة 1936 إلا بوجود 61 مدرسة إصلاحية [436] كما تم إنجاز دار الحديث بتلمسان في مدة قصيرة و قبل أشهر من اندلاع الحرب العالمية الثانية من طرف مساهمات السكان المتضامنين [437] و تم إعطاء المزيد من الإهتمام لبناء المدارس و تشييدها حتى بلغت سنة 1947 ، 90 مدرسة تقريبا و بها حوالي 20 ألف تلميذ في سنة 1947 [438] أما جمعية العلماء فتأكد أن عدد المدارس التابعة لها

---

[433] **sari** (Djilali), op-cit , p p 221 - 222

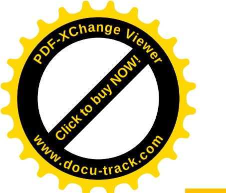
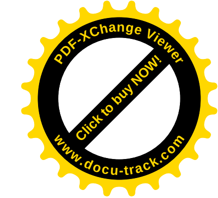
[434] في هذا الصدد راسل ابن باديس جميع المعلمين الذي تم منعهم من التدريس و الذين لم تعط لهم الرخص و طالبهم بالإتصال بالجمعية لتنيرهم بالسبل الكفيلة لحل مشاكلهم ينظر الملحق رقم 18

[435] حمزة (محمد)، المرجع السابق، ص 91

[436] اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 549

[437] **sari** (Djilali), op-cit , p 12

[438] اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 944



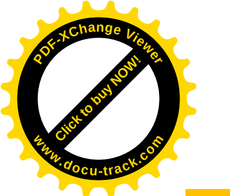
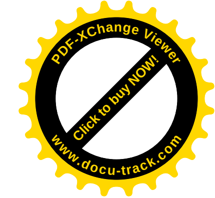
ارتفع من 70 مدرسة سنة 1940 إلى 175 سنة 1955 . كما وصل عدد البنات المتعلمات في مدارس الجمعية إلى 13 ألف تلميذة في سنة 1953 و بنت الجمعية مالا يقل عن خمس مدارس للبنات[439]

كما افتتح في قسنطينة معهد ابن باديس و كانت هذه المؤسسة التعليمية الثانوية تهدف أساسا إلى إعداد معلمين لمدارس الجمعية الإبتدائية و طلابا لجامعة الزيتونة في تونس و وصل عدد الطلبة بالمعهد إلى 700 طالب و نشرت الجمعية في سنة 1954 أنها تدرس 40 ألف تلميذ و كان عدد مدارس العلماء سنة 1955 يبلغ 181 مدرسة 58 منها كانت تسدي تعليما رفيع المستوى لأكثر من 11 ألف طالب[440] و لتطوير التعليم في مدارس جمعية العلماء و تأطيره قامت قيادة الجمعية بإنشاء لجنة التعليم في سنة 1948 للإشراف على التعليم و مراقبته و وضع البرامج و تقرير الكتب المدرسية كما تم إنشاء امتحان الشهادة الإبتدائية ثم الشهادة الأهلية في 29 جوان 1952 و أصدرت هذه اللجنة نداءا لمدارس الجمعية لاعتبار يوم 17 رمضان عيدا سمي بيوم بدر . و لذلك اعتبرت فرنسا مدارس العلماء خلايا سياسية كما اعتبرت الإسلام الذي يمارسونه مدرسة حقيقية للوطنية. و في الميدان الديني أسست الجمعية ما لا يقل عن 70 مسجدا حرا و أصدرت فتوى بتحريم الصلاة وراء الأئمة التابعين للإدارة الإستعمارية ، و في الميدان الإعلامي أصدرت إلى جانب البصائر جريدة الشاب المسلم في 6 جوان 1952[441] ثم قامت بتشكيل لجنة خاصة للتعليم بل و أوفدت عددا من الطلبة لاستكمال الدراسة في المعاهد العليا بمصر و تونس و لتحقيق المزيد من التميز و الإستقلال كانت الجمعية تمنح الشهادات العلمية باسم الشعب الجزائري و بدون موافقة الإدارة الاستعمارية . و استهدفت مدارس الجمعية أساسا توفير شروط استمرارية التعليم المرتبط بهوية

[439] البصائر، ع193 ، 24 – 31 ماي 2004 ، ص 3

[440] اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 945

[441] البصائر، ع193 ، 24 – 31 ماي 2004 ، ص 3



الجزائريين المحافظ على قيم شخصيتهم العربية الإسلامية و قد كانت المدرسة الشعبية الحرة بقيادة رجال الإصلاح بحق:

1 -كانت بمثابة الإعلان عن ثورة ثقافية شعبية منظمة و مؤسسة لضرب الوجود الفرنسي

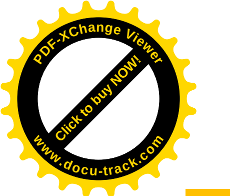
2 -كانت بمثابة مركز الإنبعاث الحقيقي للشعب الجزائري و بعث الحياة و النشاط في مختلف مكوناته [442]

إن القيمة التاريخية لمؤسسات التعليم و الدعوة إلى تطوير برامجها العلمية و التربوية لا تنحصر في هدف الحفاظ على مقومات الهوية و حسب بل تعدته إلى تعزيز مفهوم الوطنية و إكسابها المضمون النظالي المطلوب وقتئذ . بهذا الفهم أكدت جمعية العلماء على مبدأ حرية تأسيس المدارس و المعاهد و مطلب تخويلها مضامين من شأنها أن تحفظ للجزائريين إمكانات الإرتباط و التواصل مع تراثهم و تقاليدهم[443] و عن الطفرة التي حققها رجال الإصلاح في مجال التعليم و منهجيته في ظل الظروف الخاصة التي ميزت الجزائر فقد لاحظ المعاصرون الفرنسيون أن العلماء قد أدخلوا بيداغوجية وطنية جديدة في حملتهم التعليمية، و بناء على رأي ديبارمي فإن ابن باديس قد استعمل هذه الطريقة الجديدة في محاضراته في الجامع الأخضر لكي يعد طلابه لمسؤولياتهم الوطنية . فقد علمهم ابن باديس "المحفوظات العربية " و " الأناشيد الوطنية " و كان الطلاب يحفظون ذلك و ينشدونه في المناسبات الدينية و الإجتماعية مثيرين بذلك روح الوطنية و التضامن الإسلامي و الحرية [444] و

442 بشنون (الشيخ سليمان)، المرجع السابق، ص 66

443 مالكي (محمد)، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 268

444 سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج4، المرجع السابق، ص 400






يقول روجي جارودي [445]. " إن ابن باديس و الإبراهيمي و رجال الجمعية حاربوا التعليم الإستعماري الهادف إلى تحطيم مقومات الشخصية و قطع الطفل الجزائري عن الثقافة العربية الاسلامية ، و حاربوا كذلك العقلية الخرافية (المرابطية) فتلك العقلية بما فيها من خرافات و إشاعات تتنافى مع روح الإسلام [446].

## ثانيا: الوضع الإجتماعي و الديني و موقف المصلحين منه

### أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر

لقد كان هدف الإستعمار الرئيسي من احتلال الجزائر هو إحياء المسيحية التي انطفئت بمجيئ الإسلام.[447] و لهذا عملت فرنسا على القضاء على المقاومة المعنوية و منها الدين، فبدأت بالإستيلاء على الأوقاف الإسلامية و أحالت كثيرا من المساجد إلى كنائس، ثم شرعت في تنفيذ برنامجها البطيئ فضيقت على دروس الدين و دروس العربية لأنهما المقومان الروحيان للأمة الجزائرية حتى ينسى الناس دينهم و لغتهم بالتدريج. و بقيت تتصرف فيهما تصرفا مطلقا، فهي التي تعين المفتين و لائحة المؤذنين و كل ما تعلق بالمسجد، فتوصلت بذلك إلى إفساد هذه الطائفة الدينية حتى أصبح رجال الدين كلهم جواسيس لها ، و كان من الوسائل المستعجلة التي اعتمدتها فرنسا لإفساد مقومات الأمة :[448]

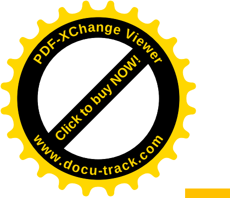
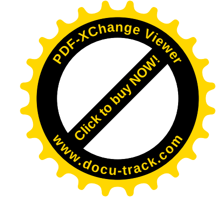
---

445 فيلسوف و مفكر فرنسي ناقش رسالة دكتوراه في السربون تحت عنوان " النظرية المادية للمعرفة " و رسالة دكتوراه في أكاديمية العلوم بموسكو حول " الحرية "، اشهر إسلامه في جنيف سنة 1982م .

446 بن رحال (الزبير)، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية و الفكرية 1889-1940، دار الهدى ، الجزائر، 2009، ص 127.

447 التميمي (عبد الجليل)، المرجع السابق، ص 37

448 الإبراهيمي (محمد البشير)، في قلب المعركة، المصدر السابق، ص 73 - 74



1 حماية الدجالين والمظللين باسم الدين من شيوخ الطرق الصوفية، و قد جنت فرنسا من هؤلاء كل خيرا لنفسها، فقد كانوا مطاياها و جنودها

2 نشر الفجور و حمايته

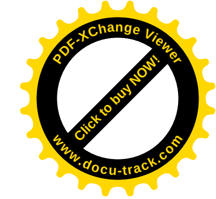
3 نشر الخمر لإتلاف الأموال و إفساد العقول

4 إرسال الكنيسة المسيحية عددا من رجال الدين للقيام بمهمة التبشير " المقدسة"[449]

لعبت قيادة المرابطين و الطرق الصوفية دورا رئيسيا بل الدور الأول في صناعة أحداث بداية الإحتلال و المقاومة الوطنية.[450] و قد تنبه الإستعمار لدورها الكبير و مكانتها في المجتمع باعتبارها إحدى القيادات الدينية الكبرى في الجزائر، و لهذا عمل على التسلل إليها و تدجينها و اختراقها من خلال إغراء قياداتها، و استطاعت الإدارة الاستعمارية أن تحول المتصوفة من منبر لنشر الدعوة الإسلامية و التبشير بالإسلام بين غير المسلمين إلى منبر للفساد و التجهيل، فقد أصبح معظم شيوخها مبتدعين مدعين للألوهية أمام العامة من أتباعهم الذين اقتنعوا بأنهم قادرون على المنع و الحرمان، و قد أدى هذا الإتجاه المنحرف للطرقية إلى إفساد الفطرة الإسلامية و تفكيك روح الأخوة الإسلامية و الخضوع للإستعمار، و استطاعت سياسة الإحتلال الرامية إلى بسط سيادتها على الجزائر أن تكسبهم إلى صفوفها لأنها اعتبرت الطرقيين الممثلين الحقيقيين للإسلام في الجزائر و بما أنهم "جامدون و منحرفون" فقد ساعدوا – بدون إدراك – على نجاح سياسة الفرنسة في الجزائر لأن

[449] التميمي (عبد الجليل)، المرجع السابق، ص 35

[450] سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي 1830 – 1954 ، ج4، ط6، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009 ص ص 34 - 35




الشباب الجزائري المثقف على النمط الفرنسي أصبح ينفر من الإسلام الذي يمثله هؤلاء المبتدعين.[451]

كانت الإدارة الإستعمارية تشجع الضياع اللاعقلاني للشعب الجزائري من خلال ما كان بفعله به الطرقيون.[452] فقد كانت تدرك أن الزاوية تقدم تعليما متخلفا جدا بدون أي قيمة معنوية أو أخلاقية أو اجتماعية [453]، و بما أن المرابطين ينصبون أنفسهم مطهرين و متطيبين و صانعي معجزات فهم أعداء الدين و الأوهام و الأشياء التي تجلب الإنحطاط و الجهل، الأشياء التي يستغلها النظام الاستعماري لتدمير الاسلام. إذا فكلما تعلق الأمر بالطرقية أو بعض الصوفية فإن الإستقامة في خطر، أضف إلى ذلك أن الإرتباطات و التواطؤات مع السلطات العمومية معروفة لدى الجميع و زادها إصدار قرار ميشال سنة 1933 لتمنع أعضاء جمعية العلماء المسلمين من إلقاء الخطابات في المساجد دون أن يمس هذا القانون أعوان الشؤون الدينية الطيعون و الأوفياء للإدارة.[454]

كانت الإدارة الاستعمارية تعين أرباب الزوايا على ما هم فيه من ضلالة و عماية فما من أحد يطلب منها أن تأذن له في زاوية يفتحها لنشر الخرافات إلا استجابت له بكل سرعة و أذنت له و ربما أعانته بالمال و ربما منحته وساما جراء ما قتل من العقول و أمات من الفكر و الشعور. [455] و استطاعت هذه الزوايا المتصوفة بفضل كثرتها السيطرة على قطـــاع واسع من آراء و اهتمامـات

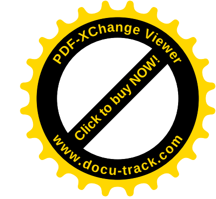
[451] بلاسي (نبيل أحمد) ، المرجع السابق، ص 38

[452] حمادي (عبد الله)، "موقف المجاهد المرحوم عمار وزقان من الحركة الوطنية من خلال كتابه " الجهاد الافضل""، **مجلة الذاكرة الدراسات التاريخية للمقاومة و الثورة** ، عدد4، المتحف الوطني للمجاهد، 1996 ص 231

[453]**MIRANTE** (Juan), op-cit , p 73

[454]**SARI** (Djilali), op-cit , p 241

[455] بلعجال (أحمد)، الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد سعيد الزاهري،مذكرة ماجستير،جامعة قسنطينة، 2005-2006ص63



الجزائريين بمختلف مشاربهم بما فيهم كبار رجالات الجزائر، و يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أنه من الشائع أن ابن باديس في أول حياته كان من أتباع الطريقة الرحمانيـة الخلوتية و التي مقرها الجزائر العاصمة و ضريحه ـا و مؤسسه ـا محمد بن عبد الرحمـان الأزه ـري " بوقبرين" و هي الطريقـة التي كان يمثلها في قسنطينة عندئذ مصطفى باش تارزي، و كان هذا الأخي ـر هو الذي طلب من ابن باديس تصحيح و الإشراف على طبع " المنظوم ـة الرحمانيـة "[456] التي نظمها عبد الرحمان باش تارزي و قد قام ابن باديس بذلك [457] و لكننا في نفس الوقت نجد أن ابن باديس و من خلال الشهاب قد حارب الطرقية و ما أدخلته على القلوب من فساد عقائد و على العقول من باطل و أوهام و على الإسلام من زور و تحريف و تشويه. و تحت عنوان لماذا حارب الشهاب الطرقية ؟ يقول ابن باديس :"حاربنا الطرقية لما عرفنا فيها – علم الله – من بلاء على الأمة من الداخل و من الخارج فعملنا على كشفها و هدمها مهما تحملنا في ذلك من الصعاب ... ثم نمد يدنا لمن كان على نية من نسبته إليها لنعمل معا في ميادين الحياة على شريطة واحدة و هي ألا يكونوا آلة مسخرة في يد نواح اعتادت تسخيرهم" [458] و لما طرح على ابن باديس ضرورة الصلح بين حركتي الإصلاح و الطرقية أجاب ابن باديس يقول:" فلينزع الطرقيون أولا أيديهم من يد الحكومة و هذه يدي ممدودة

---

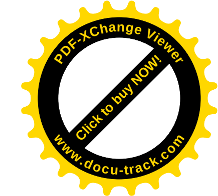
[456] ظهرت طبعتها الثانية التي أشرف عليها ابن باديس بقسنطينة سنة 1341هـ/1923م و لها عنوان طويل يدل على محتواها الصوفي و هو: " المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية"

[457] سعد الله (أبو القاسم)، "مراسلة غريبة بين ابن باديس و احد علماء سوف"، المجلة التاريخية المغربية، عدد 19- 20، تونس، أكتوبر 1980 ص 256

و قد رد – و عاتب – على مقال سعد الله هذا، الكاتب محمد الطاهر فضلاء في مقال لنفس المجلة بعنوان الامام الشيخ عبد الحميد ابن باديس لم يكن صوفيا و لا طرقيا ينظر :

فضلاء (محمد الطاهر)، "الإمام الشيخ عبد الحميد ابن باديس لم يكن صوفيا و لا طرقيا"، المجلة التاريخية المغربية عدد 21 – 22، تونس افريل 1981 ص 159

[458] الشهاب، ج 1 ، مج 14 ، مارس 1938 ، ص 6



لمصالحتهم "[459] و نعتقد في وسط هذه المفارقة أن الامام الشيخ عبد الحميد ابن باديس لم يكن صوفيا و لا طرقيا[460] بل كان مادا يده لهم طمعا منه في استمالتهم و جذبهم إلى جادة الصواب، و لما رأى منهم الرفض و التعنت أسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أسست خصيصا لمحاربة أصحاب الزوايا لأن الزاوية كانت تعتبر في نظر جمعية العلماء هي حجر عثرة أمام الحركة الوطنية و جهود رجالها، و الطرق الصوفية في رأي جمعية العلماء هي علة العلل في الإفساد و منبع الشرور، ففي رأي عبد الحميد ابن باديس أن كل ما هو متفش في الأمة من ابتداع في الدين و ضلال في العقيدة و جهل بكل شيئ و غفلة عن الحياة و إلحاد في الناشئة فمنشأه من الطرق و مرجعه إليها.[461]

كان رجال الإصلاح يعتبرون الجمعيات الطرقية معارضة للدين و للتقدم، و قد كتب الإبراهيمي في السجل أن المرابطية هي الإستعمار في معناه الحديث المكشوف و هي الإستعباد في صورته الفظيعة، لذلك أعلن العلماء الحرب على المرابطية لأنها سبب الفساد و الأمراض و الإنحراف الديني و الجهل و الإلحاد بين الشباب و لهذا السبب عارضوا الموسيقى الصوفية و الرقص في الإحتفالات الدينية و زيارة القبور و الزنا.[462] و يمكن أن نستشف درجة الصراع و مداه من خلال جرائد الطرفين حيث بلغ الصراع أشده بين المصلحين و الطرقيين لما ظهرت صحيفة طرقية عليوية باسم " البلاغ " ثم صحيفة أخرى سفيهة تحمل اسم المعيار لون ورقها أخضر كلون الجنة كما يزعمون و هي لسان حال جماعة السنة، لم تجد هذه الجريدة سلاحا تستعمله ضد رجال الإصلاح

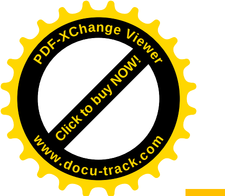
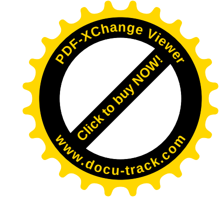
---

459 فضلاء (محمد الطاهر)، المرجع السابق، ص 160

460 نفسه، ص 159

461 الجويلي (نصر) " جمعية العلماء المسلمين بين الدين و السياسة " **المجلة التاريخية المغاربية** عدد 49 – 50 جوان 1988 ص 109

462 سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج2، المرجع السابق، ص 403



سوى السباب و الشتم بأقذع الألفاظ و أحط المعاني [463] ثم جريدة النجاح [464] التي كانت موالية للسياسة الاستعمارية و مساندة للطرقية دون أن تصرح بذلك خاصة في في سنتيها الأولى و الثانية. ثم رد الأمين العمودي و السعيد الزاهري بتأسيس جريدة الجحيم لون ورقها أحمر كلون جهنم و حروف عنوانها مكتوبة بشكل ثعابين و أفاعي فاغرة و تحت العنوان كتب ما يلي : الجحيم جريدة انتقادية تتنفس مرة في الأسبوع يحررها نخبة من شباب الزبانية شعارهم : العصى لمن عصى.[465]

كان الطرقيون يرون في رجال الإصلاح عدوا يقطع رزقهم و يهدد مكانتهم و وجدوا في الكثير من الآفات الإجتماعية التي يحاربها العلماء هم مصدرها و هي مصدر عيشهم و وجدوا قسما منها مما تُغْضِبُ محاربته سادتهم و مَوَاليهم، و قد شاهدوا مظاهر الغضب بالفعل منهم.[466] و كان رجال الإصلاح يرون في المرابطين الطرقيين أنهم دجالون محتالون يبتزون الأموال من هذه الأمة و قطع رزق الناس[467] و أن في اجتماعاتهم الصوفية الكثير من المناكر و قبح المظاهر و سوء المناظر. [468] و يعرض الأستاذ الزّاهري العُضو الإداري لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين موقفا حدث بين الإمام عبد الحميد ابن باديس المصلح و شيخ الحلول الطرقي : " فقال شيخ الحلول: إنّ بيني و بين الشّيخ

---

[463] رمضان (محمد الصالح)، شخصيات ثقافية جزائرية، دار الحضارة، ط1، الجزائر 2007 ، ص 23

[464] يمكن كشف مواقف النجاح من خلال عناوين جريدتها فقد كانت مواقفها موالية للسياسة الاستعمارية فهي جريدة تناصر الطرقية و تمتدح جهود فرنسا في نهضة الجزائر و تتبنى سياسة الإدماج و تعترف بسلطة القياد و أنها تأكد على ربط مصير الجزائر بفرنسا ينظر :

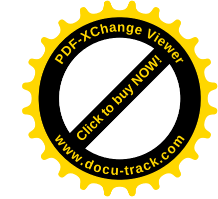
تيلاني (أحسن)، جريدة النجاح حقيقتها و دورها، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007 ، ص 100

[465] رمضان (محمد الصالح)، المرجع السابق، ص 23

[466] من خطاب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي ألقاه في الاجتماع العام بمركز الجمعية بنادي الترقي بالعاصمة يوم الاحد 27 سبتمبر 1936 ينظر : ابن باديس (عبد الحميد)، آثار ابن باديس، المصدر السابق، ج1 ، مج2 ،

[467] الشريعة، ع6 ، 21 أوت1933، ص ص 3 - 4

[468] السنة النبوية المحمدية، ع6 ، 15 ماي 1933

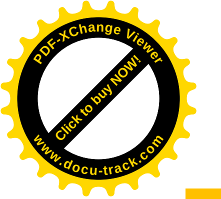






بن باديس عداوة شديدة ما أنساها له أبد الدّهر , و أمّا العلماء الآخرون فليس بيني و بينهم شيء إلاّ أنّهم أصحاب الشّيخ بن باديس و إخوانه , فقال صاحبنا : و ماذا بينكما؟ قال شيخ الحلول : كنت نشرت كتابا و استشهدت فيه ببعض الأحاديث النّبويّة التّي قلت عنها أنّها واردة في صحيح البّخاريّ و صحيح مُسلم و الحقيقة أنّها لم ترد لا في البُخاريّ و لا في مُسلم , و إنّما أنا الذي غلطت و أخطأت، فما كان من الشّيخ باديس إلاّ أن نشر في الشّهاب انتقادا شديدا فضحني فيه و حطّ من قيمتي بين أتباعي و أظهر أغلاطي و أخطائي أو قُل أظهر للنّاس أكاذيبي، فقال له صاحبنا :لو لم تكن أنت نشرت كتابك محشُوّا بالأغلاط و الأخطاء لكان حقا لك على الشّيخ بن باديس أن يستُر عليك جهلك و أن لا يفضحك أمام النّاس أمّا و قد طبعت كتابك و نشرته بين النّاس فمن واجب الشّيخ بن باديس و من واجب كلّ عالم يغار على السّنّة النّبويّة أن يُصحّح أغلاطك و أخطاءك للنّاس حتّى لا يضلّوا بها، و على كلّ حال فهذه مسألة شخصيّة لا يحسن بك أن تتّخذها حُجّة و ذريعة لهدم هذا المشروع العمومي العظيم , فتحرّك شيخ الحلول من مكانه و تحلحل , ثمّ قال في لهجة الواثق بنفسه :" فات الحال!" لا بدّ لنا أن نستولي على جمعيّة العلماء و لا بدّ أن نطرُد عنها كلّ عالم من العلماء و كلّ طالب من طلبة علم، و لا بدّ أن تكون هذه الجمعيّة خالصة لنا من النّاس و لا يُمكن لنا بحال أن نرجع عن مُحاربة جمعيّة يرأسها الشّيخ بن باديس[469]

و قد فصل الزّاهري العضو الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حال الجزائر في ظل وجود الطرقية المتصوفة الضالة في مقال له بعنوان " اعترافات طرقي قديم"[470] يقول فيه:" كنّا جماعة من النّاس يوفي عددها على العشرين، و كنت أنا أتحدث إليهم عن رجل كنت عرفته منذ ثلاث عشرة سنة في بلدة "البهيمة" من بلاد سوف، كان طُرقيا متعصبا ثم تاب و أصلح و لم يعد يؤمن بخرافة و لا طريق. و هو حينما كان طُرقيا كان لا يفرح بانتشار الإسلام كما يفرح بانتشار الطريقة

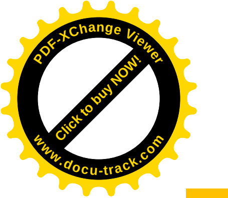
[469] الشريعة، ع3 ، 31 جويلية1933 ، ص 4
[470] نفسه ، ع7 ، 28 أوت 1933 ص ص 2 - 4






التي ينتسب إليها , فإذا سمع برجل دخل دين الله سأل عنه هل اعتنق طريقته أم لا، فإذا لم يعتنقها تثاقل و تصامم , و إذا سمع أن مسلما اعتنق الطريقة التي يعتنقها هو اهتز طربا، و إذا نزل بالإسلام أي مكروه تصامم صاحبنا كأنّ الأمر لا يعنيه و لا يعني دينه , أمّا إذا أصابت "طريقته" مصيبة ما اغتمّ لها و اهتمّ. و قلت لهم إنّ هذا الرجل كان مضى ذات يوم إلى بلدة "كوينين" لبعض شأنه و هو لا يزال يومئذ طُرقيا فاجتمع عند "قائدها" بطالب من طلبة العلم، و ظنّ الرجل بالطالب سوء الظنّ فكرهه و اجتواه و احتقره و ازدراه , لا لشيء سوى أنّه – فيما ظنّ – يخالفه في الطريق و ليس "أخاه من الشيخ" و لما رجع إلى البهيمة جعل ينتقد الطالب و يُنكر عليه و يقول عنه أنّه ليس من أصحاب "التحصيل" و أنّ نصيبه في العلم تافه قليل و أنّه "مدمن على شُرب الدّخان" و كنت أنا أنهاه عن هذا الغلو في الإنكار فلم يكن يحفل بما أقول , و ما هي إلا أن مضى علينا شهر واحد حتى كان عيد الأضحى , فزار صاحبنا الزاوية التي ينتسب إليها بمناسبة هذا العيد في من زارها من الأتباع و المريدين، فلقي فيها ذلك الطالب بعينه و قد صار أستاذا يعلّم أبناء الزاوية و يُلقي فيها على الناس بعض الدروس فرجع الرجل يمدح هذا الطالب و يطريه و يبالغ في المدح و الإطراء و قال لي : لقد حضرت أنا نفسي على هذا "الشيخ" درسا في التوحيد يلقيه على "أسيادنا" فظننت أن الإمام الأشعري هو الذي يلقي هذا الدرس علينا , فقلت[471]: لقد أصبح الطالب في نظرك شيخا نظير الإمام الأشعري و لكن في أي مسألة من مسائل التوحيد كان درس هذا الشيخ؟ قال كان في مسألة "كرامات الأولياء" و قد ذكر من كرامات شيخنا أكثر من مائة و خمسين كرامة! فقلت له :يا فلان هل نسيت ما كنت تقوله يوم لقيت هذا الطالب في كوينين من أنه قليل العلم مدمن على التدخين فقال: أمّا ما قلته عنه من قلة العلم فقد كنت مخطئا فيه , و اليوم تبين لي أنه غزير العلم و حسبك أنه أستاذ لأسيادنا و أمّا أنه مدمن على شرب الدخان فهذا أمر لا بأس به , لأن أسيادنا هم أنفسهم يدخنون و يدمنون على التدخين و يدمنون على ما هو أكثر من الدّخان أيضا

[471] الشريعة، ع7 ، 28 أوت 1933 ص 2



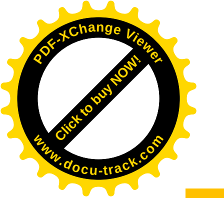
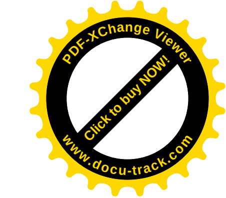



,قُلت : و ما هذا الذي هو أكثر من شُرب الدّخان؟قال : إنّهم يُدمنون على التّدخين و شُرب الخُمور و على بعض المخدّرات السّامّة الأخرى من غير أن يقدح ذلك في مروءتهم أو في دينهم ! ! قلت[472]: إن المدمنين على هذه الآفات هم ممن لا مروءة لهم و لا دين , قال لا يقول كلامك هذا إلا من كان مسلوبا من الإيمان. قلت : ويحك , فهل تعتقد أن تعاطي الخُمور و المخدّرات هو أمر مباح؟ قال : لا , و لكنّي أعتقد أن الإنكار على "أسيادنا" لا يجوز مهما ارتكبوا من الكبائر و الموبقات , قلت: وهل أسيادك هم فوق الشرع الشريف حتى لا تنالهم أحكامه؟ قال دعنا من هذا الكلام... و كان في الحاضرين طُرقي قديم قد انظم إلى المصلحين أخيرا فقال: أذكر أن رجلا كان أخانا من الشيخ له مكانة بيننا و كنّا نحبه و نحترمه و ما هي إلاّ أن أخبرنا أحدنا بأنه رآه في بلدة أخرى في حلقة ذكر لطائفة أخرى حتى كرهناه و هجرناه , و أخبرنا سيدنا به و بما فعلناه , فقال نِعمَ ما فعلتم لا تتساهلوا في من يخل بشيء من آداب الطريق و لا تخالطوا من يفسد عليكم نيتكم في الشيخ , و لا تُصلّوا وراءهم و كل من صلّى منكم وراء إمام ليس على طريقتنا و لا يجتمع معنا على محبة الشيخ فصلاته باطلة تجب عليه إعادتها , و سأل رجل و قال:[473]يا سيدنا إني أريد أن أستشيرك في أمر يهمني , قال : و ما هو؟ قال إن ابني قد كبر و أردنا أن نزوجه و خطبنا له كريمة فلان إلى أبيها فوعدنا خيرا و لكنّها من بنات طريقة أخرى لا من بنات طريقتنا ,و هي فتاة من الفتيات الصالحات , فقال له سيده و كيف تكون صالحة و هي ليست من بنات طريقتنا؟ و لم تدخل زاويتنا قط ! فقال الرجل عسى لله أن يهديها فتعتنق طريقتنا و تزور زاوية سيدنا ! فقال له سيده : اشترطوا عليها أن تترك طريقتها إلى طريقتنا فإذا رضيت بهذا الشرط فذلك ما كنا نبغي , و إلا فلا تعزموا عقدة النكاح , و تكلم له رجل و قال : يا سيدي إن الآنسة فلانة التي توفي عنها أبوها أخيرا و كانت من بنات طريقتنا قد أعجب بها فتى ليس منّا فأبت أن تقبله لها بعلا حتى يترك

---

472 الشريعة، ع7 ، 28 أوت 1933 ص 2

473 نفسه ، ص 3

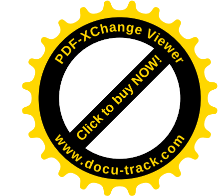



طريقته إلى طريقتنا , و قد تزوجها على هذا الشرط و أصبح أخا لنا في الشيخ , فقال سيدنا أحسنت هذه الآنسة و هي محبّة في الشيخ و إنّ عملها هذا هو من الصالحات و من أفضل ما يقربها إلى الله زلفى , ففرحنا نحن بها و صرنا نسميها سكينة تشبيها لها بسيدتنا سكينة بنت زين العابدين رضي الله عنهما. قال الراوي : [474]كان اليهود في بعض نواحي الصحراء قد دخلوا هم أيضا في الطرق الصوفية من غير أن يدخلوا في الإسلام , و كان قد اعتنق طريقتنا منهم عدد غير قليل فجعل سيدنا عليهم مقدما يهوديا منهم. قال الراوي : و لا أكتمكم أننا كنا نحب هذا المقدم اليهودي و نحب هؤلاء اليهود الذين هم إخواننا من الشيخ أكثر مما نحب أي مسلم من المسلمين الذين يتبعون الطرق الأخرى... و بالجملة فلم نكن نعرف الحب في الله , و البغض في الله و إنما كنا نعرف الحب في الشيخ و البغض في الشيخ. و كنت أعتقد أن الرجل منا إذا بسط الله له في الرزق , فربحت تجارته أو صلحت ذرّيته أو بارك الله له في عمل من أعماله فليس معنى ذلك أن العناية الربانية قد حفت به , بل معنى ذلك أن معه همة الشيخ , و لا نطلب من أحدنا أن يُحسن ظنه بالله بل نطلب منه أن يحسن ظنه بالشيخ ! و لا نقول من مات و آخر كلمة قالها لا إله إلا الله دخل الجنة بل نقول : من مات و هو يلهج باسم الشيخ دخل الجنة دون حساب و لا عقاب , و قد مات رجل منا فجاء أقاربه إلى سيدنا رئيس الزاوية المركزية و قالوا له لقد بقي اسم الشيخ سيدي فلان جدك في فم المرحوم إلى النفس الأخير من حياته , فقال سيدنا مات شهيدا و هو اليوم في أعلى عليين! [475] و كان لطريقتنا مقدم في إحدى النواحي قد توفي إلى رحمة الله و أراد شيخنا صاحب الزاوية أن يسمّي لطريقتنا مقدما آخر في تلك الناحية و دعانا إليه نحن خواصه يستشيرنا في من يصلح أن يخلف المقدم المرحوم في مهمته , فدللته أنا على طالب علم فقيه من أهل تلك الناحية كلمته عندهم مسموعة و له عليهم نفوذ , فقال سيدنا : إيّاكم من الفقهاء و إيّاكم من طلبة

---

[474] الشريعة، ع7 ، 28 أوت 1933 ص 3

[475] نفسه ، ص 4



الوقت , فإنّهم زنادقة المقت لا نية لهم و هل رأيتم تيسا يدر و يحلب قلنا : اللهم لا , قال : كذلكم الطالب لا يزور و لا خير فيه ! ! و تكلم آخر فدلّه على رجل هو من عباد الله الصالحين المتقين لم يعرف أهل ناحيته أمتن منه دينا , و لا أصلح منه حالا , فقال لنا سيدنا : و هذا الرجل أيضا لا يصلح لنا , قلنا : و لماذا؟ قال لأنه من الذين لا يجدون ما ينفقون , و نحن في حاجة إلى صاحب ثروة و يسار , إذا نزلنا في ضيافته أكرمنا و أطعمنا و سقانا ممّا تشتهيه الأنفس و تلذ الأعين و قد تكون معنا حاشية و خدم و ننزل عنده على الرحب و السعة و إذا كنا نريد الزيارة أجزل لنا الهبة و العطاء ! ! قال الراوي : و كنّا ذات يوم عند سيدنا فجعل يذاكرنا في مناقب الشيخ مؤسس طريقتنا فذكر لنا عنه كثيرا من الفضائل و المعجزات و ذكر لنا أن مريده لا يشقى أبدا , و أنّه حرام على النار لا يدخلها مهما كان مذنبا عاصيا , و حثنا على الزيارة و قال : زوروا تنوروا و قال من زارنا بفرنك كُتب له عند الله عشرة فرنكات , و استدلّ على ذلك بقوله تعالى :"من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها" و قال : الحسنة هي ما تدفعه زيارة و هكذا يحرّف كثيرا من الآيات الكريمة , و ترى الواحد منهم يخطر بباله الشيخ مائة مرة في اليوم و لا يخطر بباله النبي صلى الله عليه و سلم و لا مرة واحدة , و تجد الواحد منهم يحفظ كل ما يُنسب إلى شيخه من الفضائل و المناقب و المعجزات و يعتني بسيرته العناية كلها , و لكنه لايعتني بشيء من سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه و سلم . قال الراوي : و بالجملة فتعاليم الطريقة التي كنت أعتنقها إنّما ترمي إلى إسقاط التكاليف الشرعية فهي تدعو المريد أن يُحسن النّية في الشيخ و أن يعبده مخلصا له الدين و له أن يتّكل على هذا الشيخ لكي يغفر له جميع السيئات و الآثام و أن يجادل الله عنه يوم القيامة , و هذه العقيدة ربّما أغرت المريد باقتراف الفحشاء و المنكرات اتكالا على الشيخ مع أنّ الله تعالى يقول و لا تزر وازرة وزر أخرى[476]

---

[476] الشريعة، ع7 ، 28 أوت 1933 ص 4






## وضع الدين الإسلامي في مخطط الإدارة الإستعمارية

يعتبر الإسلام مقوما أساسيا من مقومات الشخصية الجزائرية و قد حاولت فرنسا القضاء عليه تمهيدا للقضاء على الشخصية الجزائرية ذلك أنها رأت تدخلها في الجزائر فرصة إحراز نصر ديني يعيدها إلى ذكريات الحروب الصليبية [477] و قد أشار الموظفون الفرنسيون على الإدارة الفرنسية منذ بداية الإحتلال على الحكومة بالإستلاء على المؤسسات الوقفية و أنهم فعلوا ذلك أولا للحصول على وسيلة يكسبون بها ثروة طائلة في أسرع وقت ممكن [478] أما المنظر ريمون توماسي ( raymond thomassy ) فقد أكد أن العلم هو سلاح ينبغي توظيفه لأنه هو الذي سيعمل على تعبيد الأرضية التي يتعين الزحف عليها . [479] و في سبيل ذلك كثفت الإدارة الإستعمارية من الإرساليات الدينية المسيحية التي توافدت على القطر الجزائري تحت أشكال و أسماء مختلفة و حتى هيئات تعليمية و جمعيات خيرية و خدمات اجتماعية [480]

عبر رجال الدين المسيحيين باعتبارهم الأعلم بالشأن الديني على أنه لا يمكن للإدارة الفرنسية أن تصل إلى مبتغاها باستعمال قوة السلاح، بل إن الدين الكاثوليكي وحده و بدرجة عالية في كل مكان أردناه سر إدخال الحضارة، و قد سارت الإدارة مع هذه الفكرة و اعتقدت أن فسح المجال للقساوسة و منحهم الحرية سيمكنهم من تغيير هؤلاء العرب " الجهلة الطغاة " إلى آدميين آخرين ،

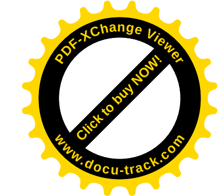
---

[477] بلاسي (نبيل أحمد) ، المرجع السابق، ص 35

[478] خوجة (حمدان بن عثمان)، المرآة ، تقديم و تعريب و تحقيق محمد العربي الزبيري، ط 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1982 ص 275

[479] ايفون (تيران)، المرجع السابق، ص 21

[480] بن نعمان (احمد)، المرجع السابق، ص 123

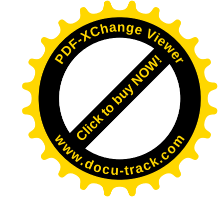



و أن خراب هذه المناطق الفظيع يرجع تاريخه إلى ضياع مشعل الإيمان [481] و على هذا الأساس بدأ الكاردينال لافيجري في ضع أساس التبشير في الجزائر، حيث قام بتأسيس المراكز الهامة للتبشير في الجزائر ثم قامت الجمهيات التبشيرية من بعده بإكمال مهامها، و قد نالت هذه الجمعيات الدعم الكامل من الأغنياء و الإدارة و غيرهما. و كان ممكنا أن تثمر خطة التبشير نظرا لعدة عوامل منها : تباعد و طول عهد التبشير ، قوة الإستعمار الذي يرعاه ، انتشار الجهل و الفقر ، انتشار الطرقية المظللة للأفكار ، تقاعس المسلمين الجزائريين عن مقاومة جهود التبشير المسيحي قبل ظهور جمعية العلماء. إذن فالإستعمار الفرنسي في الجزائر استعمار صليبي النزعة، فمنذ أن حل بالجزائر عمل على محو الإسلام و استئصاله لأنه الدين السماوي الذي فيه من القوة ما يستطيع به أن يسود العالم و يكتسحه [482]

إن الإستعمار الغربي – و كل استعمار في الوجود غربي – يزيد على مقاصده الجوهرية و هي الإستأثار و الإستعلاء و الإستغلال مقصدا آخر أصيلا و هو محو الإسلام من الكرة الأرضية خوفا من قوته الكامنة و خشية منه أن يعيد سيرته الأولى كرة أخرى. و جميع أعمال الإستعمار ترمي إلى تحقيق هذا المقصد، فاحتضانه للحركات التبشيرية و حمايته لها وسيلة من وسائل حربه على الإسلام ، و تشجيعة للضالين المضلين من المسلمين غايته تجريد الإسلام من روحانيته و سلطانه على النفوس ثم محوه بالتدريج. و نشره للإلحاد بين المسلمين وسيلة من وسائل محو الإسلام و حمايته للآفات الإجتماعية التي يحرمها الإسلام و يحاربها كالخمر و البغاء و القمار ترمي إلى تلك الغاية ، ففي الجزائر نجد الإستعمار يبيح فتح المقامر لتبديد أموال المسلمين و فتح المخامر لإفساد عقولهم و أبدانهم و فتح المواخير لإفساد مجتمعهم و لا يبيح فتح مدرسة عربية تحيي لغتهم أو فتح مدرسة دينية

[481] التميمي (عبد الجليل)، المرجع السابق، ص 37

[482] سالم (محمد بهي الدين)، المرجع السابق، ص 41



تحفظ عليهم دينهم [483] و قد كان الإستعمار و بعض منظريه يعولون كثيرا على إفناء الجنس الجزائري من شمال إفريقيا و القضاء عليه نهائيا أو نفيه إلى الصحراء كأقل تقدير.

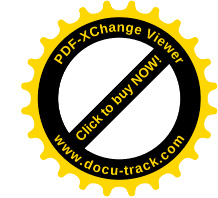
بعد أن فشلت الخطة الإستعمارية في إلغاء الوجود المادي و المعنوي للشعب الجزائري أصبح مع مطلع القرن العشرين يهتم بضرب مقومات الشعب الجزائري من الداخل و العمل على تشتيت وحدته و فصله عن محيطه العربي و انتمائه الإسلامي و إدماجه في بوتقة الحضارة الغربية و تحويل اهتماماته و تطلعاته عن مسارها الطبيعي لتكون في خدمة المصالح الفرنسية. [484] و لا أوضح من شهادة الأستاذ الزّاهري العضو الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين و هو يصف من خلال جريدة الشريعة الوضع المأساوي للدين الإسلامي و ما انجر عنه حيث يقول في مقال له بعنوان "ألــف وسبعمائــة مســلم يرتّدون عن دينهم الحنيف ويعتنقون النصرانية الكاثوليكية" [485] ":

كان يوم 23 ماي الأخير يوم حزن وحداد على المسلمين في عاصمة الجزائر , وكان يوما من أشد أيام هذا الوطن شؤما وسوادا , فقد رأينا فيه ما يذوب له القلب كمدا و غما إن كان يحمل مثقال ذرة من الإيمان, رأينا الآباء البيض و رجال الكاثوليكية يقيمون في هذا اليوم في عاصمة الجزائر الولائم و الاحتفالات احتفاء بسبعمائة وألف من المسلمين الجزائريين قد وقعوا فيما نصبوه لهم من الأشراك و الأحابيل , فارتدوا عن دينهم القيم الحنيف , واعتنقوا النصرانية على المذهب الكاثوليكي طوعا أو كرها. و وقع استعراض هؤلاء المتنصرين في ذلك اليوم ( 23ماي الأخير ) في ملابسهم الجزائرية كدعوة للمسلمين بأن يتركوا الإسلام و ليلتحقوا بهؤلاء المتنصرين ، وكان أكثرهم أطفالا صغارا قد عجز آباؤهم و أولياؤهم أن يقوتوهم أو أن يقوموا لهم على ضرورياتهم , فالتقطهم المبشرون المسيحيون , و استغلوا جوعهم و ضعفهم

[483] الإبراهيمي ( أحمد طالب)، المصدر السابق، ج5، ص 69

[484] سعيدوني (ناصر الدين)، المرجع السابق، ص 71

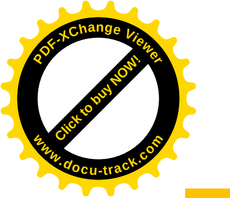
[485] الشريعة، ع2، 24 جويلية1933 ، ص ص 6 – 7




فاستولوا عليهم و احتلوا منهم العقائد و القلوب . هؤلاء المرتدون لم يتركوا دينهم القّيم حبا بالنصرانية و لكّنهم تنّصروا ضعفا وجهلا وحبا في الخبز ! ... وليس في هؤلاء المتنصرين ولا واحد تنصر حينما بلغ رشده و ملك أمر نفسه مهما كان جاهلا مطبقا , و مهما كان فقيرا معدما . و إنما تركوا الإسلام إلى النصرانية حينما كانوا ـ كما لا يزال أكثرهم ـ ذرية ضعافا , مالهم من أولياء يواسونهم عند الحاجة الشديدة و الضرورة القصوى , أو حينما كانوا يتامى قاصرين لا يجدون لأنفسهم على نوائب الدهر مواسيا ولا معينا , ولا وجدوا لهم بين هؤلاء المسلمين وليا ولا نصيرا. إن الأغنياء من أشياخ الطرق الصوفية الذين جمعوا من فقراء المسلمين باسم ( الصدقات) و (النذور ) و ( الزيارات ) أمولا طائلة بدعوى أنهم سيصرفونها في أوجه البر , وفي خير الإسلام والمسلمين , ثم أسرفوا على أنفسهم , وأنفقوها في الأهواء والشهوات و لم ينفقوا منها في سبيل الله , هم المسئولون على الخصوص أما م الله عن هذا المصاب الذي حل بالإسلام في هذه البلاد لأنهم ـ من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون ـ يعاونون المبشرين على تنصير فقرائنا وضعفائنا , فلو أنهم آمنوا و اتقوا , و أنفقوا هذه الصدقات و النذور والأموال في أوجه الخير التي جمعت لها , من إنشاء الملاجئ للضعفاء و المعوزين , و من فتح المدارس و الكتاتيب يتعلم فيها الأطفال المسلمون أمور دينهم , ولم يأكلوا هذه الأموال بغير حقها . لما أمكن للمبشرين بحال من الأحوال أن يظفروا بتنصير هذا العدد الكثير من المسلمين[486] . ثم المسلمون جميعا في هذا الوطن هم أيضا مسئولون أمام الله و أمام الشعوب الأخرى عن هذه الويلات التي تحل بالإسلام , فلو أنهم قاموا بواجبهم في هذا السبيل , و أنفقوا من أموالهم و جهودهم فيما يرضي الله والرسول صلى الله عليه وسلم لما كان للمبشرين طمع في أن ينالوا من الإسلام شيئا مما يريدون ... والحكومة أيضا ( وهي حكومة

[486] الشريعة، ع2، 24 جويلية1933 ، ص 6

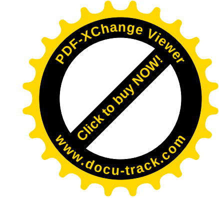




لائكيه ) تحمل هي الأخرى على عاتقها من مسئولية هذا الأمر نصيبا موفورا , فهي لم تقم بواجبها من كفالة الأطفال المسلمين ورعايتهم فكانوا ضحايا البؤس والحاجة , وأصبحوا فريسة للمبشرين.[487] ...يوجد من أطفالنا اليوم زهاء ثمانمائة ألف هم في سن القراءة والتعلم , يهيمون على وجوههم في الشوارع والطرقات , لا يدخلون مدرسة ابتدائية يتلقون فيها أبسط المبادئ التي تؤهلهم للعراك في هذه الحياة , أو يتعلمون فيها أمرا من أمور الدين , ثم لا تبيح لنا نحن المسلمين أن نفتح لأبنائنا المدارس والكتاتيب إلا بعد الجهد والمشقة، بل هي قد منعت العلماء المسلمين من أن يقوموا في المساجد بواجب الوعظ والإرشاد , وهي بموقفها هذا قد مهدت السبيل ـ من حيث تدري أو من حيث لا تدري ـ للمبشرين لكي يكتسحوا الإسلام من هذه الديار . إن فرنسا العلمانية لم تعترض على دعاة النصرانية إذ قاموا يشنون الغارة على ديننا , ويختطفون أطفالنا ويختلسون منهم ما في قلوبهم من عقيدة وإيمان , أفليس من العدالة والإنصاف أن تتركنا أحرارا في الدفاع عن ديننا , وفي حماية عقائدنا وعقائد أطفالنا من عادية المعتدين ؟ ... يقول خصوم الإسلام : إنّ أهالي الجزائر ـ ولا سيما أهالي زواوة ـ كانوا نصارى قبل أن يكونوا مسلمين , ويزعمون أنهم لا يخلصون الود لفرنسا إلا إذا عادوا نصارى كما كانوا . ولهذا يطلبون من الحكومة أن تساعد الآباء البيض على تنصير من في هذه الأرض من المسلمين جميعا.[488]

[487] الشريعة، ع2، 24 جويلية1933 ، ص 7

[488] نفسه ، ص 7




تمكن رجال الإصلاح بفضل وسائل الدعاية [489] التي اعتمدوها من الولوج إلى أعماق الجزائر و تمكنوا بعد جهد مضني تأسيس جمعية العلماء بعد صراع قوي مع الإدارة الإستعمارية و الكهنوت الإسلامي ( الإسلام الرسمي ) [490] و يبدو أن الإدارة الإستعمارية لم تستسغ النتيجة التي أفضت إليها انتخابات الرئاسة في الجمعية لأن فوز ابن باديس هو انتصار للإسلام ، و حين أعلن ابن باديس الحرب ضد الطرقية فإنما كانت هذه حربا ضد الإستعمار الذي كان يؤيد الطرقية حتى أصبحت بعد وقت قصير جدا كلمة المرابطين تمثل-في نظر الجزائريين- رمز الجهل و التخلف و تعني ألئك المؤيدين لإدارة الإحتلال الفرنسي [491]. و كإجراء أولي لحد من السيطرة المحتملة للجمعية على قطاع واسع من الجماهير جاء قرار من بريفي عمالة الجزائر [492] يتعلق بمنع التعليم الديني بالمساجد [493] و استدعي ابن باديس في وقت لاحق إلى دار العمالة (قسنطينة) ليعرفه الكاتب العام بكتاب جائه من الولاية العامة سألوه فيه عن ابن باديس الذي يدرس من دون رخصة و القانون يمنع من التعليم بدون

---

[489] اعتمدت الحركة الإصلاحية بشكل مكثف على الجرائد التي تتميز بسرعة الإنتشار و التوغل داخل مختلف الطبقات الإجتماعية و إلى مناطق لم يتمكن المصلحون من الوصول إليها و من الجرائد المؤيدة للحركة الإصلاحية نجد : المنتقد - الشهاب – البصائر – الإصلاح – الثبات – النور – المرصاد – الاقدام L'IKDAM ( بالفرنسية ) الدفاع LA DEFENSE ( بالفرنسية ) - و L'ENTENTE – صوت الأهالي LA VOIX INDIGéNE - البلاغ - الإخلاص .ينظر: مراد (علي)، المرجع السابق، ص ص 222 - 226

[490] كانت الطرق الصوفية ممثلة في ستة زوايا كبيرة بالجزائر تعول على الظفر بمركز القيادة في هذه الجمعية لكن ظنها خاب بتربع ابن باديس على عرش الرئاسة، و يمكن أن نعتبر أن هذا منطقي كون رجال الإصلاح هم أصحاب الفكرة و هم الذين عملوا على تطبيقها و صياغة القانون الأساسي و الإنتخاب أخيرا

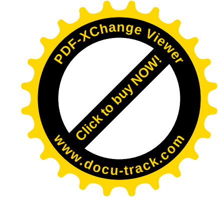
[491] جوليان (شارل اندري)، إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة سليم المنجي و آخرين، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1978،ص 27

[492] ابن باديس (عبد الحميد)، آثار ابن باديس، المصدر السابق، ج 1 ، مج2 ، ص ص 188

[493] كلف السيد ابن صيام رئيس الجمعية الدينية بتنفيذ هذا القرار و لكنه رفض ذلك، و لما امتنع ابن صيام عن تنفيذ هذا القرار تم حل الجمعية الدينية التي يرئسها ينظر:

الشهاب، ج 4، مج 9 ، مارس 1933 ، ص 188 – 189 او :

طالبي (عمار)، المصدر السابق، ج1 ، مج2 ، ص 189



رخصة [494] ثم جاء دور الطرقية الضالة لتقف في وجه العلماء حيث اتفق شيوخ الزوايا على أن يجتمعو في 10اكتوبر 1936 حول زردة كبيرة في قسنطينة ثم زردة ثانية على ضريح سيدي محمد عبد الرحمان بمدينة الجزائر يومي 7 و 8 فبراير 1937 و جمعت الأولى 30 ألف منتسب و الثانية قرابة 9 آلاف منتسب . و أثناء تنظيم زردة الجزائر أفضى اجتماعهم إلى إنشاء جمعية النقابات الدينية و الزوايا الجزائرية في يوم 16 مارس 1937 إلا أن هذا التنظيم لم يكن له أي نشاط سياسي أو فاعلية دينية. و نظرا لأن الطرقيين كانوا يفتقدون إلى برامج واضحة و محددة فإنها لم تنجح في مقاومة دعاية العلماء و أصبحت كلمة مرابط بالنسبة للجماهير مرادفا للجاهل و الرجعي و حتى لمن باع نفسه للإستعمار و الإدارة[495]

و رغم كل هذه الإجراءات إلا أنها لم تثن رجال الإصلاح عن بذل كل الجهود في سبيل تحسين الوضع الديني الإسلامي، و من ذلك أنها عملت على حماية و دعم اللغة العربية و نشرها باعتبارها لغة القرآن كما أنهم طوروا جرائدهم و شاركوا في انشاء دار النهضة للنشر و حسنوا على الخصوص جهودهم التدريسية [496] كما طالبت الجمعية بتغيير الوضع الذي تفرضه الإدارة على الإسلام من خلال اقتراحها فكرة تأليف لجنة من مسلمي الجزائر يستشيرها رجال الوزارات الفرنسية المختلفة في المسائل التي تهم البلاد الجزائرية حتى تتقي الحكومة الفرنسية في المستقبل الأخطاء التي كانت ترتكب من قبل [497] و في ماي 1950 اقترح العلماء إنشاء مجلس إسلامي مؤقت مكلف بمعية الجمعيات الجديدة المنتخبة بالإعداد و التحضير للمجلس الإسلامي الأعلى الذي ستترك له الإدارة الأوقاف ( الحبوس ) و الموارد الضرورية لدفع أجور عمال القطاع الديني، و عندما لم

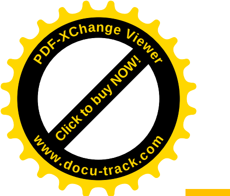
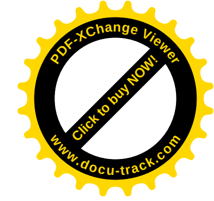
---

[494] طالبي (عمار) ، المصدر السابق، ج1 ، مج2 ، ص 192

[495] اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 538

[496] نفسه ، ص 944

[497] طالبي (عمار) ،المصدر السابق، ج1 ، مج2 ، ص 310




تستجب لمطالبهم قام العلماء بإنشاء مساجد خاصة بهم كانوا يعضون و يرشدون و يدرسون فيها بحرية[498]

إننا و من خلال موقف الجمعية إزاء وضع الدين الإسلامي في مخطط الإدارة الاستعمارية نعتقد أن:

- الحركة الإصلاحية في الوطن الجزائري ركزت على الجانب الديني في نهضتها الإصلاحية و ثورتها الفكرية إلى أبعد الحدود، و هذا ليس جديدا على الحركات الإصلاحية عامة إذ الدين بالنسبة للمسلم سلوك شخصي في حياته الخاصة و التزام و انضباط في حياته العامة و لهذا ارتبطت به الثورات في التاريخ الإسلامي [499]
- سيطرة الإدارة الاستعمارية الشأن الديني انتهت منذ تأسيس جمعية العلماء
- كان للزعماء الإصلاحيين الكبار قدر كبير من الحيطة و الحذر و المهارة التكتيكية إزاء الإدارة الإستعمارية فقد كانوا يوحون بأن الإنشغالات السياسية غريبة عن حركتهم و بأنهم هم أنفسهم لا ينشدون سوى إصلاح أخلاق و دين المسلمين الجزائريين[500]
- رغم النجاحات المحلية التي سجلها الإصلاحيون لدى الإدارة فإنهم لم يوفقوا في فرض أنفسهم على القادة الفرنسيين بوصفهم التراجمة المؤهلين أكثر للرأي الإسلامي، بل على العكس من ذلك فإن النشاط الخفي للمرابطين بمعية عناصر انتهازية قد أفضى إلى زوال حظوة الإصلاحيين و حشرهم نهائيا في صفوف المعارضة منذ السنين الأولى لتأسيس الجمعية [501]

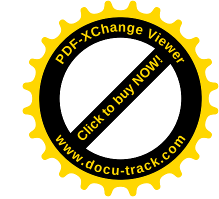
---

[498] اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 944

[499] عجالي( كمال)، المرجع السابق، ص 41

[500] مراد (علي)، المرجع السابق، ص 473

[501] نفسه، ص 480



## الوعظ المسجدي و شرح تعاليم الإسلام في منهج رجال الإصلاح

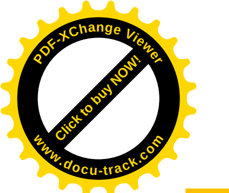
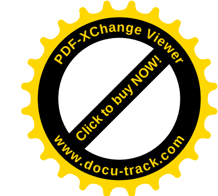
لا شك أن عملية المثاقفة القصرية المفروضة من الإستعمار أنتجت بعض الظواهر الغريبة، و ساهمت في ميلاد جيل يظهر على بعض أفراده صفاة الإستلاب الثقافي و فقدان الإنتماء أو التشكيك فيه و غيرها من معيقات النمو الطبيعي و التطور السوي للمجتمعات في المسائل المتعلقة بالهوية الثقافية. لأن الإستعمار الفرنسي لما شرع في بناء مؤسساته الثقافية كان يسعى إلى بلوغ الهيمنة الثقافية القصوى التي لا تلبث أن تتحول إلى تبعية ثقافية في الجانب الأخر بعد تجريده من كل ما يضمن استمرار ثقافته.[502] و كإجراء من الإدارة الإستعمارية و اقتراح من المنظرين المتحمسين لإبادة القرآن عملت الإدارة الإستعمارية على القضاء التدريجي و الطبيعي للروح الإسلامية من خلال قطع مواردها و خاصة القرآن لأن الإدارة الإستعمارية ترى أن :"الأهواء الدينية التي يثيرها القرآن الكريم مناوئة لنا و إنه ليحسن تركها تنطفئ في الخرافات و الجهل ما دام ينقص علماء الشريعة و الوعاظ ... دعو تراجمة الدين الطبيعيين و المنتظمين ينقرضون، لا تلغو الأهواء الدينية، أعهدوا بها فقط إلى ساخط أو إلى محتال ... إنهم شحاذون متعصبون ينتمون إلى منظمات سرية نوع من رجال الدين غير النظامين و الجهلة هم ألئك الذين أثاروا ضدنا السكان"[503]

كان لهذه النظرة الاستعمارية العنصرية للقرآن و الإسلام انعكاس مدمر على الواقع الجزائري الخاضع للطرقية المنحرفة التي يستعملها الإستعمار كأداة طيعة في يديه و يعتبرها الحارس الأمين على المصالح الفرنسية، حتى أصبح المعمرون يعتبرون رجالها المثلين الحقيقيين للإسلام الصحيح المتسامح

---

502 خميلي (العكروت)، جامعة الجزائر بين الأهداف الاستعمارية و تكوين الطلبة المسلمين الجزائريين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2008 – 2009، ص 20

503 الكسي (دو توكفيل)، المرجع السابق، ص 129



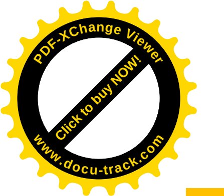

بالمقارنة مع جمعية العلماء.[504] و لهذا نعتقد إلى حد الجزم أن الخطوة التي أقدم عليها رجال الإصلاح بمغادرتهم الجزائر مطلع العشرين إلى خارج الجزائر تعتبر خطوة تاريخية و طفرة في تاريخ الجزائر المعاصر ما كان لرجال الإصلاح أن يقودوا الحركة الإصلاحية بدونها . و من فضل ذلك أن بن باديس لما عاد إلى بلاده بعد رحلات علمية استطاع من خلالها أن يقيم مقارنة بين الإنحطاط الفكري للجزائر و النهضة القوية للبلدان الإسلامية، كما أدى به التحاور مع علماء هذه البلدان إلى التصميم على مشروع كبير مع رفيقه البشير الإبراهيمي بهدف ضبط خطة إصلاحية متعددة الأوجه تنطلق أساسا من التعليم لنهوض بالمجتمع الجزائري لتشمل مجالات أخرى بعد ذلك. و هو أمر يدل على أن المصلحين قد أدركو في وقت مبكر ما للتربية و التعليم من أثر في سلوك الأفراد و توجيه أنظارهم إلى وجهة معينة و انطلاقا من هذه القناعات أولى المصلحون عناية كبيرة بالعمل التربوي في مشروعهم الحضاري [505] و يعتبر في هذا الصدد الجامع الأخضر بقسنطينة أول مركز انطلق فيه التعليم المسجدي، يضاف إلى ذلك التعليم المدرسي الذي خصص له **150** من المدارس الإبتدائية لتعليم العربية و الدين، إلى جانب المساجد حيث شيد نحو **70** مسجدا[506].

---

[504] بوصفصاف (عبد الكريم) ، المرجع السابق، ص 253

[505] البصائر، ع155 ، 1 – 8 سبتمبر 2003 ، ص 15

[506] **Kaddach** (Mahfoud), **Sari**(Djilali), l'Algérie pérennité et Resistances 1830-1960, Alger : place centrale , Ben Aknoun, p :31 .







**الوعظ المسجدي ... لماذا؟ و كيف؟**

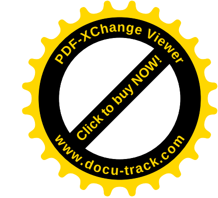
لما وقف رجال الإصلاح على مواطن الضعف و الفساد في الجزائر استقر رأيهم على أن الدواء لكل هذا البلاء إنما يكمن في عقيدة الإسلام ذاتها , ففيها صلاح المسلمين جميعا. و على هذا ارتكز الإصلاح عندهم على العودة إلى منابع الدين الإسلامى لأنه الدين الحق الذي ارتضاه الله لهداية الأمة، كما أنه دين جامع لكل ما يحتاجون إليه سواء كانوا أفرادا أو جماعات، ينور العقول و يزكى النفوس و يصحح العقائد. و في هذا السبيل نجد بن باديس يقول:"صلاح النفس هو صلاح الفرد و صلاح الفرد هو إصلاح الجموع و العناية الشرعية متوجه كلها إلى صلاح النفوس ... و ما شرعه الله تعالى لعباده من الحق و الخير و العدل و الإحسان إلا و هو راجع عليها بالإصلاح , و ما من شيء نهى الله عنه من الباطل و الشر والظلم و السوء إلا وهو راجع عليها بالفساد"[507].

فالإسلام يحفظ للشعب شخصيته و يجعله يعي ذاته و يناضل من أجل حياة حرة كريمة و التمسك بالإسلام عن وعي و بصيرة هو الكفيل بأن يغير أوضاعه من حالة الضعف إلى القوة و من اليأس إلى الرجاء و من الركود إلى العمل و من الإضطهاد و الهوان إلى الحرية و الكرامة. فالإسلام في نظر ابن باديس نظام اجتماعي عام يحوى جميع مجالات الحياة (سياسية اجتماعية ثقافية اقتصادية) و ينظمها وفق أسس و مبادئ و قد دلت تجارب الحياة كثيرا من علماء الأمم المتمدنة على أنه لا نجاة للعالم مما هو فيه من بدع و خرافات و تأخر و انحراف إلا بإصلاح عام يقوم على مبادئ الإسلام الصحيح و العودة إلى كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم.

إذا كان الدين الاسلامى أساس الماضي لكونه دين و حضارة فإنه كذلك عماد النهضة الفكرية الإصلاحية في المستقبل و الحاضر لكل الأمم و الشعوب، لهذا نجد بن باديس مرتبطا به دائما

---

507 رحمانى(سعيد)، "مقاصد الشريعة عند الإمام عبد الحميد بن باديس" **مجلة الدراسات الإسلامية**، مجلة ثقافية سنوية يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى، جوان 2007 ، ص 90

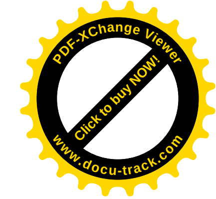






ارتباطا و ملتزما به في كل جوانب حياته في أقواله و أفعاله و علاقاته مع الناس حتى مع الذين يضمرون له العداء. و فى تأكيد بن باديس على أهمية الدين كأساس أول للإصلاح لا بد من الإستناد إليه نجده يقول موضحا ذلك و معللا اختياره الدين للنهوض بالأمة:"فإننا اخترنا الخطة الدينية على غيرها عن علم وبصيرة و تمسكنا بها هو مناسب لفطرتنا و تربيتنا من النصح و الإرشاد و بث الخير و الثبات على وجه واحد و السير في خط مستقيم " و فى هذا السبيل وهب ابن باديس نفسه لخدمته و نشر مبادئه و تطهيره من كل ما أحدثه فيه المحدثون من بدع.

كان رجال الإصلاح يسعون جاهدين لإصلاح الأوضاع السائدة في المجتمع من فساد و بدع و خرافات، و ذلك من خلال نشر دعوتهم الإصلاحية و مقاومة الإدارة الفرنسية و عملائها، و كانوا يرون أن دعوتهم لا بد أن تستمر و أن تعم كل أرجاء الوطن و تشمل مختلف المجالات، فهم يرون أن حالة البلاد لا تصلح من مظاهر الفساد الخلقي و الإجتماعي إلا عن طريق الوعظ و الإرشاد، و فى سبيل ذلك استكثروا من المحاضرات و الدروس التربوية التوع وية[508]. و جاهدوا في سبيل إحياء القيم الأخلاقية المرتبطة بتقوى الله تعالى و نفع الإنسانية، و وجهوا عناية كبرى لإصلاح هذا الجانب الهام في المجتمع الجزائري باعتبار أن الأمم إذا صلحت أخلاقهم صلحوا و إذا فسدت أخلاقهم فسدوا، و على هذا الأساس سعى رجال الإصلاح إلى تطبيق مناهج الدين و أساليبه انطلاقا من المسجد حتى يصلحوا النفوس من هذا الطريق لأن صلاح النفوس من باطنها و تطهيرها من الجهل و العقائد الفاسدة هو الأساس الذي تقوم عليه نهضة المجتمع. و هذا ما حاولت الحركة الإصلاحية تحقيقه لما أخذت على عاتقها مقاومة كل منحرف و فاسد و محاربة كل متبع وضال استنادا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم :"كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ".

[508] الصديق(محمد الصالح)، الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس من أرائه و مواقفه، دار البعث للطباعة و النشر، ط 1، الجزائر 1983، ص100

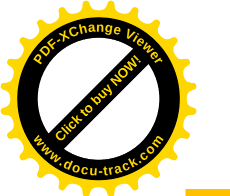
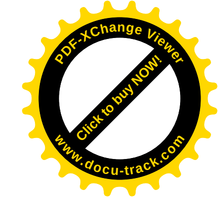





لقد أدرك رجال الإصلاح مبكرا أن صلاح الأخلاق يتوقف على إصلاح العقيدة، و عليه كان يهتم بالتعليم الديني للأخذ بفقهه و تعلم أخلاقه لأنه العقبة التي تقف أمام تمكين الفرنسيين من أهدافهم، و هو العماد الذي يوصي به ابن باديس فيقول :"و لنبدأ من الإيمان بتطهير عقائدنا من الشرك و أخلاقنا من الفساد و أعمالنا من المخالفات و لنستشعر أخوة الإيمان التي تجعلنا كجسد واحد و لنشرع في ذلك غير مخترقين لأنفسنا". و لأن للقرآن الكريم دوره في تقويم الأخلاق فقد كان بن باديس يوصى طلبته بالرجوع إليه لأنه الأساس الذي بني عليه العمل و يعتمد عليه في فهم الإسلام فيقول :"فإننا نربي و الحمد لله تلامذتنا على القرآن و نوجه نفوسهم إلى القرآن من أول يوم و في كل يوم ، و غايتنا أن يكون القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم و على هؤلاء الرجال تعلق هذه الأمة أمالها و في سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا و جهودها"[509].

لقد آمن رجال الإصلاح بأن التربية التي تضمنها القرآن الكريم كفيلة وحدها لعلاج الأمراض التي تنخر الأمة و تعمل على اضمحلالها. و لهذا نجدهم يتخذون من المنبر الديني سلاحا لمقاومة السياسة الإستعمارية و إحباطها فجعلوا من دروسهم في التفسير و الحديث و من مقالاتهم في الشهاب و جرائد جمعية العلماء وسيلة فعالة لمحاربته و كذا لمحاربة الطرقية و الإندماج و التنصير. و اقتنع رجال الإصلاح أن من أهم الوسائل الفعالة لإحياء النهضة الوطنية هو تغيير ذهنية الجزائريين، و يتحقق ذلك بتكوين شبيبة متمسكة "بعقيدة إسلامية" متجددة بعيدة عن تأثير الطرقيين الداعين إلى الركون و الخضوع و اعتبار الإحتلال بلاء من الله – كما كان يردد المتصوفون و الطرقيون – و إقناع الشعب بضرورة المقاومة، و ذلك بتصحيح تصوراتهم الخاطئة التي بث فيهم و إصلاح ما أفسده المحتلون من خلال الجرائم الثقافية التي ارتكبوها في حق اللغة العربية و الشعب الجزائري و هم يحملون معاول المسخ و التجهيل و أنه من الواجب عليهم مساعدة المدارس بإرسال أبنائهم للتعلم

[509] فضيل (عبد القادر), رمضان (محمد الصالح),المرجع السابق ، ص: 84



فيها و حث الناس على الإهتمام باللغة العربية و الدفاع عنها و في هذا يقول ابن باديس : (ومن يبتعد عن اللغة العربية فقد ابتعد عن عبادة الله و من يبتعد عن عبادة الله فسيلاقي عذابا شديدا ).

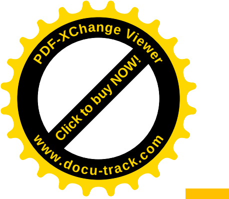
كما استغل رجال الإصلاح الشعارات التقدمية التي كانت قد رفعتها الجبهة الشعبية و طوروا في ظلها نشاطهم الإصلاحي في المجالات المختلفة بمضاعفة الجهود، حيث كانوا يستغلون الفترة التي تخف خلالها الضغوط على الجمعية ليوسعوا مجال نشاطهم و دائرة تحركهم بالدروس و الخطب لنشر أفكارهم و ثقافتهم الإصلاحية، و قد لقيت دعوتهم تجاوبا من الطلبة القادمين من كل جهة إقبالا كبيرا و أثرت دروسهم في عقول الشباب و تنوعت مجالات تفكيرهم. و لتعزيز توجهاتهم الإصلاحية كانوا يعمدون إلى آيات قرآنية معينة محددة في القرآن الكريم [510] لما فيها من إرشاد و دعوة إلى الإصلاح و العلم و تحكيم العقل يفسرونها و يستنبطون منها الغرض المنشود.

لقد أدرك رجال الإصلاح بعمق أن تحرير الجزائر من الإحتلال الفرنسي إنما تبدأ في خطوتها الأولى بالمحافظة على وحدة الأمة الجزائرية من أفراد ( أمازيغا كانوا أو عربا )، و في هذا السبيل نشر ابن باديس مقالا بعنوان ماجمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان،جاء فيه قوله:إن أبناء العرب و أبناء الأمازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضع عشر قرنا، ثم بدأت تلك القرون تمزج ما بينهم حتى كونت منهم أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا أمه الجزائر و أبوه الإسلام، و قد كتب أبناء يعرب و أبناء أمازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقو من دمائهم في ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله ...فأي قوة بعد هذا يقول عاقل تستطيع تفرقهم...يا عجبا لم يفترقوا وهم الأقوياء فكيف يفترقون و غيرهم القوي كلا و الله بل لا تزيد كل محاولة للتفريق بينهم إلا شدة في اتحادهم و قوة لرابطتهم[511]. أما الخطوة الثانية فهي تطهير العقيدة مما ابتدعه الطرقيون[512] الذين أفسدوا الأمة .

---

[510] البصائر، ع 13 ، 3 مارس 1936 ، ص 3

[511] الخطيب(أحمد)، المرجع السابق، ص ص130 – 131







لقد كان على المصلحين الخوض في ميدان المجتمع بالعمل على تطهير النفوس من الخرافات و الأوهام التي بثها بعض الطرقيين و تنقية النفوس من الزيغ و الضلال و العقائد الفاسدة و إعدادها لتلقي العلوم الصحيحة و لذلك كان بين ألئك المصلحين و أرباب هذه الخرافات حروب و أهوال كثيرة [513] نتيجة للتعارض الواضح بين ما يسعى إليه رجال الإصلاح و ما يمثله بعض مؤسسات الطرقيين من جمود فكري و هيمنة روحية على الجماهير المسلمة في الجزائر و هي الهيمنة التي حافظت على مصالح شيوخ الطرقيين و خدمة المصالح الإستعمارية على حساب الملايين من أهل البلاد الشرعيين و بالإضافة إلى ذلك فهي تمثل حاجزا منيعا في طريق التقدم و الإصلاح الإجتماعي و الثقافي[514] و يكفي ما قاله مدير الشؤون الأهلية جون ميرانت في حقهم و تأكيده على أن الزاوية كانت تقدم تعليما متخلفا جدا بدون أي قيمة معنوية أو أخلاقية و لا اجتماعية [515] و لا غرابة –

---

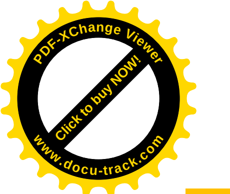
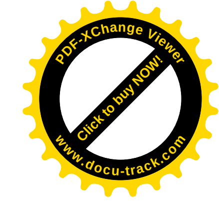
512 دعونا في هذا الصدد و المقام نذكر بالدور الهام الذي لعبته الطرق الصوفية في تاريخ الجزائر – حتى و إن كانت ضالة في نظر رجال الإصلاح – فبغض النظر معاداة رجال الإصلاح للطرقيين فإن الطرق الصوفية هي بدورها كان لها الفضل في الحفاظ على الإسلام و اللغة العربية قبل تأسيس جمعية العلماء و بعدها و من ذلك : مؤتمر الزوايا بالشمال الافريقي المنعقد بالعاصمة يوم 15 مارس 1948 الذي حضره ما يزيد عن 120 رئيس زاوية فدعى المؤتمر إلى توحيد كلمة رجال الدين تحت رئاسة الشيخ عبد الحي الكتاني و خرج المؤتمر ببرنامج أعمال اتفقت عليه إدارة المؤتمر و هي مشاريع ثلاثة:

1 –نشر التعليم المجاني بواسطة برنامج واسع النطاق في الزوايا و إحداث معاهد أخرى في مختلف أنحاء البلاد لهذا الغرض
2 –الدعوة و الإرشاد إلى التمسك بأهداف القرآن الذي هو حبل الله المتين و تبيين محاسن الشرع الإسلامي و ذلك بواسطة ثلة من الخطباء
3 –العمل على إزالة البؤس و الشقاء على الفقراء و لا سيما اللاجئين إلى الزوايا

و قد خصص لكل مشروه من هذه الثلاثة صندوق مالي خاص به و ذلك بتقرير المؤتمر المنعقد في التاريخ المذكور ينظر : مؤيد (صلاح العقبي)، الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر تاريخها و نشاطها، دار البرق، لبنان بيروت 2002 ص 605 – 606

513 البصائر، ع1 ، 27 ديسمبير 1935

514 بوصفصاف (عبد الكريم) ، المرجع السابق، ص 227




بحكم تناقضهما – أن نجد العلماء يكتبون عن الطرق الصوفية و يقولون : المرابطون هم حيوانات الإستعمار الداجنة، فهم اليد التي تنفذ الأوامر المشؤومة و الجسر الذي يفتح له الطريق و ما انفكو يناقضون الله في ظهورهم بمظهر الأناقة أمام الشعب و العبودية إزاء المستعمرين و الرؤساء الإداريين الطغاة،[516] لقد أصبحوا بحق علة العلل في الإفساد و منبع الشرور و كل ما هو متفش في الأمة من ابتداع في الدين و ضلال في العقيدة و جهل بكل شيئ و غفلة عن الحياة و إلحاد في الناشئة فمنشئه من الطرق و مرجعه إليها.[517]

إن اقتناع رجال الإصلاح بأهمية نشر و تقوية الوازع الديني و الخلقي في نفسية الشعب الجزائري المسلم هو الذي جعله م ينادون بضرورة حفظ القرآن الكريم و التدبر في معانيه و العمل به اقتداء بالسلف الصالح لأن القرآن الكريم هو الذي كون رجال السلف و لا يكثر عليه أن يكون رجالا في الخلف لو أحسنوا فهمه و تدبره و حملت الأنفس على مناهجه، فلا بد إذن أن نربي تلاميذنا على القرآن من أول يوم و نوجه نفوسهم إلى القرآن الكريم في كل يوم ، و ما دام الفرد المسلم هو محور العملية التعليمية عند رجال الإصلاح و التي أساسها التثقيف الإسلامي لمحاربة التغريب و الفرنسة فإن إصلاح المجتمع في رأيه م لا يكون إلا بصلاح الفرد و إصلاح الفرد لا يكون إلا بتطهير نفسه و عقله من ثقافة الغرب، و لهذا نجدهم يلحون على فتح المزيد من المدارس القرآنية لتعليم الجزائريين، حيث بلغ عدد طلبات فتح المدارس القرآنية 83 طلبا[518] خلال الحرب العالمية الثانية ( 1939 – 1944) رفض منها الإدارة الاستعمارية الطلبات المقدمة من قالمة و سطيف و

[515] **MIRANTE** (Juan), op-cit , p 73

[516] بوصفصاف (عبد الكريم) ، المرجع السابق، ص 254

[517] الإبراهيمي (محمد البشير)، الطرق الصوفية، ط 1 ، مكتبة الرضوان، الجزائر ، 2008، ص 51 (هذا الكتاب مقتطف من تصدير نشرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)

[518] A w c , boite 20







سكيكدة و عنابة و باتنة و البعض في قسنطينة و بجاية [519] و درج ابن باديس و الإبراهيمي على إرسال وفود من أعضاء الجمعية إلى مختلف مدن القطر الجزائري و الوقوف على سير الحركة الإصلاحية لإيقاظ النائم و تنبيه الغافل و تشجيع العامل و إرشاد الضال و كان العلماء يجدون ترحيبا من أهالي المناطق أينما حلوا باستقبال حسن مما شجعهم على تكرار زيارتهم لمختلف المناطق حتى أصبحت عادة لدى الجمعية في إرسال علمائها خاصة في شهر جويلية من كل عام [520] للتفقد و الإشراف على فتح النوادي و تأسيس المدارس و كانت غايتهم الأساسية تثبيت اللغة العربية لسان هذا الدين و ترسيخ الإسلام الصحيح الذي لا بديل عنه في عقول الناس و لتحقيق ذلك سعى رجال الإصلاح في إطار الجمعية بكل ما استطاعوا إلى توسيع دائرة العلم و المعرفة و حمل الأمة بالوسائل المشروعة و المعقولة على اعتناقها [521] و خلال هذه الجولات ينطلق رجال الإصلاح و العلماء من المساجد في الإرشاد لتنبيه الناس إلى الخطر الذي يترصدهم لو استمروا في غفلة و برودة عن تعلم اللغة العربية كونها وسيلة محاربة الجهل – في ظل سياسة نشر الفرنسية التي يخطط الفرنسيون إلى تعميمها – و ذلك بتخطي كل العوائق التي يقوم المحتلون بتنصيبها في طريقه و من أبرزها انحياز المتفرنسين من جهة و ترويجهم لإشاعات تفرق بين السكان و ترويج فكرة العنصرية ليصيبوا الوحدة الوطنية بالتجزئة و التفرقة و إثارة الفتنة من جهة ثانية [522] و قد رفعت الجمعية من شأن كل ذي مستوى علمي و ثقافي مهما كان ذلك المستوى متواضعا مادام الشخص منتميا إليها منضويا تحت لوائها عاملا في مجال مناهجها ثقافيا و دينيا و اجتماعيا مما أصبح معه هؤلاء المثقفون على اختلاف

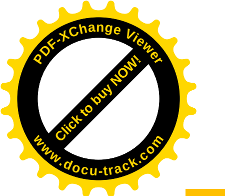
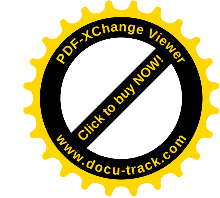
---

[519] A w c , boite 23

[520] البصائر، ع21 ، 29 ماي 1936 ، ص 1

[521] البصائر، ع16 ، 24 افريل 1936 ، ص 8

[522] ناصر (محمد)، "واقع اللغة العربية في الصحافة الإصلاحية في الجزائر"، **الاصالة**، العدد 17 – 18 وزارة الشؤون الدينية نوفمبر ، ديسمبر ، جانفي ، فيفري 1973 – 1974 ص 266 - 269




مستوياتهم يحضون بالإحترام و التقدير لدى أفراد المجتمع بعد أن ظلوا زمنا يعيشون تحت رحمة الجهلة الذين لا يقدرون العلم حق قدره[523]

لقد كان المنهج العام الذي تبناه رجال الإصلاح في عملهم الدعوي الإصلاحي منهجا خاصا نلمس فيه الكثير من العلمية حيث نجدهم اهتموا بإصلاح التعليم الديني قبل الخوض في مجالات أخرى لأنه في رأيهم أساس الإصلاح، و قد ورد في الشهاب :" لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم و لن يصلح العلماء إلا إذا صح تعليمهم، فالتعليم يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته و ما يستقبل من عمله لنفسه و لغيره، فإذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم"[524] و كانوا يرون أن أفضل طريق لإصلاح التعليم الديني الرجوع إلى الطريقة النبوية الشريفة و طريقة السلف الصالح كمنهج مبنى على دراسة الأصول العامة للثقافة الإسلامية و القوانين المطردة التي تندرج تحتها الفروع و الجزئيات الفقهية[525] و اخترقوا نطاق جدران تعليم التلاميذ في المدارس إلى مجال رحب نحو القرى و المداشر، و أخذت الثقافة تتسع و تنتشر بين جميع فئات الشعب. كل ذلك بواسطة المحاضرات و الدروس و التنقل بين مختلف البلدات، و خلالها يقوم رجال الإصلاح بتوزيع المناشير التي تشتمل على معارف دينية و اجتماعية فقد حببوا التعليم للناس حتى أصبحوا يتذوقونه من خلال دروسهم التي يقدمونها بكيفية لا عهد لهم بها عند من يعرفونهم من الطرقيين و أصحاب الزوايا . و اشتهرت دروس العلماء المصلحين بأمرين : مناعتها و كثرتها و هو ما جلب إلى حلقات دروسهم أعداد هامة من الطلاب[526] و كانوا يحبون عملهم و لذلك كان أكثر ما يسعدهم

---

[523] مرحوم (علي)، "حول الذكرى الأربعين لوفاة ابن باديس" **الثقافة**، العدد 56 ، مارس افريل 1980 ص 29 - 30

[524] الشهاب ج11 مج 10 أكتوبر 1934 ص 478

[525] تركي (رابح)، الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر، ط 4 المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 ص 305

[526] الرفاعي (أحمد)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ط 1، دار البعث، قسنطينة 1980 ص 189





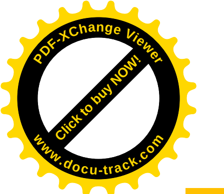
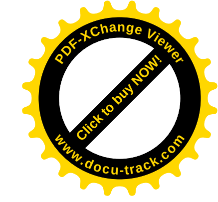


هو الإلتقاء بالشباب الجزائري لأنه فهم قيمة هذه الجماعة من المجتمع فوجه لها العناية و الإهتمام و لم يبخل في قضاء جل أوقاته بينها يعلمها و يبذل قصارى جهوده لرعايتها وتربيتها.

كان البرنامج الإصلاحي برنامجا مثاليا يقدم تربية تربط بين الإيمان و العقل و السنن الحميدة و التفتح و الأصالة و العصرنة، و قد أدخلت جمعية العلماء في سبيل ذلك مواد تحسيسية كالأناشيد الوطنية و تعلم التعبير المسرحي و الخروج إلى الميدان كالكشافة [527] و استطاعت بهذا العمل الدؤوب المتواصل المحافظة على الشخصية الجزائرية بمقوماتها التي تمثلت في الثقافة العربية الإسلامية و اللغة العربية و الدين الإسلامي ، و استطاعوا كذلك أن يكونوا أنفسهم و يتربعوا على عرش أكبر رجالات الجزائر على مر تاريخ الجزائر في القديم و الوسيط و الحديث و المعاصر ، حتى أن ابن باديس الذي خطفته المنية كان مقبلا على أن يصبح القائد الفكري الحقيقي للسلفية في المغرب و العا لم الإسلامي

و في آخر هذا المقام المتعلق باتخاذ رجال الإصلاح للوعظ المسجدي كوسيلة لتوضيح التميز الحضاري الجزائري عن الإستعمار الفرنسي المسيحي تجدر بنا الإشارة إلى ما جاء في إحدى مقالات الإبراهيمي التي فصل من خلالها في مسألة العلاقة بين الجزائري المسلم و الإستعمار الفرنسي المسيحي، و لم يكن هذا الفصل عاديا عاما بل مفصلا حيث نجده يقول :" إن موالاة الإستعمار بأي نوع من أنواع الولاية هي خروج عن أحكام الإسلام ، لأن معنى الموالاة له أن تنصره على نفسك و على دينك و على قومك و على وطنك" و من تفصيله أن الإيبراهيمي تناول حتى وضع الموالين الذين يتعذرون بالمداراة و قضاء المصالح و في نفس المقال يقول :" و المعاذير التي يعتذر بها الموالون للإستعمار كالمداراة و طلب المصلحة يجب أن تدخل في الموازين الإسلامية، و الموازين

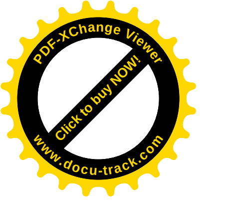
[527] **SARI** (Djilali), op-cit , p 242

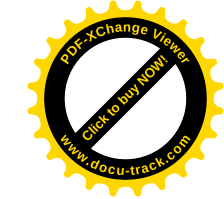






الإسلامية دقيقة تزن كل شيئ من ذلك بقدره و بقدر الضرورة الداعية إليه [528] و هو بذلك يقطع أي اتصال و تعامل بين الجزائري المسلم و الإدارة الإستعمارية.

[528] الإبراهيمي (محمد البشير)، المصدر السابق، ج 5 ، ص 69




# الفصل الثالث

## رفض الإستعمار بمرجعية دينية

**اولا: تصدي المصلحين للقوانين الفرنسية**

- جمعية العلماء تفتح جبهة خارجية ضد الاستعمار الفرنسي
- جمعية العلماء في مجابهة التجنيس و الادماج
- جمعية العلماء في المؤتمر الإسلامي

**ثانيا: رهانات الإصلاح و مستقبل الجزائر**

- الوجه السياسي للخطة الإصلاحية
- موقف الإدارة الاستعمارية من الحراك السياسي لرجال الاصلاح
- جمعية العلماء و الثورة التحريرية





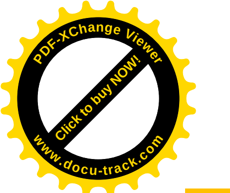
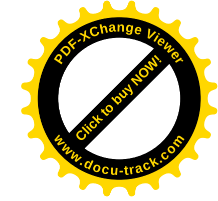

# تصدي المصلحين للقوانين الفرنسية

## -جمعية العلماء تفتح جبهة خارجية ضد الإستعمار الفرنسي

**أولا: جبهة فرنسا**

بعد أن وقف الإمام عبد الحميد بن باديس على أحوال المغتربين الجزائريين في فرنسا، و أدرك حجم الأخطار التي تتهددهم في عقيدتهم و أخلاقهم، رأى أن من أوجب واجبات الجمعية التي يرأسها أن تتولى إرشاد هذه الطائفة من أبناء الجزائر و تتولى تعليم أبنائهم اللغة العربية و الدين الإسلامي حتى لا ينسلخوا عن قيمهم الدينية و الوطنية و يذوبوا في الحياة الفرنسية. و لأن الأمر كان في غاية الأهمية، فقد قرر الإمام الشروع فيه على الفور، و بالفعل باشرت الجمعية عملها هذا في منتصف سنة 1936م. و اختار الإمام للقيام بهذه المهمة الشاقة، الأستاذ الفضيل الورتلاني الذي نزل بباريس، في 22 جويلية 1936م،كمبعوث عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا، وشرع في الحين في الإتصال بالعمال الجزائريين في مختلف أحياء هذه المدينة الكبيرة، وكانت الخطوة الأولى هي- كما قال-: «...دراسة النفوس، واختبار الأفكار باستنطاق من اجتمعتُ بهم على طرق مختلفة، و بلغات متعددة، و لهجات متفاوتة » [529] فاعتمد عليهم، و دعاهم حينا إلى تأسيس مشروع جدي نافع،و سرعان ما استجابوا لدعوته فكوّنوا أولا "جمعية نادي التهذيب" لباريس و ضواحيها، و ضمّنوا قانونها الأساسي مادة تبيح لهم أن يؤسسوا فروعا لها في أي ناحية شاءوا، و فتح نوادي للتربية و التعليم فيها، هذا وقد بلغ عدد النوادي التي

[529] الفضيل الورتلاني في رسالة بعث بها إلى صديقه الشيخ باعزيز بن عمر، نشرت في مجلة الشهاب، ج 9، مج12، ديسمبر 1936م، ص461.





فُتحت في باريس و ضواحيها خلال المرحلة التي سبقت الحرب العالمية الثانية أحد عشر ناديا [530] و يذكر الفضيل الورتلاني حول هذا العمل المضني أن إبلاغ الدعوة الإصلاحية إلى جماهير العمال في فرنسا،و إقناعهم بوجوب انضمامهم حولها لم يكن بالأمر الهيِّن،و إنَّ أعظم صخرة اعترضت طريقه هي صخرة اليأس التي يقول: إنها صفة لا يكاد يخلو منها أحد [531] ، و كان من نتيجة تلك الجهود التي بذلها أن كَثُر عدد النوادي الجزائرية في باريس،و اشتدت الرغبة في تعلُّم العربية. و لأن جهد الرجل أصبح غير كافٍ ، فقد طلب الشيخ الفضيل من الجمعية أن تمده بأفراد آخرين منها، فأمدته بثلاثة من أعضائها، وهم:الشيخ محمد الصَّالح بن عتيق خريج جامع الزيتونة، و الشيخ محمد الزاهي الميلي خريج الزيتونة أيضا، والشيخ سعيد البيباني وهو من طلبة الإمام ابن باديس المشهود لهم بالكفاءة و الذكاء.[532] و قد استطاعت هذه النخبة توسيع مجال جمعية العلماء في الأرض الفرنسية ، إذ تأسست لها أكثر من عشرُ شعب جديدة منظمة و قوية في باريس و أقسامها، و بضعةُ شعب أخرى في مناطق مختلفة من فرنسا وهي: بلقارد [533] (Belgarde) ، كنوتانغ[534] ، مرسيليا ( Marseille) ، لاصطاك [535] (L'Estaque) ، ليون ( Lyon) ،

---

[530] البصائر: ع 172/173، 15 أكتوبر 1952، ص5.

[531] الشهاب، ج9، مج12، ديسمبر 1936 ، ص461.

[532] البصائر، ع 64 ، 23 أفريل1937، ص8. أيضا: العدد 103، 11 مارس 1938، ص2.

[533] بلقارد: قرية متوسطة من قرى شرق فرنسا بمقاطعة "هين"، تقع قرب الحدود السويسرية غير بعيدة عن مدينة جنيف، كان بها آنذاك كثير من العمال الجزائريين الذين نزحوا إليها للعمل بمعاملها ومناجمها.

[534] كنوتانغ: مدينة تقع بعمالة لاموزيل.

[535] لاصطاك: شبه مدينة تقع غرب مرسيليا وتبعد عنها بنحو أحد عشر كيلومترا، ولكنها متصلة البنيان بمدينة مرسيليا. يقطنها الكثير من الجزائريين .







نوفيل سيرصيون[536] (Neuville-sur-saône) ، رو بي (Roubaix) . و قدُ نشرت أخبار تأسيس هذه الشعب و تشكيلات مكاتبها الإداريةِ تباعا في البصائر[537]

لقد نجحت الجمعية نجاحا كبيرافي ٍّلم شمل المهاجرين الجزائريين في ديار الغربة، و إيقاظهم من سباتهم، و توجيههم إلى العمل المفيد لهم و لأسرهم و وطنهم. و لعل من دلائل هذا النجاح، الإقبال العظيم من قبل أفراد الجالية الجزائرية على الدروس و المحاضرات و الإحتفالات التي تقيمها الجمعية في نواديها، و قد كانت هذه الفروع و النوادي في تنسيق دائم و كامل مع جمعية العلماء في الجزائر، و ما يثبت ذلك هو التفاعل مع كل ما يحدث داخل الجزائر حيث أن القمع الذي مورس على الحركة الإصلاحية في الجزائر كان يلق احتجاجات كبيرة و استنكارا وسط العمال الجزائريين المؤطرين من جمعية العلماء بفرنسا. ففي أواخر عام 1936م اجتمع بباريس أكثر من ستة آلاف من أنصار جمعية التهذيب للإحتجاج ضد اعتقال الشيخ الطيب العقبي[538]، و في شهر ديسمبر 1937م احتج ممثلو نوادي التهذيب بقوة على المضايقات و المظالم الهاطلة على المؤسسات الدينية في الجزائر، و طالبوا باحترام المؤسسات التهذيبية في المستقبل وحمايتها من أعداء التهذيب[539]. و حين أصدر محافظ شرطة باريس قرارا يمنع العلماء من أداء يقيموا صلاة العيد في غابة " فانسان"[540] الشهيرة « Bois de Vincennes» في ديسمبر 1937 قام أنصار الحركة الإصلاحية بمظاهرة كبيرة تضم ألفي مشارك احتجاجا على هذا المنع الذي اعتبروه " مساسا بالحرية الدينية المعترف بها لجميع الأديان "[541] و طالبوا أن لا تتكرر مرة أخرى هفوة كهاته، و أكدوا عزمهم على الدفاع

[536] نوفيل سيرصيون: بلدة بعمالة الرون (Rhône)

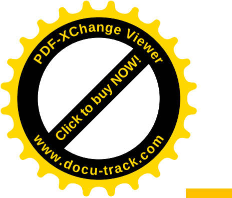
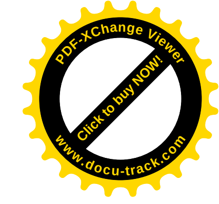
[537] أنظر الأعداد: 210، 225، 228، 236، 237، 258، 273، 289.

[538] الشهاب، ج9، م12، ديسمبر 1936، ص 462

[539] البصائر، ع 93، 31 ديسمبر 1937، ص 2.

[540] كانت الإدارة الاستعمارية قد وافقت على ذلك من قبل حين أعلموها برغبتهم في إقامة الصلاة في غابة فانسان

[541] البصائر، ع 93 ، 31 ديسمبر 1937 ، ص 2



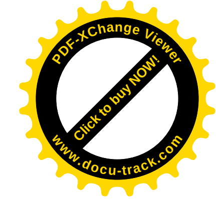

عن حريتهم الدينية المهددة. و في سنة 1937 أيضا فتشت الشرطة نادي " كليشي " بباريس و "هو مكان له حرمة المساجد و مكانة المدارس لأنه يقوم بالتعليم و تقام فيه الصلوات"[542]

و في الإجتماع العام الذي عقده أنصار نوادي التهذيب يوم 9 أفريل 1938م بباريس، رفع المجتمعون برقيةُ نشر نصها في جريدة "الدفاع" الصادرة بتاريخ 20 أفريل من السنة نفسها إلى كل من وزير الداخلية و وزير التربية الوطنية الفرنسيين و الحاكم العام الفرنسي بالجزائر، أعربوا فيها عن احتجاجهم ضد كل أنواع المعاكسات والمظالم التي استهدفت معلمي جمعية العلماء مثل: عبد العزيز بن الهاشمي، عبد الحفيظ الجنان، سعيد بن حافظ، عمر دردور، بلعودي يحي وغيرهم، و طالبوا بإعادة عبد الحفيظ الجنان إلى وظيفته كمؤذن، و الكّف عن التهديدات المسّلطة على ابن حافظ، كما احتجوا بقوة ضد القرار الذي يفرض على نوادي العلماء نفس القوانين السارية على المقاهي الأهلية. و في العدد نفسه نشرت جريدة "الدفاع" احتجاجا مماثلا بعثت به جماعة سانتيتيان إلى وزير الداخلية ألبير سارو ( Albert Sarraut) والحاكم العام لوبو. ( Le Beau)[543]

و أمام النجاح الكبير الذي لقيته جمعية العلماء في فرنسا رأت الجمعية ضرورة تدعيم و تأييد الفرع الفرنسي ماديا و معنويا ، في هذا المنحى و في أواخر شهر أكتوبر من سنة 1950م، سافر رئيس جمعية العلماء الشيخ البشير الإبراهيمي رفقة نائبه الشيخ العر بي التبسي إلى باريس، و كان الهدف من هذا السفر– كما بيّنه الإبراهيمي نفسه – هو الدفاع في العاصمة الفرنسية ، باستعمال جميع المنابر المتاحة، عن قضيتين أساسيتين: الأولى قضية فصل الحكومة عن الدين الإسلامي في الجزائر و حرية التعليم العر بي، و الثانية وضعية الجزائريين النازحين إلى فرنسا و ضرورة تأسيس

[542] البصائر، ع 98 ، 4 فيفري 1938 ، ص 3

[543] La Défense : N°187, 20 Avril 1938, P.3.



مدارس لهم على يد جمعية العلماء « لتعليمهم و تعليم أبنائهم حتى تبقى نسبتهم إلى الإسلام محفوظة، و علاقتهم بالإسلام متينة »[544]. و في ديسمبر من سنة 1951م سافر الشيخ الإبراهيمي مرة أخرى إلى باريس على رأس وفد جمعية العلماء الذي ضم إلى جانب الرئيس ، الشيخ محمد خير الدين و الشيخ العباس بن الشيخ الحسين، و كان ذلك إبّان انعقاد الدورة السادسة للجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة، و اغتنم الإبراهيمي هذه الفرصة فأجرى اتصالات بالوفود العربية والإسلامية التي أمّت باريس لتمثيل دولها في تلك الدورة الأممية مقترحا عليها بذل مساعي لتسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الجمعية العامة القادمة للأمم المتحدة [545]،و توّصل إلى اتفاق معهم حول قبول بعثات علمية من أبناء الجزائر في جامعاتهم و معاهدهم العليا[546].

بعد أن اكتسحت جمعية العلماء جل الأراضي الفرنسية و مناطق تواجد الجزائريين دق ناقوس الخطر عند الإدارة الإستعمارية و زادت حدة مضايقات السلطة الفرنسية لنشاط جمعية العلماء خاصة في فترة الخمسينات فقد تحدثت جريدة البصائر عما كانت تفرضه السلطات الفرنسية و بوليسها السري من رقابة و تتبع لحركات و سكنات الشعبة المركزية و فروعها المختلفة و رجالها المخلصين و على رأسهم رئيس الحركة الشيخ الربيع بوشامة الذي قال أنه تعرض للبحث و الإستنطاق من طرف البوليس الفرنسي ، كما أجرى هذا الأخير تفتيشا غير قانوني في بيوت بعض الأعضاء، كل ذلك للإستفزاز و إلقاء الرعب في النفوس [547] و قد اشتدت هذه الرقابة أكثر و صاحبتها أعمال قمع خاصة بعد اندلاع الثورة التحريرية في الجزائر ، و قد أشارت البصائر في

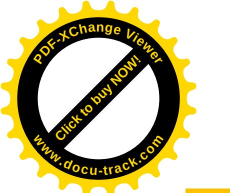
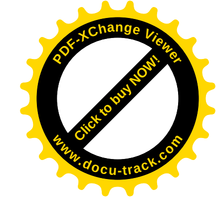
---

[544] البصائر، ع 136، 8 جانفي 1951، ص 2.

[545] الجمالي (محمد فاضل)، "الشيخ البشير الإبراهيمي كما عرفته"، **الثقافة** ، العدد 87، الجزائر، ماي/ جوان 1985، ص123.

[546] خير الدين(محمد)، المصدر السابق،ج1، ص417.

[547] بورنان (سعيد)، المرجع السابق، ص 192



عددها 305 إلى المعاملة التعسفية التي عوملت بها شعب جمعية العلماء في ليون و مرسيليا و غيرها من المدن الفرنسية و قالت إنه لما نشبت الثورة التحريرية تحرك البوليس في مرسيليا للبطش بالجزائريين و كان أول ما هاجمه مركز جمعية العلماء و أول من ألقي عليه القبض كاتب شعبة جمعية العلماء في مرسيليا السيد جرمون الحسن فقد فتشوا منزله و مكتبه فلم يجدو إلا رسميات الجمعية : القانون الأساسي، جريدة البصائر، و بعد كل هذا أودعوا كاتب الشعبة السجن و عذبوه [548]

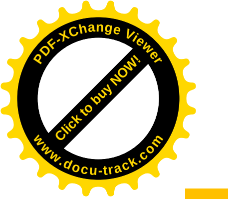
**جبهة المشرق العربي**

ابتداءا من فيفري 1952 قررت جمعية العلماء تعيين أحمد توفيق المدني أمينا عاما لجمعية العلماء الذي نجح نجاحا باهرا في جريدة البصائر بحيث جعل منها نبراسا يضيئ الطريق للحرية و التقدم في الجزائر. كما تدعم موقف جمعية العلماء بتنقل الشيخ البشير الإبراهيمي إلى الخارج و توثيق الصلات بين جمعية العلماء و الدول العربية و الإسلامية، و قد أكد هذه الحقيقة الدكتور محمد فاضل الجمالي، حيث قال بأن البشير الإبراهيمي قد زاره في خريف 1951 و ذلك أثناء انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة بباريس و طلب منه بصفته ممثلا لدولة العراق و نائبا لرئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة في تلك السنة إثارة قضية الجزائر في الأمم المتحدة. و أشار الدكتور فاضل الجمالي إلى أن البشير الإبراهيمي قد حضر حفل احتفال ليبيا باستقلالها سنة 1951 بباريس و ألقى خطابا قال فيه أن الجزائر ستقوم قريبا بما يدهشكم من تضحيات و بطولات في سبيل نيل استقلالها و إبراز شخصيتها العربية الإسلامية.[549]

---

[548] البصائر، ع 11 ،فيفري 1955 ،ص2 ،و العدد 25 ،جوان 1955

[549] الجمالي (محمد فاضل)، " الشيخ الإبراهيمي و رسالته التربوية " **المجلة التاريخية المغربية** ، عدد 5 جانفي 1976 ص 57 - 61





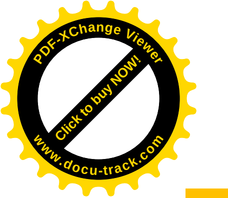




و تعتبر شهادة الدكتور محمد فاضل الجمالي على ما قام به البشير الابراهيمي من مجهودات للتعريف بالجزائر من أكثر الأدلة فقد قال : لقد عرفت الشيخ البشير الإبراهيمي مسلما صادقا في إسلامه و عالما مجاهدا في سبيل أمته، و كان له الفضل الكبير في تعريف الأوساط الشعبية العراقية بالقضية الجزائرية. كما كان خير محفز لي شخصيا لأن أكرس كل طاقتي في خدمة القضية الجزائرية سواء في العراق أو في المحافل الدولية، لقد كانت رسالة الشيخ الإبراهيمي رسالة إيمان و علم و تحرير للشعب الجزائري المسلم العربي، و كان رحمة الله قد كرس حياته من أجل نشر الوعي الإسلامي و نشر العلم بين أبناء الجزائر، و كانت جمعية العلماء المسلمين التي يرأسها قد أنشات عشرات المدارس الإسلامية في الجزائر، و قامت بإرسال البعثات العلمية للمشرق العربي لينالوا قسطا من الثقافة العربية – الإسلامية، و لما كنت من المؤمنين بأن التربية العربية الإسلامية الصادقة هي السلاح الماضي في مكافحة الإستعمار بكل أنواعه فقد كنت أتجاوب مع الشيخ المجاهد بكل حرارة، و لذلك فقد كان العراق من جملة أقطار المشرق العربي التي فتحت أبواب مدارسها لمن يستطسع القدوم إليها من الجزائر.[550] و حينما وجه الإبراهيمي رسالة إلى رئيس مجلس وزراء العراق الذي كانت ترأس بلاده مجلس الجامعة العربية شهر جانفي 1954 لقيت تجاوبا و قبولا كبيرا، و قد وصف رئيس مجلس الجامعة العربية الإبراهيمي برسول الأمة العربية الإسلامية في الجزائر و "التي تعد أكثر من عشرة ملايين من النفوس و تجاهد الجهاد العنيف في سبيل عروبتها و إسلامها و هو قائد حركة ثقافية عملية أساسها العروبة و الإسلام و هو رئيس جمعية منظمة حققت في عقدين من السنين أشياء تعد من خوارق العادات في هذا العصر، فشيدت مائة و خمسين مدرسة ابتدائية عربية و معهدا ثانويا فخما كامل الأدوات، و علمت مئات الآلاف من مجموعة مليوني طفل محرومين من التعليم بجميع أنواعه، كل ذلك بمال طفيف تدفعه أمة فقيرة و لكن مؤمنة بمعاني الجهاد و نتائج الجهاد و قال رئيس مجلس الجامعة العربية :" رسالتي التي أحملها من الأمة الجزائرية العربية إلى أخواتها العربيات في

---

[550] الجمالي (محمد فاضل)، " الشيخ الإبراهيمي و رسالته التربوية "، المرجع السابق، ص 58 – 61



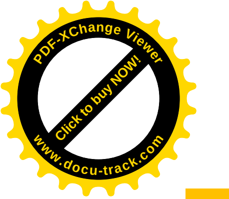
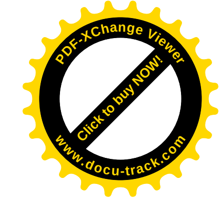



الشرق العربي هي شرح الحالة على حقيقتها و طلب النجدة السريعة بإعانات مالية تحفظ الموجود في الجزائر و تدفعه خطوات إلى الأمام و تعين هذه الجمعية على إكمال رسالتها التي لا تتم إلا بمئات أخرى من المدارس تستوعب أكبر عدد من الأطفال المحرومين الذين يريد لهم الإستعمار أن يبقوا مشردين، و بإيفاد مئات من الطلبة الحاصلين على الشهادة الإبتدائية العربية إلى معاهد الشرق العربي ليكملوا دراستهم فيها على نفقة حكوماتها و ليرجعوا إلى أوطانهم معلمين مجاهدين."

ثم لخص البشير الإبراهيمي دور جمعية العلماء و حقيقة الوضع في الجزائر كما يلي :[551]

- أولا : إن الشعب الجزائري مؤلف من عشرة ملايين و زيادة، كلهم عرب أصلاء و كلهم مسلمون متصلبون و الإستعمار الفرنسي عامل على مسخهم و إخراجهم من عروبتهم و إسلامهم، و لولا خصال فطرية في التصلب و الإعتزاز بجنسيتهم و دينهم و شرقيتهم، و لو لا جمعية العلماء و جهادها عشرة سنين في التمهيد و عشرين سنة في العمل لبلغ الإستعمار منهم ما أراد، و لو ضاعوا لكان ضياعهم مصيبة على المجموعة العربية لأنه نقص في رأس مالها من الرجال المتشددين في عروبتهم، و الزمان زمان تكتل و تكاثر بالعدد و نحن نرى أقوياءه يتكاثرون بمن ليس منهم و لا تجمعه بهم جامعة فكيف بالأخ الأقرب المشارك في الدم و اللسان و الخصائص الجنسية.
- ثانيا : إن جامعة الدول العربية ملزمة بروح ميثاقها العام أن تحرر كل عربي على وجه الأرض بالمستطاع من وسائلها التدريجية، و لا نشك أن للشعب الجزائري العربي مكانته في نفس الجامعة و قيمته في تقدير الجماعة لمكانته في برنامج الجامعة. فإذا كانت الجامعة لا تستطيع أن تحرر القطر الجزائري كوطن فهي تستطيع أن تحرر العقول و الأفكار بالعلم و المعرفة من الجهل و ال ظلال اللذين هما أساس الإستعمار و الجامعة أول من يعلم . إن الشعب الذي لم تتحرر عقوله و أفكاره من قيود الجهل و الوهم يستحيل أن تحرر أبدانه . و قد هيأت جمعية العلماء هذا الشعب

[551] بوحوش (عمار)، المرجع السابق، ص ص 272 - 274

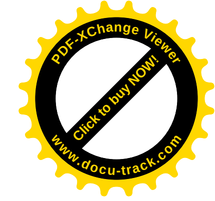


للإستقلال بما لقنته من معاني الحياة الشريفة و بما ثبتت فيه المعاني العروبة و الوطنية و الحرية و بما ربطته بالشرق ربطا محكما و هي تربية لا على المطالبة بحقه بل أخذ حقه بيده، كل ذلك بالفعل الذي قامت عليه الشواهد لا بالأقوال الفارغة التي لا يقوم عليها شاهد و إن هذه الجمعية تعلم أن قافلة الإسلام لا تهدئ إلا بدلالة القرآن، و كل هذا فعلته جمعية العلماء و مازالت تفعله، و قد صحت التجربة و صدقت النتيجة، و على هذا فجامعة الدول العربية من جمعية العلماء المسلمين سند قويم و دليل هاد و معين أمين.[552]

- ثالثا : إن الشعب الجزائري العربي غريب في وضعه لا يقاس بشعب و لا يقاس به شعب عربي آخر لأن كل شعب من الشعوب العربية المستقلة له رأس مال من الحرية و الحكم و المال و مواريث الأسلاف من مدارس و مساجد و معاهد و أوقاف. و تونس و مراكش المحيطان بالجزائر ما يزال فيهما شي من تلك المواريث، ففيهما المساجد الكثيرة الضخمة و فيهما بقية أوقاف، و فيهما صور من الحكم و أنواع الوضائف العليا، و في تونس جامعة الزيتونة التي تعتبر ثانية الجامعات الإسلامية بعد الأزهر، و في مراكش ثالثة الجامعات الإسلامية بعد الأزهر و الزيتونة، و لكل واحدة من الجامعة ميزانية ضخمة من الأوقاف و من الخزانة العامة و لكل واحدة منهما محفوظة و مسيرة بميزانيتها القارة أما الجزائر فلم يبق فيها أثر و لا عين من تلك المواريث. فالأوقاف الإسلامية العظيمة صادرها الإستعمار في السنة الأولى لإحتلاله، و المساجد العظيمة صيرها كنائس و مرافق عامة في السنوات العشر الأولى انتقاما من المقاومة التي كان يلقاها في الشعب الجزائري، و بقية المساجد أبقاها في وظائفها تحت يده و سلطانه، و هي كذلك إلى الآن، و صير من وظائفها وسائل تسخر للجوسسة و من رجالها للتسبيح بحمد فرنسا حتى يكون المسلمون بعضهم لبعض عدوا.[553]

[552] بوحوش (عمار)، المرجع السابق، ص ص 272 - 274

[553] نفسه ، ص ص 273 - 274



و حين اندلعت الثورة التحريرية في 1954 لعبت الجبهة الخارجية لجمعية العلماء دورا فعالا في الحشد و التعبئة حيث تميز موقف الجمعية الصارد عن القادة الموجودون خارج الجزائر بأكثر جرأة من ذلك الذي نبع من الداخل بحكم الحرية التي يمتلكونها من جهة و كذا عدم تأثير مواقفهم على الجمعية بشكل كبير عكس ألئك الموجودين بالداخل، و كان أول موقف لهم بعد يوم واحد من الثورة، [554] ثم وجه الأستاذ الفضيل الورتلاني نيابة عن مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة في اليوم الثالث من نوفمبر 1954 نداءا إلى الجزائريين نشرته الجرائد المصرية في حينه بعنوان " إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر، اليوم حياة أو موت بقاء أو فناء " جاء فيه : حياكم الله أيها الثائرون الأبطال و بارك في جهادكم و أمدكم بنصره و توفيقه و كتب ميتكم من الشهداء الأبرار و حيكم في عباده الأحرار، أيها الأحرار الجزائريون، اعلموا أن الجهاد للخلاص من هذا الإستعباد قد أصبح اليوم واجبا عاما مقدسا فرضه عليكم دينكم و فرضته قوميتكم و فرضته رجولتكم و فرضه ظلم الاستعمار الغاشم الذي شملكم ثم فرضته أخيرا مصلحة بقائكم لأنكم أمام أمرين إما بقاء كريم أو فناء شريف" [555] ثم تبعه بيان آخر بتاريخ 11 نوفمبر 1954 [556] و تلاه نداء وجهه الإبراهيمي إلى الشعب الجزائري عنوانه " نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد نعيذكم بالله أن تتراجعوا" [557] و خاطب الإبراهيمي الشعب الجزائري قائلا :" إن أقل القليل مما وقع على رؤوسكم من بلاء الإستعمار الفرنسي يوجب عليكم الثورة عليه من زمان بعيد، و لكنكم صبرتم و رجوتم من الصخرة أن تلين فطمعتم في المحال و قد قمتم

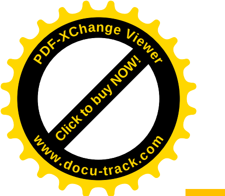
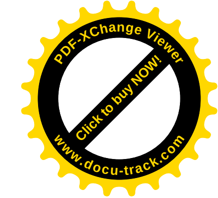
---

[554] أصدر مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة يوم 2 نوفمبر 1954 بيانا و وزع على الصحافة المصرية و وكالات الأنباء العالمية ينظر : الإبراهيمي ( أحمد طالب)، المصدر السابق، ج 5 ، ص 37

[555] البصائر، ع 9 ، 17 – 24 جويلية 2000 ، ص 16

[556] الإبراهيمي ( أحمد طالب)، المصدر السابق، ج 5 ، ص 40

[557] نشر هذا البيان عن مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة بتاريخ 15 نوفمبر 1954 ينظر : الإبراهيمي ( أحمد طالب)، المصدر السابق، ج 5 ، ص 33




الآن قومة مسلم الحر الأبي فنعيذكم بالله و بالإسلام أن تتراجعوا و تنكصوا على أعقابكم.".[558]

لا شك أن قادة الجمعية الموجودون خارج الجزائر قد أدوا عملا جبارا خاصة في مسألة كسر الدعاية الفرنسية عن الجزائر و التي روجت من خلالها أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، و قد نجح الإبراهيمي في جلب الدعم المادي و المعنوي للقضية الجزائرية و جمعية العلماء.[559] كما أنه صبغ بعض نداءاته بإضافة التوجه المغاربي حيث كان يتطرق كذلك للشأن المغاربي،[560] و هو اهتمام تفرضه عليه الروح العربية الإسلامية، كما نجده يشحذ الهمم و يتصل بقادة الأمة الإسلامية العربية لجلب الدعم للجزائريين،[561] كما ساهم و بفعالية في تأسيس جبهة تحرير الجزائر[562] التي أصدرت بيانا[563] أوليا عبرت فيه عن إدانتها لإعلان فرنسا حالة الطوارئ. و قام الإبراهيمي أيضا بالتشهير لجرائم الإستعمار في الجزائر التي يرتكبها ، كما استفاد موقف الجمعية من التحاق أحمد توفيق المدني الأمين العام لجمعية العلماء المسلمين إلى مكتب جبهة التحرير بالقاهرة بطلب من السيد عبان

[558] الإبراهيمي (محمد البشير)، في قلب المعركة، المصدر السابق، ص 22

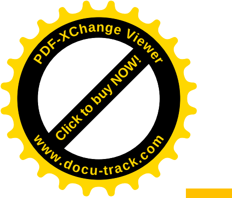
[559] تركي (رابح)، "البشير الابراهيمي في المشرق العربي"، **الاصالة** ، العدد 8 ماي جوان 1972 ص ص 257 – 258

[560] الإبراهيمي (محمد البشير)، المصدر السابق، ج 5 ، ص 47

[561] وجه مكتب جمعية العلماء بالقاهرة رسالتين إلى كل من عبد الناصر و السادات و كذا الملك سعود طمعا منه لمساعدتهم للجزائريين ينظر:الإبراهيمي ( أحمد طالب)، المصدر السابق، ج 5 ، ص ص 49 - 51

[562] نفسه ، ج 5 ، ص 53 - 54

[563] يمكن أن نرصد و نخلص من خلال الكتابات و البيانات و التقارير التي أصدرتها جبهة تحرير الجزائر منذ تأسيسها ( خاصة فيما يتعلق بأسلوب الكتابة و اللغة و المصطلحات المستخدمة ) إلى أن الإبراهيمي هو الذي صاغ كل تلك التقارير، و ما يميز هذه التقارير أنها تحررية استقلالية عن الإستعمار الفرنسي و هو ما يمكن أن نستشف منه الروح الإستقلالية لشخص الإبراهيمي و تحفظه في نفس الوقت عندما يتعلق الأمر بجمعية عريقة مثل جمعية العلماء . للرجوع إلى تقارير جبهة تحرير الجزائر ينظر: الإبراهيمي ( أحمد طالب)، المصدر السابق، ج 5 ، ص ص 53 - 63






رمضان أحد قادة الثورة، و قد قال السيد عبان رمضان لأحمد توفيق المدني:" إننا لنشعر بنقص كبير بين صفوف وفدنا الخارجي ، فسر إليهم بأسرع ما يمكن لكي تعمر ذلك الفراغ، و اعلم أن حظك في الجهاد هناك يعادل أو يفوق حظك لو أنك عمدت إلى جبل و حملت بين إخوانك السلاح ، السلاح يحمله كل المجاهدين ، أما القلم و أما الكلمة و أما المسعى الحميد فلا يقوم بأعبائها إلا الندرة من المجاهدين " و في يوم الخميس 12 أفريل 1956 سافر إلى القاهرة عن طريق جنيف رفقة الشيخ العباس بن الشيخ الحسين. و في جنيف التقى بالسيد فرحات عباس ، أحمد فرنسيس و قدور ساطور الذين كانوا في طريقهم إلى القاهرة أيضا للإنضمام إلى الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني.[564]

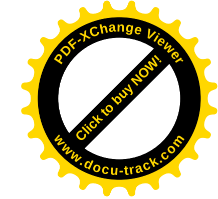
**يمكننا من خلال كل هذا أن نخلص إلى النقاط الأساسية المتعلقة بالجبهة الخارجية لجمعية العلماء و صراعها مع الإدارة الاستعمارية و كيف ساهمت في تدمير النظام الإستعماري المتآكل من جهة و دعم القضية الجزائرية من جهة أخرى :**

1 – لم يقتصر نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التربوي والتعليمي، على القطر الجزائري، بل امتد أيضا إلى خارج الوطن خاصة فرنسا التي كانت تقيم بها جالية جزائرية معتبرة ظل عددها يتزايد مع مرور الوقت.

2 – إن بداية نشاط جمعية العلماء في فرنسا كانت في سنة 1936م، أي بعد أن اشتّد ساعد الحركة الإصلاحية في الجزائر وعّم نورها مختلف طبقات الأمة

3 – خلال فترة نشاطها بفرنسا، و التي امتدت على مدى ما يقارب العشرين سنة، أنشأت جمعية العلماء نوادي للتهذيب في الكثير من المدن الفرنسية التي تمركز بها المهاجرون الجزائريون بكثرة، جعلت منها مدارس لتعليم الأبناء و إرشاد الآباء، بهدف

[564] بوحوش (عمار)، المرجع السابق، ص ص 278 – 279



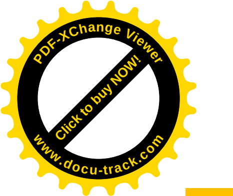
الحفاظ على عقيدة و وطنية الجميع، و وقايتهم من الإندماج و الذوبان في الوسط الفرنسي، حتى لا تضيع على الوطن فئة من أبنائه هو أحوج ما يكون إليها في مواجهة الاستعمار.

4 – أولت جمعية العلماء اهتماما بالغا لحركتها في فرنسا فأمدتها بالدعاة و المعلمين، و نشرت أخبارها و تقارير مراسليها من فرنسا في صحفها الصادرة بالجزائر، و أشادت عبر تلك الصحف بأعضائها العاملين هناك، و نشرت صور بعضهم تقديرا لجهودهم.

5 – لقد نجحت الجمعية نجاحا عظيما في ّ لم شمل المهاجرين الجزائريين في ديار الغربة، و إيقاظهم من سباتهم، و توجيههم إلى العمل المفيد لهم و لأسرهم و وطنهم، و هذا بعد أن تمكنت من جذب الكثير منهم من المقاهي والحانات و مواطن اللهو و الفجور. و لعل من دلائل هذا النجاح، الإقبال العظيم من قبل أفراد الجالية الجزائرية على الدروس و المحاضرات و الإحتفالات التي تقيمها الجمعية في نواديها، و كذا قيام هذه الجالية بحاجات النوادي المادية و التنظيمية.

6 – إّن إشعاع حركة العلماء بفرنسا لم يقتصر على الجالية الجزائرية فحسب، بل عّم الجاليات الإسلامية المقيمة في فرنسا على اختلاف أوطانها، فقد شعر المسلمون هناك أّنهم في وسط إسلامي عربي، و تحقق في نوادي العلماء معنى الوحدة و الأخوة الإسلامية. و قد ساهم بعض الطلبة و العلماء العرب في نشاط النوادي بفعالية.

7 – إّن نشاط جمعية العلماء في فرنسا يعتبر تجربة دعوية إسلامية فريدة من نوعها في الديار الأوربية آنذاك، و ربما لا نكون مبالغين إذا قلنا بأّن الكثير من الدول العربية والإسلامية لم تستطع حتى بعد استقلالها أّن تقدم لجاليتها المقيمة في الغرب في مجال الثقافة و الإرشاد مثل ما قدمته جمعية العلماء للجالية الجزائرية في ذلك الوقت. و هذا






يدفعنا للقول أن هذه (الغزوة الثقافية) لو توفرت لها إمكانات أكثر، و امتدت لسنوات أخرى لكان لها أعظم الأثر في تاريخ فرنسا، و مستقبل الإسلام فيها.

8 – إنّ نشاط جمعية العلماء في فرنسا قد أفاد كثيرا الجمعية، كما أفاد القضية الوطنية، فمن خلاله استطاعت الجمعية ربط الّصلة برجالات الإسلام في الشرق و الغرب، الأمر الذي ساعدها على تأكيد سمعتها في العالمين العر بي والإسلامي. فالشيخ الإبراهيمي ما ذهب إلى المشرق في سنة 1952م إلا بدعواتُ مِلّحة من رجالات الشرق الذين التقاهم في باريس، و قبله كان الشيخ الورتلا ني، حين ذهابه إلى مصر، قد سبقته شهرته إلى هناك، و أمر البعثات الطلابية قد أصبح ممكنا و ميسورا بفضل العلاقات التي تمت للجمعية مع علماء الشرق و زعمائه . أما بالنسبة للقضية الوطنية، فقد ساهمت حركة العلماء بفرنسا في التعريف بها وتبليغ صوتها لعالمي الشرق والغرب، فساهمت بذلك في كسر الستار الحديدي الذي حاول الإستعمار أن يضربه بين الجزائريين و العالم الخارجي.[565]

9 – تمكن فرع جمعية العلماء في المشرق العربي ممثلا في الرئيس البشير الإبراهيمي في نقل الصورة الحقيقية للدول العربية الإسلامية عن الجزائر

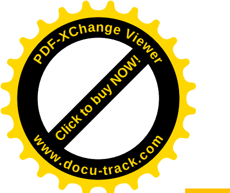
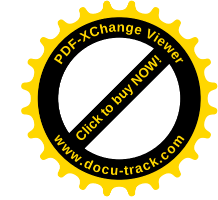
10 – أبلغ الإبراهيمي الشعوب الإسلامية أن لها امتدادا في الشمال الافريقي

11 – كسر الإبراهيمي فكرة و دعاية الإدارة الاستعمارية القائلة بأن الجزائر جزء من فرنسا

12 – تمكن الإبراهيمي من الوصول إلى أكبر الهيئات و المحافل العربية و الإسلامية و العالمية و قدم إشهارا قويا للقضية الجزائرية

---

[565] بورنان (سعيد)، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936 - 1954 ، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2008 – 2009 ص 194 - 196




13 – كانت لجهود جمعية العلماء في فرنسا و المشرق العربي ، الدور الكبير في إيقاظ المشاعر الوطنية، ونشر قيم التضحية في سبيل الوطن في أوساط الجالية الجزائرية بفرنسا، ما جعل هذه الجالية تتفاعل إيجابا مع ثورة نوفمبر 1954م التي خاضها شعبهم في الوطن الأم، و ساهمت في جلب الدعم المادي من المشرق العربي الذي اقتنع بإسلامية و عروبة الجزائر.

## جمعية العلماء في مجابهة التجنيس و الإدماج

يعتبر الجزائريون من حيث القانون الدولي فرنسيون يقومون بواجباتهم ككل المواطنين الفرنسيين، أما من حيث المعاملات في الواقع و من حيث الحقوق فهم أدنى المراتب تحت اليهود و الإيطاليين و الإسبان الذين وطنتهم الإدارة الإستعمارية في الجزائر و أنعمت عليهم بجنسيتها ليصبحوا أسيادا على أهل البلاد الأصليين، [566] و يلاحظ رونيه مونييه [567] rené mounier أستاذ التشريع الإستعماري بكلية باريس أنه في سنة 1938 لا توجد في الجزائر مساواة بين المواطنين و الرعايا بل تمييز و إخضاع[568] و تنطبق هذه التفرقة على كل المجالات و أهمها مسألة العدالة، فهناك لا مساواة فاضحة في العدالة الإستعمارية في الجزائر فالأهلي[569] لا يستفيد من

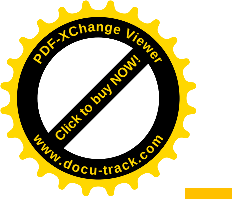
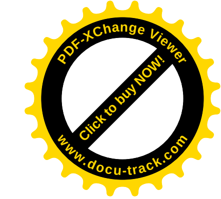
---

566 بن نعمان (احمد)، المرجع السابق، ص 122

567 هو عضو أكاديمية العلوم الإستعمارية ( 1887 – 1951 ) مؤسس علم الإجتماع الإستعماري و هو مؤلف غزير خصص له مجموعة امتد نشرها لعشر سنوات

568 اوليفييه (لوكر غراندميزون)، في نظام الأهالي، المرجع السابق، ص 21

569 كتب الأستاذ صولوص سنة 1927 : تفيد كلمة أهلي في تعريف السكان البدائيين لإقليم استعماري ضمته فرنسا أو وضعته تحت حمايتها أو عهد به إلى انتدابها و قد يكون من غير المناسب بل و الخطير منحهم جميع الحقوق السياسية و الحريات الفردية التي ليسوا مهيئين للتمتع بها ينظر :
اوليفييه (لوكر غراندميزون)، في نظام الأهالي، المرجع السابق، ص ص 81 – 82

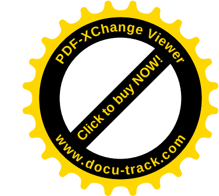





الضمانات الأساسية التي تقدمها العدالة و القضاء بل يخضع لنظام جنائي خاص. و أمام هذه التفرقة أصبحت مسألة التجنس هي الملاذ غير المحمود العواقب لمن يرغب في عدل اجتماعي و مستقبل مهني مريح، لكن هذا الثمن كان غاليا جدا على الصعيد الإجتماعي إذ يعتبر المتجنس منسلخا عن بني جلدته و منبوذا بينهم و يصير الأمر حتى تكفيره و إعلان ردته، فالضغوط على هذه الفئة كانت كبيرة جدا و أكثر من غيرها [570]

و لكن لم يكن أمام الراغبين في الحصول على الجنسية الفرنسية سوى قرار السيناتوس كونسيلت (Le Sénatus-Consulte) الصادر في 14 جويلية 1865 الذي حدد لأول مرة وضعية الأهالي الجزائريين بالنسبة للجنسية الفرنسية. و حسب المادة الأولى منه فإن "الأهلي المسلم الجزائري فرنسي لكنه يستمر خاضعا لأحكام القانون الإسلامي، و يمكنه – إذا طلب ذلك – أن يتمتع بحقوق المواطن الفرنسي، و في هذه الحالة تجرى عليه أحكام القانون الفرنسي ." و هكذا يعتبر المسلم الجزائري، بمقتضى السيناتوس كونسيلت، فرنسيا لكنه لا يتمتع بالحقوق المدنية و السياسية التي يتمتع بها المواطن الفرنسي، و لا يستطيع، بموجب هذا التصريح الواضح الذي تضمنه قرار 1865، أن يكون مواطنا فرنسيا حقيقيا يتمتع بالحقوق الفرنسية إلا إذا رضي بالتنازل عن أحكام الشريعة الإسلامية التي لا تتلاءم نصوصها و أحكامها في نظر المشرعين آنذلك مع القوانين الفرنسية خاصة فيما يتعلق بالزواج و الطلاق و الميراث و الحالة المدنية للأطفال، و اعتبروها بالإضافة إلى ذلك ملجأ لوطنية تتعارض مع وطنيتهم الفرنسية، و عليه يجب على الأهلي، لكي يرتقي من رعية مضطهدة إلى

570 خميلي (العكروت)، المرجع السابق، ص 106





مواطن فرنسي محترم، أن يتخلى عن كل ما يجعل منه مسلما بالمعنى السياسي و الإجتماعي للكلمة.[571]

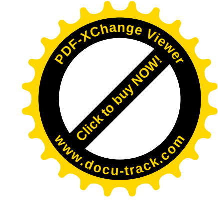
و كان حكام فرنسا قد أعلنوا عن شروطهم لقبول مطالب الإندماج و التجنيس و أهم شرط هو أن يتخلى الجزائريون عن تمسكهم بقانون الأحوال الشخصية الإسلامي و يعني هذا أن المندمج و المتجنس يتنازل طوعا عن شخصيته و دينه و عن كرامته و إن لم يقع شيئ من ذلك فلا يرجو من السلطة الفرنسية إلا الرفض، و هذا ما وقع بالفعل، و الدليل عن ذلك إجابة وزير الحربية (دلادي) لوفد المؤتمر الإسلامي الجزائري : (أقول لكم بكل صراحة : إنني أعارض في أن أعطيكم النيابة البرلمانية ما دمتم على حالتكم الشخصية الإسلامية). و قد خير القانون الذي صدر عام 1919 بشأن التجنيس المسلم الجزائري بين أمرين إما أن يكون فرنسيا بلا حقوق و إما أن يتجنس بالجنسية الفرنسية التي هي جنسيته الرسمية رغم أنفه و ينسلخ عن الذاتية الإسلامية لينال الحقوق الفرنسية[572]

إن النص الأساسي الذي فتح الباب لتجنيس مسلمي الجزائر هو السيناتيس كونسيلت sénatus-consulte بتاريخ 14 جويلية 1865. و منذ إصدار هذا القانون لم تتجاوز طلبات التجنيس المقدمة سنويا من قبل مسلمين جزائريين معدل ثلاثين طلبا فبين 14 جويلية 1865 و 31 ديسمبر 1899 تم إحصاء 1131 تجنيسا فرديا بين الأهالي المسلمين فقط[573] و

[571]M. P. de Ménerville, Dictionnaire de la législation algérienne, code annoté et manuel raisonné des lois, ordonnances, décrets, décisions et arrêtés, Deuxiéme volume, publiés au "Bulletin officiel des actes du gouvernement" .1860-1866, p 151

[572] فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، المرجع السابق، ص ص 146 - 147

[573] هذه الأرقام ضعيفة جدا، علما أنه ينبغي الإشارة إلى أن الأمر كان يتعلق في الغالب بحالات جنود أهليين يرغبون في بلوغ الرتب العليا المخصصة للمواطنين الفرنسيين وحدهم، فبالنسبة لهذه الشريحة من المواطنين كان التجنيس لا يشكل بالضرورة فرنسة

PDF-XChange Viewer
Click to buy NOW!
www.docu-track.com



مع مطلع القرن العشرين زاد انبهار بعض الجزائريين بالحضارة الفرنسية فارتفع عدد طلبات التجنس الى 1574 طلب منذ إصلاح 1919 إلى غاية 31 ديسمبر 1930 تم قبول 1424 منهم، و كان عدد المقبولين منهم لسنة 1930 وحدها 152 طلبا[574] و تم تجنيس 127 أهلي لسنة 1932 [575] و كانت هذه الفئة تلق دعما من الإدارة الاستعمارية كونها استسلمت للأمر الواقع و رضيت بالحضارة و السلطة الفرنسية و تخلت عن دينها الإسلامي و كانت هذه الفئة تشمل النخبة المثقفة بالثقافة الفرنسية بالأساس بالإضافة إلى بعض المجندين المصابين في الحروب الذين تم منح الجنسية الفرنسية لهم كمكافاة لهم على وفائهم لفرنسا و تضحياتهم لها [576] و سعت هذه الفئة لأن تنال الدرجة الأولى للمواطنة الفرنسية [577] و أن يعاملوا كفرنسيين حقيقيين و ليس كمواطنين من الدرجة الثانية، و في سبيل ذلك أسس مجموعة من الطلبة المتجنسين جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا aemaf في باريس و التي كان لها فرع في الجزائر. و لا ندري إن كان ذلك بايعاز من السلطات أم لا، و لكن إذا لاحظنا الرئاسة الشرفية لهذه الجمعية الممثلة في موريس فيوليت يتأكد و

---

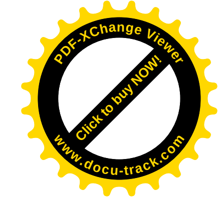
francisation فكثير من بين هؤلاء الجنود عند نهاية مسارهم المهني عادوا إلى وسطهم الأصلي ليعاودوا اعتماد الأعراف و ممارسات آبائهم الدينية

574 J . Carde (G.G) Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1930, op-cit , p 35

575 J . Carde (G.G) Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1932, op-cit , p 3

576 G. ESPé DE METZ, les Colons , L'Algérie Aux Algériens et Par Les Algériens , Emile Larose Libraire-Éditeur , Paris, 1914, p 60

577 أنظر حركة الدكتور ربيع الزناتي و حركة السيد عمر قندوز – داعيتي التجنيس المتحمسين: الأول كان يصدر جريدة " صوت الأهلي " la voix indigéne باللغة الفرنسية في قسنطينة و الثاني كان يصدر جريدة " صوت المتواضعين " la voix des humbles باللغة الفرنسية في عاصمة الجزائر و كانت هاتان الجريدتان تدعوان بحماس إلى تجنيس الجزائريين بالجنسية الفرنسية لكي يحصلوا على حقوق المواطنة الفرنسية




يتضح لنا مدى دعم السلطات الفرنسية لهذا التوجه، كما أن تولي عمار نارون الذي ارتد عن الإسلام و تجنس و أصبح كاثوليكيا للرئاسة تفسر سبب هذا الدعم، و ذلك كون هذا التنظيم يخدم بشكل مفضوح الأطروحات الإستعمارية و خاصة سياسة الإدماج الثقافي و التجنس.[578] كانت فكرة الإدماج من النتائج الحتمية للتجنس ، ففكرة الإندماج l'assimilation أول ما نشأت في وسط المتجنسين الذين أصبحوا يرغبون في رؤية جميع الجزائريين يتمتعون بالجنسية الفرنسية ليتخلصوا من وضعيتهم الشاذة في المجتمع الجزائري حيث ينظر إليهم كأقلية ملعونة، و كان من أبرز دعاة الاندماج الزناتي صاحب جريدة صوت الأهالي la voix indigéne الذي جعل عنوان افتتاحية العدد الأول من جريدته الصادرة بتاريخ 13 جوان 1929 " الجزائر ستصبح فرنسية "

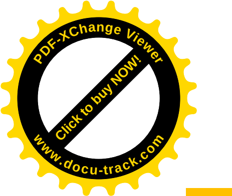
و هذه الفئة التي أطلق عليها الإستعمار نفسه مصطلح " les naturalisé " أو المتطورين من الأهالي هم كل من تجنس بالجنسية الفرنسية و تخلى عن أحواله الإسلامية، بل و وصل الحد ببعظهم إلى إعلان ردته رسميا عن الإسلام.[579] كانت هذه الفئة من الداعمين لفكرة الإندماج التي يرى أصحابها أنها الطريق الذي يحقق به الجزائريين حقوقهم و يحصلون على الإمتيازات التي يتمتع بها الفرنسيون لا تخرج عن كونها تنازلا عن الشخصية الوطنية، و قد عبر الحاكم العام للجزائر و أكد أن المتجنسين بالجنسية الفرنسية يتمتعون بنفس الحقوق بغض النظر عن أصولهم سواء كانوا من الأهالي أو من اليهود أو من غيرهم و يعتبرون مواطنين فرنسيين.[580] و أكد ذلك الرئيس الفرنسي نفسه حينما أصدر مجموعة من القرارات بتاريخ 13 ديسمبر 1932 تتعلق أساسا بالأهالي و وضعيتهم

---

578 خميلي (العكروت)، المرجع السابق، ص 106

579 نفسه ، ص 128

580 Comité de L'afrique française Comptes – rendes du congrés de La Colonisation Rurale, Alger, 26-29 Mai 1930, 1er Partie, Alger, Anceienne Amprimerie Victor Heintz p 3





تجاه فرنسا حيث جاء في المادة الأولى أن:"من حق الأهالي الفرنسيين في الجزائر المشاركة في مسابقات التوظيف في الأعمال العامة و المدنية " و جاء في المادة الثانية أن:"من حقهم المشاركة في مسابقات التوظيف العسكري كضباط في الجيش البري ، البحري أو الجوي"[581]

## رجال الإصلاح ضد مشروع التجنيس و الإدماج

كانت وسائل الجمعية متنوعة قصد تحقيق أهدافها، و منها المساجد و المدارس و النوادي و الصحف و المحاضرات و غيرها، إلى جانب ذلك المشاركة في المؤتمرات و منها المؤتمر الإسلامي الأول و الثاني(1936/1937). و قد سعى ابن باديس منذ تأسيس جمعية العلماء – و من خلال تلك الوسائل – إلى محاربة آفتين رئيسيتين هما الطرقية و ما يتبعها من شعوذة و ظاهرة التجنس بالجنسية الفرنسية [582] خاصة و أن هذه الظاهرة موجهة بشكل مباشر للنخبة [583] من الأمة الجزائرية، و لهذا وقفت الجمعية ضد التجنس و حاولت قطع الطريق أمام النخبة لتمنعها من الإندماج الكامل في المجتمع الفرنسي لأنها كانت تخشى على المجتمع العربي في الجزائر أن يذوب و يتحلل في الحضارة الفرنسية.

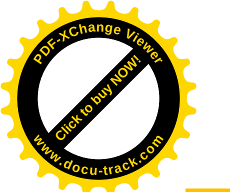
---

[581] Bulltin mensuel du comité de l'afrique française et du comité du maroc. Paris 1940 p 530 - 537

[582] بسايح (بوعلام)، المرجع السابق، ص 19

[583] كانت أهم مطالب السياسيين في الثلاثينيات هي الحصول على المساواة مع الفرنسيين و نيل حق المواطنة، و كان حكام فرنسا يلوحون بقبول هذا المسعى إذا تنازل الجزائريون عن شخصيتهم و عن ارتباطهم بأحكام الشريعة الإسلامية، لذا شن ابن باديس حربا لا هوادة فيها على دعاة الإندماج و التجنس لأنه يرى في هذين التيارين أكبر خطر يهدد الجزائريين، و أن نتيجة الفكرتين بالنسبة إليه شيئ واحد ينظر :

فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، المرجع السابق، ص 145






غداة الحرب العالمية الأولى و بعد إصدار قانون 4 فيفري 1919 التمس عدد كبير من المسلمين المواطنة الفرنسية و شرعت في تزايد مستمر فبين 1930 و 1939 بلغ المعدل السنوي للتجنيسات في الوسط المسلم ثلاثة أضعاف السنوات السابقة و هذا جدول مقارن يعطينا فكرة دقيقة عن هذا التطور السريع.

| السنة | 1920 | 1922 | 1924 | 1926 | 1928 |
|---|---|---|---|---|---|
| عدد المتجنسين | 17 | 56 | 29 | 67 | 38 |
| السنة | 1930 | 1932 | 1934 | 1936 | 1938 |
| عدد المتجنسين | 152 | 127 | 155 | 142 | 190 |

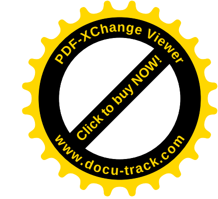
و هذه المعطيات تعلل لنا الخطر و الأهمية التي اكتسته ا مسألة التجنيس في نظر الإصلاحيين، فقد بلغ مستوى مخيفا [584] مع بداية الثلاثينات، فمنذ سنة 1919 تم تقديم 2280 طلب و كان عدد المقبولين منهم 1651 أما في سنة 1935 لوحدها فقد قدم 129 أهلي طلب التجنس و قبل منهم 112 فقط [585] ثم قبول 142 طالب جنسية أهلي في 1936 من أصل 155 طلب جنسية [586] و هي أرقام متوقعة إلى حد ما، ذلك أن الإدارة الاستعمارية كانت تدعوا ما تسميهم

---

[584] مراد (علي)، المرجع السابق، ص 492

[585] G.Le Beau, (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1935 , op-cit , p 5

[586] G.Le Beau, (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1936 , op-cit, p 4

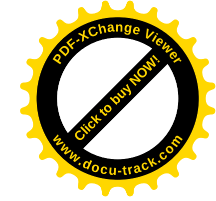



بجماعة النخبة إلى التجنس و قد أفلحت في استمالة البعض منهم إلى هذه السياسة حيث أصبحوا من دعاتها المتحمسين بعد أن تجنسوا بالجنسية الفرنسية.[587]

لم يفت الإصلاحيين أثناء حملتهم ضد التجنيس التشديد على حالة الدونية التي هم عليها " المواطنون الفرنسيون ذوو الأصل الأهلي" مقارنة بأحط متجنس أوربي . لقد استعمل رجال الإصلاح كل الوسائل التي هي في متناولهم لمحاربة ظاهرة التجنيس في الوسط الإسلامي بغض النظر إلى الوجه الديني الصرف للمسألة، فنجد رجال الإصلاح يستحضرون اعتبارات ذات طابع اجتماعي و سياسي لتبرير عدائهم المبرم لحصول المسلمين الجزائريين على المواطنة الفرنسية بالتخلي عن قانونهم الشخصي فهم يرون بالفعل بأن لا مجال للمقارنة بين التضحية التي يقوم بها المتجنسون و تخليهم عن قانونهم الشخصي و بين الحقوق التي يحصلون عليها عن طريق التجنيس، و فضلا عن هذا يرون بأن رهن الحق في الحرية و العدالة و الأمن و الإمتيازات الإجتماعية بالتجنيس تعسف عظيم .

يمكن أن نستنتج من خلال هذا أن رجال الإصلاح كانوا يلعبون على وترين الأول محاربة مشروع الإدارة الإستعمارية المتمثل في التجنيس و الثاني و هو الدفاع عن مقومات الأمة الإسلامية الجزائرية، و مما كتبه ابن باديس في الرد على دعاة الإندماج كلمته الصريحة التي رد فيها على فرحات عباس أنكر عليه ما ادعاه و حدد من خلالها هوية الأمة و شخصيتها، تلك الكلمة الصريحة التي أرسلها مدوية بلا مواربة و لا تلبيس لأنها صريح الحق ولباب الواقع كما يقول وكان لها أثرها في كل الأوساط و قال الشيخ في ذلك:" أحدثت كلمتنا الصريحة أثرها المطلوب و كان لها الدوي العظيم

[587] تركي (رابح)، "الصراع بين جمعية العلماء و حكومة الإحتلال الفرنسي في الجزائر بالفترة 1933 – 1939"المرجع السابق، ص 59



الذي كنا نتوقعه لها فتلك أول مرة فيما نعلم جوبهت فيها الحكومة و جوبه فيها رجال السياسة بحقيقة ناصعة هي عين الصواب الذي تعتقده الأمة "، كما كان ابن باديس يأكد دوما أن :"للأمة الجزائرية جميع المقومات و المميزات للجنسية القومية، و قد دلت تجارب الزمان و الأحوال على أنها من أكثر الأمم حفاضا على هذه الجنسية القومية و من المستحيل إضعافها أو إدماجها في جنسية أخرى أو محوها"[588] و بعد إنهاء المؤتمر الإسلامي بدورتية سنتي 1936 – 1937 و رجوع وفد المؤتمر خائبا من باريس تأكدت الجمعية من جديد أن الإدارة الإستعمارية لم و لن تقدم شيئا للجزائريين بما فيها حكومة الجبهة الشعبية [589] التي كان ابن باديس يعلق عليها آمالا كبيرة و لا الحزب الإشتراكي [590] الذي كان يتغنى و يدعي الدفاع عن حقوق المضطهدين ، و تأكد رجال الإصلاح أن الذي يريده المستعمرون هو إدماج أرض الجزائر في فرنسا وسلخ الجزائريين عن مقوماتهم لا بالتسوية بين الجزائريين والفرنسيين كما يقتض منطق الإدماج و لكن بالإبتلاع و التذويب.[591]

---

[588] الشهاب، ج12 ، مج12 ، فيفري 1937 ص 505

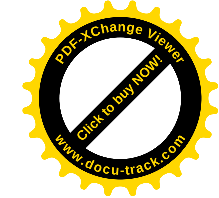
[589] حكومة الواجهة الشعبية أو الجبهة الشعبية : هي حكومة اشتراكية يسارية تنفس في ظلها أهالي المستعمرات بعض الشيئ و من بينهم الشعب الجزائري ينظر : البصائر، ع195 ، 7 – 14 جوان 2004 ، ص 10

[590] كان الحزب الإشتراكي يدعي مساندة الجزائريين في العديد من القضايا و المواقف حيث أقر مؤتمره الوطني الثالث و الثلاثون قرارا و موقفا يساند البرنامج الذي يطالب به المنتخبون الجزائريون و الممثل في: تمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي و إلغاء قانون التبعية الأهلية للإدارة الإستعمارية و اعتبار الجزائريين متساويين مع الفرنسيين و متمتعين بنفس القوانين الإجتماعية و الحقوق السياسية . إلاأن أجيرون يأكد أنه رغم ميل المناضلين الاشتراكيين الفرنسيون فجأة إلى سياسة " الإندماج الطيعة " إلا انهم لا يهتمون أصلا بمشاكل الجزائريين ينظر :

**Ageron** (Charles Robert), Sur l'annee politique algerienne 1936 . revue d'istoire maghrebine. Juillet 1979. N 15 – 16 tunis p 6

[591] فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، المرجع السابق، ص 146







**جمعية العلماء تنهي الجدال حول مسألة التجنيس**

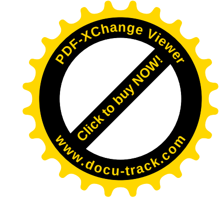
و أمام هذا الأمر الواقع الذي يعيشه الجزائريون و تشتت الآراء قررت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن تصعد من حدة صراعها مع الإدارة الإستعمارية فكانت الذروة في الفتوى التي أصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس باسم جمعية العلماء و اعتبر فيها المتجنسين بالجنسية الفرنسية بأنهم أناس مرتدون عن الدين الإسلامي لا تجوز الصلاة عليهم و لا دفنهم في مقابر المسلمين بعد موتهم. و قد قامت جمعية العلماء بنشر هذه الفتوى الجريئة في جريدة البصائر اللسان المركزي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. و قد كانت فتوى جمعية العلماء بارتداد المتجنسين و خروجهم من دائرة الدين الإسلامي بمثابة الضربة القاضية لسياسة التجنيس الفرنسية، ليس في الجزائر وحدها و لكن في تونس و المغرب أيضا و هذا ما أثار قادة الإحتلال ضد الجمعية و دعوتها و أعمالها، [592] و جاءت هذه الفتوى باقتراح من لجنة الفتوى التي يرئسها الشيخ العربي التبسي حينما طلب من الإمام ابن باديس إصدار فتوى في حق التجنيس و المتجنسين فبحث الإمام الموضوع و درسه دراسة واقعية و أصولية شرعية و لم يلق اعتبارا لما سينجم عن إصدارها و أصدر فتواه الشهيرة في جريدة البصائر السنة الثالثة العدد95[593]

و قد تطرقت الفتوى لكل العناصر الموجودة في القانون الفرنسي (الزواج، الطلاق و الميراث...) حيث تفيد هذه الفتوى بتفكير كل مسلم جزائري أو تونسي أو مغربي يتنازل عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية باختياره و يتجنس بالجنسية الفرنسية للتمتع بحقوقه المدنية، فقد اعتبر هؤلاء مرتدين عن دينهم بمحض إرادتهم لا يجوز التعامل معهم إلا بصفتهم أجانب عن الإسلام، فلا تزاوج معهم و لا يصلى عليهم إذا ماتوا و لا يدفنون في مقابر المسلمين، و قال ابن باديس: ما أكثر

---

[592] تركي (رابح)، "الصراع بين جمعية العلماء و حكومة الإحتلال الفرنسي في الجزائر بالفترة 1933 – 1939"المرجع السابق، ص 60

[593] نص الفتوى: ينظر إلى الملحق رقم 17 أو البصائر عدد 95 14 / 01 / 1938 ص 2

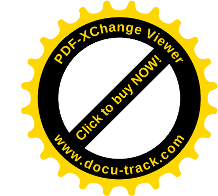




ما سئلنا عن هذه المسألة و طلب منا الجواب في الصحف و من السائلين رئيس المتجنسين التونسيين الأستاذ التركي الذي لم يجد من يفتيه في تونس وكاتبنا برسالتين فأدينا الواجب بهذه الفتوى بسم الله الرحيم و صلى الله على محمد و على آله : التجنس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة الإسلامية و من رفض حكما واحد من أحكام الإسلام عد مرتدا عن الإسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتد بالإجماع والمتجنس بحكم القانون الفرنسي يجري تجنسه على نسله فيكون قد جنى عليه بإخراجه من حظيرة الإسلام وتلك الجناية من شر الظلم و أقبحه و إثمها متجدد عليه ما بقي له نسل في الدنيا خارجا عن شريعة الإسلام بسبب جنايته. و رغم أن الإسلام يبيح الزواج بالكتابية إلا أن ابن باديس أفتى بحرمة زواج المسلم الجزائري بالفرنسية و علل ذلك بكون النتيجة التي يؤدي إليها هذا الزواج هو خروج الأبناء عن حظيرة الإسلام. إن القانون الفرنسي يقضي بأن أبناءه منها يتبعون جنسية أمهم فيكونون فرنسيين و لا يستطيع الأب منعهم من ذلك و بذلك يكون قد ورط نسله في الخروج عن حظيرة الإسلام، فإن كان راضيا عن ذلك فهو مرتد عن الإسلام جان على أبنائه ظالم لهم و إن كان غير راض لهم بذلك و إنما غلبته شهوته على الزواج فهو آثم بجنايته عليهم و ظلمه لهم لا يخلصه من إثمه هذا إلا إنقاذهم مما أوقعهم فيه. [594] أما فيما يتعلق بدفن أبناء المتجنسين في مقابر المسلمين فأجاب ابن باديس عن سؤال يتعلق بهذا الأمر قائلا :" بعد الحمد لله و الصلاة و التسليم على النبي و آله: فابن المطورني ( المتجنس ) إذا كان مكلفا و لم يعلم منه إنكار ما صنع أبوه و البراءة منه فهو مثل أبيه لا يصلى عليه و لا يدفن في مقابر المسلمين و إن كان صغيرا فهو مسلم على فطرة الإسلام يدفن معنا و نصلي عليه"[595]

و قد أحدثت دعاية العلماء التي بثوها في أنحاء الجزائر ضد التجنيس إلى نفور كثير من طبقات الأمة منه و اعتبارهم المتجنس مارقا عن الإسلام فخفظت الفتوى من نسبة المتجنسين فعلا

[594] البصائر، ع 95 ، 14 جانفي 1938

[595] البصائر عدد 79 ، 20اوت 1937





[596] خاصة و أنها لقيت دعما من مختلف طبقات الشعب الجزائري كجمعية طلبة شمال افريقيا بباريس التي رفضت عضوية المتجنسين [597] و أيدت فتوى جمعية القائلة بتكفير المتجنسين كونهم رفضوا النظام الإجتماعي الإسلامي، و بذلك تكون جمعية العلماء قد نجحت في إحباط مخطط ما يعرف بـ " الأنتلجنسيا الفرنكفونية " و دعاة الإدماج [598] و حتى الإدارة الإستعمارية الفرنسية اعترفت بدورها بهذا الفشل حيث اعترف رئيس الوزراء بأن سياسة الإدماج فات أوانها و أصبحت من المحال و رأى في الإسلام قوة معنوية عتيدة يجب احترامها.[599]

لم يكن التجنس بالنسبة للمسلمين الجزائريين سوى حلا اضطراريا للراغبين في الهروب من قبضة الإستعمار إلى مغرياته المادية و ما حالات الردة سوى تعبير عن الإستلاب [600] إما بقناعة أو بدونها و ارتماء في أحضان الجهاز الثقافي الاستعماري، و حتى هؤلاء الذين ارتموا في أحضان الحضارة الفرنسية لم يكونوا إلا أفراد قلائل أغراهم عطاء الإستعمار من أجل قضاء حاجات مادية و الحصول على امتيازات سياسية مثل بعض المعلمين في المدارس الرسمية و العسكريين و الراغبين بالفوز بمقاعد انتخابية. و هذا عدد القليل نسبة إلى مجموع الشعب الجزائري الذي عض بنواجده على إسلامه و لو قتله الفقر و الجوع و المرض و فتك به الجهل فلجأ هؤلاء إلى عقد الإجتماعات بين الحين و الآخر يطالب فيها بتسهيل التجنيس و تيسير شروطه على من يريده و يطلبه بغية تكثير عددهم

---

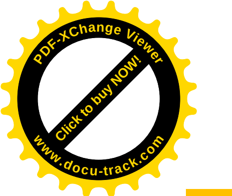
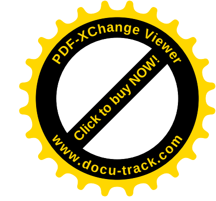
596 حمزة (محمد)، المرجع السابق، ص 55

597 الشهاب ، افريل 1930

598 حمادي (عبد الله)، المرجع السابق، ص 231

599 فرحات (عباس)، ليل الاستعمار، ترجمة ابوبكر رحال، المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية، الرغاية الجزائر، 2005، ص 210

600 يعد مفهوم الإستلاب من المفاهيم الأكثر استعمالا و تداولا في خطابنا العربي المعاصر لتوصيف علاقة المثاقفة الواصلة بيننا و بين الغرب. و لفظ الإستلاب دال مفهومي يستعمل، خاصة من قبل الإتجاه الناقد لتقليد الغرب، و ذلك للدلالة على حالة التبعية الثقافية و نقدها و لفظ الإستلاب هو من حيث الأصل مقابل ترجمي للفظ الأجنبي (alienation) الذي يرجع إلى اللفظ اللاتيني.(alienatio)

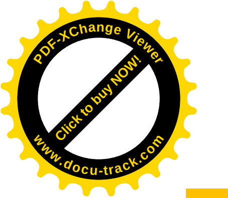
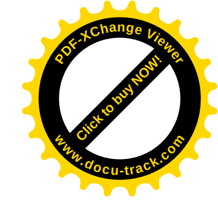



لكن دون جدوى.[601] و يعلق أحد رجال الإدارة الاستعمارية حول هذا الموضوع بما يلي: إن الحقيقة التي أنه لم يطلب الجنسية الفرنسية سوى 882 فرد فقط في مدة 30 سنة من مجموعة سكانية تقدر بالملايين مسلم تظهر لي جليا مدى فداحة الخطأ الذي ارتكبناه لما اعتمدنا في عملنا العسكري على تعاقدنا مع الأندجان و إدماجهم إلى مواطنينا و المحاولات التي نقوم بها غير تنفير الأنجذان لأنهم يعتبرون ذلك مساسا ليس بمعتقدهم فحسب و إنما أيضا بحسهم الوطني و العرقي الذي يكمن في أعماق قلب الانسان.[602]

و نعلق نحن حول هذا الموضوع مأكدين على أن الإدارة الإستعمارية أصيبت بالجنون و عجزت عن تفسير تمسك هذه الأمة " المتخلفة في نظرها " بدينها و لغتها رافضة كل مغريات الحضارة الفرنسية، و لعل هذا ما يفسر لنا الوضعية القانونية التي منحتها الإدارة الاستعمارية للجزائريين، فإن قال الجزائري أنا عربي أجابته الإدارة الاستعمارية لا ، " أنت فرنسي لست بعربي" و إن طالب بحقوقه كأي فرنسي أجابه نفس الفقهاء: لا ،"أنت عربي لست بفرنسي"و نحن واثقون أن فرنسا كانت مستعدة لأن تجعل من الجزائر جوهرة إفريقيا أو بلدا أوربيا إن تخلى الجزائريون عن دينهم و لغتهم بصفة جماعية .

[601] زروقة (عبد الرشيد)، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1913 – 1940 ، دار الشهاب، ط 1 ، لبنان، 1999 ، ص 137

[602] خرشي (جمال)، المرجع السابق، ص 296



# جمعية العلماء و المؤتمر الاسلامي

## - ظروف و أسباب انعقاد المؤتمر الإسلامي

تواصل خلال النصف الثاني من ثلاثينيات القرن العشرين حال الجزائريين سوءا و تواصلت الإدارة الفرنسية قسوة و صرامة و وعودا ، و تواصلت أيضا في تشديد ترسانتها القانونية تجاه اللغة العربية و الدين الإسلامي كما تواصل اضطراب الجو السياسي ، وظهور حملة من المشاريع الإصلاحية الفرنسية وعلى رأسها مشروع فيوليت، و ميلاد الحزب الشيوعي .

أمام كل هذه المستجدات راجع رجال الإصلاح مواقفهم و اختاروا الخروج من الإطار الديني و الثقافي الذي حصروا أنفسهم فيه مدة خمس سنوات ، فقد أدركوا و وقفوا على عدم فعالية أحاديثهم اللغوية، و هكذا اضطروا إلى البحث عن التحالف م ع العناصر اللائيكية[603] و المتخلصة من المعتقدات الدينية و لكنها مزودة بتجربة سياسية و متقنة للثقافة الفرنسية الضرورية. هذا التقارب التكتيكي بين الإصلاحيين و السياسيين المسلمين [604] المحترفين دون تمييز أيديلوجي جعل الحركة الإصلاحية تظهر أحيانا تظهر بمظهر الحركة الوطنية الحريصة أكثر على الغايات الدنيوية منه على الأبعاد الدينية.[605]

---

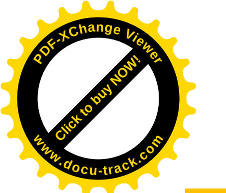
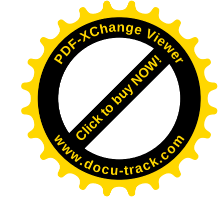
[603] كانت العناصر اللائيكية و من بينهم الشبان الجزائريون تملك قدرا لابأس به من الثقافة العربية الإسلامية و هم مدينون للإصلاحيين بتلك الثقافة على بساطتها ينظر:

مراد (علي)، المرجع السابق، ص 252

[604] يؤكد شارل روبير اجيرون أن مطالب المنتخبين لقيت دعما قويا من طرف العلماء من عام 1933 الى 1935 و لعل هذا ما يؤكد لنا و يفسر فكرة التقارب التكتيكي بين العلماء و السياسيين المسلمين المحترفين ينظر:

اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 541

[605] مراد (علي)، المرجع السابق، ص 221



و إزاء هذه الحالة قام الشيخ عبد الحميد بن باديس بتوجيه دعوة إلى كافة التنظيمات السياسية(فدرالية المنتخبين،جمعية العلماء المسلمين، و الشيوعيين[606] وحزب نجم شمال إفريقيا[607]) في البلاد، من أجل عقد مؤتمر لدراسة قضية الجزائر من كافة جوانبها،و يعتبر هذا المؤتمر أول محاولة لتكوين جبهة سياسية تضم أبرز التيارات السياسية الموجودة. [608] فكان الغرض من هذه الدعوة محاولة جمع صفوف قادة الأمة على اختلاف توجهاتهم من أجل الإتفاق على الحد الأدنى من المطالب السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية و الثقافية التي يمكن لمختلف الإتجاهات في البلاد الإتفاق عليها و في هذا الصدد يقول الشيخ بن باديس:" نظرا لتدهور الحالة العامة في الجزائر... و اختلاف الأحزاب و الهيئات الوطنية و تشتتها رأيت أن أدعو إلى مؤتمر إسلامي جزائري عام يجمع

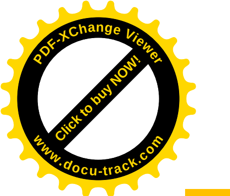
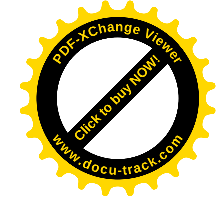
---

[606]قدوم الواجهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا دفع بالشيوعيين إلى التقرب من المنظمات الوطنية الإصلاحية ، و كان من نتيجة ذلك تدعيم المؤتمر الإسلامي إيمانا منهم بأن للشعوب الحق في تنظيم أنفسهم ، و اعتبروا ذلك أنهم يقطعون الطريق أمام الفاشية. ينظر :

**Kaddache** (Mahfoud) , la question national algerienne et le parti communiste entre 1919 et 1939 , **Revue d'histoire et de civilisation du maghreb** , N10 , 1973 , p 102

[607]تجدر الإشارة هنا إلى مفارقة كبيرة في مسألة حضور ميصالي الحاج من عدمه في المؤتمر الإسلامي سواء في المصادر الأصلية أو من طرف الباحثين، حيث يشير ابن باديس و يؤكد أن ميصالي الحاج زعيم نجم شمال افريقيا كان لا يوافق على أعمال الوفد إلا فيما يتعلق بالحريات العامة و أنه لا يرى وجوب تمثيل الأمة الجزائرية في مجلسي الأمة و لا يرى وجوب إلحاق الجزائر بفرنسا و حذف منصب الولاية العامة فهو يرى بوجوب السير بالجزائر في طريق الإستقلال و تأليف مجلس أمة جزائري يمثل سائر طبقاتها و عناصرها على قدر نسبتهم العددية. ينظر: ا **لشهاب، ج 6 ، مج 12 ، أوت و سبتمبر 1936 ، ص 273** و يؤكد بصفة قطعية كل من الباحثين قنانش محمد و قداش محفوظ أن المؤتمر الإسلامي لم يشهد حضور لا ميصالي و لا أي مناظل من نجم شمال افريقيا. **ينظر قنانش(محمد)، قداش(محفوظ)، نجم الشمال الافريقي 1926 . 1937 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د.ط)، (د.ت)، ص 109**. أما الدكتور الباحث بوحوش فقد أكد على أن زعيم حزب نجم شمال افريقيا قد انظم إلى المؤتمر على الرغم من كونه يساريا ينظر: **بوحوش (عمار)، المرجع السابق، ص 259**

[608] الميلي(محمد)، المؤتمر الإسلامي الجزائري، دار هومه، ط1 ، الجزائر، 2007، ص 04.



الشمل و يوحد الصف،و يحدد الهدف لأن المرجع في أمور الأمة يعود إلى الأمة، و الوساطة لذلك هي المؤتمرات".[609]

من هذا المنطلق يرجع البعض أن فكرة الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي جزائري تنتسب إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس، ففي حديث له في صحيفة الدفاع [610] التي كان يديرها الأمين العمودي بالفرنسية،دعا ابن باديس إلى اجتماع جميع الأحزاب الجزائرية في المؤتمر لوضع قائمة من المطالب يطلبها الجزائريون من فرنسا. [611] و هو بهذه الدعوة يثبت و يؤكد أن أبوة المؤتمر الإسلامي الجزائري تعود إليه فقد كان المبادر له و من صناعه.[612]

تزامنت هذه الدعوة بسقوط حكومة لافال في 24 جانفي 1936 [613] فاغتنم ابن باديس هذه المرحلة من الفراغ السياسي في فرنسا و تحمس لنقل فكرة المؤتمرالإسلامي[614]، إلى العاصمة التي لاقت صدى طيبا و تحمس لها البعض و اعتبرها فرصة مناسبة لابد من استغلالها، وفعلا شرعت الجماعة بالعاصمة في الإستعداد و التحضيرات، و انعقد المؤتمر الذي اختار بن باديس تسميته المؤتمر

---

609 خير الدين(محمد)، المصدر السابق،ج1، ص327.

610 كان ذلك بتاريخ يوم 23 جانفي 1936

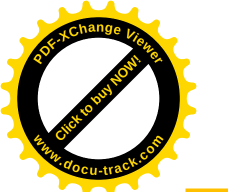
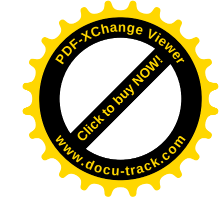
611 سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج3، المرجع السابق، ص152.

612 مراد (علي)، المرجع السابق، ص 222

613 نفسه، ص 226

614 عديد المصادر و المراجع تأكد أن ابن باديس هو صاحب فكرة المؤتمر، إلا أن العلوي يشكك في ذلك و يرى أن: فكرة عقد المؤتمر انطلقت من مدينة قسنطينة، البعض ينسبها للشيخ عبد الحميد بن باديس و البعض ينسبها للدكتور محمد الصالح بن جلول بصفته المتزعم لفدرالية عمالية قسنطينة، و البعض يروي بأن الحزب الشيوعي كان وراء عقده بإلحاح عناصر سياسية جزائرية تأييدا للجبهة الشعبية و حكومتها، ينظر:

العلوي(محمد الطيب)، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830 - 1954، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر (د,ط)،(د.ت)، ص: 135.




الإسلامي و الذي يقول عنه البشير الإبراهيمي:" من الحقائق المسلمة أن اسم المؤتمر الإسلامي أصبح عنوانا لاتحاد الأمة الجزائرية و قوتها و رمزا لأمانيها القومية و مطالبها الحيوية، و شغلا لألسنة المتحدثة عنه قبولا و رفضا و معجما جامعا لكل الحقوق التي تصبو إليها الأمة الجزائرية". [615] و بعد وصول ليون بلوم إلى سدة الحكم في 4 جوان 1936 Léon blum[616] تزايدت إمكانيات عقد المؤتمر و تأكدت بعدما كانت مجرد فكرة فقط ، و اعتبر بن باديس خروج الفكرة إلى حيز الوجود أعز ما حدث في تاريخ الجزائر الحديث، و في سبيل تحقيق نجاحه رأى ضرورة الدفاع عنه و حمايته بكل عزم و إخلاص. و تعددت الآراء حول هذا المؤتمر فعرفه بن باديس بأنه قمة التطور في هذا الخط الذي يمثله شعار الدعوة إلى المساواة، و لذلك أعلن و هو ما يزال عضوا في المؤتمر أن الهدف من وجوده هو ضمان الشخصية الجزائرية و أن المطالبة ببرنامج . بلوم فيوليت[617]. يجب أن لا يتحول إلى مشروع يهدد مقومات الشخصية الوطنية. [618]أما الصحافة الإصلاحية و على رأسها البصائر فقد حيت المؤتمر و اعتبرته انتصارا للوحدة و الأخوة.[619]

---

[615] الشهاب، ج3 ، 12 جويلية 1936، ص226.

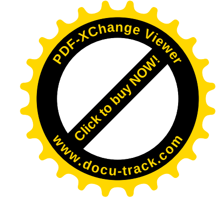
[616] مراد (علي)، المرجع السابق، ص 227

[617] هذا البرنامج الذي راع فيه البرلمان الفرنسي مصلحة فرنسا قبل كل شئ بحيث اقترح منح الجنسية الفرنسية لبعض الجزائريين و النخبة ، و بأن تمتد الحقوق السياسية إلى الصفوة الجزائرية مع ذوي الرتب و الموظفين ينظر:

بن العقون (عبد الرحمن بن براهيم)،الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة الفترة الثانية 1936 . 1945، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1984، ص29.

[618] الشهاب، ج3 ، 12 جويلية 1936، ص226.

[619]**Kaddache** (Mahfoud) , la vie politique a alger de 1919 a 1939 , Sté nationale d'edition et de difusion, alger, 1970 , p 299




**انعقاد المؤتمر**

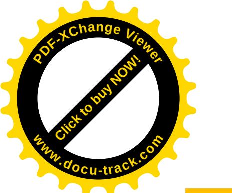
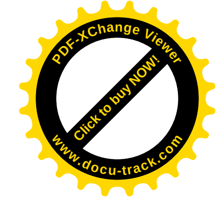
كانت الدعوة إلى المؤتمر الإسلامي من طرف الشيخ ابن باديس و الدكتور ابن جلول رئيس جمعية النواب بعمالة قسنطينة و كان الإجتماع يوم 17 ربيع الأول 1355 الموافق ليوم 7 جوان1936 في قاعة الماجستيك الفسيحة بالجزائر [620] و انعقد المؤتمر برئاسة ابن جلول نائب قسنطينة المالي و مستشارها العمالي و رئيس جمعية نوابها ، كان عدد المجتمعين يزيد عن السبعة آلاف، أما عن المنظمون فقد تألف المؤتمر من النواب و العلماء و الشبان ( بالإضافة الى الهيئات الاجتماعية ) . أما عن بقية العمالات فقد وقع الإتفاق على أن يتكلم باسم وهران الدكتور ابن التهامي و يتكلم باسم الجزائر الدكتور عبد الوهاب و يتكلم باسم قسنطينة الصيدلي فرحات عباس. و خلاصة ما استقر عليه الرأي في الليلة التي سبقت المؤتمر أن المطالب الجزائرية تنقسم الى قسمين: قسم لا يُختلف فيه لأنه عبارة عن مظالم صريحة و أوضاع شاذة كانت تعامل بها الجزائر بصورة استثنائية كحرية القول و الفكر و الكتابة و الإجتماع و التعليم العربي و المساجد و كذا رفع القوانين الإستثنائية الشاذة ... ، و قسم يحتاج إلى تأمل و دقة نظر و هي الحقوق السياسية، و أشد مسائل هذا القسم تعقيدا مسألة النيابة في البرلمان [621] أما صالح ابن جلول فقد أعلن أن النواب كلهم مجتمعون على المطالبة بالحقوق السياسية و منها التمثيل في البرلمان لا على أسس البرامج الشخصية الرائجة بل على المساواة التامة و التعميم التام و المحافظة التامة على الأحوال الذاتية الإسلامية و يكون حق الإنتخاب البرلماني حقا لكل مسلم جزائري له حق الإنتخاب المحلي مع المحافظة و الإعتراف بذاتيته الشخصية الإسلامية و أحكامه الإسلامية[622]

---

[620] البصائر، ع 23 ، 12 جوان 1936 ، ص 2

[621] نفسه ، ص 2

[622] البصائر، ع 24 ، 19 جوان 1936 ، ص ص 1 - 2




كانت كل تدخلات المؤتمرين باللغة الفرنسية و كان ابن باديس أول المتدخلين في المؤتمر باللغة العربية و كان الطيب العقبي أول من تعرض في مداخلته للمعاملات الشاذة و القرارات الجائرة في مسألة المساجد و الجمعية الدينية في الجزائر و نقدها نقدا لاذعا و بعد نقاش طويل دار بين الأعضاء نجح المسلمين في الإجتماع و الإتفاق على نص من أجل عرضه في باريس [623] و كانت مطالب الشعب الجزائري التي اتفق عليها المؤتمرون يوم 7 جوان 1936 و التي كلف الموفدون بتحقيقها: [624]

1 إلغاء سائر القوانين الإستثنائية التي لا تنطبق إلا على المسلمين

2 إلحاق الجزائر بفرنسا رأسا و إلغاء الولاية العامة الجزائرية و مجلس النيابات المالية و نظام البلديات المختلطة

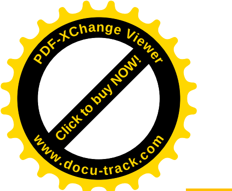
3 المحافظة على الحالة الشخصية الإسلامية مع إصلاح هيأة المحاكم الشرعية بصفة حقيقية و مطابقة لروح القانون الإسلامي من خلال:

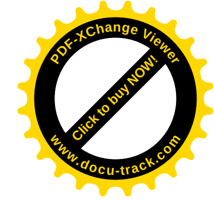
- فصل الدين عن الدولة بصفة تامة و تنفيذ هذا القانون حسب مفهومه و منطوقه
- إرجاع سائر المعاهد الدينية إلى الجماعة الإسلامية لتتصرف فيها بواسطة جمعيات دينية مؤسسة تأسيسا صحيحا
- إرجاع أموال الأوقاف لجماعة المسلمين ليتمكنوا بواسطتها القيام بأمور المساجد و المعاهد الدينية التي يقومون عليها
- إلغاء كل ما اتخذ ضد اللغة العربية من وسائل استثنائية و إلغاء اعتبارها لغة اجنبية

---

[623] كانت الجزائريون يضعون ثقتهم الكاملة في حكومة الجبهة الشعبية و يتوقعون تنفيذ كل مطالبهم . ينظر :
**Kaddache** (Mahfoud) , la vie politique a alger de 1919 a 1939 , p 300

[624] الشهاب، ج 4 ، مج 12 ، جويلية 1936 ، ص 236 أو ينظر :
البصائر، ع 30 ، 31 جويلية 1936








- الحرية التامة في تعلم اللغة العربية

4 الإصلاحات الإجتماعية :

- التعليم الإجباري للبنين و البنات
- الشروع بسرعة في بناء المدارس الكافية لتعميم التعليم الإجباري
- جعل التعليم مشتركا بين المسلمين و الأوربيين
- الزيادة في معاهد الصحة من مستشفيات و مستوصفات و في معاهد الإغاثة كالمطاعم الشعبية و إنشاء خزينة خاصة للعاطلين عن العمل

5 الإصلاحات الإقتصادية

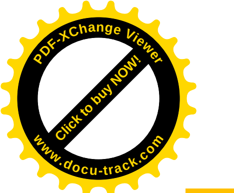
- تساوي الأجر إذا تساوى العمل
- تساوي الرتبة إذا تساوت الكفاءة
- توزيع إعانات الميزانية الجزائرية للفلاحة و الصناعة و التجارة و الحرف على الجميع و على مقتضى الاحتياج دون ميز بين الأجناس
- تكوين جمعيات تعاونية فلاحية و مراكز لتعليم الفلاحين
- الإقلاع عن انتزاع ملكية الأرض
- توزيع الأراضي الشاسعة البور على صغار الفلاحين و العمال الفلاحيين
- إلغاء قانون الغاب

6 مطالب سياسية:[625]

- إعلان العفو السياسي العمومي
- توحيد هيئة الناخبين في سائر الإنتخابات

---

[625] الشهاب، ج 4 ، مج 12 ، جويلية 1936 ، ص 236 أو ينظر : البصائر، ع 30 ، 31 جويلية 1936







- إعطاء الحق لكل ناخب في ترشيح نفسه
- النيابة في مجلس الامة

و بعد المصادقة على هذه المطالب تقرر إرسال وفد إلى باريس يتدارس مع حكومتها هذه المطالب، و يوم السبت 18 جويلية و في مرسى العاصمة اجتمع الوفد الإسلامي الجزائري عازما الرحيل إلى باريس لعرض مطالب المؤتمر الإسلامي على حكومة الجبهة الشعبية بفرنسا [626] و قد ذهب الوفد إلى باريس ممثلا في كبار المشاركين و المنظمين للملتقى و من مختلف التوجهات ذهبوا ليطالبوا بالحقوق الجزائرية في دائرة القوانين الفرنسية، أما عن أعضاء الوفد فقد كانوا كالاتي:[627]

1 –مثل عمالة الجزائر عمارة فرشوخ ( نائب بلدي في الجزائر العاصمة ) . الدكتور البشير عبد الوهاب ( نائب عمالي في البليدة ) . عبد الرحمان بوكردنة ( نائب بلدي في الجزائر العاصمة).

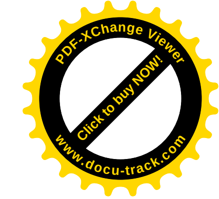
2 أما عمالة وهران فمثلها باش تارزي بن عودة ( نائب عمالي عن وهران ) . قاضي محمد ( المحامي و النائب البلدي عن تلمسان ) . طالب عبد السلام ( النائب المالي عن تلمسان )

3 أما عن عمالة قسنطينة فمثلها : الدكتور ابن جلول ( نائب بلدي و عمالي و مالي عن قسنطينة ). عباس فرحات ( نائب عمالي عن سطيف ) . طهرات العربي ( نائب بلدي عن قسنطينة ) .

---

[626] الشهاب، ج 4 ، مج 12 ، جويلية 1936 ، ص 235

[627] البصائر، ع 30 ، 31 جويلية 1936 ، ص 1 أو ينظر : البصائر، ع 29 ، 24 جويلية 1936 ، ص 1

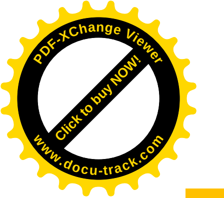
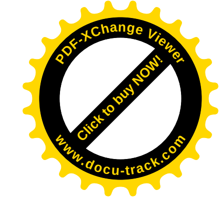


4 - من الشبان ثلاثة واحد عن كل عمالة و هم السادة ابن حاج (النائب البلدي عن الجزائر) و ابن قلعية إبراهيم عن قسنطينة (من قدماء المحاربين) و بوشامة عبد الرحمان (عن عمالة وهران).

5 - من العلماء ثلاثة أيضا واحد عن كل عمالة و هم الأساتذة الشيخ ابن باديس (رئيس جمعية العلماء عن قسنطينة) الشيخ البشير الإبراهيمي (عن وهران) و الطيب العقبي (عن الجزائر).

و نائب عن قسم الجزائر الجنوبي الدكتور سعدان النائب العمالي عن قسم بسكرة و صحب الوفد بصفة ترجمان مدير جريدة الدفاع لاديفانس السيد الأمين العمودي، و عين الدكتور الأخضري النائب العمالي بقالمة مستشارا للوفد حيث سبقه إلى باريس فكان أعضاء الوفد كلهم 18 عضوا و يوم الخميس 16 جويلية سافر على ظهر الباخرة ( مدينة الجزائر ) كل من السيد طالب عبد السلام و الدكتور بشير عبد الوهاب و يوم السبت 18 جويلية سافر بقية الأعضاء.

استقبل وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري في باريس استقبالا محترما سواء من وزراء فرنسا و رجال الحل و العقد فيها كمثل رئيس الوزراء ليون بلوم، وزير الدفاع الوطني أدوار دالادى، وزير الدولة و الوالي العام السابق موريس فيوليت، وزير المستعمرات مريوس موتي ثم هيئات الأحزاب التي تتألف منها الواجهة الشعبية بفرنسا كالحزب الإشتراكي و الحزب الراديكالي و الحزب الشيوعي، ثم نواب الجزائر الأحرار بمجلسي الأمة ريجيس نائب العاصمة و قوسطافينو نائب ضواحيها و ديروكس ممثلها



بمجلس الشيوخ[628] و قد كانت المحادثات بناءة و محترمة بالنظر إلى قوة قرارات المؤتمر الناتجة عن قوة المشاركين فيه و اتحادهم فلم يسبق أن قدمت الجزائر المسلمة مطالبها بمثل ذلك الوضوح[629]

لاحظت الحكومة العامة في الجزائر النتائج التي تضمنها المؤتمر الإسلامي و التي كان أحد بنودها يشير إلى إلغاء الحكومة العامة بالجزائر كما لاحظت الإستقبال المحترم الذي خصت به الإدارة في باريس مندوبي المؤتمر الإسلامي و كأنهم الممثلون الوحيدون للشعب الجزائري، و لم يرقها ذلك، و لهذا استعملت الكهنوت الإسلامي (الإسلام الرسمي المعتمد لدى الإدارة الفرنسية) للطعن في نتائج المؤتمر الإسلامي و خاصة الوفد الذي توجه إلى باريس[630] وشرعت في تحضير وفد معارض يتألف من 15 منتخبا مسلما مقربا من الإدارة في 2 أوت 1936 للسفر إلى باريس لمناقضة مطالب "العلماء المزعومين " و تفنيدها[631] و بعث كل من بن دالي كحول و بن زكوم و الأئمة قدور أمين و بابا عامر ببرقية إلى الحكومة الفرنسية عبروا فيها عن رفضهم و معارضتهم للوفد الإسلامي كونه غير مؤهل للتحدث باسم الجزائريين لأن أغلبيتهم يعيشون في أوربا و لم يضعوا أقدامهم في المساجد[632] و لما لاحظت الإدارة الاستعمارية أن جمعية العلماء هي المحرك الرئيسي للمؤتمر الإسلامي [633] و كرد فعل انتقامي منها دبرت حكومة فرنسا اغتيال المفتي ابن دالي كحلول [634]. و هكذا و بالرغم من فشل

[628] الشهاب، ج 6 ، مج 12 ، أوت و سبتمبر 1936 أو ينظر :

البصائر، ع 30 ، 31 جويلية 1936 ، ص 2

[629] اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 711

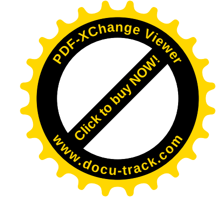
[630] **Kaddache** (Mahfoud) , la vie politique a alger de 1919 a 1939 , p 300

[631] اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 715

[632] **Kaddache** (Mahfoud) , la vie politique a alger de 1919 a 1939 , p 300

[633] اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 562

[634] تم ذلك بالعاصمة وسط الطريق في الوقت الذي كان فيه الشعب في الملعب البلدي يستمع لما يصرح به خطباء الوفد العائد من فرنسا، فترتب عن ذالك الإغتيال تطويق نادي الترقي بالجند و الشرطة و الدرك و إلقاء القبض على الشيخ الطيب العقبي الذي



المؤتمر الإسلامي من الناحية السياسية فإنه كان ملتقى وحدة وطنية ونقطة انطلاق كبيرة في تاريخ النضال الجزائري.[635] و يكفي أنه كان أول أكبر حدث ميز سنة 1936 و أول اجتماع موحد لكل القوى المعارضة للحكم الإستعماري[636]

رغم تفرق القوى الوطنية على إثر عدم استجابة حكومة الجبهة الشعبية لمطالبها [637] إلا أنها عادت للتجمع من جديد حين دعى الدكتور ابن جلول إلى المؤتمر الإسلامي الثاني في الجزائر في جويلية 1937، و قد طالب المؤتمر بالمساواة في الحقوق مع الفرنسيين و كون من أعضائه وفدا ذهب للتفاوض مع حكومة بلوم فكان أن تقدمت الحكومة بمشروع عرف باسم بلوم فيوليت ، و قد

---

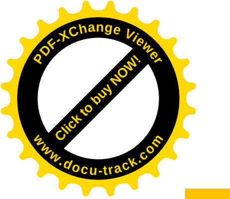
اتهم باغتياله، و تم ذلك بعد أن تمكن الحاكم العام للجزائر من أن يضغط على مفتي الجزائر العاصمة آنذاك الذي يطلق عليه اسم كحول لكي يصدر فتوى ضد العلماء، و قال في الفتوى : أن أعضاء المؤتمر الإسلامي لا يمثلون السكان المسلمين الجزائريين و بأنهم عبارة عن أقلية من المهرجين الذين يريدون إثارة الفوضى في البلاد كما قال أنهم يدعون العلماء و هم لا يحملون شهادات علمية أو رتب حقيقية، و قد ذهبوا إلى باريس بقصد مطالب سياسية ودينية، ثم قال في فتواه التي بعث بها إلى الحكومة الفرنسية بأن أعضاء المؤتمر الإسلامي غير مؤهلين و لا يحق لهم الحديث باسم المسلمين الجزائريين و أن مفتي الجزائر يحتج على تدخل أعضاء المؤتمر الإسلامي في الشؤون الدينية للجزائريين . و اغتيل المفتي في شهر أوت من طرف شخص مجهول و لكن السلطات الفرنسية اتهمت الشيخ الطيب العقبي – الذي كان من الشخصيات المقربة لعبد الحميد بن باديس– باغتيال مفتي الجزائر و بادرت بالقاء القبض عليه بدون وجود أية حجة ملموسة على قيام الطيب العقبي بأي دور في اغتيال هذا المفتي الذي استغلت الإدارة الإستعمارية اسمه للنيل من سمعة أعضاء المؤتمر الإسلامي ، و الرجل المستهدف من هذه العملية في الحقيقة هو الشيخ عبد الحميد ابن باديس و من وراءه جمعية العلماء.ينظر:بوحوش (عمار)، المرجع السابق، ص261.

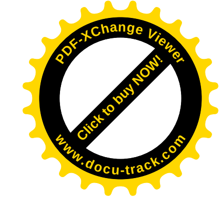
[635] خير الدين(محمد)، المصدر السابق، ج1، ص:339

[636] **AGERON** (Charles Robert), l'algerie algérienne , de napoléon 3 à de gaulle , la bibliotheque arabe sindibed , paris , 1980 , p 123

[637] و لعل الموقف المخيب لحكومة الجبهة الشعبية من مطالب الوفد الإسلامي يعود إلى الموقف المتصلب لدى الراديكاليين التمشددين الذين كان يضمهم التجمع الشعبي و الذين كانوا ضد أي تطور في الجزائر ينظر :

**AGERON** (Charles Robert), Sur l'annee politique algerienne 1936, op- cit, p p 12 – 13








فرق هذا القانون بين الحقوق السياسية التابعة لصفة المواطن و بين الحقوق المتعلقة بالأحوال الشخصية و فتح الطريق للإدماج التدريجي مع فرنسا [638]

و قد انعقد المؤتمر الإسلامي الجزائري الثاني أيام 09 و 10 و 11 جويلية عام 1937 و أكد أنه لا يمكن أن يوجد تحت ظل النظام الديمقراطي الكيل بمكيالين و الوزن بميزانين بين سكان بلاد واحدة فالعدالة في القطر الجزائري و في أغلب الأحيان توزع بصفة غير متعادلة [639] و لهذا تم انعقاد المؤتمر و كان الهدف و القصد منه هو المحافظة على وحدة الصف و مواجهة الضغوط الأوربية على رئيس الحكومة الفرنسية لكي يتخلى عن مشروع الإصلاحات السياسية في الجزائر [640] و قد جاء في مقررات المؤتمر الإسلامي الجزائري في دورته الثانية [641]

---

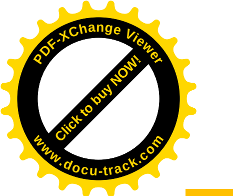
[638] قد يلاحظ الباحث في الميدان أن جمعية العلماء حاربت سياسة الإدماج التي اتبعتها الإدارة الإستعمارية و لكنها في نفس الوقت وافقت على مشروع فيوليت الذي يحمل بذور الإندماج و في هذا اختلاف كبير قد يصل إلى حد التناقض في سياسة العلماء ، و لكن اجيرون أكد أن موقف العلماء من مشروع فيوليت لا يمكن اعتباره تراجعا عن مبدأهم بل يمكن اعتباره موقفا تكتيكيا خاصة و أن المشروع في حد ذاته لا يعارض بقاء الجزائري على حالته الشخصية . و يمكن أن نستشف من هذا التحليل و الرؤية أن العلماء كانوا على قدر كبير من الدهاء السياسي و القدرة على المراوغة و التحايل . ينظر :

**AGERON** (Charles Robert), Sur l'annee politique algerienne 1936, op- cit, p p 16 - 20

[639] الشهاب، ج 6 ، مج 13 ، أوت 1937 ، ص 289

1. [640]**El-machat**(Samia), " le gouvernement du front populaire de la poussée nationaliste du maghreb, 1936 – 1937 " **revue d'histoire maghrébine** N°. 33 – 34 (juin) 1984 , p 85 - 90

[641] الشهاب، ج 6 ، مج 13 ، أوت 1937 ، ص 289






1 - أن يقع إعلان عفو خاص بسرعة لنطوي صفحة المظالم الصارخة التي اقترفت تحت ستار القانون

2 - أن يحذف من القانون الجزائي كل نص يختص بالأهالي

3 - أن تقع مراقبة العدلية الجزائرية مراقبة دقيقة حتى يتحقق سلوك مسلك العدل مع الجميع من غير محاباة

إن هذا التجمهر الشعبي – المؤتمر الإسلامي الثاني – بما له من المبادئ الديمقراطية التي هي غاية الجماهير الجزائرية الشعبية هو الحليف الطبيعي للمؤتمر الإسلامي الجزائري

**نتائج المؤتمر و تداعياته**

كانت مطالب الجزائر قبل انعقاد المؤتمر الإسلامي مطالب متفرقة يقوم بها أفراد موزعون و لما تأسس المؤتمر الإسلامي الجزائري توجهت الأمة بمطالب عامة سياسية اقتصادية علمية عربية و قومية[642] و هم بهذا التجمع يجعلون من المؤتمر الإسلامي أول تجمع لقوى معارضة للنظام الإستعماري[643] منذ الوجود الإستعماري بالجزائر ، و كان من النتائج المحققة من المؤتمر الإسلامي نتيجتين كبيرتين هما:

1 - أدى الوفد مطالب الأمة الجزائرية المسلمة بصدق و شرف و أمانة

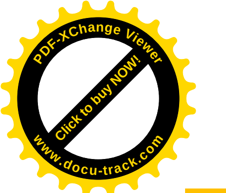
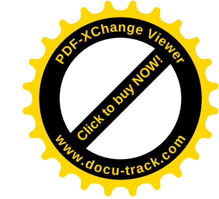
2 - عرفت فرنسا و حكومتها و أحزابها وصحافتها أن وراء البحر أمة جزائرية إسلامية تطالب فرنسا بحقوقها و تحافظ تماما المحافظة على شخصيتها و مقومات شخصيتها[644]

---

[642] الشهاب، ج 5 ، مج 13 ، 10 جويلية 1937 ، ص 235

[643] **Ageron** (Charles Robert), Sur l'annee politique algerienne 1936, op- cit, p 5

[644] الشهاب، ج 7 ، مج 12 ، أكتوبر 1936 ، ص ص 304 – 311




و هذان الأمران لهما قيمتهما في حياة الجزائر و بناء مستقبلها، و يقول الإبراهيمي أن من الحقائق المسلمة أن إسم المؤتمر الإسلامي الجزائري أصبح عنوانا لاتحاد الأمة الجزائرية و قوتها و رمزا لأمانيها القومية و مطالبها الحيوية و شغلا للألسنة المتحدثة عنه قبولا و رفضا و معجما جامعا لكل الحقوق التي تصبوا إليها الأمة الجزائرية [645] و بعد الفشل الذي مني به المؤتمر الإسلامي تخلى الدكتور ابن جلول عن رئاسة المؤتمر الإسلامي [646] و استقال عبد الحميد بن باديس من منصبه كرئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي بعد انتخابه في هذا المنصب يوم 19 ديسمبر 1937 [647] و اتضحت الأمور أكثر بالنسبة لجمعية العلماء، فبعد الثقة المطلقة التي كانت تثقها الجمعية في حكومة الجبهة الشعبية[648] و أنها ستنصفها في مطالبها و تعطي حقوقا كاملة للجزائريين [649] خاب الظن بها و وهن ذلك الرجاء "فحسبنا ايماننا بالله – يقول ابن باديس – و ثقتنا بأنفسنا "[650]

تصلب موقف جمعية العلماء من الإدارة الفرنسية من أوت 1936 إلى أوت 1937 بسبب تردد الحكومات في تلبية مطالب الجزائريين و ذهبت الحكومة العامة أمام تعنت الإصلاحيين إلى حد التفكير في حل الجمعية غير أن حاكم عمالة قسنطينة رأى أن ذلك سيكون خطأ جسيما ، و مع ذلك فإن جمعية العلماء هي من فكر في قطع العلاقة بالإدارة نهائيا و أوصى ابن باديس المنتخبين المسلمين بالكف عن كل تعاون مع السلطات الفرنسية و أخذ بزمام المبادرة في الإشراف على

---

[645] البصائر، ع 67 ، 14 ماي 1937 ، ص 133

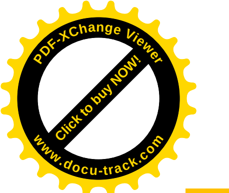
[646] البصائر، ع 40 ، 23 أكتوبر 1936

[647] بوحوش (عمار)، المرجع السابق، ص 263

[648] كانت الحركة الوطنية و الجزائريون يأملون في أن يلبي اليسار الفرنسي مطالب المسلمين. ينظر :
**Kaddache** (mahfoud) , la vie politique a alger de 1919 a 1939 , op-cit , p 296

[649] الشهاب، ج 8 ، مج 12 ، نوفمبر 1936 ، ص 357

[650] الشهاب، ج 8، مج 13 ، أكتوبر 1937 ص 360







البصائر التي تم نقلها إلى قسنطينة و أمر بالتزام الحداد بمناسبة احتفالات الذكرى المئوية لاحتلال قسنطينة[651] و أعلم الشعب الجزائري بشكل رسمي :" علينا ابتداءا من الآن الإعتماد على أنفسنا و التوكل على الله "[652] و هذا مؤشر – بالإضافة إلى المشاركة في المؤتمر الإسلامي - يثبت ولوج جمعية العلماء بقوة و بعلنية في الشأن السياسي و أخذها طابع الحزب السياسي [653] ففي 17 يناير 1937 قرأ الدكتور بشير في نادي الترقي بيانا لم يخف فيه أن عمل المؤتمر يرمي إلى الحصول على استقلال الجزائر و تعتبر اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي نفسها بمثابة الحكومة المؤقتة للشعب الجزائري المسلم و تعتزم التفاوض مع ممثلي الشعب الفرنسي ندا لند ، و كرد على تصريحات نائب كاتب الدولة للداخلية الرادكالي راوول أوبو الذي جاء و حقق بنفسه في الجزائر في شهري مارس و أفريل و عند عودته صرح : إذا كنا نريد الحفاظ على موقعنا فعلينا أن نطبق في المستعمرة سياسة فرض السلطة ... فالمسألة مسألة قبضة حديدية " و رد عليه ابن باديس يوم 16 أفريل أمام لجنة لاغروزليار الفرعية :" إننا جزائريون و في عروقنا دم عربي و نحن مسلمون بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ... و لا نريد التجنس و لا نريد أن نكون فرنسيين و لا نريد التنكر لعرقنا أو الكفر بديننا ... إننا لا نريد أن نعيش عبيدا لفرنسا بل نريد أن نكون أحرارا " [654] و تزامن هذا مع انتشار جمعية العلماء الكبير جدا في نهاية الثلاثينات فقد تضاعف عدد الفروع المحلية لجمعية العلماء في سنة 1938 و من ضمن 110 جمعية إسلامية كانت قرابة 50 منها تابعة للإصلاحيين و في عام 1938 كان يوجد حوالي 45 مركزا إصلاحيا في عمالة قسنطينة و 20 مركزا في عمالة الجزائر و 12 في عمالة وهران[655] و يثبت أجيرون أن الجمعية أصبحت منذ سبتمبر 1937 أكثر تنظيما و

---

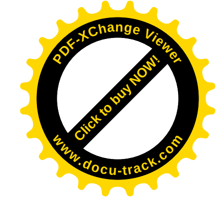
651 ينظر الملحق رقم 16 حول مقاطعة احتفالات السانطونير

652 اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 562

653 مراد (علي)، المرجع السابق، ص 230

654 اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 718

655 نفسه، ص 547



تأطيرا حيث أحدثت مكتبا مركزيا دائما و لجان عمالات و صار لكل لجنة أربع لجان متخصصة لجنة الإستشارة في المجال القانوني و الديني و لجنة التعليم و لجنة الدعاية و لجنة المالية و نظمت الحركة الإصلاحية نفسها كدولة داخل دولة و أرسلت الوفود إلى الخارج و أنشأت النوادي في باريس و ليون و مرسيليا و في الداخل ضاعفت جمعية العلماء الفتاوى الأكثر تشددا و تصلبا و تشبثا بالشرع مثل :" كل من حكم عليه قاض مسلم و استأنف الحكم أمام قاضي فرنسي فهو كافر و كل من حصل على جنسية غير المسلم بالتجنس فهو مرتد و لا يجوز دفنه في مقابر المسلمين " و في 19 ديسمبر 1937 انسحب ابن باديس من رئاسة الجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي كونه يعتبر منصبا سياسيا مكشوفا[656]

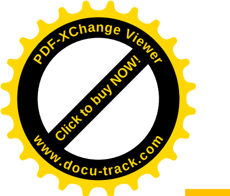
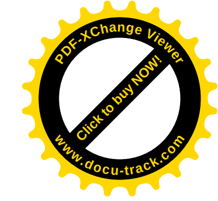
لم تكن تلك النتائج الإيجابية سالفة الذكر كل ما حدث بعد المؤتمر الإسلامي الجزائري بل كانت هناك نتائج سلبية تجرعتها جمعية العلماء ، فابتداءا من شهر جويلية 1936[657] بدأت جمعية العلماء تعاني من المشاكل التي نجمت عن تزعمها للمؤتمر الإسلامي و تعاونها مع الأحزاب السياسية الأخرى بقصد الحصول على التمثيل النيابي في البرلمان الفرنسي و تعليم اللغة العربية في المدارس الجزائرية و قد كانت سنة 1938 بداية تقلص النفوذ السياسي للجمعية و تعرضها للأزمات داخلية و مواجهات عديدة مع الإدارة الفرنسية في الجزائر ففي 5 جانفي 1938 أغلقت سلطات الإحتلال دار الحديث بتلمسان و هي أهم مركز من مراكز الحركة الإصلاحية و قررت أن تمنع الأناشيد الوطنية و أن تقدم الشيخ الطيب العقبي إلى المحاكمة بدعوى أنه كان وراء اغتيال مفتي الجزائر بن دالي، كما صدر مرسوم يوم 19 جانفي 1938 الذي يقضي بفرض رقابة مشددة على

---

[656] نفسه، ص 563

[657] تمثل سنة 1936 سنة الخيبة الكبرى بالنسبة للحركة الوطنية خاصة التيار الإسلامي بعد رفض الإدارة الإستعمارية لطلبات الوفد السلامي الذي حمل مطالب المؤتمر الإسلامي ينظر :

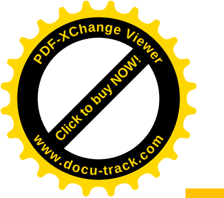
**Ageron** (Charles Robert), Sur l'annee politique algerienne 1936, op- cit, p 5



نوادي جمعية العلماء و منعها من القيام بأي نشاط ثقافي أو سياسي إلا بعد الحصول على موافقة من الإدارة الفرنسية، ثم جاء بعد ذلك مرسوم 8 مارس 1938 الذي يقضي بعدم السماح لأي معلم أن يفتح مدرسة في الجزائر إلا بعد الحصول على إذن من الإدارة الفرنسية، و قد اعتبر بن باديس هذا اليوم الذي صدر فيه هذا المرسوم بأنه أكبر يوم مشؤوم في تاريخ الإسلام بالجزائر و تلاه كذلك مرسوم آخر صدر 27 أوت 1939 يقضي بمصادرة جميع الجرائد [658]

[658] بوحوش (عمار)، المرجع السابق، ص 263








# ثانيا : الرهانات السياسية لرجال الإصلاح

## الوجه السياسي للخطة الإصلاحية

كان على رجال الإصلاح – منذ البداية – أن يتغلبوا على الفكرة التي بثها الإستعمار الفرنسي القائلة بأنه لا حياة للجزائريين إلا في ظل السلطة الفرنسية، لقد كان عليهم أن يعيدوا مفهوم الوطن إلى الجزائريين بعد أن أضحت معالمه غائرة غير واضحة المعالم، و أصبحت كلمة الوطن لا تجري على لسان أحد بمعناها الطبيعي و الإجتماعي لجهل أكثر الأمة بفحواها. لقد كان رجال الإصلاح يناضلون في صمت و إيمان حتى يجددوا إيمان مواطنيهم بوطنهم المستباح و بدينهم المضطهد و بلغتهم المهملة، و هم يدركون أن عملهم شاق و طويل و محفوف بالمخاطر و يحتاج بالإضافة لذلك إلى قدر من الكياسة و الحذر. إذ ليس من الحكمة و هم ما يزالون في أول الدرب أن يتصدوا للمستعمر، بل رأوا أنه لا بد من مهادنته و اتباع سياسة الملاينة معه حتى يأمنوا شره و يدعهم يعملون بروية و هدوء بعيدا عن الملاحقة و المضايقات، فالحذر و التقية مطلوبان و إلا سارعت الإدارة الإستعمارية لتطبيق أحكامها الإستثنائية [659] الجائرة. و بعد مرور سنة واحدة فقط على الإتحاد الذي تم بين العلماء المصلحين و الفقهاء الذبن ينتمون إلى القطاعات الدينية الرسمية بدأت تظهر بوادر صراع محتوم بين رجال الإصلاح و الإدارة الاستعمارية ، و لذلك نجد أنه منذ سنة 1932 انتهى التسامح الساذج بين الإدارة و العلماء لأنها بدأت تظهر بأكثر قوة و بدأت تشع حتى خارج قسنطينة ، و كان الكاتب العام بيرتون ( byrouton) هو أول من نادى باتخاذ موقف سياسي ضد حركة العلماء التي كان يعتبرها خطيرة نظرا لوطنيتها و حماسها المتدفق و كراهيتها للاجنبي، و اعتبر بيرتون أن أخطر شيئ على الوجود الفرنسي هو الدعاية المدرسية التي كان يقوم بها العلماء بهدف الهيمنة على روح الشباب الجزائري و توجيهه ضد فرنسا، و اقترح بيرتون سنة 1932

---

[659] سلوادي (حسن عبد الرحمان)، عبد الحميد ابن باديس مفسرا ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 ، ص 212







استعمال قانون 18 اكتوبر 1892 المتعلق بالتعليم الحر حتى يعرقل التعليم الذي بادرت به الجمعية و قد وافق على ذلك الحاكم العام كارد ( cardes) فيما بعد [660]

كانت الإدارة الإستعمارية تجهل أن الحياة عند الشعوب الإسلامية تتميز بارتباط الفعل السياسي ارتباطا وثيقا بالفعل الديني و لا يمكن فصل تطهير العقيدة و الملل و النحل و النهوض بالثقافة العربية عن توجه سياسي أساسي يصبو نحو العروبة و الوطنية الجزائرية. [661] و بهذا الإرتباط بين الحياة السياسية و الدينية و الإجتماعية و الإقتصادية في ظل الإسلام فإن جمعية العلماء ستجد نفسها لا محالة تخوض في كل هذه الجوانب ، لأنها أكدت أن سبب وجودها هو إحياء الأمة الجزائرية من جديد، و لا تحيي الأمم إلا بإحياء المقومات التي ماتت أو ضعفت أو تراخت من دين و لغة و جنس و أخلاق و تاريخ و تقاليد و تصحيح قواعدها في النفوس ثم المطالبة بالحقوق الضائعة في منطق و إيمان ثم الإصرار على المطالبة في قوة و شدة ثم التصلب في الإصرار في استماتة و تضحية مع اختيار الفرص الملائمة لكل تضحية درجات بعضها فوق بعض. [662] و في ميدان السياسة كان لجمعية العلماء هدف واضح و هو إيجاد أمة، و لا توجد أمة إلا بتثبيت مقوماتها من جنس و لغة و دين و تقاليد صحيحة و عادات صالحة و فضائل جنسية أصيلة و بتصحيح عقيدتها و إيمانها بالحياة و بتربيتها على الإعتماد على نفسها و الإعتزاز بقوتها المعنوية و المغالاة بقيمتها و بميراثها و بالإمعان في ذلك كله حتى يكون لها عقيدة راسخة تناضل عنها و تستميت في سبيلها و ترى أن وجود تلك المقومات شرط لوجودها. و بتلك المقومات متى اجتمعت تلاقحت و متى تلاقحت ولدت وطنا.[663]

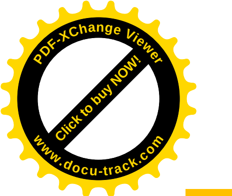
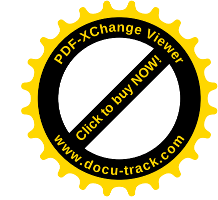
---

[660] بوصفصاف (عبد الكريم) ، المرجع السابق، ص ص 197 - 198

[661] اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 539

[662] الإبراهيمي ( أحمد طالب)، المصدر السابق، ج 3 ، ص 60

[663] البصائر، ع 4 ، 29 أوت 1947 أو ينظر: الإبراهيمي ( أحمد طالب) ، المصدر السابق، ج 3 ، ص 59

PDF-XChange Viewer
Click to buy NOW!
www.docu-track.com



كان عمل رجال الإصلاح و سياسة الإدارة الإستعمارية متناقظا تماما، فرجال الإصلاح يسعون لإيقاظ الأمة الجزائرية و إحياء مقوماتها التي هدمها الاستعمار و السعي وراء حقوق الجزائريين فوق أرضهم، و ما عكف الاستعمار على هدم مقومات الأمة الجزائرية إلا لأنه كان يعلم أنه سيأتي يوم يصيح فيه صائح بكلمة حقي.[664] كان هذا هو محور الخلاف و الصراع بين الطرفين و هو محور سياسي بالأساس فالسياسة عند كبار رجال الإصلاح من العلماء هي إحياء المقومات التي ماتت أو ضعفت أو تراخت من دين أو لغة و جنس و أخلاق و تاريخ و تقاليد. [665]أما عند الإدارة الاستعمارية فمصطلح السياسة مرادف لـ "عدو فرنسا" [666] لأن مصطلح السياسة يقود مباشرة إلى مصطلح الإستقلال الذي كان لرجال الإصلاح رأي خاص فيه أيضا، فهم يدركون أنه لا يمكن أن يتحقق من غير تحرير الشعب من القابلية للإستعمار، و لهذا و كإجراء استراتيجي نجد رجال الإصلاح استثمرو في التعليم لأنه السبيل الوحيد للخروج من هذه القوقعة. [667] و قد عبر ابن باديس عن موقفه من الإستقلال بأكثر جرأة حينما قال :" إن الإستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا و قد استقلت أمم كانت دوننا في القوة و العلم و المنعة و الحضارة و لسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله و يقولون إن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد. بل إنه من الممكن أن يأتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي المادي و الأدبي "[668] و على الرغم من أن رجال

---

664 الإبراهيمي ( أحمد طالب) ، المصدر السابق، ج 3 ، ص 65

665 البصائر، ع 193 ، 24 – 31 ماي 2004 ، ص 15

666 البصائر، ع 14 ، 10 أفريل 1936 ، ص ص 1 - 2

667 زروقة (عبد الرشيد)، المرجع السابق، ص 158

668 الشهاب، ج 3 ، مج 12 ، جوان 1936 ، ص 145






الإصلاح تنازعوا في بداية الأمر حول ولوج عالم السياسة [669] إلا أنهم اتفقوا على أن يبقى موقف الجمعية واضحا لا لبس فيه و لا غموض كونها مع إسلامية الجزائر و عروبتها و مع تحرير الجزائر من الثقافة الفرنسية الظالة، و انطلاقا من هذا فلا وجود لأية أرضية للقاء الاستعمار فالصراع صراع حضاري و ثقافي عتيد.[670]

و لكن المتفق عليه و الواضح مما خلفته الجمعية أن بداياتها اتسمت بالعزوف الحذر عن السياسة[671] apolitisme الذي وسم النشاط الإصلاحي و كان هذا العزوف اللامشروط بالنسبة للبعض ( تيار العقبي ) و التكتيكي بالنسبة للاخرين ( تيار ابن باديس ) مدعوما بتصريحات متواترة تعبر عن الولاء للإدارةو التعلق الوثيق " بفرنسا العدالة و الأخوة و المساواة " [672] و قد تسائل بن باديس في العدد الأول من البصائر :" إني لا أفهم مناهضتكم للجمعية و هي جمعية تهذيبية بعيدة كل البعد عن السياسة [673] و برغم هذه التصريحات المأكدة لتجنب الخوض في الميدان السياسي [674] إلا أننا نجد أن الجمعية كانت تناور و تعمل على أن يكون لها موقف سياسي في كل قضايا المغرب

---

[669] عندما تأسست جمعية العلماء يوم 5ماي 1931 بالجزائر العاصمة برز خلاف كبير بين بعض أعضاء الجمعية فمنهم من طالب بخوض السياسة و منهم من طالب بغير ذلك و كان على رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي يمقت المشاحنات السياسية ينظر : **Ageron** (Charles Robert), . Histoire de l'lgérie contemporaine. Op-cit, p 326

[670] بوحوش (عمار)، المرجع السابق، ص 72

[671] كان هذا في البداية فقط فخلال فترة الثلاثينات ولجت الجمعية عالم السياسة بقوة و أصبحت في فترة الأربعينات تفتخر بمواقفها و آرائها السياسية و تعلنها صراحة ينظر :

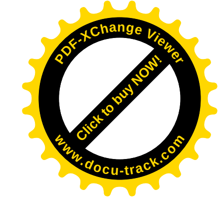
البصائر، ع2 ، 1 أوت 1947 أو ينظر:

الإبراهيمي ( أحمد طالب) ، المصدر السابق، ج 3 ، ص 54

[672] مراد (علي)، المرجع السابق، ص 479

[673] البصائر عدد 1 27 – 12 – 1935 ص 1

[674] ينظر الى الملحق رقم 6 المتعلق ببراءة المشاركة في السياسة



العربي، فاهتماماتها بالقادة السياسيين و المفكرين و متابعتها لتيارات الحركات الوطنية في كل بلد و تحمسها لما ينفع وحدة المغرب العربي على أساس العروبة و الإسلام و الشخصية الحضارية المتميزة عن الحضارة الأوربية المعجونة بالإستعمار و المسيحية. كل ذلك يجعل جمعية العلماء في مقدمة الجمعيات و الهيئات التي لم تحصر نفسها في قطر واحد، و إنما كانت تعايش الأحداث في كل قطر من أقطار المغرب العربي بنفس الحماس و الولاء و الإهتمام الذي تنظر به إلى الجزائر، ذلك أنها كانت تعلم أن نجاحها إنما يكون بنجاح مثيلاتها في الأقطار المغاربية و أن فشلها سيكون محققا إذا فشلت مثيلاتها أيضا. و ذلك بحكم الأهداف الموحدة لهذه الحركات في كامل أقطار المغرب و الوطن العربي و هي أهداف سياسية كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تهدف إلى الوصول إليها و تسهر عليها و تتخذ الإصلاح الديني والتربوي جسرا موصلا لها و هي أساسا :

1 - افتكاك حرية ثقافة الشعب الجزائري من الهيمنة الفرنسية، فذلك كان مطلبا أساسيا تكرس له الجمعية جهدها و تسهر على الترويج له عن طريق التعليم بنشر المدارس الحرة في كامل التراب الوطني، و كذلك الوعي الديني عن طريق المواعظ والإرشادات في المساجد و المقالات الصحفية.

2 - بلورت فكرة الوطن الواحد في نفوس الجزائريين للقضاء على الجهوية و العشائرية حتى تمكن ضمان تكاثف الجمهور عندما تحين ساعة النشاط السياسي و العسكري المنظم.

3 - الدفاع عن الوحدة الشعبية و تحصينها ضد المؤتمرات و الدسائس الإستعمارية التي تحاك لها و ترمى إلى العصف بها و تمزيق وحدة الشعب الجزائري.

4 - تحقيق المساواة في الحقوق مع الفرنسيين مع الإحتفاظ بالشخصية الوطنية.

5 - تأكيد الوجود التاريخي و وحدة التراب الوطني الجزائري و مقاومة كل المحاولات التي ترمي إلى دمجه في فرنسا تاريخيا و جغرافيا.





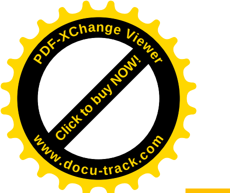

6 -العمل على تأمين الدعم العربي الإسلامي للقضية الجزائرية و ذلك عن طريق رعاية الروابط القومية و الدينية بين الجزائريين و الدوائر العربية الإسلامية و إظهار الجزائر بمظهر الدولة التي تحرص على انتمائها العربي الإسلامي.

**خوض رجال الإصلاح لميدان السياسة**

يقول ابن باديس في محاضرة له ألقاها عام 1937 في تونس بدعوة من جمعية الطلبة الجزائريين و الجمعية الودادية الجزائرية الإسلامية تحت عنوان " الحركة العلمية و السياسية في القطر الجزائري " و كلامنا اليوم عن العلم و السياسة معا و قد يرى بعظهم أن هذا الباب صعب الدخول لأنهم تعودوا من العلماء الإقتصار على العلم و الإبتعاد عن مسالك السياسة مع أنه لا بد لنا من الجمع بين السياسة و العلم و لا ينهض العلم و الدين كل النهوض إلا إذا نهضت السياسة بجد "[675]. و يقول أيضا في رده على الوالي العام في الجزائر حين وجه اتهامه لأعضاء جمعية العلماء مدعيا بأنهم قد انغمسوا في الشؤون السياسية و ابتعدو عن واجباتهم الدينية الأساسية بل و أبعدوا غيرهم من أعمالهم الطبيعية التي لا تخرج في نظره عن دائرة التعليم و التهذيب القرآني " ثم ما هذا العيب الذي يعاب به العلماء المسلمون إذا شاركوا في السياسة ؟ فهل خلت المجالس النيابية الكبرى و الصغرى من رجال الديانات الأخرى ؟ و هل كانت الأكاديمية الفرنسية خالية من آثار الوزير القسيس رشيلو؟ أفيجوز الشيئ و يحسن إذا كان من هنالك و يحرم و يقبح إذا كان من هنا ؟ "[676] يبدوا واضحا من خلال النصين أن العلم و السياسة في رأي ابن باديس لا يفترقان و لا ينفصل كل منهما عن الآخر بل هما في حقيقة الأمر متلازمان متداخلان. و قد بدأت تظهر المواقف السياسية

[675] الشهاب، ج 5 ، مج 13 ، 10 جويلية 1937 ص 233

[676] سلوادي (حسن عبد الرحمان)، المرجع السابق، ص 207







لجمعية العلماء منذ 1932 حيث قام قادة الجمعية بحركة نشيطة تدعو إلى مقاطعة البضائع اليهودية و محاربة فكرة إعطاء الجنسية الجماعية للجزائريين.[677]

و لكن الإدارة الاستعمارية تفطنت إلى هدف جمعية العلماء الرامي إلى بعث الأمة الجزائرية فعمدت إلى إجراء تغيير إداري بعد زيارة ريني إلى الجزائر و إحالته للحاكم العام كارد على التقاعد و تنصيب ميسيو لوبو[678] كما أصدر وزير الداخلية قانون رينييه régnier 30 مارس 1935 [679] بعد زيارته للجزائر ما بين 5 – 16 مارس 1935 و الذي يمنع القيام بالمظاهرات أو القيام بأي عمل يمس بالسيادة الفرنسية، و لحسن الحظ فإن وزير الداخلية الفرنسي الذي يحمل اسمه هذا المرسوم التعسفي قد تم إبعاده عن وزارة الداخلية في التغيير الوزاري الذي جرى بفرنسا يوم 7 جوان 1935 و بذلك خف الضغط على جمعية العلماء و بقية الأحزاب السياسية لأن حكومة بيير لافال كانت ترغب في تهدئة الوضع السياسي في الجزائر و عدم القيام بأعمال قد تزيد الأوضاع تأزما، كما أن تغيير الحاكم العام للجزائر المعادي للحركات الإسلامية كارد قد غير مجرى الأمور حيث غير يوم 21 سبتمبر 1935 بشخصية معتدلة نسبيا هي جورج لوبو [680] و خلال هذا التغييرات على مستوى الإدارة الإستعمارية عبرت جمعية العلماء صراحة على رأيها في مسألة التسيير الإداري السيئ للجزائر فقد:"عجز مجلس النيابات المالية عن إدارة أمور الجزائر فأموال هذه البلاد سائرة إلى طريق الخراب بواسطة هذا المجلس فقد تفاقمت الديون على القطر الجزائري" [681]

---

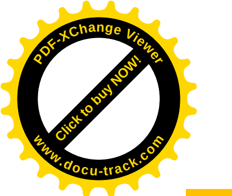
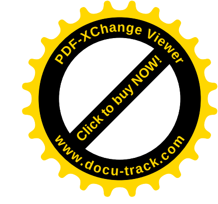
677 بوحوش (عمار)، المرجع السابق، ص 252

678 الشهاب، ج 7 ، مج 11 ، أكتوبر 1935 ، ص ص 429 430

679 مراد (علي)، المرجع السابق، ص 216

680 بوحوش (عمار)، المرجع السابق، ص 257

681 الشهاب، ج 3 ، مج 11 ، 3 جوان 1935 ، ص 184



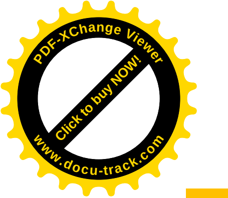
و تبلورت شخصية جمعية العلماء كحركة سياسية ذات نفوذ شعبي في شهر سبتمبر من عام 1935، ففي الفترة الممتدة من 6 الى 10 سبتمبر 1935 انعقد المؤتمر الخامس للطلبة المسلمين بشمال إفريقيا من مدينة تلمسان و تطابقت لوائح الطلبة المسلمين مع مطالب جمعية العلماء التي تمثلت في التضامن بين أقطار المغرب و تعليم اللغة العربية بطرق عصرية و محاربة الأمية و الإنحرافات الإجتماعية، و جاء هذا الإلتحام و التفاهم بين الطلبة بنتيجة إيجابية و هي أن جمعية العلماء تحظى بتأييد الشباب الجزائري و أن خطتها لخلق الوعي و اليقضة في الأوساط الجزائرية بدأت تثمر و تحقق الأهداف المنشودة. و في أعقاب هذا المؤتمر الهام للطلبة المسلمين انعقد المؤتمر الأول لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجزائر العاصمة من 15 الى 17 سبتمبر 1935 ذلك المؤتمر الإسلامي الأول الذي كان يهدف إلى توحيد جميع الحركات الإسلامية في الجزائر. و في هذا المؤتمر الهام قام قادة جمعية العلماء بمراجعة شاملة لأعمالها،[682] و تميزت هذه التظاهرة بابتكار هام قد يبرر إلى حد بعيد الصيغة التقليدية للجمعية العامة، فالإجتماعات السنوية السابقة للإصلاحيين كانت تجري وفق طقوس أو بروتووكول متناهٍ في البساطة أما في هذا المؤتمر فتغير الأمر، [683] كما تميز هذا المؤتمر بانضمام العديد من المرابطين إلى الحركة الإصلاحية و هذا ما زاد في تخوف الإدارة الاستعمارية[684]

و برزت قوة جمعية العلماء و تزايدت ككتلة سياسية متماسكة في سنة 1936 و خاصة منذ أن قام عبد الحميد بن باديس يوم 3 جانفي 1936 بدعوة جميع المسلمين في الجزائر إلى مناقشة القانون السياسي للمسلمين الجزائريين. و حسب جريدة الدفاع فإن بن باديس قد طالب بضرورة مشاركة جميع الأحزاب في مناقشة البرنامج السياسي للجزائري و الخروج بخطة مشتركة حول الموضوع. لكن أهمية هذه الفكرة لم تظهر بصفة ملموسة إلا يوم نجاح الجبهة الشعبية في فرنسا في

682 بوحوش (عمار)، المرجع السابق، ص 257

683 مراد (علي)، المرجع السابق، ص 219

684 نفسه، ص 255







انتخابات 3 ماي 1936 و تشكيل حكومة يسارية برئاسة ليون بلوم يوم 4 جوان 1936. و استفادت جمعية العلماء من التغييرات التي حدثت في الجزائر مثل تعيين الحاكم العام الجديد لوبو يوم 21 سبتمبر 1935 و مجيئ حكومة بيير لافال يوم 7 جوان 1935 [685]

فقامت بتدعيم موقفها الإعلامي عن طريق إصدار جريدة البصائر في بداية 1936 و سنلاحظ أن عن طريق هذا المولود الإعلامي الجديد لجمعية العلماء المسلمين سوف تتمكن جمعية العلماء من نشر أفكارها التحريرية عند جميع السكان المسلمين بالجزائر و بالخارج ،و قد عبرت منذ إصدار العدد الثاني من الجريدة عن سياسة جديدة ستتبعها جمعية العلماء حيث أوضح الابراهيمي خلال جلسة المجلس الإداري "أن جمعية العلماء و مواقفها السابقة و اللاحقة تحكمها ظروف و ملابسات و أسباب و مقتضيات و ينطبق ذلك على جرائد الجمعية ، فلكل ما تنشره الجمعية في جرائدها ظرف خاص أوجبه و سبب خاص اقتضاه و ما أكثر المفاجآت في أطوار التمهيد و التأسيس"[686]

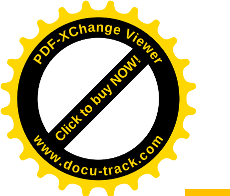
لقد عبرت جمعية العلماء بدعوتها لعقد مؤتمر إسلامي و مشاركتها فيه عن ولوجها الفاضح في السياسة، فبعد أن كانت مطالب الجزائر قبل انعقاد المؤتمر الإسلامي مطالب متفرقة يقوم بها أفراد موزعون أصبحت بموجب المؤتمر الجزائري مطالب موحدة سياسية اقتصادية علمية عربية و قومية [687] كما أن المقابلات الرسمية التي أجراها وفد المؤتمر الإسلامي مع كبار السياسيين الفرنسيين و بمشاركة

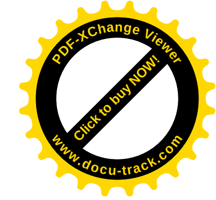
---

685 بوحوش (عمار)، المرجع السابق، ص 258

686 الظاهر هنا أن جمعية العلماء أصبحت أكثر تمرسا و وعيا من ذي قبل و هي تقدم اعتذارا غير مباشر عما يمكن ان يكون بدر منها في مواقفها السابقة ن بالإضافة الى انها تقدم اعذارا سابقة لما يمكن ان يصدر عنها من آراء في ضروف خاصة و هي بهذا العمل تكشف عن ان لها مواقف مغايرة لما تصرح به في العادة ينظر :
البصائر عدد 2 10 جانفي 1936 ص 1

687 الشهاب، ج 5 ، مج 13 ، 10 جويلية 1937 ، ص 235






جمعية العلماء تثبت ذلك أيضا، و من ذلك : مقابلة فيوليت، وزير الداخلية ، الحربية ، رئيس الوزراء، الأحزاب الشعبية ، الصحافة [688] و بعد نهاية اجتماع المؤتمر الإسلامي سنة 1936 ، و الخيبة التي مني بها وفد المؤتمر الإسلامي ظهر تشدد كبير في موقف رجال الإصلاح الذي تأكدوا بأن فرنسا لن تفي أبدا بوعودها و ستبقى استعمارية حتى تقضي على الأمة الجزائرية ، و كنتيجة لذلك قطعت جمعية العلماء علاقتها بالنواب المنتخبين و نشرت نداءا في أوت 1937 دعت فيه جميع الأحزاب و الشخصيات إلى تناسي الخلافات و الوقوف صفا واحدا لمقاطعة المجالس النيابية حيث قال ابن باديس:" قرروا أن لا تعودوا بدون مساواة إليها ، قرروا أنه يجب أن يكون كل مسلم جزائري بلغ سن الإنتخاب منتخبا و أن يكون عدد النواب المسلمين الجزائريين في كل مجلس مثل عدد الفرنسيين ".[689] و قد كان هذا الموقف المتشدد من رجال الإصلاح و قطع علاقتهم بالمنتخبين سببا جعلهم يفقدون بعض مؤيديهم السياسيين مما جعل الفرصة مناسبة للسلطات الفرنسية لشن حملة تعسفية ضدهم فأصدرت سلسلة من الإجراءات الإضطهادية كمنع تدريس الأناشيد الوطنية [690] و اقتراح الحكومة العامة [691] في جويلية 1937 لحل الجمعية [692] و كذا اتهام الطيب العقبي باغتيال إمام مدينة الجزائر و إلقاء القبض عليه في 8 أوت 1936 [693] ثم تم إخلاء سبيله و لم تصدر برائته إلا في سبتمبر 1939[694]

---

[688] البصائر، ع 38 ، 09 أكتوبر 1936

[689] الشهاب، ج7 ، مج 13 ، سبتمبر 1937 ، ص 336

[690] بوصفصاف (عبد الكريم) ، المرجع السابق، ص 208

[691] تجدر الإشارة إلى أن عامل عمالة قسنطينة عارض هذه الفكرة و اعتبرها عملا عشوائيا

[692] بوصفصاف (عبد الكريم) ، المرجع السابق، ص 205

[693] مراد (علي)، المرجع السابق، ص 117

[694] اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 545





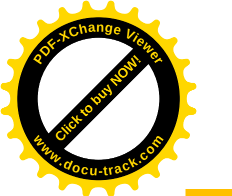
مع بداية سنة 1937 ظهرت العديد من المعطيات التي تشير إلى أن الحركة الإصلاحية هي حزب المستقبل فقد أصبحت القضية الإصلاحية من خلال المؤتمر الاسلامي مسألة المجموعة كلها و ليست مسألة طائفة دينية أو سياسية بعينها أو طبقة اجتماعية دون غيرها [695] و ازدادت جمعية العلماء جرأة أكثر فقد رأي جوليان أن رد ابن باديس على فرحات عباس في مسألة تاريخ و جغرافية الجزائر و إعلانه الصريح بذلك في الشهاب، رأى أن هذا يعد دخولا في المعترك السياسي بحزم و عزم و أن مذهبها صار أكثر تصلبا . و قد يكون من الخطأ القول بأن الإصلاحيين لم يكونوا يطالبون بالإستقلال . خاصة حينما ساد الاعتقاد أن العلماء انضموا إلى مشروع بلوم فيوليت عام 1937 و هو في الحقيقة لم يكن إلا موقفا تكتيكيا و مؤقتا [696] و تُثبت آثار الجمعية هذا التصلب و النفور من الإدارة الإستعمارية حيث جاء في مجلة الشهاب مقال بعنوان الجنسية القومية و الجنسية السياسية ما يثبت ذلك :" للأمة الجزائرية جميع المقومات و المميزات للجنسية القومية و قد دلت تجارب الزمان و الأحوال على أنها من أكثر الأمم حفاظا على هذه الجنسية القومية و من المستحيل إضعافها أو إدماجها في جنسية أخرى أو محوها [697] و عبر ابن باديس في محاضرة له بتونس عن احترامه للأقلية التي تطالب بالإستقلال بقوله :" نحن نحترم رأي الأقلية التي تطالب بالإستقلال و أي انسان يا سادة لا يحب الإستقلال ؟ إن البهيمة تحن إلى الإستقلال الذي هو أمر طبيعي في وضعية الأمم" و عبر ابن باديس عن موقفه من حكومة الواجهة الشعبية :" و الخلاصة أننا قلنا: نحن لنا ثقة في الواجهة الشعبية و لا زلنا نقول ذلك و قلنا ننتظر و ها نحن ننتظر و لكن للإنتظار حد محدود و إذا

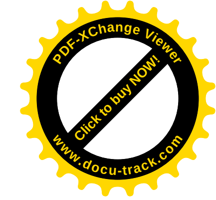
---

[695] مراد (علي)، المرجع السابق، ص 254

[696] اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 542

[697] الشهاب، ج12، مج12، فيفري 1937 ، ص 505








خاب أمل الأمة الجزائرية فإنها لا تخيب وحدها بل تخيب معها فرنسا أيضا ثم ختم الأستاذ عبد الحميد ابن باديس محاضرته الكبرى بقصيدة جاء فيها [698]

شعب الجزائر مسلـــم*************** و إلى العروبة ينتســب[699]

من قال حاد عن أصله *************** أو قال مات لقد كذب

أو رام إدمــاجـا لـــــه *************** رام المحال من الطلــب

و منها كذلك

من كان يبغــي ودنــا *************** فعلى الكرامة و الرحب

أو كان يبغي ذلنـــا *************** فله المهانة و العطـــب

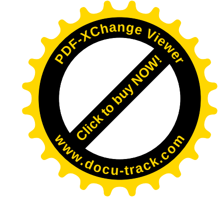
و شهدت نهاية سنة 1937 أخد جمعية العلماء لموقف واضح من الإدارة الإستعمارية برئاسة حكومة الجبهة الشعبية، كما شهدت هذه السنة أمر الوالي العام بالجزائر بغلق دار الحديث رسميا في 31 – 12 – 1937 [700] و هو أمر استنكرته جمعية العلماء و طالب بعض المتشددين في المجال السياسي من جمعية العلماء مثل الأمين العمودي و توفيق المدني مع نهاية 1937 انتهاج سلوك عدم التعاون مع السلطات إلى درجة الدخول في العصيان المدني[701] و ينم هذا الموقف عن ثقة كبيرة لدى

[698] الشهاب، ج 5 ، مج 13 ، 10 جويلية 1937 ، ص 236

[699] نعتقد أن لهذا البيت الشعري قيمة عظيمة في تاريخ الأمة الجزائرية، فهو يلخص هوية الجزائريين و يثبتها و يذكر فرنسا أن الجزائريين يختلفون عن الفرنسيين ، ليس اختلافا عرضيا سطحيا و إنما اختلاف تام كامل فيه من التناقض ما يجعل التعايش ( على الطريقة الفرسية ) أمرا مستحيلا. و نعتقد أيضا أن مثل هذا البيت الشعري لوحده يجوز لأن يكون عنوانا لبحوث أكاديمية وطنية لأنه التاريخ بعينه

[700] سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج 3، ط1. دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1990 ص 71

[701] اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 545



رجال الإصلاح خاصة و أنها برزت كهيئة منظمة تنظيما جيدا و مندمجة في المجتمع الجزائري و كانت تتأهب لأن تصبح الحزب الأكثر شعبية، فتوسعها كان يهبها قواعد عريضة يمكن أن تحلم بها أي حركة اجتماعية أو سياسية في الجزائر. [702] و مع بداية الحرب العالمية الثانية رفض ابن باديس و علماء الجمعية إعلان تأييدهم لفرنسا في الحرب و أعلنوا الحياد فـ :" هذه الحرب لا تعني المسلمين و ليس لهم أن يشاركو فيها ، غير أن ابن باديس يكون قد أسر لأحد تلامذته بأنه لن يتردد في أن يكون على رأس تمرد على فرنسا إذا دخلت إيطاليا الحرب هي أيضا "[703] و تعرضت الجمعية بسبب هذا الموقف للكيد الإستعماري التقليدي فراحت الإدارة الإستعمارية تستخدم ترسانتها القانونية و بعض عملائها من الطرق الصوفية في الهجوم على الجمعية بل و تدابير الإعتقال و الإغتيال [704] كنفي الإبراهيمي إلى أفلو في 12 أفريل 1940[705] و قد أصبحت ممارسة العمل السياسي في هذه الفترة و هذه الظروف أمرا صعبا جدا خاصة و أن السلطات الإستعمارية كانت تعتبر مصطلح السياسة مرادفا لـ " عدو فرنسا " [706] حتى أن هذا المصطلح أصبح يطلق كذلك على المصلين و الحجاج.[707]

رغم كل هذه الظروف القاهرة و قوانين الحرب المشددة على الجزائريين أثبتت الجمعية حركتها المتزايدة دون أن تتوقف عن العمل حتى أيام الحرب، الأمر الذي جعل الإدارة الإستعمارية تؤكد

---

[702] مراد (علي)، المرجع السابق، ص 215

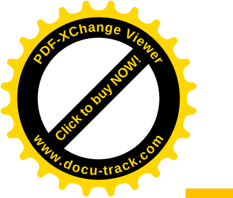
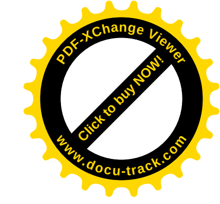
[703] اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 940

[704] بوحوش (عمار)، المرجع السابق، ص 71

[705] سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج 3، ص 80

[706] البصائر، ع 3، 8 أوت 1947

[707] كانت الإدارة الإستعمارية ترى في الحجاج رابطة وصل بين الجزائريين و المشرق العربي و وسيلة لنقل الآراء التحررية من المشرق و بقية العالم إلى الجزائر و لهذا نجد الإدارة تعاملهم معاملة سيئة بالتعاون مع رجال الدين الرسميين ينظر: البصائر، ع 14 ، 10 أفريل 1936 ، ص ص 1 - 2



خطورة هذه الحركة على السياسة الإستعمارية في الجزائر و تدعوا جميع السلطات إلى اتخاذ الحذر الشديد من قوة العلماء المتصاعدة من سنة إلى سنة أخرى. [708] و قد حاولت جمعية العلماء أن تستفيد من ظرف الحرب العالمية الثانية لتمرير بعض المطالب فرفع أعضائها إلى الإدارة الفرنسية ممثلة في الحاكم العام في أوت 1941 عريضة[709] تحتوي بعض المطالب كان أهمها[710]

- اعتبار جمعية العلماء كسائر أعضاء الجمعيات المسيحية في حرية التنقل و حرية الوعظ و الارشاد و تعليم الدين و الاداب الإسلامية
- اعتبار القرآن و اللغة العربية كباقي الكتب و اللغات الأخرى
- حرية تعليم الدين في المساجد و حرية تعليم اللغة العربية تحت إشراف الأكاديمية
- إلغاء مرسوم 8 مارس 1938 الذي كان يستعمل من طرف أعداء الجمعية كسلاح لتحطيم مؤسساتها

و قد وجه مجلس إدارة جمعية العلماء نسخة من عريضة هذه المطالب إلى الأعضاء المسلمين بالمجلس الوطني رغبة في مساندتهم للجمعية و أعادت الجمعية إرسال عريضة من المطالب في 19 سبتمبر 1941 و هي لا تختلف كثيرا عن المطالب السابقة و أهمها :[711]

- اطلاق سراح العلماء المسجونين و المعتقلين و خاصة الشيخ الإبراهيمي
- حرية الوعظ و الإرشاد في المساجد

[708] بوصفصاف (عبد الكريم) ، المرجع السابق، ص 222

[709] وقع على هذه العريضة كل من : الشيخ العربي التبسي ( الكاتب العام ) ، احمد معيزة ( امين المال العام ) ، صالحي السعيد ( امين مال مساعد ) ، خير الدين ( مراقب ) ، مبارك الميلي ( عضو مساعد ) ، بلقاسم اللجاني ( عضو مساعد ) ، محمد الطاهر الجيجلي ( عضو مساعد )

[710] بوصفصاف (عبد الكريم) ، المرجع السابق، ص 220

[711] نفسه ، ص 221







- المساواة بين الديانتين الإسلامية و المسيحية

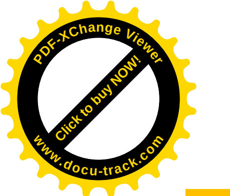
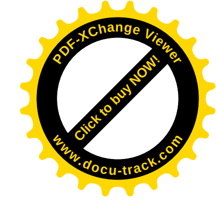
و قد رد الحاكم العام عن تلك المطالب بشكل غامض، و لكنه قدم وعودا مكتوبة تشير إلى أن مطالبهم ستوضع محل الداراسة و أن تعليم اللغة العربية سيتطور في المدارس الشعبية.[712] و تم إطلاق صراح البشير الابراهيمي في 28 ديسمبر 1942 بعد نزول الحلفاء إلى الجزائر و ألقي القبض على الشيخ العربي التبسي بتهمة التعامل مع الألمان و عكفت الإدارة على تشكيل اللجان لدراسة وضع الجزائر و تحسينه، إلا أن أحمد توفيق المدني وصف اللجنة التي شكلها الوالي العام مارسيل بيروتون marcel pyreoton بتاريخ 3 افريل 1943 و التي سميت لجنة البحث الإقتصادي و الإجتماعي الإسلامي وصفها بأنها ألعوبة، فهي لم تدرس أي مشروع جدي لإصلاح أحوال المسلمين بالصيغة التي يطلبونها[713] و هو موقف اتفق عليه أيضا بعض رجال الإصلاح الذين انتقدو ممارسات الإدارة الفرنسية بشكل علني و من ذلك عبد الوهاب بلمنصور في الغرب الجزائري و عبد القادر بوسلهام و الطيب المهاجي و محمد السعيد الزموشي .[714] و كثفت جمعية العلماء من عملها في فترة نهاية الحرب أملا في الحصول على بعض المطالب و دريا للقمع الاستعماري و سياسة الإستعباب. و يلاحظ أن العلماء قد ساهموا بقسط كبير في الحركة المضادة لأمر 7 مارس 1944 حيث أعلن أحدهم و هو الشيخ الهادي السنوسي قائلا : إن كل من سجل نفسه في القسم الإنتخابي الأول يعتبر مرتدا أما رئيس الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي فقد ندد بهذا الأمر و اعتبره

---

[712] بوصفصاف (عبد الكريم) ، المرجع السابق، ص 222

[713] خليفي (عبد القادر)، احمد توفيق المدني و دوره في الحياة السياسية و الثقافية بتونس و الجزائر 1899 – 1983 ، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة 2006 – 2007 ، ص 136

[714] بلحاج (محمد)، "الخطاب السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بين الإصلاحية و الثورية من خلال وثائق ارشيفية – محمد السعيد الزموشي نموذجا –" **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية**، العدد الأول، ص 80



خطوة نحو إدماج لا يرضى به الشعب الجزائري المسلم بأي ثمن.[715] كما رأى رجال الجمعية أنه من الواجب على أعضاء المجلس الجزائري المسلمين أن يطلبوا إدخال الدين المسيحي و الدين اليهودي تحت سلطة الحكومة دخولا عمليا و أن لا يقتصر ذلك على الدين الإسلامي و إلا فينبغي فصل الدين الإسلامي عن الحكومة [716] و تنفيذ قانون 1905 القاضي بفصل الدين عن الدولة و قيام كل طائفة دينية بأمور دينها باستقلال[717]

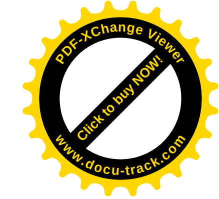
**حول: الوجه السياسي للخطة الإصلاحية**

صحيح أن رجال الإصلاح لم يمارسوا السياسة بمفهومها الإستعماري الذي فرض على أبناء الجزائر كالإشتراك في النيابات و المجالس المحلية و الإنتخابات البلدية و غيرها، و لكننا نستطيع الجزم بأنهم مارسوها بطريقة خاصة يمكن أن نصفها بأنها كانت شمولية إلى حد بعيد فقد كان هدفهم القريب الذي تفرغوا له في بداية نشاطهم هو تعليم اللغة العربية و التعليم الديني و مكافحة الأمراض الإجتماعية، و هم بهذا العمل يعزلون الجزائريين عن الحضارة الأوربية، أو بعبارة أخرى يستقلون بفكر الجزائريين الذي سيطر عليه الأوربيون لأكثر من قرن من الزمن. و أصبح رجال الإصلاح – بالرغم من تعليمهم العربي و توجههم الإسلامي المسالم – أصبحوا هادفين بشكل واضح سياسيا و وطنيا، و هذا التوجه فرضته سياسة فرنسا تجاه الثقافة و الشخصية الجزائرية. و قد شهدت الإدارة الاستعمارية نفسها في تقارير عديدة عداوة العلماء للسيادة الفرنسية في الجزائر و أهمية الدور الذي

[715] بوصفصاف (عبد الكريم) ، المرجع السابق، ص 223

[716] البصائر، ع57 ، 22 نوفمبر 1948

[717] المدني (احمد توفيق)، هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص 148



قامت به مؤسساتهم على جميع الأصعدة في توعية الجماهير الإسلامية و تكوين جيل جديد يأمن بإسلاميته و عربيته و يثبت مشاركة الجمعية في الأعمال السياسية سواء بصفة مباشرة أو غير مباشرة

أصبحت جمعية العلماء أول تشكيلة للإسلام السياسي في الجزائر من خلال الدور السياسي لأكثر من عقدين متجاوزة بذلك الهدف الذي أنشات من أجله و الذي كان دينيا محضا، [718] و اعتبر عمار بوحوش جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – بفضل المكانة التي حققتها – حركة سياسية ذات قاعدة شعبية لا مثيل لها في تاريخ الجزائر، و رغم هذه المكانة لم يسعى زعمائها للحصول على مقاعد سياسية في المجالس المنتخبة محليا أو السعي للحصول على بعض الحقوق السياسية بل اتجهت منذ البداية إلى غرس بذور الروح الوطنية في نفوس الشباب الجزائري و تعليمهم بلغة أبائهم و أجدادهم و تعريفهم بالتراث العربي الإسلامي بحيث تكون لهم عزيمة قوية و تعلق كبير بالجزائر التي ابتليت بالغزو الأجنبي الذي يهدف إلى ابتلاعها و محو مقوماتها ، و لهذا يمكننا القول أن جمعية العلماء هي حركة سياسية ذات رسالة ثقافية و علمية اجتماعية تهدف إلى حماية التراث الوطني من الذوبان في الحضارة الأوربية و بعث الروح الوطنية في النفوس عن طريق تعليم الشباب و خلق الوعي الاجتماعي و محاربة رجال الدين المزيفين الذين حاولت فرنسا أن تستعملهم لتثبيط عزائم الجزائريين و نشر إسلام مزيف يخدم مصلحة الإدارة الاستعمارية و يساعد على تنفير الجزائريين من دينهم الإسلامي[719]

و من الأمور التي تشكل الوجه السياسي في الخطة و العمل الاصلاحي نجد المواقف التالية:

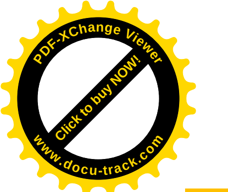
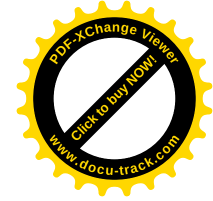
1 – مجابهة الإدارة الفرنسية و الدخول في صراع معها.

2 – الدعوة الى عقد مؤتمر اسلامي و المساهمة فيه.

---

[718] بلحاج (محمد)، المرجع السابق، ص 79

[719] بوحوش (عمار)، المرجع السابق، ص 244



3 - دعوة النواب إلى مقاطعة المجالس النيابية.

4 - محاورة لجنة البحث البرلمانية الفرنسية.

5 - نداء الى سكان قسنطينة لمقاطعة الإحتفالات القرنية لاحتلال المدينة.

6 - إبداء موقف مخيب من وعود حكومة فرنسا.

7 - عدم إرسال برقية تضامن مع فرنسا أثناء الح ع 2 .

8 - تقديم العرائض و الإحتجاجات.

9 - الردود على التصريحات.

10 - مقاومة إغراءات الولاية العامة و مساوماتها.

11 - مقاوسة سياسة الإندماج و التجنيس.

12 - إبداء آراء واضحة بشأن الحرية و الإستقلال.

13 - استخلاص أصول الولاية (الحكم في الاسلام).









## موقف الإدارة الإستعمارية من الحراك السياسي لرجال الإصلاح

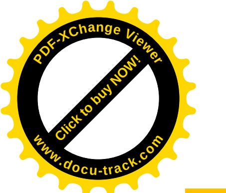
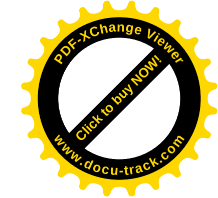
إنتهى تساهل الإدارة مع العلماء منذ سنة 1932 لما وجدت أن الجمعية أخذت أبعادا سياسية و بدأ إشعاعها ينتشر حتى في خارج منطقة قسنطينة، و يبدو ا أن الكاتب العام بيروتون peyrouton كان أول من طالب بانتهاج سياسة محاربة تلك الحركة التي كان يراها خطيرة بفعل نزعتها الوطنية و تأجيجها لمشاعر كره الأجانب[720] كما كان بيروتون يعتقد أن الخطر الجسيم يكمن في الدعاية المدرسية التي باشرها العلماء المسلمون من أجل الأخذ بناصية نفوس الشباب الجزائري و تأليبهم على فرنسا، و لذلك اقترح منذ عام 1932 الرجوع إلى العمل بقانون 18 أكتوبر 1892 المتعلق بالرخص اللازمة لفتح المدارس الحرة من أجل وضع حد لتطور تلك المدارس و ازدهارها. و كان هذا الموقف عاما تبناه جل الإداريين الفرنسيين و إن كان بشكل تدريجي فقد كان عامل عمالة قسنطينة لم يتخذ موقفا معاديا للجمعية إلى حد ذلك التاريخ أما الحكام العام كارد carde باعتباره الممثل الأعلى للإدارة الإستعمارية بالجزائر فلا يمكن الجزم بالتحديد الدقيق للتاريخ الذي انظم فيه كارد إلى تلك السياسة و مع ذلك يرجح أن يكون في نهاية 1932 [721] أما سنة 1933 فقد كانت فارقة في تعامل الإدارة الفرنسية مع جمعية العلماء خاصة و أنها أثبتت و برقم مهول حضورها في الأوساط الشعبية ففي 12 ماي 1933 تظاهر قرابة 5 آلاف شخص في تلمسان و حوالي 10 آلاف شخص في قسنطينة محتجين على الإستفزازات التي يسومهم إياها الحاكم العام[722]

---

[720] اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 555

[721] نفسه، ص 556

[722] نفسه، ص 560



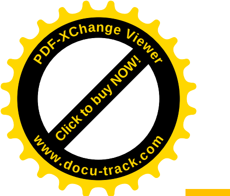

استطاعت جمعية العلماء بعد سنوات قليلة من تأسيسها كسب أنصار متحمسين و فرض نفسها على الساحة الدينية و السياسية معا و برزت قوتها ككتلة سياسية متماسكة في سنة 1936 و كان من حسن حظها نجاح الجبهة الشعبية في فرنسا في انتخابات 3 ماي 1936 و تشكيل حكومة يسارية برئاسة ليون بلوم leon blum يوم 4 جوان 1936 كما استفادت من التغييرات التي حدثت في الجزائر مثل تعيين الحاكم العام الجديد لوبو يوم 21 سبتمبر 1935 و مجيئ حكومة بيير لافال يوم 7 جوان 1935 [723] كل هذه المؤشرات يضاف إليها المشاركة الفعالة لجمعية العلماء في المؤتمر الإسلامي جعلت العلماء يلجون السياسة من بابها الواسع خاصة و أنها أبدت بعض المواقف السياسية الخالصة و استطاعت أن تجد لهذه المواقف مرجعية دينية، و من ذلك أن العلماء المسلمون كانوا يطالبون المنتخبين المسلمين بوقف كل تعاون داخل مختلف المجالس و كانو يصوهم بتجاهل السلطات لأنهم كانوا يعتبرون – مثلما أوضح ذلك ابن باديس – العلم مظطهدا و الدين محاربا و المساجد متابعة و المدارس مغلقة و التعليم مخنوقة أنفاسه[724]

**إجراءات الإدارة الإستعمارية ضد رجال الإصلاح**

عندما أدركت الإدارة الإستعمارية في الجزائر خطورة العلماء على سياستها في الجزائر سعت إلى فرط عقد هذه الجماعة صاحبة التأثير على أفراد الأمة الجزائرية فعملت على التضييق عليها و قمع كل ما هو إسلامي بالإستعانة بترسانتها القانونية و الأعوان الدينيين الرسميين و لم تكتف الإدارة الفرنسية بالجزائر بإغلاق صحف العلماء و تحريم الوعظ عليهم في المساجد التي تشرف عليها الإدارة الفرنسية بل أنها شرعت في اتخاذ القرارات التالية :

[723] بوحوش (عمار)، المرجع السابق، ص 258

[724] اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 940







## أولا: إغلاق المدارس العربية الحرة و التقليل من منح الرخص للهيئات العلمية العربية ولمعلميها:

استنت فرنسا[725] قانون 8 مارس سنة 1938 [726] الذي اشترط : كفاءة المعلم العلمية و لياقته البدنية و صلاحية المكان للتعليم، و رغم استيفاء المعلمين لكل هذه الشروط فإن الإدارة الإستعمارية كانت ترفض في الغالب طلباتهم بدون ذكر أسباب الرفض فإذا باشروا التعليم – حتى لا يتعطل الأطفال عن التعليم – فإن الإحتلال كان يهم بإغلاق المدارس [727] و كانت مدرسة دار الحديث بتلمسان أكبر مدرسة إسلامية تابعة للعلماء تتعرض للتعطيل بعد أشهر قليلة من فتحها، و لم يكن هذا التعطيل موجها لجمعية العلماء لوحدها بل هو أمر يهم الأمة الجزائرية [728] و قد تجنبت الجمعية التهويل في مسألة التعطيل و حبذت عدم نشر خبر التعطيل حتى لا تثر غضب العامة و تثير

---

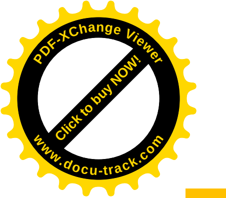
[725] كان للإدارة الاستعمارية الفرنسية باع طويل في الخبرة و التسيير الإداري، و يمكن أن نستشف هذا من طريقة إصدار و تطبيق القوانين الفرنسية في الجزائر. حيث نجدها تصدر القوانين و تراعي ردة فعل الجزائريين فإذا لم يحدث ذلك شيئا واصلت تطبيقه ، و إذا أحدث ضجة و لقي رفضا لجأت تغظ النظر عن تطبيقه حتى يمتص نقمة الشعب الجزائري عليه أما إذا واتته الظروف السياسية و الاجتماعية و أخذ الوقت الكافي حتى يترسخ في أذهان الجزائريين ( حتى و إن كان ذلك لا شعوريا ) فإنها تعمد إلى تطبيقه. و تتمثل صور التطبيق في : غلق مدارس التعليم الحر العربية وسجن المعلمين الذين يعملون دون رخصة مما يؤدي الى تشريد التلاميذ وانتكاس الحركة العلمية للعلماء و هي كلها قوانين قد تكون صدرت منذ أكثر من نصف قرن و تم صرف النظر عنها ن و إذا احتاجت لهذا القانون في أي وقت تعود إليه.

[726] ثمة ملاحظة على قانون 8 مارس سنة 1908 و هي أنه لم يشمل التعليم الفرنسي الحر الذي كانت تقوم به الهيئات التبشيرية و لا التعليم العبري الذي كانت تباشره المعابد اليهودية . و قد كان هذا القانون كان ورقة مساومة تساوم بها الاحتلال فقد كان بطبقة حسب الظروف السياسية للشعب

[727] لا شك أن عمليات الإغلاق التي مارستها الإدارة الإستعمارية في حق المدارس العربية هو أكبر دليل على نجاح هذه المدارس في بث الروح العربية الإسلامية المزعجة لفرنسا الإستعمارية

[728] البصائر، ع100 ، 18 فيفري 1938 أو ينظر:

الإبراهيمي ( أحمد طالب) ، المصدر السابق، ج 1 ، ص 312






الإحتجاجات[729] كما بادرت أيضا بإغلاق المساجد و النوادي و كانت تقود المعلم إلى المحاكمة بدعوى انتهاك القوانين لأنهم يعملون بدون رخصة كما حدث خلال 1938 – 1939 عندما قامت سلطات الإحتلال القضائية بالنظر في 27 قضية حكم في جميعها بالتغريم و في ثلاثة منها بالتغريم و الحبس مثل قضية شرف الاكحل مدير مدرسة ايفيل بدعوى أنه معلم بدون رخصة[730]

**ثانيا: التضييق على النشاطات الدينية**

كانت إجراءات[731] الإدارة الإستعمارية في هذا الشأن كبيرة و لا يمكن حصرها أبدا، و كانت مستعينة بترسانتها القانونية من جهة و الأعوان الإداريين الرسميين من جهة أخرى و من ذلك أن الإدارة عرقلت احتفال جمعية التربية و التعليم بالحجاج و اعترضت الحكومة على هذا الإحتفال على الرغم من إذنها السابق[732] و قد استنكر عبد الحميد ابن باديس بشدة هذا الإضطراب في الإدارة و

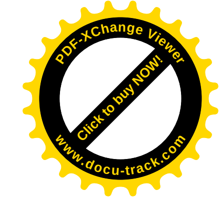
[729] الإبراهيمي ( أحمد طالب ) ، المصدر السابق، ج 1 ، ص 313 ينبغي التمعن جيدا في هذا التصريح فهو ينم عن قدرة جمعية العلماء في حشد أعداد كبيرة من العامة

[730] بلاسي (نبيل أحمد) ، المرجع السابق، ص 108 - 109

[731] و نحن نفتش عما يمكن أن يساعدنا في بحثنا هذا في أرشيف ولاية قسنطينة انبهرنا من أحد التقارير الصادرة إلى عامل عمالة قسنطينة ردا على مراسلة من هذا الأخير جاء فيها : " استنادا إلى تقرير سابق من حاكم عمالة قسنطينة إلى الحاكم العام : وافق الحاكم العام على استبدال مؤذن ببلدية بسكرة حوحو علي بن محمد بالمؤذن حوحو محمد " و ما لمسناه و لاحظناه هنا هو دقة و أهمية المتابعة التي خضع لها الأهالي خاصة فيما يتعلق بالمسائل الدينية ، حيث وصل هذا الأمر العادي المتمثل في تعيين مؤذن بسيط إلى الحاكم العام ينظر :

A w c , boite 307 ( servises reformes ), 06 – 08 – 1935 , N= 2146

[732] كان رجوع عامل العمالة في الإذن الذي منحه لجمعية التربية و التعليم بفضل سعي من المفتي " ابن الموهوب" و بعد تحريش و تهويل منه و قد علم ذلك السيد ابن الأبيض لما خاطبه البريفي و أعلمه أن المسألة أثارتها الناحية الرسمية في الجامع الكبير




المعاملة غير اللائقة التي عوملت بها الجمعية[733] و في شأن آخر و في ديسمبر 1937 أصدر محافظ شرطة باريس قرارا يمنع العلماء من أن يقيموا صلاة العيد في غابة " فانسان" الشهيرة فقام أنصار الحركة الإصلاحية بمظاهرة كبيرة تضم ألفي مشارك احتجاجا على هذا المنع الذي اعتبروه " مساسا بالحرية الدينية المعترف بها لجميع الأديان " [734] و في سنة 1937 أيضا فتشت الشرطة نادي " كليشي " بباريس و "هو مكان له حرمة المساجد و مكانة المدارس لأنه يقوم بالتعليم و تقام فيه الصلوات"[735] و كان هذا التضييق نتيجة للموقف الذي اتخذته بعض الأطراف الفرنسية تجاه العلماء فقد اتهمت بأنها تقوم بدعاية خطيرة تدعو من خلالها إلى تجديد عقيدة الإسلام القديم و أنها مرتبطة مع الجمعيات الإسلامية التي في فلسطين و جزيرة العرب و سوريا و مصر و هؤلاء لهم علاقات خفية مع الطليان و الألمان[736]

**ثالثا: تعطيل النوادي الوطنية**

لم تسلم هذه النوادي من محاربة الإحتلال بسبب دورها في تهذيب الشباب و توجيههم الوجهة العربية الإسلامية عن طريق نشاطاتها الدينية و الثقافية و الإجتماعية و الرياضية و كانت هذه النوادي تعتمد في بقائها و استمرار نشاطها و رسالتها الثقافية على اشتراكات الأعضاء من ناحية و من ناحية أخرى على حصيلة بيع المشروبات لروادها و من حصيله هذه الإيرادات كانت

---

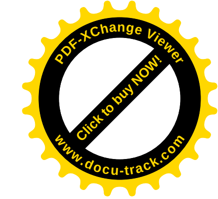
733 البصائر، ع14 ، 10 أفريل 1936 ، ص 1

734 البصائر، ع93 ، 31 ديسمبر 1937 ، ص 2

735 البصائر، ع98 ، 4 فيفري 1938 ، ص 3 و ينظر كذلك إلى

بورنان (سعيد)، المرجع السابق، ص 189

736 الشهاب، ج 1 ، مج 14 ، مارس 1938 ، ص 36




تنفق على رسالتها الثقافية الإجتماعية كما أنها كانت تخصص جزءا من مداخيلها لمساعدة المدارس في بث رسالتها التعليمية. و قد انزعج الإحتلال لدور هذه النوادي فبدأ في محاربتها و ذلك بحظر بيع المشروبات بداخلها إلا بترخيص من إدارة الإحتلال و تصعيب الحصول على الرخصة، و كان الهدف من ذلك الإضعاف المادي لهذه النوادي حتى تعجز عن مواصلة رسالتها التوجيهية، و قد ترتب عن قرار وزير الداخلية الفرنسي عجز النوادي عن تدبير النفقات اللازمة لأداء رسالتها الثقافية نتيجة حرمانها من جزء من مصادر تمويلها و هو بيع المشروبات ، كما أن الإحتلال يرمي من وراء غلق هذه النوادي إلى هدف آخر بعيد هو منع التقاء أكبر عدد من المسؤولين عن الحركة الإصلاحية و التعليمية في هذه النوادي [737] و قد نجحت الإدارة الإستعمارية في مسعاها هذا إلى حد بعيد فقد كانت تدرك القوة المالية المحدودة للجمعية و حاجة حركتها التعليمية للمال و أن نفاذ المال يعني هدم البنيان الشامخ من المدارس و المعابد [738] الذي أنشاته الجمعية

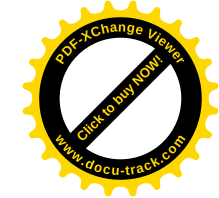
**رابعا: ضرب سياسة العلماء**

كان من المهم جدا للإدارة الإستعمارية أن تضرب سياسة العلماء و ذلك عن طريق ضرب كبار رجالها فكانت تعتقد أنه بنيلها من أحد رجال الجمعية ستنال من الجمعية و تنقص مصداقيتها لدى العامة فاستغلت فرصة المؤتمر الإسلامي الذي شارك فيه العلماء و قامت بتدبير اغتيال المفتي محمود كحول بأحد شوارع مدينة الجزائر بأمر من الأستاذ ميو مدير الشؤون الاهلية و نسب هذا الاغتيال [739] لجمعية العلماء و كان هدفه من وراء ذلك تفكيك المؤتمر الإسلامي من جهة و النيل من

737 بلاسي (نبيل أحمد) ، المرجع السابق، ص 109 - 110

738 الإبراهيمي (محمد البشير)، في قلب المعركة، المصدر السابق، ص 112

739 جاء توقيت الإغتيال في الوقت المناسب فقد كان وفد المؤتمر الإسلامي عائدا لتوه خائبا من باريس و كان المفتي كحول قد عارض فكرة المؤتمر الإسلامي و راسل الإدارة الفرنسية في باريس منتقدا استقبالها للوفد الإسلامي الذي لا يمثل في نظره الجزائريين كلهم . فاتهم الطيب العقبي بتنفيذ هذا الإغتيال في حق كحول لأنه كان يعارض الجمعية و المؤتمر الإسلامي




الحركة الوطنية من جهة أخرى [740] و تم القبض على الشيخ العقبي في 14 أوت بدون أدلة بعد 12 يوم فقط من حادثة الإغتيال [741] و على الرغم من أن القضاء الفرنسي قد أثبت براءة الشيخ العقبي [742] إلا أنه بقي يعاني على مدى ثلاث سنوات من المضايقات و المتابعات القضائية ، و بعد كل ذلك قال : لم يكن في الجزائر لا ثورة و لا تمرد ضد السلطات الفرنسية إنما توجد فقط ثورة في الأفكار و تصور للواجب [743]

و مع بداية الحرب العالمية الثانية ظهرت معطيات دولية جديدة و كان لها تأثير مباشر على الجزائر حيث شددت الإدارة الإستعمارية الخناق على العمل السياسي قبيل الحرب العالمية بإصدار مرسوم بتاريخ 27 أوت 1939 يتم بموجبه حجز أو تعليق المطبوعات التي من شأنها المساس بالدفاع الوطني، فتضيق الخناق على الصحافة الإصلاحية [744] و تزايدت هذه الإجراءات حينما علمت الشرطة الفرنسية أن بعض العلماء قد أوصوا أتباعهم بالإستماع إلى الإذاعات الألمانية و حاولوا إيصال مراسلات إلى المذيعين العرب في إذاعة برلين [745] و أن ألمانيا تحاول أن تستغل الوطنية الإسلامية[746]

و منذ الأشهر الأولى الحرب العالمية الثانية حاولت فرنسا جر الأحزاب إلى صفها فأوعزت الإدارة الفرنسية إلى الأحزاب و الجمعيات السياسية و الدينية تطلب منهم إرسال برقيات التأييد و

---

[740] فرحات (عباس)، المصدر السابق، ص 165

[741] **SARI** (Djilali), op-cit , p 226

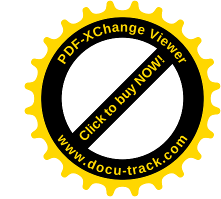
[742] الشهاب، ج 6 ، مج 12 ، أوت و سبتمبر 1936 ، ص 278

[743] **SARI** (Djilali), op-cit , p 227

[744] اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 564

[745] نفسه، ص 941

[746] الشهاب، ج 1 ، مج 14 ، مارس 1938 ، ص 37



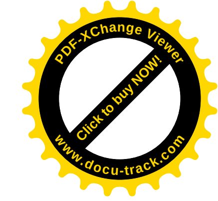
المساندة للحكومة في باريس في حربها ضد ألمانيا و إيطاليا و هذا ما جعل الجمعية في حرج شديد إثر الخلاف الذي نشب بين أعضائها، فاستدعت الهيئة الإدارية للإنعقاد في 24 سبتمبر 1938 و انتهى النقاش إلى الخروج برأي ينحاز إلى رفض طلب إرسال البرقية الذي تقدم به الشيخ العقبي و الأمين لعمودي بعد نقاش حاد بينهما و قد برر ابن باديس رفضه بأن إرسال برقية التأييد بمثابة إعلان الولاء لفرنسا [747] و قد ذهب ابن باديس إلى أبعد من ذلك عندما فكر في إعلان الثورة على فرنسا و أسر إلى أصدقائه المقربين أنه سيعلن الثورة حينما تحين الفرصة و رغم رفض العلماء تأييد فرنسا إلا أنه لم يصدر قرار بحلها مثلما حدث لحزب الشعب. بل اكتفت الإدارة الإستعمارية بتحديد إقامة ابن باديس بقسنطينة التي ظل رهينة فيها حتى وفاته في 16 افريل 1940 كما اعتقلت العديد من رجال الإصلاح و نفتهم . كما فرضت السلطات الفرنسية رقابة شديدة على الصحف و أوعزت لها بنشر البيانات الرسمية و التعليقات المؤيدة لفرنسا[748] و في مقابل ذلك سعت الإدارة الاستعمارية لأن تكون أقرب إلى الجزائريين فصرح الحاكم العام pétain بحلول السنة الجديدة 1941 أعلن سيحاول التقليل من المجاعة التي يعاني منها السكان [749] و تركت حكومة فيشي انطباعا بأن مرسوم 8 مارس 1938 سيلغى إلا أن ذلك بقي مجرد وعود فارغة كسابقتها، و في 19 سبتمبر 1941 و بعد خيبة أملهم في عودة حرية التعليم اتجه العلماء إلى الحاكم العام و إلى المستشارين الوطنيين المسلمين الأربعة و خرج سبعة علماء عن صمتهم الطويل و منهم العربي التبسي و مبارك الميلي مطالبين [750] بصوت عال بإطلاق سراح محمد البشير الإبراهيمي و آخرين من

[747] البصائر، ع 135 ، 10 أكتوبر 1938 ، ص 2

[748] حمزة (محمد)، المرجع السابق، ص 94

[749] La Lutte sociale. 1941/01. P2

[750] أرسلت هذه المطالب من طرف الجمعية إلى الإدارة الاستعمارية ممثلة في الحاكم العام مرتين الأولى بتاريخ أوت 1941 و الثانية بتاريخ 19 سبتمبر 1941 و تتعلق هذه المطالب أساسا بالتعليم العربي و حرية الوعظ و الارشاد في المساجد و كذا إطلاق سراح العلماء المسجونين و المعتقلين و خاصة الشسخ الابراهيمي

PDF-XChange Viewer Click to buy NOW! www.docu-track.com



الموقوفين أو ممن هم تحت الإقامة الجبرية و " بالمساواات في المعاملة مع رجال الدين المسيحيين " و بحرية التعليم و الوعظ و إلقاء الدروس في المساجد. و قد رد الحاكم العام عن تلك المطالب بشكل غامض و لكنه قدم وعودا مكتوبة تشير إلى أن مطالبهم ستوضع محل الداراسة و أن تعليم اللغة العربية سيتطور في المدارس الشعبية[751]

و في إطار الحرب العالمية أيضا أطلق سراح قادة الجمعية غداة إنزال الحلفاء فالإبراهيمي أطلق سراحه في يوم 28 ديسمبر بعد أن كان قد استدعاه الجنرال جيرو و استقبله و في المقابل اعتقل الشيخ التبسي في مارس 1943 بتهمة التخابر مع العدو و هي التهمة التي لم تثبت بعد أشهر من ذلك[752] و واصلت جمعية العلماء جهودها لدعم مطالب الجزائريين من خلال مشاركتها في تحرير البيان الجزائري سنة 1943 [753] و دخولها الفعال سنة 1943 في حركة أحباب البيان كما ساهموا في تأسيس حزب أصدقاء البيان و الحرية و قد صرح الشيخ البشير الأبراهيمي في هذا الصدد بأنه هو الذي عمل على التقارب بين ميصالي الحاج و فرحات عباس.[754]

و مع بداية نهاية الحرب العالمية حاولت الإدارة الإستعمارية استباق الأحداث و ما يمكن أن يحصل في المستعمرات فحاول ديغول سنة 1944 من قسنطينة أن يحسن من أوضاع الجزائريين بنشره أمرية تعدل بعض ترتيبات مشروع قانون بلوم فيوليت . و تعد هذه الأمرية المسلمين بعدد من الإصلاحات بصفتهم فرنسيين و تعتبر بلادهم جزءا من فرنسا إلى الأبد حسب الأنشودة

---

751 اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 941 او ينظر ينظر:

بوصفصاف (عبد الكريم) ، المرجع السابق، ص 222

752 اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 941

753 البصائر، ع 193 ، 24 – 31 ماي 2004 ، ص 3

754 بوصفصاف (عبد الكريم) ، المرجع السابق، ص 223







العتيقة[755] إلا أن العلماء قد ساهموا بقسط كبير في الحركة المضادة لأمر 7 مارس 1944 حيث أعلن أحدهم و هو الشيخ الهادي السنوسي قائلا : إن كل من سجل نفسه في القسم الإنتخابي الأول يعتبر مرتدا أما رئيس الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي فقد ندد بهذا الأمر و اعتبره خطوة نحو إدماج لا يرضى به الشعب الجزائري المسلم بأي ثمن.[756]

انتهت الحرب العالمية الثانية بمجازر الثامن ماي 1945 و إبادة جماعية للشعب الجزائري ظلما[757]. و تواصل بالإضافة إلى ذلك تعنت الحكومة الفرنسية التي كانت تعالج مسألة الإصلاحات[758] معالجة الجاهل و الأعمى و هو ما يثبت سوء نية الحكومة و سوء نية الأغلبيات الفرنسية حيال قضية الجزائر و انتهى الأمر بأن منحت فرنسا بلاد الجزائر قانونا أساسيا مشوها أبتر كان أبعد ما يمكن عن الحق و عن مبدأ الحرية و كان أبعد ما يمكن عن رغبة الأمة و كان أسوا ما جاء فيه أن البلاد الجزائرية قطعة من الأرض الفرنسية[759] و رغم أن قانون 1947 قد وعد بالفصل بين الدين و الدولة إلا أن الإدارة لم تسرع في تطبيقه بل تماطلت في ذلك و عوض أن تكرس

---

755 المدني (احمد توفيق)، هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص 176

756 بوصفصاف (عبد الكريم) ، المرجع السابق، ص 223

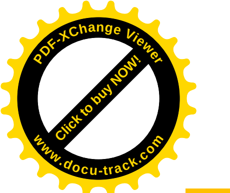
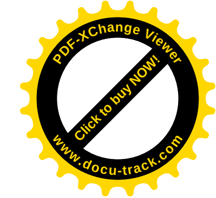
757 تاورتة (محمد العيد)، "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، رد فعل و أسلوب في المقاومة" ، **الملتقى الوطني للفكر الإصلاحي في الجزائر**، 2003 ص 83

758 كانت مختلف مصالح الإدارة الاستعمارية تتبادل تقارير الإصلاحات و التعديلات إلا انها بقيت دوما حبرا على ورق و لم يطبق أي شيئ منها و من ذلك ما جاء في مراسلة عامل عمالة قسنطينة إلى الحاكم العام و تتعلق بإصلاح الأوضاع العامة للاهالي ينظر :

A w c , boite 165 ( servises reformes ), 14 – 11 - 1950 , N= 7654 أو

A w c , boite 165 ( servises reformes ), 16 – 12 - 1947 , N= 10.11.621

759 المدني (احمد توفيق)، هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص 180




استقلالية الدين الإسلامي فإنها فضلت إبقائه بين أيدي رجال معينين و مدفوعة أجورهم من الإدارة[760] و رد الإبراهيمي على ذلك بإعادة إصدار جريدة البصائر [761]، وقام بعدة إصلاحات في ميدان التربية حيث أسس مدارس جديدة في الوطن و وحد التعليم الحر و أسس معهد ابن باديس للتعليم الثانوي في قسنطينة عام 1947. إضافة إلى مراسلته لرئيس الجمهورية الفرنسية للمطالبة باحترام حقوق الجزائريين[762] و مراسلتة لوزير الداخلية الفرنسي أثناء زيارته للجزائر[763] و كذا المشاركة في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها سنة 1951 برئاسة العربي التبسي.[764]

---

[760] اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 944

[761] توقفت البصائر 8 سنوات صدر العدد الأول منها في 1947/11/25 ينظر :

ناصر (محمد)، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954 ، المرجع السابق، ص 345

[762] ينظر الملحق رقم 20 شكوى جمعية العلماء للرئيس الفرنسي

[763] ينظر الملحق رقم 19 دعوة جمعية العلماء لوزير الداخلية لتقديم إصلاحات اثناء زيارته

[764] البصائر، ع193 ، 24 – 31 ماي 2004 ، ص 3






## جمعية العلماء و الثورة التحريرية

كان الهدف العام الذي تسير في فلكه جمعية العلماء المسلمين هو استرجاع استقلال الجزائر و تكوين دولة عربية إسلامية، إلا أن هذا الهدف العام لا يمكن قياسه بمواقف جمعية العلماء الآنية و التي تخضع لظروف خاصة ، فعندما ينادي رجال الإصلاح بالحفاظ على الشخصية الجزائرية فإن هذا جزء لا يتجزأ من المشروع الكبير للاستقلال[765] من خلال ضمان استقلالية الشخصية الجزائرية، و عندما يساندون برنامج بلوم فيوليت ( blom violet) فهم يأكدون على أن لا يتحول هذا البرنامج إلى مشروع يهدر مقومات الشخصية الجزائرية [766] و هكذا فإن العلماء كانوا يدركون و يؤكدون بأن النهضة العلمية و الدينية في الجزائر لا يمكن أن تكون بمعزل عن السياسة. و في هذا السياق قال ابن باديس سنة 1937: لا بد لنا من الجمع بين السياسة و العلم، و لا ينهض العلم و الدين حق النهوض إلا إذا نهضت السياسة. [767] و معلوم أن النبش في السياسة يقود إلى محاولة تحقيق الإستقلال، و معلوم أيضا أن الإستقلال يكون نتيجة حتمية للثورة. و كثيرا ما كان رئيس الجمعية الثاني – خير الدين - يهمس في الأوساط المقربة منه و التي هي محل ثقته بأن هدف جمعية العلماء الأسمى في آخر المطاف هو السعي إلى تحرير الوطن " la libération nationale de la patrie " و لكن كان لزاما على الجمعية قبل أن تخوض مثل هذا الصراع خوض ميدان

[765] هناك من أكد أن جمعية العلماء لا يمكن أن تقود ثورة للقضاء نهائيا على الإستعمار ، لأن منهجيتها و طريقتها اتجاه الأزمة الجزائرية كانت مجرد كلام متناقض، فهي تطالب من جهة بالإصلاح و لا تدعو للقضاء عليه . للتفصيل ينظر :

**Medjaoued** ( mohamed), les oulémas: du réformisme a la révolution et de medersa a L'ALN, revue d'istoire maghrebine. octobre 2011. N 143 tunis p 47

[766] الشهاب، ج3 ، 12 جويلية 1936 ، ص226 أو ينظر :

الميلي (محمد) ، ابن باديس و عروبة الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1973 ص 25

[767] الشهاب، ج 5 ، مج 13 ، 10 جويلية 1937 ، ص 233






آخر و هو خلق نوع من الأيديلوجيا لتحضير الأنفس. و قد خاضت الجمعية حركة تحرير اللغة العربية و الدين الإسلامي من مخالب الإدارة الإستعمارية، فقد كانت جل أفكار رجال الإصلاح ثورية في حدود ما، و كانوا يمقتون الفرنسيين و نظامهم الإستعماري إلى حد الكفر به.[768] و المسار السياسي لجمعية العلماء باعتبارها الجامع لرجال الإصلاح مُأكد تثبته الأحداث، فمنذ عهد ابن باديس و إلى غاية عهد العربي التبسي تدخلت الجمعية في عديد المسائل السياسية الخالصة[769] و في مطلع الخمسينات تغيرت عديد المعطيات على جمعية العلماء خاصة و أن مطلع سنة 1954 شهد غياب أربعة رجال من قادة الجمعية خارج الجزائر في المشرق العربي و هم الإبراهيمي، الورتلاني، التبسي و بوشمال و بقاء خير الدين النائب الثاني لرئيس هو المسير للجمعية.[770]

عند اندلا ع الثورة التحريرية تفاجأ الناس جميعا، حتى زعماء الحركة الإصلاحية، الذين أظهروا في الحال تجاهلهم للأحداث و إنكارهم للوسائل التي استعملتها جبهة التحرير الوطني. و قد رفض زعماء الحركة الإصلاحية وصاية الجبهة و حاولوا بدون جدوى أن يصلوا إلى حل سياسي للمشكل الجزائري، و كان هذا الرفض نتيجة مباشرة لسياسة الجمعية – منذ تأسيسها - التي تعارض مبدا "استعمال القوة" و " الفوضى و التشويش" في اخذ المطالب. و لهذا نجد ان معارضتها لوسائل الجبهة كانت ضمن مبادئ الجمعية السلمية الداعية الى بذل الجهود لتربية الشعب و تنمية تفكيره[771] و قد كان هذا هو الموقف الغالب على الجمعية أو على الأقل الموقف الرسمي لها، و إن كان

---

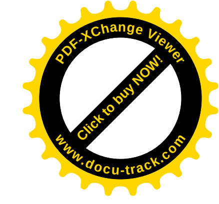
768 حمادي (عبد الله)، المرجع السابق، ص 230

769 الشيخ العربي التبسي(1895م- 1957م)احد اعمدة الاصلاح في الجزائر ، وامين عام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و المجاهد البارز الذي خطفته يد الغدر الفرنسية في 04 افريل عام 1957م من منزله بلكور بالجزائر العاصمة .

770 سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج 2، ط2، المرجع السابق، ص ص 67 – 68

771 **Nadir** ( Ahmed ) , le mouvment reformiste algerien et la guerre de libiration nationale , **Revue d'histoire maghribine** , juillet , 1975 , tunis , p








رجال الإصلاح متفرقون و بمواقف شخصية كانوا يساندون الثورة مبدئيا بالنظر إلى بياناتها المضطربة التي زامنت بداية الثورة [772]. و يمكن رصد تيارين متباينين تجاه الثورة التحريرية من جانب رجال الإصلاح ، الأول يعارض فكرة العمل المسلح و يعتبرها نوعا من الجنون و المغامرة المحفوفة بالمخاطر، و يؤكد أصحابه على أهمية النظال السياسي السلمي أما الثاني فقد اقتنع أصحابه بأن عصر المطالبة بالإصلاحات قد ولى إلى غير رجعة، لهذا أعلن مساندته المطلقة للثورة داعيا الشعب الجزائري إلى مساندته لجبهة التحرير. و المتتبع لردود الأفعال الصادرة عن التيار الأول يلاحظ الإضطراب و التردد في اتخاذ موقف واضح بسبب عنصر المفاجئة [773] الذي سارت به الأحداث و هو ما نستشفه مما كتبته جريدة البصائر ليوم 5 نوفمبر 1954 [774] " لا يمكن لنا أن نقدم أي تعليق عن الأحداث إلى أن تظهر لنا الحقيقة " و بعدها أصدرت الجمعية بيانا في البصائر تدعوا فيه السلطات الإستعمارية إلى معالجة الأزمة الجزائرية وفق القواعد الديمقراطية الحرة بوضع برنامج إصلاحات شاملة و ذلك بالتنسيق مع الأحزاب الجزائرية[775]، و حذرت من سياسة العنف المسلطة على الجزائريين التي لن تقضي على الثورة.[776] و عبرت الجمعية أنها لن ترضي بأي حل أو برنامج إصلاحي إلا إذا حقق رغبتها التحريرية الكبرى في كل ما يتعلق بالحكم و الإدارة و الشؤون العامة و كل ما يتعلق بدينها و لغتها و تتوجه الجمعية إلى الأمة بكلمة تستحثها على التماسك و التكتل و الوحدة في سبيل الدفاع

---

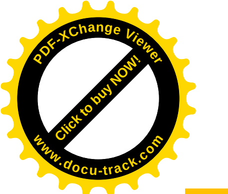
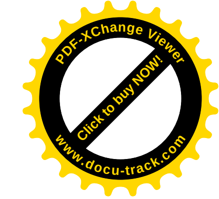
[772] **Medjaoued** ( mohamed), op – cit , p 48

[773] و لا شك أن سرية الإعداد للثورة خلقت عنصر المفاجأة مما جعل المواقف تتباين، فالعلماء لم يعرفوا الإمكانيات التي تتوفر عليها الثورة التحريرية و لا منفذيها و لهذا تأخروا في إبداء رأيهم كجماعة خوفا من تأييد الثورة و انتهائها دون تحرير الجزائر و ما ينجر عن ذلك من خسائر للجمعية و الشعب الجزائري كما حصل في ماي 1945 أو أكثر

[774] الغربي (الغالي)، فرنسا و الثورة الجزائرية 1954 – 1958 ، دراسة في السياسات و الممارسات، غرناطة للنشر و التوزيع الجزائر 2009 ص 143

[775] **Medjaoued** ( mohamed), op – cit , p 54

[776] الغربي (الغالي)، المرجع السابق، ص 144



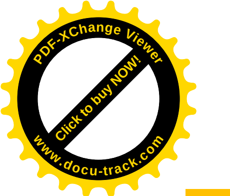
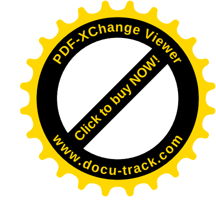

عن حريتها المنتهكة و حقها المغصوب و كرامتها المغدورة حتى تخرج من هذه الأزمة الطويلة المدى بتحقيقها أهدافها و بلوغ غايتها الكبرى"[777]

نعتقد أنه من الصعب جدا تحديد موقف رسمي و نهائي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين[778] تجاه الثورة و يجب أن نفرق هنا بين موقف قادة جمعية العلماء داخل الجزائر و قادتها خارج الجزائر و نوضح أن موقف القادة الموجودين بالداخل كان يحسب على الجمعية و يأثر عليها تأثيرا مباشرا، و لهذا نجدهم حذرين في التعامل و التعليق على العمليات الأولى للثورة. و يمكن أن نحصر أبرز المعارضين للثورة في شخص الشيخ خير الدين الذي اتسمت مواقفه اتجاهها بالسلبية، و

---

[777] مولود بن قاسم (قاسم)، ردود الفعل الدولية داخليا و خارجيا على غزوة نوفمبر أو بعض ماثر الفاتح نوفمبر ، دار البعث للطباعة و النشر قسنطينة الجزائر، 1984 ، ص 71

[778] راجعنا من خلال بحثنا هذا العديد من المواقف و الأحكام التي اتخذها الباحثون و المعاصرون لجمعية العلماء إزاء موقفها من الثورة التحريرية الجزائرية، و وقفنا على الأحكام القاسية أو القاسية جدا على هذه الجمعية العريقة، و نعتقد أن بعض الباحثين أهملوا الزاوية السيكلوجية و السوسيولوجية و حتى السياسية في رؤية موقف جمعية العلماء تجاه الثورة، فالجمعية عريقة و مرت تحت إشراف أحد أكبر رجالات الجزائر علما في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر و تضم ضمن أعضائها كبار علماء الجزائر في مجال الدين و اللغة و الذين خاضوا ثورة ثقافية ليست أقل من ثورة نوفمبر 1954 حققوا من خلالها استقلالا ثقافيا لم يكن الجزائريون ليحلموا به حين احتفل الفرنسيون بالمئوية و موت الإسلام في شمال افريقيا، و نستاذن القارئ هنا إذا شبهنا موقف جمعية العلماء من الثورة التحريرية بموقف ميصالي الحاج أبو الوطنية الجزائرية الذي لم يستصغ قيام أبناءه و تلامذته في الوطنية ثورة لا يكون هو المشرف عليها و الآمر و الناهي فيها . فهو من صنع و نطق بكلمة "الإستقلال" حين كانت الأفواه خرصاء و حين كانت كلمة الإستقلال تعتبر ضربا من الخيال، و ليس ببعيد عن هذا نجد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتاريخها العريق و قوة تأثيرها و فعاليتها في المجتمع لم تقبل دعوة حزب جديد ينادي بعد أسبوع من ظهوره بحل جميع الأحزاب و الإنضمام إليه فرادى و أنه الحزب الذي سيخلص الجزائر من شر الإستعمار . و نستأذن القارئ مرة أخرى بالعودة بخياله إلى فترة الثورة التحريرية و الإلتزام بالظروف السيكلوجية و الإجتماعية و السياسية لتلك الفترة و نأخذ بعين الإعتبار السرية التي ميزت العمل الثوري و عنصر المفاجاة الذي خلقته و عدم معرفة الإمكانيات التي تتوفر عليها الثورة التحريرية و لا منفذيها و كذا إمكانية انتهاء هذه الثورة دون تحرير الجزائر و أحداث ماي 1945 مازالت في الأذهان !!! فهل يعقل أن تساند جمعية العماء جبهة التحرير الوطني في مثل هذه الظروف ؟؟؟ نحن لا نعتقد ذلك و الموضوع مازال مفتوحا ...



في رده على عرض انظمام الجمعية الى ركب الثورة كان رده : " إننا لا نريد أن نعتبر كأعداء لكننا حين تحالفنا في ماي 1945 مع حزب الشعب الجزائري في إطار منظمة أنصار البيان و الحرية دفعنا ثمن تصرفات هذا الحزب، أما اليوم فإن الوضع يختلف إننا لسنا طرفا فيما وقع لقد تحركتم وحدكم فادفعوا الثمن وحدكم"[779] و الأكثر مساندة لها عند اندلاعها الشيخ العربي التبسي الذي حث على وجوب مساندتها و مؤازرتها و تفضيلها و تقديمها على النفس و الأولاد [780] ثم المدنيالذي أكد أنه علم من مصدر موثوق بموعد انطلاق الشرارة الأولى للثورة حين اتصل بأحد رجال الحركة الوطنية و الذي أبلغه في سرية تامة بتاريخ الفاتح نوفمبر موضحا أن العلماء كانوا على استعداد تام لتأييد هذه الحركة التحريرية الكبرى منذ البداية [781] و قد أصدرت جمعية العلماء داخل الجزائر من خلال جريدة البصائر بيانا و بلاغا و أربعة نداءات بعناوين مختلفة [782]

أما الطرف الثاني من موقف الجمعية و الذي يمثله القادة الموجودون خارج الجزائر فقد كان أكثر جرأة من ذلك الذي نبع من الداخل بحكم الحرية التي يمتلكونها من جهة و كذا عدم تأثير مواقفهم على الجمعية بشكل كبير عكس ألئك الموجودين بالداخل، و كان أول موقف لهم بعد يوم واحد من الثورة [783] ثم وجه الأستاذ الفضيل الورتلاني نيابة عن مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة في اليوم الثالث من نوفمبر 1954 نداءا إلى الجزائريين نشرته الجرائد المصرية في حينه بعنوان " إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر، اليوم حياة أو موت بقاء أو فناء " جاء فيه :

---

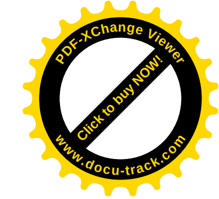
[779] الغربي (الغالي)، المرجع السابق، ص 145

[780] بلعربي (خالد)، المرجع السابق، ص 74

[781] المدني (احمد توفيق)، حياة كفاح، ج 3 ، المصدر السابق ص 183

[782] مولود بن قاسم (قاسم)، المرجع السابق، ص 70 عن البصائر 4 فيفري 1955

[783] اصدر مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة يوم 2 نوفمبر 1954 بيانا و وزع على الصحافة المصرية و وكالات الانباء العالمية ينظر : الإبراهيمي ( أحمد طالب)، المصدر السابق، ج 5 ، ص 37



حياكم الله أيها الثائرون الأبطال و بارك في جهادكم و أمدكم بنصره و توفيقه و كتب ميتكم من الشهداء الأبرار و حيكم في عباده الأحرار، أيها الأحرار الجزائريون اعلموا أن الجهاد للخلاص من هذا الإستعباد قد أصبح اليوم واجبا عاما مقدسا فرضه عليكم دينكم و فرضته قوميتكم و فرضته رجولتكم و فرضه ظلم الاستعمار الغاشم الذي شملكم ثم فرضته أخيرا مصلحة بقائكم لأنكم أمام أمرين إما بقاء كريم أو فناء شريف[784] ثم تبعه بيان آخر بتاريخ 11 نوفمبر 1954 [785] و تلاه نداء وجهه الإبراهيمي إلى الشعب الجزائري عنوانه " نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد نعيذكم بالله أن تتراجعوا" و قد وصف الثورة في هذا النداء بأنها " الصوت الذي يسمع الآذان الصم و هي الدواء الذي يفتح الأعين المغمضة " و قال " كان العالم يسمع ببلايا الإستعمار لدياركم فيعجب كيف لم تثوروا و كان يسمع أنينكم و توجعكم منه فيعجب كيف تؤثرون الموت البطيئ على الموت العاجل المريح "[786] و جاء في هذا النداء أيضا " أيها الاخوة الجزائريون الأبطال: لم تبق لكم فرنسا شيئا تخافون عليه، أو تداورنها لأجله و لم تبق لديكم خيطا من الأمل تتعللون به، أتخافون على أعراضكم و قد انتهكتها ؟ أم تخافون على الحرمة و قد استباحتها، لقد تركتكم فقراء تلتمسون قوت اليوم فلا تجدونه ؟ أم تخافون على الأرض و خيراتها و قد أصبحتم فيها غرباء حفاة عراة جياعا و حظكم من خيرات بلادكم النظر بالعين و الحسرة في النفس ؟ أم تخافون على القصور و تسعة أعشاركم يأوون إلى الغيران كالحشرات و الزواحف ؟ أم تخافون على الدين و يا ويلكم من الدين الذي لم تجاهدوا في سبيله و يا ويل فرنسا من الإسلام... " [787] و خاطب الابراهيمي الشعب الجزائري قائلا :" إن أقل

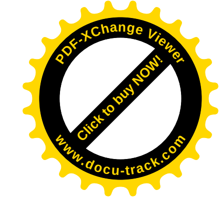
---

[784] البصائر، ع9، 17 جويلية – 24 جويلية 2000 ، ص 16

[785] اصدر مكتب الجمعية بالقاهرة يوم 11 نوفمبر 1954 بيانا و وزع على الصحافة المصرية و وكالات الانباء العالمية ينظر: الإبراهيمي ( أحمد طالب) ، المصدر السابق، ج 5 ، ص 40

[786] نشر هذا البيان عن مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة بتاريخ 15 نوفمبر 1954 ينظر الإبراهيمي ( أحمد طالب) ، المصدر السابق، ج 5 ، ص 33

[787] الإبراهيمي ( أحمد طالب) ، المصدر السابق، ج 5 ، ص 34




القليل مما وقع على رؤوسكم من بلاء الاستعمار الفرنسي يوجب عليكم الثورة عليه من زمان بعيد و لكنكم صبرتم و رجوتم من الصخرة أن تلين فطمعتم في المحال و قد قمتم الآن قومة مسلم الحر الأبي فنعيذكم بالله و بالإسلام أن تتراجعوا و تنكصوا على أعقابكم. إن التراجع معناه الفناء الأبدي و الذل السرمدي ... إننا كلما ذكرنا ما فعلت فرنسا بالدين الإسلامي في الجزائر و ذكرنا فضائحها في معاملة المسلمين لا لشيئ إلا لأنهم مسلمون، كلما ذكرت ذلك احتقرنا أنفسنا و احتقرنا المسلمين وخجلنا من الله أن يرانا ويراهم مقصرين في الجهاد لإعلاء كلمته و كلما استعرضنا الواجبات وجدنا أوجبها و ألزمها في أعناقنا إنما هو الكفاح المسلح ... فسيروا على بركة الله و بعونه و توفيقه إلى ميدان الكفاح المسلح ".[788] كما نجد الإبراهيمي يحرض على الاستعمار باستخدام المرجعية الدينية حيث دعا الشعب الجزائري للوحدة من اجل الكفاح لتحرير الوطن و الالتزام بالجهاد الذي يفرضه الايمان[789] الديني كما نجده يحرم موالاة الإستعمار ف:" الإسلام والإستعمار ضدان لا يلتقيان في مبدأ و لا في غاية، فالإسلام دين الحرية والتحرير و الاستعمار دين العبودية و الإستعباد و الإسلام شرع الرحمة و الرفق و أمر بالعدل و الإحسان و الإستعمار قوامه على الشدة والقسوة و الطغيان و الإسلام يدعوا إلى السلام و الإستعمار يدعوا إلى الحرب".[790]

لا شك أن قادة الجمعية الموجودون خارج الجزائر قد أدوا عملا جبارا خاصة في مسألة كسر الدعاية الفرنسية عن الجزائر و التي روجت من خلالها أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، و قد نجح

---

[788] الإبراهيمي (محمد البشير)، في قلب المعركة، المصدر السابق، ص 22

[789] **Medjaoued** ( mohamed), op – cit , p 48

[790] جاء هذا في كلمة ألقيت باذاعة صوت العرب بالقاهرة عام 1955 ينظر :

الإبراهيمي ( أحمد طالب) ، المصدر السابق، ج 5 ، ص 68 أو:

الإبراهيمي (محمد البشير)، في قلب المعركة، المصدر السابق، ص 59







الإبراهيمي في جلب الدعم المادي و المعنوي للقضية الجزائرية و جمعية العلماء.[791] إضافة التوجه المغاربي لنداء الإبراهيمي حيث كان يتطرق كذلك للشأن المغاربي،[792] و هو اهتمام تفرضه عليه الروح العربية الإسلامية كما نجده يشحذ الهمم و يتصل بقادة الأمة الإسلامية العربية لجلب الدعم للجزائريين[793]

لم يكن محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية المسلمين الجزائريين تابعا لجمعية العلماء و قاصرا عمله عليها فقط بل كان متفاعلا مع كل أحداث الجزائر و فاعلا فيها حيث وقع في 17 فبراير 1955[794] إلى جانب كل من : أحمد مزغنة ، أحمد بيوض، محمد خيضر، الشاذلي مكي، الفضيل الورثلاني، حسين الأحول، أحمد بن بلة، حسين أيت أحمد ، محمد يزيد وقعوا اتفاقا أسس بموجبه جبهة تحرير الجزائر[795] التي أصدرت بيانا[796] أوليا عبرت فيه عن إدانتها لإعلان فرنسا حالة الطوارئ

---

[791] تركي (رابح)، "البشير الابراهيمي في المشرق العربي"، ص ص 257 – 258

[792] الإبراهيمي ( أحمد طالب) ، المصدر السابق، ج 5 ، ص 47

[793] وجه مكتب جمعية العلماء بالقاهرة رسالتين الى كل من عبد الناصر و السادات و كذا الملك سعود طمعا منه لمساعدتهم للجزائريين ينظر:

الإبراهيمي ( أحمد طالب) ، المصدر السابق، ج 5 ، ص ص 49 – 51

[794] يأكد الدكتور مجاود محمد أن انضمام الإبراهيمي إلى جبهة جديدة غير جبهة التحرير الوطني كان خيارا و منفذا استراتيجيا لأن جبهة تحرير الجزائر تتيح انضمام أي جزائري دون تخليه عن نزعته و حل منظمته عكس جبهة التحرير الوطني التي كان من شروطها حل كل الأحزاب و الهيئات و المنظمات للإنضمام إليها و بهذا يكون الابراهيمي قد انضم إلى التيار الثوري دون أي مساس بجمعية العلماء التي يرئسها ينظر :

**Medjaoued** ( mohamed), op – cit , p 49

[795] الإبراهيمي ( أحمد طالب) ، المصدر السابق، ج 5 ، ص 53 - 54

[796] يمكن أن نرصد من خلال الكتابات و البيانات و التقارير التي أصدرتها جبهة تحرير الجزائر منذ تأسيسها إلى أن الإبراهيمي هو الذي صاغ كل تلك التقارير و ما يميز هذه التقارير أنها تحررية استقلالية عن الإستعمار الفرنسي و هو ما يمكن أن نستشف منه الروح الإستقلالية لشخص الابراهيمي و تحفظه في نفس الوقت عندما يتعلق الأمير بجمعية عريقة مثل جمعية العلماء و يمكن الرجوع الى تقارير جبهة تحرير الجزائر ينظر:








و قام بالتشهير لجرائم الإستعمار في الجزائر التي يرتكبها[797] و خرج أول اجتماع بالإتفاق على ديباجة أهم ما فيها[798]:

1 تأسيس هيئة تجمع أبناء الجزائر المقيمين في مصر

2 تسمى الهيئة المنضوي تحت لوائها أبناء المسؤولين المقيمون في القاهرة " جبهة تحرير الجزائر"

3 تعمل الجبهة لتحرير الجزائر من الإستعمار الفرنسي و من كل سيطرة أجنبية مستعملة كل الوسائل المكنة لتحقيق أهدافها

4 الجزائر عربية الجنس مسلمة العقيدة

5 الجزائر جزأ لا يتجزأ من المغرب العربي و العا لم العربي

6 تهيب جبهة التحرير بالقاهرة بإخوانها في العالمين العربي و الإسلامي

**دخول جمعية العلماء الثورة التحريرية رسميا**

بقي العلماء مدة سنتين من أجل الرد على نداء جبهة التحرير الوطني بعد العديد من الأطراف للم الشمل[799] و الواقع أن قيادة الجمعية في الداخل و في مقدمتها أمينها العام الشيخ أحمد توفيق المدني و إن لم تصدر بلاغا أو تعليقا مؤيدا و مباركا بلغة صريحة لأنباء الثورة إلا أنها لم تنشر بالمقابل ما يطعن أو يشكك في أهدافها و طبيعتها و وطنيتها، فالعلماء لم يكونوا يختلفون سنة 1954 عن غيرهم من الحركات الوطنية الأخرى حيث كان فيهم الثوريين والمحافظون و في مقال

---

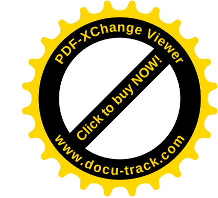
الإبراهيمي ( أحمد طالب) ، المصدر السابق، ج 5 ، ص ص 53 - 63

[797] نفسه، ج 5 ، ص 57

[798] كان هذا بالقاهرة : 17 فبراير 1955 ينظر :

الإبراهيمي (محمد البشير)، في قلب المعركة، المصدر السابق، ص 44

[799]**Nadir** ( ahmed ) , op-cit , p 175





بتاريخ 19 نوفمبر 1954 و بعد أن وصف الأحداث بالأعمال الكبيرة و تحدث عما أسماهم بالذين رفعوا لواء الثورة رد توفيق المدني على تصريحات مسؤول فرنسي مختص في علم الاجتماع كتب في جريدة العالم le monde أن جمعية العلماء هي المسؤولة عن هذه الحوادث رد عليه و خلص إلى أن الأسباب التي تقف ورائها هي الأستياء الشعبي العام في السياسة الفرنسية [800]

سنة 1955 و رغم أن الموقف الرسمي لجمعية العلماء لم يحسم بعد إلا أن هناك مئات من المناضلين المنضوين تحت غطاء جمعية العلماء انظموا إلى جبهة و جيش التحرير الوطني و من جملة الذين انخرطو في جيش و جبهة التحرير الوطني نهاية 1955 الأستاذ إبراهيم مزهودي الذي كان يرأس خلية قسنطينة، و الذي بدوره جند : محمد الصالح يحياوي، عبد الرحمان بوساعة، هجريس الهاشمي ، تاركت عبد المجيد، عمار بن جامع، بوداود علي... كما أن أساتذة آخرين كانوا يجمعون المال لجيش و جبهة التحرير الوطني أمثال مصطفى بوغابة، محمد الميلي، محمود حمروش، . و نتيجة لانضمام أعضاء جمعية العلماء في جبهة و جيش التحرير قامت اليد الحمراء الفرنسية باغتيال الشيخ العربي التبسي سنة 1956 و أعدمته في ظروف غامضة. [801] و مما يؤكد هذا ما جاء في حديث العربي التبسي مع جريدة لوموند و رده على سؤال الجريدة : متى انظممتم إلى هذا الموقف الوطني المتشدد ؟ و أجابها إلى أنه كفرد : فقد كان هذا موقفي دائما أما كجمعية فقد أعلنا عليه منذ يناير 1956 و قد اعتقل الإستعمار الفرنسي رئيسها الشيخ العربي التبسي بعد إصدار هذا البلاغ ثم اغتالته[802] و أمام هذا الزحف من الجمعية إلى الجبهة تمت قناعتها بالثورة التحريرية [803] و أصدرت في

---

800 خليفي (عبد القادر)، المرجع السابق، ص 187

801 بوحوش (عمار)، المرجع السابق، ص 278

802 مولود بن قاسم (قاسم)، المرجع السابق، ص 76







جمعيتها العامة المنعقدة يوم 7 جانفي 1956 البيان التالي : إعلان الحرب على الإستعمار و الإعتراف الرسمي بأن جبهة التحرير الوطني هي الممثل الحقيقي للشعب الجزائري [804] و يقول العربي التبسي في هذا الإجتماع كلمة علنية صريحة يرجوا أن يسمعها المسؤولون في باريس و أن يسمعها العالم أجمع و هي أنه لا يمكن حل القضية الجزائرية بصفة سلمية و سريعة إلا بالإعتراف العلني الصريح بكيان الأمة الجزائرية الحر و جنسيتها الخاصة و حكومتها القومية و مجلسها التشريعي المطلق التصرف. و يؤكد أنه لا يمكن وضع حد لحالة الحرب الحاضرة و الإقدام على بناء نظام حر جديد إلا بواسطة التفاهم الصريح مع سائر الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري من رجال الحل و العقد الذين أظهرهم الكفاح الجزائري [805] ثم قررت بعد ذلك توقيف جريدة البصائر في 6 /4 /1956 بعد أن صدر منها 366 عدد. [806]

## ثورة 1954 المسلحة تستكمل ما بدأه رجال الإصلاح قبل أكثر من عشرون سنة

لقد تحولت الفكرة الإصلاحية التي عرفتها الجزائر إلى حركة فعالة متفاعلة مع أحداث الحياة اليومية للشعب الجزائري الذي أعادت وبعثت فيه الروح الإسلامية الوطنية و القومية وهيأته نفسيا و

---

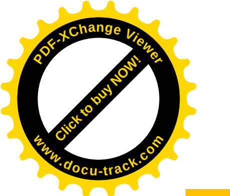
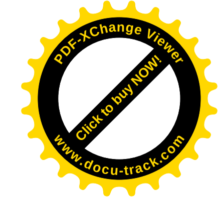
[803] يرجع أحمد نذير تأخر التحاق جمعية العلماء بجبهة التحرير الوطني إلى سوء التواصل الذي ميز علاقتهما إذ لم يكن الطرفين على اتصال رسمي و يشير في هذا الصدد إلى أن طالبا جامعيا فرنسيا اسمه روبرت آرون هو الذي كان يضمن الصلة و التواصل بين العلماء و الأفلان و هو من أفشل لقاء بعض جنود الأفلان مع وسائط للعلماء ينظر :

**Nadir** ( ahmed ) , op-cit , p 175

[804] **sari** (Djilali), op-cit , p 251

[805] عن الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي تراسه العربي التبسي و كان احمد توفيق المدني كاتبا له . ينظر: البصائر، ع 349، 13 يناير 1956 السنة الثامنة من السلسلة الثانية

[806] ناصر (محمد)، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954 ، المرجع السابق، ص 347





روحيا ليخوض المعركة الصارمة في حياته ضد المستعمر الفرنسي الغاشم و مكنت الشعب الجزائري من تحقيق استمرار وجود كيانه العربي المسلم رغم ما وضعه الإستعمار من عراقيل ، و لا نبالغ إن قلنا أن جمعية العلماء مثلت طليعة المتصدين لهذا الاستعمار [807] و كانت صاحبة الفضل الكبير في الإعداد الروحي للثورة عبر مسيرة زمنية قاربت الربع قرن فقد هيأت جيلا كاملا من الوطنيين و الوطنيات المتشبعين بمقومات الهوية الوطنية المتعطشين لرؤية الشعب الجزائري يتمتع بحريته و يعمل في دائرة العروبة و الإسلام، و قد كان أحمد توفيق المدني من كبار الذين هيؤو للثورة بأقلامهم الصحفية و خطبهم و مؤلفاتهم و من الذين أدركو حقيقة المستعمر و نلمس من خلال مقالاته بالبصائر في نهاية الأربعينات قناعته بأن نهاية الإستعمار قد قربت [808] و أشار إلى ذلك أكثر من مرة و لذلك لا غرابة أن يقول المدنيفي مذكراته [809] : إنني و إن كنت هيأت للثورة منذ أمد بعيد لم أكن قائدا من قادتها و لا بطلا من أبطالها بل كنت خادما لها مطيعا لأوامرها و ينبغي أن نشير هنا إلى أن الثورة في الجزائر ثورتين ثورة نوفمبر التحريرية المجيد و قبلها الثورة الثقافية التي قادتها جمعية العلماء لأن الثورة تعني في جوهرها الحياة الجديدة و ذلك لما تثيره من آمال و تطلعات من جهة و ما تخلقه من ظروف و مواقف من جهة أخرى، و المواقف ما هي إلا تجسيد للصراع و التحدي، و الثورة الثقافية سبيل من سبل استعادة السيادة الوطنية و الإستقلال السياسي [810] و ما ثورة نوفمبر إلا نتيجة لحركة ابن

---

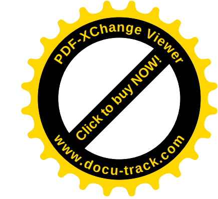
[807] يأكد هذه الفكرة فاتين و يعتبر أن جمعية العلماء هي من جذور الثورة التحريرية الجزائرية

**Vatin** (Jean Claude), L'Algérie politique, histoire et société; éditions El Maarifa, Alger, 2010, p 195

[808] البصائر، ع 4 ، 29 أوت 1947 ، ص 4 أو ينظر: البصائر، ع 79 ، 9 ماي 1949 ، ص 5

[809] المدني (أحمد توفيق)، حياة كفاح، ج 3 ، المصدر السابق، ص 13

[810] دودو (أبو العيد)، المرجع السابق، ص 41




باديس[811] و أتباعه. و معظم الوعي السياسي للشعب الجزائري كان النتيجة الطبيعية للعمل الذي قامت به جمعية العلماء في الجزائر.[812]

وضعت جمعية العلماء الأسس التي يقوم عليها الاستقلال و هو إحياء و بعث الشعب الجزائري في إطاره العربي الإسلامي و هي المرحلة و الخطوة الأصعب و الأهم لأن هذا الاستقلال قد يأتي فارغا من محتواه في حالة بقاء أنظمة و لغة المستعمر و لأن الشعوب لا تتطور و لا تنمو خارج مقوماتها الحضارية من إحساس بالماضي و أمل في المستقبل و انتماء إلى معتقد و ثقافة، فالجمعية العلماء لم تر في الوطنية عملا سياسيا أو برنامجا حزبيا و إنما الوطنية عندها هي رسالة حضارية و عطاء فكري و تطور أصيل يوصل قيم السلف الصالح للجيل الحاضر، فمن السهل إقامة دول و من الصعب إحياء أمم و هذا هو ما قام به رجال الإصلاح[813] و بالتالي فإن الحكم على حركة الشيخ عبد الحميد بن باديس التربوية و الإصلاحية السلفية على أنها هي الأب الشرعي للثورة الجزائرية التي قامت في عام 1954م و حققت الحرية و الاستقلال في عام 1962م في نطاق حضارتها الاسلامية العربية حكم صائب.[814] و إن كانت الجمعية لم تنل حقها الشرعي من التمجيد فإن ذلك يرجع أساسا إلى طبيعة عمل الجمعية التربوي التثقيفي فالوعظ و الخطابة التي مارسها العلماء أقل استعراضية من العمل السياسي البحت الذي مارسته الأحزاب الوطنية الأخرى.[815]

---

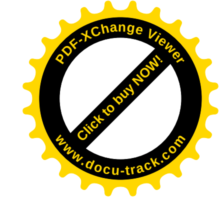
811 اعتبر فاتين أن كل من ابن باديس و المدني هم آباء الثورة الجزائرية بفضل ما قدموه من تحضير معنوي للثورة الجزائرية ينظر :
**Vatin** (Jean Claude), op-cit , p 195

812 البصائر، ع9 ، 17 – 24 جويلية 2000 ، ص 1

813 سعيدوني (ناصر الدين)، المرجع السابق، ص 226

814 عمامرة (تركي رابح) ، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، ط 5، المؤسسة الوطنية للاتصال ،النشر و الاشهار الجزائر، 2001، ص404.

815 اجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، المرجع السابق، ص 946

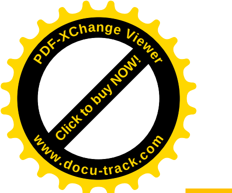
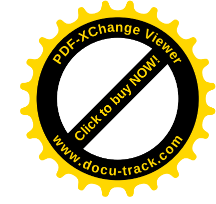



إن إيمان رجال الإصلاح بالجهاد وسيلة لتحرير الوطن من الإستعمار هو من إيمانهم بربهم الذي أنزل في كتابه " كتب عليكم القتال" و أنزل " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا" و من اقتناعهم بأن الفرنسيين لا يخضعون إلا للقوة ، حيث كتب الابراهيمي يخاطب الشعب الجزائري و يغرس في قلبه هذه الحقيقة " إن القوم – الفرنسيين– لا يدينون إلا بالقوة فاطلبها بأسبابها و أنها من أبوابها و أقوى أسبابها العلم و أوسع أبوابها العمل "[816] و لم تكن دعوة الإبراهيمي ضد الاستعمار نابعة عن أفكار من صنعه بل أن مبادئ الإسلام و أصول الدين تفرض عداوة الظالم و توجب مقاومته بجميع أنواع القوى و تحرم موالاته لأنها خروج عن الدين[817]

إن هذه المرجعية الدينية لم تكن جديدة على الجزائريين فلطالما كان الإسلام هو الغذاء الروحي لكل مقاومة جزائرية و محركها في كل أطوارنا التاريخية . و نتفق مع الدكتور مجاود محمد الذي أكد أن الفكر السياسي و الإجتماعي للحركة الوطنية تغذى من الثقافة الإسلامية التي بثتها جمعية العلماء و جعل منها مصدرا قاعديا لأيديلوجيتها ، أما أثناء الثورة الجزائرية فقد مثل نهج جمعية العلماء النموذج المثالي الذي اقتدت به جبهة التحرير لأن الإسلام الذي بثته جمعية العلماء يحمل في طياته ثقافة ثورية تدعوا إلى الإنعتاق من قيود الإستغلال و الظلم. و الإسلام يبرر الثورة و يشرعها في حالة الإستعمار، و يمكن أن نلاحظ في هذا الصدد أن جبهة التحرير الوطني استفادت من الإسلام لتجميع سلطاتها المعنوية على الجزائريين باعتباره يشكل أساسا للتعاقد و التضامن مع كل الجزائريين لمواجهة الامبريالية. و استخدمت الخطاب الديني و هو ما ينم عن معرفة و إدراك للتركيبة الإجتماعية للشعب الجزائري و نستشف استلهام جبهة التحرير الوطني من الثقافة الإسلامية أنها

[816] الإبراهيمي ( أحمد طالب)، المصدر السابق، ج 5 ، ص 17

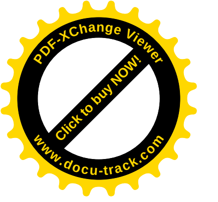
[817] نفسه ، ج 5 ، ص 26

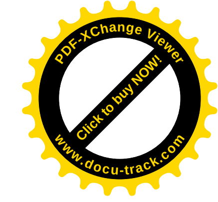






تسمي المحارب مجاهدا و الميت في سبيل الوطن الجزائري شهيدا و أن مناضليها يكبرون في بداية المعارك و أثنائها في دلالات واضحة تبين مدى التأثر بالجانب الديني الذي غرسته الحركة الإصلاحية على مدى ربع قرن مضى ، و لا شك أن إدماج القيم الإسلامية في الكفاح السياسي و الحركة الثورية يعكس وزن الإسلام ومكانته في المجتمع الجزائري و يفسر سر توسع القاعدة الشعبية للثورة في وقت قصير جدا[818]

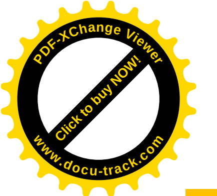
[818]**Medjaoued** ( mohamed), op – cit , pp 51 – 53

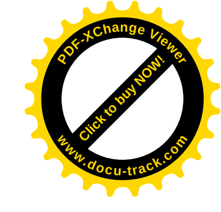



# خاتمة

- جمعية العلماء تنجح في صراعها و تفشل المشروع الاستعماري المسيحي
- الفعل الثقافي اقوى جبهات الصراع ضد الاستعمار الفرنسي
- الاستقلال الثقافي استقلال سياسي بطريقة مهذبة و غير صاخبة
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحرر التاريخ ( هوية ، دين و لغة ) و تحيل الجغرافيا للثورة المسلحة





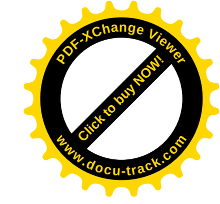



بعد أن تقصى هذا البحث و استعرض صراع رجال الإصلاح مع الإدارة الاستعمارية ها هو يرسو على جملة من النتائج و الإستنتاجات و الملاحظات يجملها في ثلاثة محاور أساسية ، أولى هذه المحاور يتعلق بالإدارة الإستعمارية و ثانيها يتعلق برجال الإصلاح ،أما المحور الثالث فيتعلق بالصراع بينهما . و يأتي تفصيل هذه المحاور في النقاط التالية :

**المحور الأول: الإدارة الاستعمارية**

**إن تأسيس الإستعمار لمنظومته الثقافية يعتبر اعتداءا بشكل أو بآخر على النظم الثقافية الأصيلة**، و كل نظمه تهدف إلى الفرنسة التدريجية لمختلف مناحي الحياة الجزائرية. و لانعني بالفرنسة فقط استخدام اللغة الفرنسية على نطاق واسع ، بل نعني به ا إحلال الثقافة الفرنسية محل الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر حتى ينسى الجزائريون بمرور الزمن لغتهم العربية و ثقافتهم القومية و يستبدلونها بلغة و ثقافة المستعمر، و بذلك تصبغ كل البلاد بالصبغة الفرنسية في طريقة الحياة و لغة التخاطب و العلوم و أبسط الجزئيات المتعلقة بالحياة، أو بعبارة أخرى امتداد حضاري و جغرافي لأرض فرنسا. و لا شك أن عملية المثاقفة القصرية المفروضة من الإستعمار أنتجت بعض الظواهر الغريبة عن المجتمع الجزائري، و ساهمت في ميلاد جيل يظهر على بعض أفراده صفاة الإستلاب الثقافي و فقدان الإنتماء أو التشكيك فيه و غيرها من معيقات النمو الطبيعي و التطور السوي للمجتمعات في المسائل المتعلقة بالهوية الثقافية. و هذا يقودنا إلى ملاحظة و استنتاج فكرة هامة و هي أن **الإستعمار في مقابل اعتزازه بخصوصية تجربته التاريخية ألغى خصوصية الآخر و نفى فاعلية الشعوب الخارجة عن حقله الأيديولوجي** و هو بذلك يثبت سوء تقديره و عجزه عن فهم الآخر و إدراك وجوده.



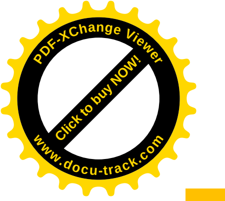
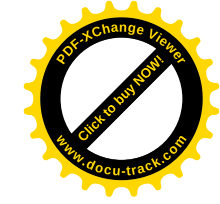

## خاتمة

لقد كانت الإدارة الإستعمارية إدارة واعية و منهجية و خبيرة في القمع المنظم. و لهذا نجدها حينما بدأت في تفكيك بنى المجتمع الجزائري و تفتيته قدمت البديل و لم تترك فراغا يمكن أن تستغله أطراف أخرى، فعملت على إعادة بناء و خلق جزئي و جنيني لقوى اجتماعية جديدة. و وفق هذه النظرة سيقع التركيز على إحداث شقوق داخل القوى المكونة للمجتمع الجزائري، و هي الإسلام بالدرجة الأولى ثم اللغة العربية، فقامت بدعم الطرق الصوفية الضالة و المبتدعة حتى تدمر التعاليم الصحيحة للإسلام، و قامت بدعم تعليم الفرنسية و اللغة الدارجة على حساب اللغة العربية الفصحى ، أما في الشأن العام للجزائر سياسيا و اجتماعيا فقد أوجدت الإدارة الإستعمارية ترسانة قانونية قمعية و إجراءات جعلت من وجود حركة وطنية انفصالية قائمة على المعارضة السياسية أمرا شبه مستحيل .

لقد **كان الإعتماد الذي منحته الإدارة الإستعمارية لجمعية العلماء المسلمين من أكبر الأخطاء التاريخية التي ارتكبتها فرنسا الإستعمارية** في مستعمرة كانت تعتبرها جزءا من الأرض الفرنسية، لأن هذه الجمعية عرقلت السياسة العامة للإدارة الإستعمارية في الجزائر ، و أفشلت المشروع الإستعماري المسيحي و قاومت ترسانة قانونية كانت أكبر من الجيوش الفرنسية قمعا

### المحور الثاني : رجال الإصلاح

إن جمعية العلماء –كممثل لتكتل مصلحي الجزائر – لم تبدأ صراعها مع الإدارة الإستعمارية من لا شيئ، بل كان ورائها تراث عظيم قاده أفراد من رجال الإصلاح و نهضة وطنية و مشرقية تداخلت كلها لتعطي القوة اللازمة و الدافع لتواصل جمعية العلماء عملها بنفس النفس، و يعود فضل وأصل هذه الحركة الإصلاحية إلى ابن باديس الذي تصورها أولا و استشرف ضرورتها و صاغ مشروعها.

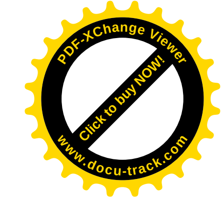



لم يكن فكر رجالات الإصلاح مجرد اشتغال على أبجديات الوعظ الديني المباشر لأنهم لم يكونوا رجال دين بالمفهوم التقليدي المتعارف عليه، بل إن فلسفتهم الحضارية كانت بمثابة استلهام لكل ما هو جزائري عربي إسلامي أصيل، فقد تشبعوا بهذه الثقافة التي ترسم لهم الأطر العامة لانتماء هذا الشعب، و راحو يناقشون واقعه انطلاقا مما هو كائن بغية الوصول إلى ما يجب أن يكون،و استثمروا بجد في فكرة الوحدة و جعلوها إحدى الدعامات الأساسية في مشروعهم ضد المحتل الذي ينادي للتفرقة .

كان رجال الإصلاح على دراية كبيرة بالواقع الجزائري اجتماعيا و ثقافيا و سياسيا، و كانوا مقتنعين بأن العمل الناجح الناجع يجب أن يبدأ ببناء مجتمع له من الوعي ما يجعله قادرا على مواجهة هذا الواقع، و كانوا يدركون من البداية أن مواجهة الإستعمار الفرنسي لا تكون بالإصطدام بالإستعمار بجموع مازالت تعتقد أن المجنون ولي الله و أن الأمي المشعوذ عالم، و لهذا فعودة الجزائر إلى لغتها العربية يعني في الوقت ذاته استرجاعها لشخصيتها القومية التي مسخها المحتل الأجنبي و عمل على طمس مقوماتها و إفرغها من محتواها و مضامينها منذ وقت مبكر . و لهذا نجد الدعاية الإصلاحية قد عملت لصالح تنظيم تعليم وطني و دعم الإهتمام بالدراسات العربية بين الجماهير الإسلامية . و قد اجتهد الإصلاحيون على الإبانة على أن اللغة العربية هي مفتاح الدراسات القرآنية و من ثم كل ثقافة إسلامية ذات قيمة، و إلى هذه الحجة الدينية أضافوا الحجة السياسية. فإزاء تهديدات الفرنسة و الجهود الرامية إلى تصفية الإسلام désislamisation ليس هناك من سبيل لتحاشي ذلك إلا بتنمية الثقافة العربية بشكل مكثف.

**سيطرة الإدارة الإستعمارية على الشأن الديني انتهت منذ تأسيس جمعية العلماء**

على الرغم من أن الوعظ و الخطابة التي مارسها العلماء أقل استعراضية من العمل السياسي البحت الذي مارسته الأحزاب الوطنية إلا أنها استطاعت بهذا الوعظ البسيط تشكيل رأي عام وطني



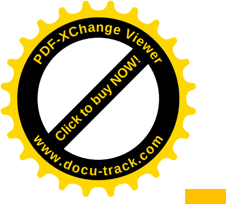
و ديني في الوقت نفسه ،و ذلك بحكم قوة وسائل التيار الاصلاحي و قرب انشغالاته من انشغالات العامة .

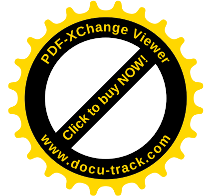
اتسمت بداية الجمعية بالعزوف الحذر عن السياسة apolitisme الذي وسم النشاط الإصلاحي، و كان هذا العزوف مدعوما بتصريحات متواترة تعبر عن الولاء للإدراة و التعلق الوثيق " بفرنسا العدالة و الأخوة و المساواة "، و لما دخلت في السياسة قامت بذلك وفق عمل مرحلي منظم مخطط و مدروس بعيدا عن الطفرة أو الإرتجال أو الإستعجال

**لقد كانت المدرسة الشعبية الحرة بقيادة رجال الإصلاح بمثابة الإعلان عن ثورة ثقافية شعبية منظمة و ماهلة لضرب الوجود الفرنسي و كانت بمثابة مركز الإنبعاث الحقيقي للشعب الجزائري و بعث الحياة و النشاط في مختلف مكوناته .**

**استطاع رجال الإصلاح أن يقودوا الجزائريين إلى نوع جديد من المقاومة ( و لا نعني هنا أن المقاومة انتهت أو تعثرت بل غيرت من منهجها فقط ) فمن منهج استعمال القوة العسكرية في المقاومة اتجه الجزائريون إلى المقاومة الدفاعية الممثلة في التمسك بالثقافية العربية الإسلامية، و هي مقاومة شاملة يشارك فيها جميع الجزائريين أطفالا ، شبابا ، شيوخا ، رجالا و نساء أيضا،** لأن هذا النوع من المقاومة لا يكلف جهدا بدنيا كسابقه فيكفي أن يبقى الجزائري متمسكا بثقافته العربية الإسلامية ليعتبر مقاوما ، و حتى إن كان الجزائري فردا لا يعلم أنه مشارك في المقاومة و جزء من الأمة فهو فاعل و بقوة في هته المقاومة و إن كان ذلك دون شعوره

ما نختم بهملاحظاتنا و استنتاجاتنا عن التيار الإصلاحي هو **تأكيد استحالة فصل مواقف جمعية العلماء وآرائها و تصريحات رجالها و كتاباتهم عن الظروف الزمانية و الملابسات و المعطيات الظرفية التي صدرت فيها،** و التي تعطيها القراءة السليمة و التفسير الصحيح، بحكم أن هذه المواقف و التصريحات لم تكن مطلقة صالحة لأي زمان و مكان و مناسبة، بل كانت مقيدة و محكومة بظروفها التي صدرت فيها .







**المحور الثالث : صراع رجال الإصلاح مع الإدارة الإستعمارية**

اتبع رجال الإصلاح استراتيجية متوازنة اتسمت بالحذر الشديد تجاه الإدارة الإستعمارية، فقاموا أولا بوضع قاعدة عمل، و ذلك بالتقرب من الإدارة الفرنسية بطلب الموافقة على تأسيس جمعية دينية يكون لها الحق في ممارسة العمل التوعوي التربوي في إطار القوانين الفرنسية، من خلال قانون أساسي يتضمن نصا يثبت عدم الدخول في الشؤون السياسية التي تمنعها الإدارة الإستعمارية ، و تمكنوا بذلك من إقناع الفرنسيين و حصلوا على موافقة الإدارة على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و الملاحظ في مسألة تأسيس جمعية العلماء هو أن **الإدارة الإستعمارية تعاملت مع هذا التأسيس تعاملا باردا و ضعيفا لم تقرأ له حساباته المستقبلية المطلوبة،** و نظرت إلى الجمعية نظرة تحكمها رؤيتها لما سبقها من جمعيات تأسست. و كل هذا يعود إلى الطريقة التي صيغ بها القانون الأساسي ، حيث تم إحكامه جيدا و ضبطه ضبطا دقيقا لم يبق ثغرات و فجوات لا مبدئية و لا قانونية من شأنها أن تثير أي شبهة – خصوصا الشبهة السياسية الظاهرية منها – حول صبغتها وطبيعة أهدافها التي حصرت ظاهريا في الهدف التهذيبي التربوي الأخلاقي و الذي حدد في محاربة الآفات الإجتماعية كالخمر و الميسر و البطالة و الجهل و كل ما يحرمه صريح الشرع و ينكره العقل و تحجره القوانين الجاري العمل بها . و أنها تتذرع للوصول إلى غايتها بكل ما تراه صالحا نافعا لها غير مخالف للقوانين المعمول بها مع التأكيد على التقيد بعدم ممارسة العمل السياسي، حيث أنه لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض أو تتدخل في المسائل السياسية كهيئة و كمؤسسة ، لكن كأفراد فهذا لم يشر إليه القانون ، ليترك رجال الإصلاح الباب أمامهم مفتوحا و واسعا.



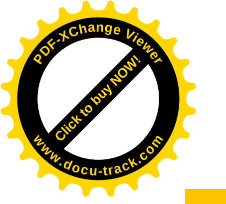


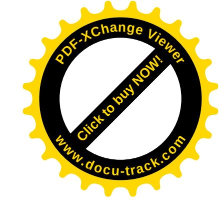


## خاتمة

إن ما ترتب من الوجهة السياسية عن رد فعل الإدارة ضد الدعاية الإصلاحية خاصة في بدايتها كان مناقضا تماما لما كان يأمله الإستراتيجيون الفرنسيون القيمون على السياسة الأهلية، ذلك أن العقبات المتنوعة الموضوعة للحد من الحريات الدينية للمسلمين و التعليم العربي الحر و الصحافة ذات اللسان العربي بدلا من أن تثبط المصلحين و تضعف حماسهم عملت على تقوية صيت الحركة الإصلاحية، كما ساهمت في الوقت عينه في التعجيل بتطورها في الإتجاه السياسي، لأن قرارات القمع و المنع هذه سياسية و الإحتجاج على هذه القرارات يكون بدوره عملا سياسيا، و هذا ما شجع المصلحين على إعلان رغبتهم في سحب الشأن الديني الإسلامي من الدولة بكل الطرق القانونية الممكنة و حتى سد عجز الإدارة في مجال تعليم اللغة العربية من خلال تنظيم تعليم عربي حر ذي طابع وطني . و بصنيعهم هذا ذهب الإصلاحيون إلى أبعد ما ذهب إليه السياسيون المسلمون . فلم يكتفوا فقط بمحاصرة الإدارة بالمطالب التي ظلت في الغالب أفلاطونية ( مثالية لا تطبق ) بل كانوا يجتهدون في القيام بأي شيئ كتحسين الوضع المادي للجزائريين و ترقية معنوياته و تحبيبه في جزائريته . و كانوا يبذلون قصارى جهودهم لتلقين بنو جلدتهم الحد الأدنى من المفاهيم العربية الإسلامية التي من شأنها أن تزودهم بالإحساس بالإنتماء إلى جماعة قائمة بذاتها ، جماعة لها وطن، دين و لغة .

ظهر الإصلاحيون خلال العقد الأول من تأسيس جمعيتهم كمدافعين متشددين عن كيان الشخصية الإسلامية الجزائرية و كمنظرين نشطين لما كان يدعى بالوطنية الإسلامية nationalisme musulaman . و قد وجدوا في مفهوم الهوية بمختلف مقوماتها البعد النضالي القادر على التحسيس بواقع الإستعمار و لذلك ستعتمد الهوية كأرضية لبلورة شعاراتها الأساسية في حقل الدفاع عن الدين و اللغة و كل ما يرمز إلى الشخصية الجزائرية في بعديها الإسلامي و العربي، و استطاعت بذلك محاربة حالات استلاب و ارتماء الجزائريين في أحضان الجهاز الثقافي الاستعماري و حتى الجهاز الثقافي المحلي الفاسد ( الكهنوت الإسلامي الرسمي و الطرقية ).





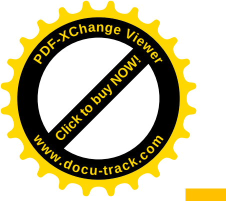
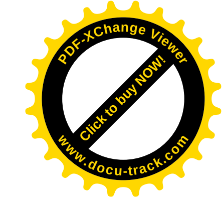
## خاتمة

**رغم النجاحات المحلية التي سجلها الإصلاحيون لدى الإدارة فإنهم لم يوفقوا في فرض أنفسهم على القادة الفرنسيين بوصفهم التراجمة المؤهلين أكثر للرأي الإسلامي،** بل على العكس من ذلك فإن النشاط الخفي للمرابطين بمعية عناصر انتهازية قد أفضى إلى زوال حظوة الإصلاحيين و حشرهم نهائيا في صفوف المعارضة منذ السنين الأولى لتأسيس الجمعية.

لقد أدرك الإنسان الجزائري بفضل العلماء تميزه عن الأوربي أو الرومي الغازي إما بطريقة ذاتية أو من خلال تصرفات ذلك الرومي الإستعلائية و العنصرية التي كانت تشعر الجزائري بغربته،و قد كانت الإيحاءات الثقافية و السياسية التي توحي بها الحركة الإصلاحية من خلال (المسجد، المدرسة ، الصحافة ، بلورة الفكر و المطالب السياسية ) كانت تبعث على الحماس في العنصر المسلم و على الخوف المتفاوت الدرجة في نفس العنصر الأوربي بما فيه الإدارة الإستعمارية ، خاصة و أن المصلحين استطاعوا تشييد و بعث مصطلحات و مفاهيم جديدة لم يتعود عليها "الأهلي" مثل وطن جزائري، جنسية.

**كانت هناك عدة عقبات في وجه التواصل بين الإدارة و رجال الإصلاح** فقد كان المصلحون مرهوبون الجانب غير معروفين لدى الإدارة ، لقد كانوا يضعون العمائم و يتعاملون بشكل حميمي مع الأهالي أكثر و لم يكن الفرنسيون يجدون الفرص الكثيرة للإحتكاك بهم أو التعرف عليهم أحسن بدل الركون إلى رميهم بالتعصب و معادات الأجانب، و هي الصورة التي تكونت عنهم رسميا ، يضاف إلى ذلك الغياب شبه الكلي للعلاقات الإنسانية بين الفرنسيين و الإصلاحيين و العقبة اللغوية التي جعلت الإتصال بين هؤلاء و أولئك صعبا للغاية ، فأداة الدعاية و التعليم الإصلاحيين كانت أساسا اللغة العربية و قتئذ عكس السياسيين المفرنسين في الغالب .

لقد استطاع رجال الإصلاح أن يهدموا ما بنته الإدارة الإستعمارية خلال أكثر من مئة سنة، لقد بعثوا الجزائر من جديد و أثبتوا بالدليل القاطع أن **الجزائر هي تظافر لامتزاج عنصري الجغرافيا و التاريخ ببنيته الإجتماعية و الثقافية و الإثنية المتماثلة و التي ترمز إليها طريقة**

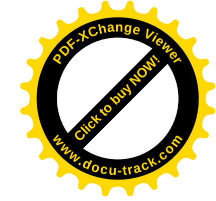





**عيش الناس و كسوتهم و لغتهم و دينهم و أنماط تفكيرهم و ذاكرتهم الجماعية، و ذلك بالرغم من مظاهر التنوع التي تخصب مكونات هذه البنية أكثر مما تفعل في تباينها و تنافرها** . و هي بكل هذا جزء من كل إفريقي و متوسطي . و قد يصعب كثيرا – إن لم يكن مستحيلا – الإقتصار على المعاني الجغرافية لمفهوم الجزائر و الوقوف عند التحديدات و النعوت التي أعطيت له سواء بالتأليف التاريخي العربي الإسلامي أو بالإسطوغرافيا الأجنبية، و ذلك لتقديرنا أن الجزائر – و كما أثبت رجال الإصلاح – ليست فضاءا جغرافيا و حسب بل علاوة على كونها كذلك هي أيضا سيرورة تاريخية تضافرت في تكوينها ديناميات الإنتماء إلى الدين و التاريخ المشترك و التطور ضمن مجتمع تحكمه مقومات الوحدة و التماثل أكثر من مظاهر الفرقة و التباين، لذا فالأخذ بالمعنى الديناميي لمفهوم الجزائر و ليس بتجلياته الجغرافية فقط لا يخلو من صعوبات موضوعية قد ترتبط بمدى تطابق فكرة الجزائر مع واقعها الجغرافي.

إن **ما يمكن ملاحظته على الصراع الإصلاحي الإستعماري هو الإمتداد الزمني الكبير** ، فقد استغرق أكثر من ربع قرن و هي أكبر فترات المقاومة منذ بدأ الإحتلال الفرنسي للجزائر، ربع قرن من الصراع و ترسانة القوانين و القرارات المجحفة في حق الجمعية كان دليلا واضحا على نفوذ و قوة جمعية العلماء و أنها منافس للسلطة الإستعمارية في الجزائر.

**خاض رجال الإصلاح خلال ربع قرن ثورة ثقافية ليست أقل من ثورة نوفمبر 1954 حققوا من خلالها استقلالا ثقافيا** لم يكن الجزائريون ليحلموا به في فترات سابقة من الإحتلال ، و حين نتكلم عن الإستقلال في هذا المقام فنحن نقصد جزءا من الإستقلال الشامل لأن مصطلح الإستقلال أسيئ فهمه و تم اقتصاره على جوانب محددة فقط . و في هذا المقام نشير إلى أن قيمة الإستقلال العظيمة التي حققها الجزائريون سنة 1962 و بالنظر إلى وقعها الضخم جدا ساهمت(= هذه القيمة) في إيجاد منعكس شرطي و آلي مفاده أن الإستقلال هو التحرر السياسي العسكري، و لا نحصر وجود هذا المنعكس عند عامة الجزائريين بل نجده كذلك عند نفر كثير من المثقفين،

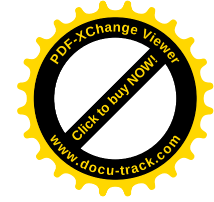





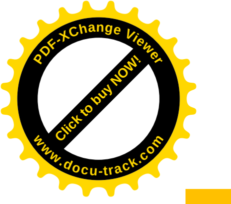
فنجدهم ينكرون أهمية النظال و الصراع الثقافي الذي خاضه رجال الإصلاح ضد الإدارة الاستعمارية و نحن لا ندري من أين جاء ألئك الذين حاربو ا الإستعمار أثناء الثورة و لا منطلقاتهم و لا أيديلوجيتهم لولا يقينهم بأنهم يختلفون عن فرنسا في الدين و اللغة و العادات و التقاليد و التاريخ . نحن نعتقد أن هذا الإحساس بالإختلاف عن الفرنسيين و التأكد من عروبة و إسلامية الجزائر الذي يؤمن به الجزائريون الذين شاركوا في ثورة التحرير المباركة منبعه رجال الإصلاح و نجاحهم في صراعهم مع الإدارة الاستعمارية طوال عقود من الزمن .

إن قراءة – سطحية كانت أو عميقة – لتاريخ المقاومة الجزائرية خلال القرنين التاسع عشر و العشرين بما فيه ذلك صراع رجال الإصلاح مع الإدارة الإستعمارية يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن **الإسلام هو المنبع الوحيد الذي أمد الشعب الجزائري في أحلك الظروف بالطاقات الروحية التي حفظته دوما من الضياع و من الإستسلام**. بل أنهذه القراءة تؤكد كذلك استحالة تصور أو فهم أي فكرة تاريخية أو سياسية أو اجتماعية أو ثقافية في غيابه .


PDF-XChange Viewer
Click to buy NOW!
www.docu-track.com


PDF-XChange Viewer
Click to buy NOW!
www.docu-track.com

# الملاحق




## قائمة الملاحق

### الملحق الأول: القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

فيما يلي القانون الأساسي لجَمْعِيَةِ العُلَمَاءِ المسْلِمِينَ الجَزَائِرِيِّينَ الذي تمت صياغته من طرف الشّيخ "محمّد البشير الإبراهيميّ" في خمسة (05) أقسام تتضمن ثلاثة وعشرون (23) فصل، أقرتّه الجمعيّة العامة بالإجماع بعد التأسيس في 05 ماي عام 1931 م، ليقدم للحكومة الفرنسية التي صادقت ووافقت عليه بعد خمسة عشر يوم فقط من تقديمه.

وقد قامت المطبعة الجزائرية الإسلامية بطبعته وكان ثمن النسخة 2 فرنك.

### القسم الأول: الجمعية

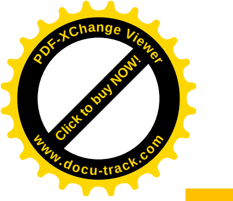
**الفصل الأول –** تأسست في عاصمة الجزائر جمعية إرشادية تهذيبية تحت اسم ((جَمْعِيَةِ العُلَمَاءِ المسْلِمِينَ الجَزَائِرِيِّينَ)) مركزها الإجتماعي بنادي الترقي الكائن ببطحاء الحكومة عدد 9 بمدينة الجزائر.

**الفصل الثاني –** هذه الجمعية مؤسسة حسب نظام وقواعد الجمعيات المبينة بالقانون الفرنسوي المؤرخ بغرة جويلية سنة 1901 .

**الفصل الثالث –** لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض أو تتداخل في المسائل السياسية.

### القسم الثاني: غاية الجمعية

**الفصل الرابع –** القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والجهل وكل ما يحرمه صريح الشرع وينكره العقل وتحجره القوانين الجاري بها العمل .








**الفصل الخامس –** تتذرع الجمعية للوصول إلى غايتها بكل ما تراه صالحا نافعا له غير مخالف للقوانين المعمول بها ومنها أنها تقوم بجولات في القطر في الأوقات المناسبة.

**الفصل السادس –** للجمعية أن تؤسس شُعبًا في القطر وأن تفتح نوادي ومكاتب حرة للتعليم الابتدائي.

**القسم الثالث: أعضاء الجمعية**

**الفصل السابع –** أعضاء الجمعية على ثلاثة أقسام :

مؤيدون وقيمة اشتراكهم عشرون فرنكا

عاملون وقيمة اشتراكهم عشرة فرنكات

مساعدون وقيمة اشتراكهم خمسة فرنكات.

**الفصل الثامن –** يتألف المجلس الإداري من الأعضاء العاملين فقط

**الفصل التاسع –** الأعضاء العاملون فقط هم الذين ينتخبون كل سنة أعضاء المجلس الإداري المتألف من رئيس ونائب له وكاتب عام ونائب له وأمين مال ونائب له ومراقب وأحد عشر عضوا مستشارا.

**الفصل العاشر –** للجمعية أن تنشئ بمركزها بالجزائر مكتبا يكون على رأسه مدير مكلف بإدارة شؤونها ومصالحها .









**الفصل الحادي عشر –** وللجمعية أيضا أن تحدث مكاتب عمالية في كل من العمالات الثلاث وعلى رأس كل مكتب منها كاتب مكلف بإدارة شؤون الجمعية وهذه المكاتب كلها تكون مرتبطة أتم الارتباط بالمكتب المركزي .

**الفصل الثاني عشر –** الأعضاء العاملون هم الذين يصح أن يطلق عليهم لقب عالم بالقطر الجزائري بدون تفريق بين الذين تعلموا ونالوا الإجازات بالمدارس الرسمية الجزائرية والذين تعلموا بالمعاهد العلمية الإسلامية الأخرى .

**الفصل الثالث عشر –** الأعضاء المؤيدون والأعضاء المساعدون يشملون كل من راق له مشروع الجمعية من غير الطبقة المبينة بالفصل المتقدم وأراد أن يساعدها بماله وأعماله على نشر دعوتها الإصلاحية.

**القسم الرابع: مالية الجمعية**

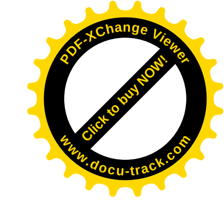
**الفصل الرابع عشر –** مالية الجمعية تتألف من معلوم اشتراكات الأعضاء بكافة أنواعهم المبينة في الفصول المتقدمة.

**الفصل الخامس عشر –** للجمعية أن تلتمس وتقبل من الحكام المحليين إعانات مالية.

**الفصل السادس عشر –** مبلغ الاشتراكات و الإعانات يقبضه أمين المال ويسلم فيه وصلا.

**الفصل السابع عشر –** مال الجمعية يوضع باسمها في إحدى البنوك المحلية ولا يبقي أمين المال منه تحت يده أكثر من خمسمائة فرنك.

**الفصل الثامن عشر –** لا يجوز إخراج شيء من المال بقصد صرفه إلا بأمر كتابي ممضي من الرئيس والكاتب العام وأمين المال . وذلك تنفيذا لما يقرره المجلس الإداري .



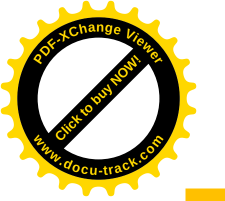
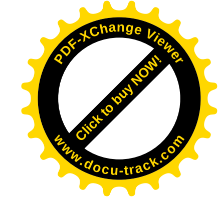

**الفصل التاسع عشر –** يصرف مال الجمعية فيما تقتضيه مصلحتها ويوجبه الوصول الى غايتها المبينة بالفصل الرابع من هذا القانون الأساسي .

**القسم الخامس: الاجتماعات الإدارية والعامة**

**الفصل العشرون –** المجلس الإداري يجتمع في الأوقات التي يراها مناسبة ويجب أن تكون جلساته كلها مسجلة في دفتر محاضر الجلسات وكل قرار يقرره المجلس ولا يكون مسجلا بالدفتر المعد لذلك يعتبر لغوا لا عمل عليه ويجب أن يمضي المحضر رئيس الجلسة وكاتبها .

**الفصل الحادي والعشرون –** ينعقد الاجتماع العام لسائر الأعضاء مرة في السنة وينعقد هذا الاجتماع بمدينة الجزائر اثر استدعاء من الرئيس وزيادة على هذا الاجتماع السنوي يجوز عقد اجتماع آخر في أثناء السنة في الزمان والمكان الذين يعينهما الرئيس وبعد أن يتفاوض أعضاء الجمعية في أثناء الاجتماع العمومي العادي في برنامج الجمعية وتعرض عليهم أعمال الجمعية في السنة السابقة تنعقد جلسة ثانية يحضرها الأعضاء العاملون والمؤيدون والمساعدون ويعلمون بحالة الجمعية الأدبية والمالية ثم يباشر الأعضاء العاملون فقط انتخاب الهيئة الإدارية.

**الفصل الثاني والعشرون –** إذا شجر خلاف بين عضوين أو أكثر من أعضاء الجمعية أو تغيرت سيرة أحد الأعضاء بما تراه الجمعية ماسا بحياتها فلمجلس الإدارة أن يعين لجنة بحث وتحكيم تشمل خمسة من الأعضاء العاملين وخمسة من الأعضاء المؤيدين وهذه اللجنة تعرض نتيجة بحثها وما تراه في القضية على المجلس الإداري وهذا الأخير يطبق العقوبات والأحكام المنصوص عليها في اللائحة الداخلية التي ستوضع للجمعية .



**الفصل الثالث والعشرون –** لا ينظر في طلب متعلق بحل الجمعية إلا إذا كان صادرا من ثلث الأعضاء على الأقل ولا يعمل به ولا ينفذ إلا إذا صادق عليه أربعة أخماس الأعضاء العاملين وإذا انحلت لجمعية – لا قدر الله – يسلم أثاثها ومالها إلى جمعية خيرية إسلامية يعينها المجلس الإداري.

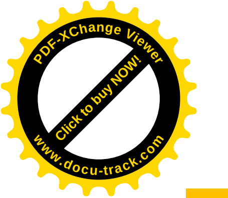
## الملحق الثاني: إحصاء لعدد التلاميذ في التخصصات الجامعية الرئيسية لسنة 1930[819]

EAU N°1

*Statistique des étudiants au 31 juillet 1930*

| CULTÉS | NOMBRE D'ÉTUDIANTS | | | | | | | | | Report du total des étudiants au 31 juillet 1929 |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | Français | | Indigènes | | Étrangers | | Total par faculté | | | |
| | Hommes | Femmes | Hommes | Femmes | Hommes | Femmes | Hommes | Femmes | Total | |
| .......... | 744 | 79 | 30 | 1 | 4 | » | 778 | 80 | 858 | 828 |
| ne Médecine | 266 | 52 | 5 | » | 1 | 3 | 272 | 55 | 549 | 331 } 548 |
| cie Pharmacie | 136 | 75 | 8 | » | 3 | » | 147 | 75 | | 217 |
| s.......... | 199 | 58 | 14 | » | » | 1 | 213 | 59 | 272 | 212 |
| .......... | 145 | 153 | 35 | » | 1 | 1 | 181 | 154 | 335 | 282 |
| Totaux ...... | 1.490 | 417 | 92 | 1 | 9 | 5 | 1.594 | 423 | 2.014 | 1.870 |

[819] J . Carde (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1930, Alger, Ancienne Imprimerie Victor Heintz, 1931 p 273







**الملحق 03:إحتجاج جمعية العلماء المسلمين على تعطيل جريدة السنة النبوية**

## تلغراف الإحتجاج[820]

وقع حجز جريدة السنة بالعاصمة والمجلس الإداري للجمعية منعقد بها، فاتفق المجلس على رفع احتجاج على تعطيلها و كلف الرئيس برفعه بعد اتصاله بقرار التعطيل رسميا ولما اتصل به رفع الاحتجاج ببرقية هذا نصها :

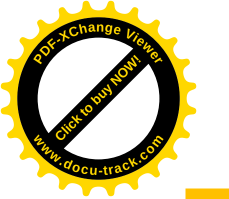
**وزير الداخلية**

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعرب لكم عن استيائها البالغ منتهاه وعن حزنها العميق الذي سببه تعطيل جريدة السنة العربية، وتحتج بكل ما لها من قوة على قراركم المؤرخ ب :22 جوان القاضي بهذا التعطيل الذي ينش أ عنه للجمعية ضرر مادي و أدبي جسيم و إن عجب الجمعية عظيم جدا، ومما يزيد في عظمتهأ نها تجهل أسباب التعطيل لعدم ذكرها في قراركم و أنها تعلن وتصرح أن الجريدة المعطلة لم تنشر إلا ما كتب في مواضيع دينية بحتة وفي مسائل لا تخرج عن دائرة العقائد والعبادات وتغتنم هذه الفرصة لإلفات نظركم إلى الدسائس التي يدسها لها بعض خصومها الذين لا غاية لهم سوى إنشاء شتى العراقيل في سبيل مشروعها التهذيبي الأخلاقي وتشويه سمعة أعضائها الذي يشهد الواقع بنزاهتهم التامة وبراءتهم من كل تهمة .

رئيس الجمعية : عبد الحميد ابن باديس

**الملحق 04 :أجوبةوزيرية عنأسئلةبرلمانيّة[821]**

[820] الشريعة ، ع 1 ، 17 جويلية 1933 ، ص 2 أو ينظر :
طالبي (عمار) ، المصدر السابق، مج 2 ، ج 1 ، ص 469
و قد كلفت الجمعية محاميها المعتمد برفع قضية لدى مجلس الدولة الأعلى ضد قرار التعطيل




## قائمة الملاحق

**نصّ الأسئلة:**

أسئلة برلمانيّة كتابيّة: سأل المسيو موريس فيوليت وزير الدّاخليّة كيف رضي بمُخالفة عامل عمالة الجزائر لقانون فصل الكنائس عن الدّولة بأمره الصّادر يوم 28 فيفري سنة 1933 القاضي بحلّ الجمعيّة الدّينيّة الإسلاميّة بالجزائر والحال أنّ المادة 23 من قانون الفصل لا تعترف بحق حلّ هذه الجمعيّة إلّا للمحاكم الشّرعيّة وكيف أذن لعامل عمالة الجزائر حسب أمر صادر باليوم المذكور بأن ينتزع من الجمعيّة الدّينيّة بالجزائر حقّ التّصرّف في المساجد والحال أنّ المادّة 13 من قانون فصل الكنائس عن الدّولة يقضي بأنّ هذا الإنتزاع لا يكون إلّا بأمر دولي وأخيرا كيف يسوغ لعامل عمالة كائنا من كان أن يُسمّي من تلقاء نفسه وعلى مُقتضى مشيئته جمعيّة دينيّة عوضا عن الجمعيّة التي أعدمها بخرق سياج القانون وإن ساغ له ذلك فهل يسوغ له حتّى فيما يخصّ الدّيانة الكاثوليكيّة؟

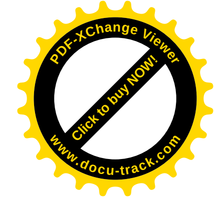
**نصّ الأجوبة**

أوّلا إنّ عامل عمالة الجزائر لم يُبطل الجمعيّة الدّينيّة الإسلاميّة الموجودة بعمالته وإنّما انتزع منها حقّ التّصرّف في الأماكن المعدّة لإقامة الشّعائر الدّينيّة.

ثانيا إنّ الأماكن المشار إليها الكائنة بعمالة الجزائر كانت تُوضع تحت تصرّف الجمعيّة الدينيّة لا بمُقتضى الفصل 12 من التّنظيم الإداري العمومي المؤرّخ بسبتمبر 27 سنة 1907 المتضمّن كيفيّة وشُروط تطبيق قانون فصل الدّين عن الدّولة على القُطر الجزائري لتنفيذ للمادّة 13 من التّنظيم الإداري المذكور المنصوص فيه على) أنّها إذا لم توجد جمعيّات دينيّة ذات أملاك فإنّ حقّ الانتفاع مجّانا بالمساجد ومشاكلها يُمكن إعطائه لجمعيّات دينيّة مُؤسّسة طبق الفصلين 17 و 18 منه هذا الأمر الدّولي وأنّ إعطاء حقّ الانتفاع بالمساجد بعقد إداري يُحرّره عامل العمالة ) وإنّ العقد الإداري الذي يحرّره عامل عمالة الجزائر يوم أوّل فيفري سنة 1910 المحرّر طبق إشارات وزير العدليّة والدّيانات المسطّرة تلك الإشارات برسالته المؤرّخة بفيفري 19 سنة 1909 يتضمّن شرطا يقتضي ) أنّ العقد الإداري يُمكن ويجوز فسخه إذا حادت الجمعيّة عن الغرض الذي أسّست لأجله أو أعدّت الأماكن الدّينيّة

[821] الصراط، ع7 ، 30 أكتوبر 1933 ، ص 1






لغيرماكانتمُعدّةلهاأوّلمرّة                    (         وبحسبهفإنّعاملاالعمالةلماأبطلالعقدالصّادرمنسلفهقدطبّق
ونفذالشّرطالمشارإليهالذيخوّلهحقّالفسخ.

ثالثاإنّعاملاالجزائرلميُصدرأمرابتأسيسجمعيّةدينيّةجديدةوغايةمافيالأمرأنّهشكّل
لجنةاستشاريّةبحتةليسلهامنالعملسوىإبداءوإعطاءالآراءإنددعتالحاجةإليهافيالمسائل
التيلهامساسبالدّيانةالإسلاميّةوأنّهذهاللّجنةلميُنطبعهدتهاأمرالتّصرّففيالمساجد.

وأخيراينبغيالتّصريحبأنّالمشاكلالنّاتجةعنالاضطرابالذيكانسبباالإصدارالأوامر
المشتكىمنهامعروضةالآنعلىنظرالوزيروسيقعحلّهابكلّمايلزممنالعنايةوالإنصافإجابة
لِمرغوبالسّيناتورالمحترموتقديرالاهتمامهبها[822]

**الملحق 05: جدول خاص بالطلبة و توزيعهم على مختلف التخصصات الجامعية لسنة 1933**[823]

---

[822]لقيت هذه الأجوبة نقدا لاذعا من طرف جمعية العلماء المسلمين و كان أهم ما ذكرته :    امتازت الأجوبة الوزيرية بالغموض بقدر ما كانت أسئلة الّسيد فيوليت واضحة جلّية فكأّنهاُ كتبت بإحدى الإدارات التي لاُ تحّب إّلا الإبهام والإيهام والعمل في طّي الخفاء . وإذا تأملنا في الأجوبة وحّللناها على حدة ألفيناها غيرُ مقنعة ـ غير سديدة ـ غيرُ مطابقة للواقع ـ غيرُ موافقة للّصواب ـ وهاك البيان :

من جهة أولى افتك الّسيد العامل من الجمعّية جميع ما لها من الّنفوذ والّتصّرف في المساجد وما يلحق بها ـ ومن جهة أخرى شّكل لجنة استشارّيةُ مكّلفة بإعطاء آرائها في المسائل الُمتعّلقة بالّديانة الإسلامّية بحيث هي ـ أي اللّجنةُ ـ تعطي الآراء وهو ـ أي العامل ـ يقضي ما يشاء ويفعل ما يشاء في المسائل الُمتعّلقة بالّديانة الإسلامّية سواء فيما يخّص المساجد أو الُموّظفين الّدينيين أو غير ذلك ـ ويشهد له جناب الوزير رغم هذا كّله بأّنه لمُ يبطل الجمعّية الّدينّية ولمُ ينّصب مكانها لجنة أو هيئة أو شخصا للقيام بما كانت قائمة به تلك الجمعّية ـ الُمبطلة في نظرنا ونظر الُمنصفين من عباد الله ـ والغير الُمبطلة على  رأيُ وّلاة الأمور .

إن كان هذا لاُ يعّد إبطالا للجمعّية الّدينّية واستحواذا عنيفا على كّل ما كان بيدها منُ سلطة وُنفوذ وتصّرف فإّن القتل لاُ يعّد موتا والّرمي بالّرصاص لاُ يسّمى إعداما , قل لي بّربك أّيها القارئ ـ ولا يلزم لهذا أن تكون وزيرا أو عامل عمالة ـ أي معنى يبقى لجمعّية دينّية لا تتصّرف في المساجد ولا تتدّخل في تعيين أرباب الوظائف والمناصب الّدينّية ولا في شيء منُ مختلف الّشئون ! نحن لا نجهل أّن قاموس الّسياسة مملوء بالألفاظ التي لها من المعاني الُمتناقضة ما يرهب ويدهش غير أّننا لا نقبل أنُ نعامل بماُ يعامل به الّصبيان وأن ُنخاطب دائما حّتى في أخطر الأمور وأحرج الّظروف بما نعتبره بحّق مدافعة وُمغالطة !

[823]J . Carde (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1933, Alger, Ancienne Imprimerie Solal Rampe de La Pêcherie, 1933 ,  p 662

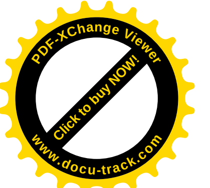
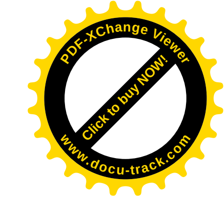





TABLEAU N° 1

*Répartition des étudiants au 31 juillet 1933.*

| CULTES | NOMBRE D'ETUDIANTS | | | | | | | | | Report du total des étudiants au 31 juillet 1932 | Différence en plus pour 1933 |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | Français | | Indigènes | | Etrangers | | Total par faculté | | | | |
| | Hommes | Femmes | Hommes | Femmes | Hommes | Femmes | Hommes | Femmes | Total | | |
| ........ | 1.116 | 122 | 44 | » | 3 | 1 | 1.163 | 123 | 1.286 | 989 | 297 |
| e } Médecine. | 273 | 89 | 10 | » | » | 1 | 283 | 90 | } 588 | 328 } 520 | 45 } 68 |
| ie } Pharmacie | 126 | 86 | 3 | » | » | » | 129 | 86 | | 192 | 23 |
| .............. | 204 | 62 | 6 | » | 4 | » | 214 | 62 | 276 | 276 | » |
| .............. | 203 | 224 | 40 | » | 2 | 3 | 245 | 227 | 472 | 405 | 67 |
| otaux......... | 1.922 | 583 | 103 | » | 9 | 5 | 2.014 | 588 | 2.622 | 2.190 | 432 |

## الملحق 06 : براءة من المشاركة في السياسة [824]

قررتالجمعية إرسال كتاب لجناب الوالي العام هذا نصه :

[824] طالبي ( عمار) ، المصدر السابق، مج 2 ، ج 1 ، ص 432






إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد صرحت في ظروف وفرص مختلفة ولا زالت تصرح وتؤكد بأنها بريئة من كل صبغة سياسية و أن خطتها وغاياتها و أغراضها التي لم تحد ولن تحيد عنها قط هي دينية علمية تهذيبية لا غير.

كما تصرح وتؤكد لكم من جديد بأنها مستقلة عن كل الطوائف وكل الأحزاب السياسية وغيرها سواء في ذلك الداخلية منها والخارجية ، وهي جمعية جزائرية إسلامية تعمل للأمة الجزائرية الإسلامية في دائرة الديانة الإسلامية والقوانين الفرنسوية خلافا لما قرأناه وفهمناه من التصريحات المنسوبة إليكم في جريدة البتي باريزيان في عددها الصادر يوم أول نفامبر سنة 1933

رئيس الجمعية

عبد الحميد بن باديس

**الملحق 07: توزيع التلاميذ الذين يزاولون دراستهم في المؤسسات التربوية للتعليم الثانوي لسنة 1933**[825]

[825] J . Carde (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1933, Alger, Ancienne Imprimerie Solal Rampe de La Pêcherie, 1933 , p 680





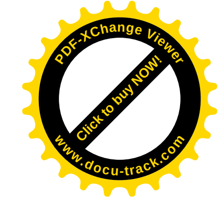

*…n des élèves présents au 5 novembre 1933, dans les établissements d'enseignement secondaire libre des garçons*

1°) par catégories    2°) d'après leur origine

| NOMS DES ETABLISSEMENTS | 1°) Catégories | | | 2°) Origine | | | Total | Différence sur l'année précédente | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | pen-sion-naires | 1/2 pen-sion-naires | ex-ternes | français | arabes et ber-bères | étran-gers | | en plus | en moins |
| Lycée d'Alger ................ | 546 | 174 | 1.793 | 2.304 | 172 | 37 | 2.513 | » | 25 |
| — de Constantine ........ | 209 | 52 | 561 | 690 | 132 | » | 822 | 4 | » |
| — d'Oran ................ | 316 | 94 | 1.252 | 1.599 | 38 | 25 | 1.662 | » | 7 |
| Collège de Blida ............. | 165 | 24 | 349 | 463 | 75 | » | 538 | » | » |
| — de Bône ............. | 104 | 36 | 488 | 558 | 54 | 16 | 628 | » | 16 |
| — de Mostaganem ....... | 91 | 24 | 324 | 420 | 19 | » | 439 | 13 | » |
| — de Philippeville ....... | 77 | 16 | 204 | 222 | 73 | 2 | 297 | » | 23 |
| — de Sétif .............. | 151 | 12 | 312 | 334 | 136 | 5 | 475 | » | 2 |
| — de Sidi-bel-Abbès .... | 96 | 29 | 284 | 395 | 12 | 2 | 409 | 5 | » |
| — de Tlemcen ........... | 30 | 9 | 365 | 317 | 87 | » | 404 | 23 | » |
| Classes secondaires annexées à l'E.P.S. de Médéa ........... | 29 | 3 | 44 | 61 | 15 | » | 76 | » | » |
| TOTAUX................ | 1.814 | 473 | 5.976 | 7.363 | 813 | 87 | 8.263 | 45 | 73 |

## الملحق 08 : تلغراف مرسل إلى السيد الوالي العام[826]

[826] طالبي ( عمار) ، المصدر السابق، مج 2 ، ج 1 ، ص 434 أو ينظر :
الشهاب ، ج9 ، مج10 (عدد خاص) ، 12 أوت 1934 ، ص 430



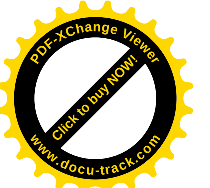
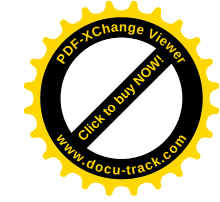
إن أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين البالغ عددهم ألفين المجتمعين بعاصمة الجزائر من اجتماعهم العمومي السنوي يعربون عن إخلاصهم لفرنسا وارتباطهم بها ويلفتون نظركم بكل احترام نحو الحالة السيئة الناشئة عن منع الوعاظ والمرشدين الأحرار في المساجد وتضييق حرية التعليم العربي وتعطيل الجرائد التي تصدرها الجمعية باللغة العربية ، ويطلبون منكم مراعاة للصالح العام وتهدئة للأفكار أن ترفعوا كل تحجير وكل منع من النوع المشار إليه و أن تصدروا الأوامر التي تكفل حرية الديانة وحرية التعليم العربي وحرية الصحافة العربية .

رئيس الجمعية

عبد الحميد ابن باديس

**الملحق 09: جدول خاص بالطلبة و توزيعهم على مختلف التخصصات الجامعية لسنة 1935**[827]

[827]G.Le Beau, (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1935 , Alger, Ancienne Imprimerie Solal, 1936, p 28



*Répartition des étudiants au 31 juillet 1935*

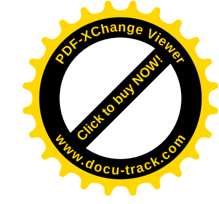
| ...LTES | NOMBRE D'ETUDIANTS Français Hommes | Français Femmes | Indigènes Hommes | Indigènes Femmes | Etrangers Hommes | Etrangers Femmes | Total par faculté Hommes | Total par faculté Femmes | Total par faculté Total | Report du total des étudiants au 31 juillet 1934 | Différence + | Différence − |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ........ | 983 | 107 | 36 | » | 7 | 1 | 1.026 | 108 | 1.134 | 1.334 | » | |
| Médecine. | 346 | 123 | 8 | » | 1 | 1 | 355 | 124 | 479 | 427 | 52 | |
| Pharmacie | 116 | 62 | 10 | » | » | » | 126 | 62 | 188 | 183 | 5 | |
| ........ | 211 | 59 | 7 | » | 5 | » | 223 | 59 | 282 | 284 | » | |
| ........ | 213 | 208 | 41 | » | 6 | 2 | 260 | 210 | 470 | 444 | 26 | |
| ...ux........ | 1.869 | 559 | 102 | » | 19 | 4 | 1.990 | 563 | 2.553 | 2.682 | 83 | — 12 |

**الملحق 10 : عريضة[828] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى جناب مدير الشؤون الأهلية العام (ميو)[829]**

---

828 إن ملاحظة دقيقة و قراءة استنتاجية له ذا الملحق و لملاحق الواردة في هذا البحث تحيلنا إلى حقيقة تاريخية هامة. و هي أن رجال الإصلاح كانوا على قدر كبير جدا من الحنكة السياسية، لأن الجمع بين الولاء و المعارضة في نفس الوقت ليس بالأمر الهين و العادي . فمطالب و عرائض و احتجاجات الجمعية هي معارضة صريحة للإدارة الإستعمارية و لكن صياغتها في قالب الولاء يجعل منها مقبولة أو على الأقل غير مرفوضة لدى الإدارة الإستعمارية . و إذا تتبعنا كل تعاملات الجمعية مع الإدارة بصفة عامة و في ملاحق هذا البحث بصفة خاصة نلاحظ أن الإحتجاج مصاغ في قالب طلب عادي و تعبير هادئ خال من الكلمات ذات الدلالة السياسية شكلا، و لكن في مضمونها دفاع عن سياسة الجمعية . فالمطالب واضحة محددة توحي للفرنسيين أن ( ابن باديس أو الإبراهيمي) يقر بالخضوع لإرادتهم دون التفطن إلى أنه







جناب السيد المدير العام للشؤون الأهلية والتراب الجنوبي بالولاية الجزائرية العامة

**يا جناب المدير**

كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لأول ما استلمت مقاليد الإدارة الأهلية وتوسمت في شخصكم مخايل الحق والإنصاف فاوضتكم بواسطة وفدها في حقوقها التي كانت مهضومة وشرحت لكم النقط التي يشهد الحق أنها كانت ومازالت فيها مظلومة وتقدمت إليكم بمطالب هي أصول لفروع وكليات لجزئيات ، وقد سمع الوفد من جنابكم تصريحا بأحقية مطالبها ووعدا بإنصافنا ورفع الظلم عنها .فعدت الجمعية ذلك التصريح منكم تسجيلا لحقوقها وعدت ذلك الوعد منكم عهدا محقق الوفاء وعقدا محقق التنفيذ وأعلنت للأمة المغبونة في حقها المحرومة من مساجدها المرهقة في تعلمها وتعليمها أن تلك القرارات الفردية الجائرة ستلغى و أن ما مضى من الظلم لا يعود و أن أول الإنصاف فتح باب المفاهمة بالحسنى ، وانتظرت الجمعية وانتظرت من ورائها الأمة نتيجة هذه المفاهمة واثقة بوعد جنابكم وخففت الأصوات التي كانت مرفوعة بالشكوى والتظلم تقليلا لأسباب الجفاء وتمهيدا لتحقيق الوفاء ، واعتصمت الجمعية والأمة بالصبر والهدوء تمكينا لجنابكم من اغتنام الفرص وتذليل الموانع التي كلنا يعتقد أنها موجودة و أنها كثيرة و إن كنا نعتقد أيضا أن الحق موجود و أنه أقوى منها و أن الذي نطلبه ليس بإيجاد لشيئ لم يكن لنا و إنما هو إرجاع لحق ثابت لنا واغتصب منا ورجوع من خطأإلى صواب ومن ظلم إلى إنصاف، ثم نجز بعد طول الإنتظار جزء قليل من وعدكم فـأنعش الأمل وقوى الرجاء ، لكن الجزء الذي نجز أرب من أراب وباب من أبواب وصحيفة من كتاب ومازال وعدكم بإتمام الباقي يتجدد ، و الأسباب الداعية للإسراع بالتنجيز تقوى في نظرنا و تـأكد ، و الموانع العائقة عن رجوع الحق إلى أهله تتلاشى – في اعتقادنا – و تزول من

---

يرمي فيه مباشرة للمطالبة بإلغاء القوانين الفرنسية و فتح المجال للنشاطات التي يرغب فيها، و يأتي في النهاية ليطالب الوالي باتخاذ إجراءات فورية للتراجع عن قرار المنع دون أن يثير الحاكم العام بأن الطلب يتعلق بموقف سياسي هو في الحقيقة احتجاج على القرارات التي تصدرها الإدارة الفرنسية،كما اصطنع شيئا من المرونة السياسة التي برع فيها بتخفيف اللهجة خلافا لخط جريدة المنتقد التي عطلتها الإدارة الفرنسية سنة 1925 بسبب لهجتها الانتقادية الشديدة في محاربة الطرق الصوفية واتهامها .

[829] البصائر ، ع21 ، 29 ماي 1936 ، ص ص 1 – 2 او ينظر :

طالبي ( عمار) ، المصدر السابق، مج 2 ج 1 ص 440 - 443








غير أن تنتهي إلى نتيجة ترفع الحيرة و تجلي الموقف ، و قد مر على هذه الحالة ما يقرب من السنتين و حدث من الأسباب ما اقتضى تجديد الخطاب ، و طلب الفصيح الواضح من الجواب

**يا جناب المدير**

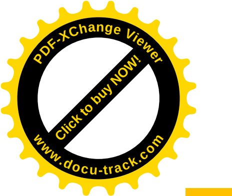
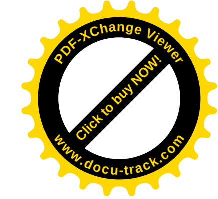
إن المجلس الإداري لجمعية العلماء المنعقد بمركزها العام بالجزائر يوم 6 ماي 1936 قد قرر قيام وفوده بجولات الوعظ و الإرشاد الديني في العمالات الثلاث في أول جويلية على العادة التي جرى عليها في السنوات الماضية ، و هي عادة أصبحت من حقوق الأمة على الجمعية و يجب على الجمعية الوفاء بها للأمة ، و لا تستطيع بحال أن تسقطها أو تقصر فيها.

و إن وفود الجمعية في السنة الماضية اضطرت إلى القاء دروسها الدينية على الأمة في أماكن لا تتناسب مع حرمة الدين ولا مع شرف الجمعية و قدر الأمة وسمعة الحكومة ومبد أها – كل ذلك ومساجد الأمة موجودة ولكنها مغلقة في وجهها ووجه علمائها .

فرأى المجلس بهذه المناسبة أن يلفت نظركم إلى أن أمد الإنتظار قد طال و أن يذكركم باعترافكم الرسمي لوفده بحقية مطالبه، ورأى نفسه مضطرا إلى مصارحتكم بأن الثقة التي وضعها المجلس الإداري في جنابكم لم تقابل بما يكافئها من النتائج في نظر الجمعية والأمة معا و أن الرأي العام قوى شعوره بأن المفاهمة طال أمدها ولم تأت نتيجة تحققها ، فالمساجد لاتزال مغلقة في وجوه علماء الأمة والتضييق على التعليم العربي الحر لم يزل على شدته لم يتبدل في قليل ولا كثير ورجال الجمعية الذين هم – في الواقع – دعاة خير ورحمة وحملة أمان وسلام ووسائل تربية وتهذيب لم يزالوا محفوفين بالشكوك والريب في دوائرهم الخاصة ولا تزال تنبعث من بعض الجهات الإدارية إيعازات التحريض بهم والتخويف منهم ومحاولات تصويرهم بغير حقيقتهم .

والمجلس الإداري لجمعية العلماء لايعرف الفرق بين جهة من الإدارة وبين جهة أخرى ولا يعتقد إلا أن تلك الجهات بعضها من بعضها ولا يفهم معنى للمفاهمة بالحسنى مع بقاء الحالة على ما وصفنا وبعد أن حكم الزمان حكمه و أقام الأدلة على أن باطن هذه الجمعية كظاهرها .

ولتعلم –يا جناب المدير– أننا لا نطلب فتح المساجد لنتخذها بيوت سكنى أو نستعملها في مصالحنا الخاصة أولنحتكرهالدروسنا وإنما نطلبها للأمة لتنتفع بها في غرض ديني هو أحد المقاصد



التي أسست لأجلها وهو أن تتعلم أمور دينها على علمائها في مساجدها .فهل يحسن بسمعة فرنسا أن تساس أمة إسلامية وفيرة العدد بالقرارات الفردية في أخص خصائص دينها وهل يجمل بحكومة الجزائر أن تتوقف كل هذا التوقف في إلغاء قرار فردي ظهر خطأه في يوم وضعه وهل من المعقول أن يكون غير المسلمين أولى من علماء الأمة بإقامة الإجتماعات في المساجد أو يكون غير المسلمين أحرص من علماء الإسلام على احترام المساجد و أعرف بحقوقها وبما يجوز أن يقال فيها وما لا يجوز.

**يا جناب المدير**

إننا نرجو أن يكون جوابكم في هذه المرة إيجابيا عمليا واضح الحدود منطقيا متناسبا مع مكانتكم العلمية ومقامكم الإداري ومركز الجمعية التي تخاطبكم بهذا نيابة عن الأمة. فهل لكم – يا جناب المدير – أن تتحققوا ثقة الجمعية بكم لدى الأمة ولتكدوا احترامها لوعودكم

وتقبل – يا جناب المدير – فائق احترامنا لشخصكم وتقديرنا لمساعيكم

**عن المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين**[830]

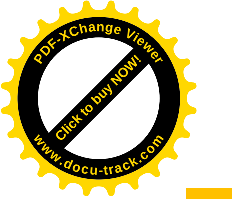
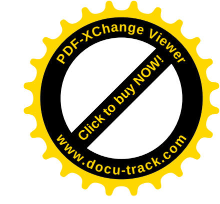
**الرئيس : عبد الحميد ابن باديس**

**الملحق 11 : نص المطالب التي قدمهارئيس جمعية العلماء خاصة بالدين واللغة العربيةلمكتب المؤتمر**[831]

[830] البصائر ، ع21 ، 29 ماي 1936 ، ص ص 1 – 2 او ينظر : طالبي ( عمار) ، المصدر السابق، مج 2 ج 1 ص 440 - 443

[831] البصائر ، ع 24 ، 19 جوان 1936 ، ص 2

أعيدت كتابة هذه المطالب في الشهاب، ج4 ، م12 ، جويلية 1936 ص ص 210 – 212

## قائمة الملاحق

**اللغة العربية** : تعتبر اللغة العربية رسمية مثل اللغة الفرنسية وتكتب بها مع الفرنسية جميع المناشير الرسمية و تعامل صحافتها مثل الصحافة الفرنسية وتعطى الحرية في تعليمها في المدارس الحرة مثل اللغة الفرنسية

**الديانة** :

**المساجد**: تسلم المساجد للمسلمين مع تعيين مقدار من ميزانية الجزائر لها يتناسب مع اوقافها وتتولى امرها جمعيات دينية مؤسسة على منوال القوانين المتعلقة بفضل الدين عن الحكومة

**التعليم الديني**: تؤسس كلية لعلوم لدين و لسانه العربي لتخريج موظفي المساجد من ائمة وخطباء ومؤذنين وقيمين وغيرهم

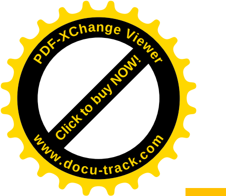
**القضاء** : ينظم القضاء بوضع مجلة احكام شرعية على يد هيئة إسلامية يكون انتخابها تحت اشراف الجمعيات الدينية المشار اليها في الفصل السابق وإدخال إصلاحات على المدارس التي يتخرج منها رجال المحاكم – منها تدريس تلك المجلة — والتحقق بالعلوم الشرعية الإسلامية وطبع التعليم بطابعها لتكوين رجال يكونون من اصدق الممثلين لها

**عبد الحميد ابن باديس**

## الملحق 12 : قرارات ميشال ضد العلماء[832]

إدارة بريفي الجزائر ، فرع الأشغال الأهلية ، مصلحة البوليس العامة ، الجزائر 1933/02/16 عدد 2407

[832] البصائر ، ع 31 ، 7 أوت 1936 ، ص 4 – 5





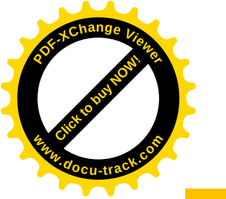
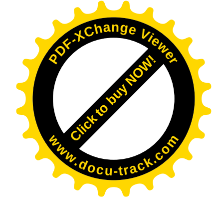

إلى كافة السوبرفيات و المتصرفين و الكوميصار العام رئيس شرطة العمالة وشيوخ البلديات : أنهي إلي من مصادر متعددة أن الأهالي دخلت عليهم الحيرة و التشويش بسبب دعاية تنشر في أوساطهم يقوم بها إما دعاة استمدوا فكرتهم من الحركة الوهابية السائدة بمكة و إما حجاج جزائريون تمكنت فيهم عاطفة التعصب الإسلامي و إما جمعيات كجمعية العلماء المؤسسة بالجزائر بقصد افتتاح مدارس عربية حرة لتعليم القر آن والعربية المتصل حبل هـ ذه الجمعية بحبل الحركة الدستورية التونسية.

إن المقصد العام من هذه الدعاية هو نشر التعاليم والأصول الوهابية بين الأوساط الجزائرية بدعوى الرجوع بهم إلى أصول الدين الصحيح وتطهير الإسلام من الخرافات القديمة التي يستغلها أصحاب الطرق و أتباعهم ولكن لا يبتعد أن يكون في نفس الأمر وراء هذه الدعاية مقصد سياسي يرمي إلى المس بالنفوذ الفرنسي. لا يخفى أن أكثر رؤساء الزوايا وكثيرا من المرابطين المعظمين في نفوس الأهالي اطمأنت قلوبهم للسيادة الفرنسوية وبمقتضاه صاروا يطلبون الإعتماد على حكومتنا لمقاومة الأخطار التي أمست تتهددهم من جراء تلك الجمعية التي لا يزال أنصارها يتكاثرون يوما فيوما بفضل دعاية متواصلة الجهود ماهرة الأساليب وعلى الأخص فيما بين الناشئة المتعلمة بالمدارس القر آنية. و عليه فإني من هذا أن الحالة تستدعي من طرفك مزيد التيقظ والإهتمام لأنه لا يجمل غض الطرف عن دعاية تتظاهر بنشر الثقافة الإسلامية أو الإصلاح الديني وهي في نفس الأمر تخفي وجهة سيئة ربما عاد أعظم ضررها على الأهالي أنفسهم .

وعليه فإني أعهد إليكم أن تراقبوا بكامل الإهتمام ما يروج في الإجتماعات والمسامرات الواقعة باسم الجمعية التي يترأسها السيد ابن باديس ولسانها الرسمي في الجزائر الشيخ الطيب العقبي ، كما يجب أن تشمل مراقبتكم المكاتب القرآنية .

وبناء عليه فاذا كان اجتماع في شارع عمومي تعين عليكم من غير توقف ولا تريث توجيه التهمة على من استحقها ضمن عرض حال تذكرون فيه نص الكلمات التي تشتمل على تحريض أوإغراء من شأنها أن تحال على المحاكم .

وفي الختام آمركم أن تنهوا إلي من غير توان ولا مهلة كل حادث يحدث في هذا الشأن



بالنيابة عن البريفي

الكاتب العام للشؤون الأهلية وللشرطة العامة                الامضاء: م .ميشال

*********************************

إدارة بريفي الجزائر ، الأشغال الأهلية و مصلحة البوليس العامة قسم الديانة الإسلامية ، الجزائر 18 فبراير 1933 من بريفي عمالة الجزائر إلى م ...

أنهى إليكمأنه تكرر وقوع خطب ودروس ومحاضرات في المساجد قام بها أناس ليسوا من رجال الدين الرسميين وذلك بموافقة رجال الديانة صراحة أو بالسكوت . وعليه فالمؤكد به عليك أن تنبه فورا القائمين بأمر مساجد إيالتك بأن لا يرخصوا بداخل المساجد في أدنى مظاهرة أجنبية عن شعائر الدين الإسلامي إلا بعد استشارتي والحصول على إذن من طرفي . ولتأمرهم بتقييد هذه التعليمات عندهم و أن يتمشوا على مقتضاها استقبالا مع إبلاغهم بأن كل تهاون يصدر من طرفهم في هذا الشأن ارفع به الأمر لجناب الوالي العام واستصدره صارم العقاب وحق من وجب عليه

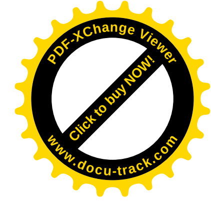
بالنيابة عن عامل العمالة . الكاتب العام للشؤون الاهلية ومصلحة الشرطة العامة الامضاء :م.ميشال

أما القرار الثالث فقد صدر في 24 فيفري 1936 أي بعد خمسة أيام و هو يتضمن رفع يد الجمعية الدينية التي كان يرأسها الشيخ أحمد بن صيام المسلم عن المساجد و التصرف فيها فكان ما أراد و أبعدت تلك الجمعية عن المساجد و سرعان ما أسس م . ميشال جمعية دينية أخرى ممن يحب من أنصاره و أعوانه الذين يطيعونه دائما و لا يعصون له أمرا و كان هو رئيسها

## الملحق 13 : احتجاجات على المعاملات السيئة التي عومل بها الحجاج[833]

[833] طالبي ( عمار) ، المصدر السابق، مج 2 ، ج 1 ، ص 444 أو ينظر :

البصائر، ع 54 ، 5 فيفري 1937 ، ص 3



برقية الأستاذ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عنابة 28 جانفي 1937

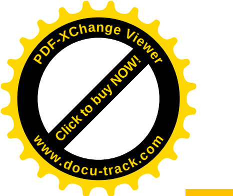
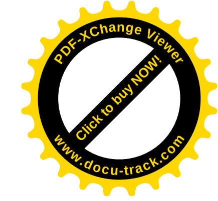
إلى السيد الوالي العام – باريس :

أتشرف بإعلامكم أن عددا كبيرا من حجاج عمالة قسنطينة بقي معطلا بمدينة عنابة حيث أن الباخرة (مندوزة) لا تستطيع أن تحمل الجميع. أسال فيكم عاطفة العدالة أن تأذنوا بسفر باخرة ثانية لحمل بقية الحجاج الذين تحصلوا على تذاكر السفر وبذلك يمكنكم أن تخففوا وطأة الـتأثر المؤلم العميق الذي ساد في الطبقات الإسلامية وتقبلوا انعطافنا .

عبد الحميد بن باديس رئيس العلماء

**الملحق 14 : دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أصولها**[834]

[834] الشهاب ، ج 4 ، مج 13 ، 11 جوان 1937 ، ص ص 176 – 179او ينظر الى:

## قائمة الملاحق

1 الإسلام هو دين الله الذي وضعه لهداية عباده وارسل به جميع رسله وكمله على يد نبيه محمد الذي لا نبي من بعده

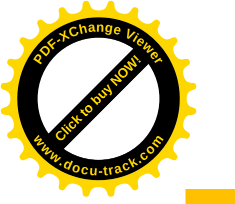
2 الإسلام هو دين البشرية الذي لا تسعد الا به وذلك لانه :

- ❖ كما يدعوا إلى الأخوة الإسلامية بين جميع المسلمين يذكر بالأخوة الإنسانية بين البشر أجمعين
- ❖ يسوي في الكرامة البشرية والحقوق الإنسانية بين جميع الأجناس والألوان
- ❖ لأنه بفرض العدل فرضا عاما بين جميع الناس بلا أدنى تمييز
- ❖ يدعوا إلى الإحسان العام
- ❖ يحرم الظلم بجميع وجوهه وبأقل قليلة من أي أحد على أي أحد من الناس
- ❖ يمجد العقل ويدعوا إلى بناء الحياة كلها على التفكير
- ❖ ينشر دعوته بالحجة والإقناع لا بالختل والإكراه
- ❖ يترك لأهل كل دين دينهم يفهمونه ويطبقونه كما يشائون
- ❖ شرك الفقراء مع الأغنياء في الأموال وشرع مثل القراض والمزارعة والمغارسة مما يظهر به التعاون العادل بين العمال و أرباب الأراضي والأموال
- ❖ يدعوا إلى رحمة الضعيف فيكفي العاجز ويعلم الجاهل ويرشد الضال ويعان المضطر ويغاث الملهوف وينصر المظلوم ويوخذ على يد الظا لم
- ❖ يحرم الإستعباد والجبروت بجميع وجوهه
- ❖ يجعل الحكم شورى ليس فيه استبداد ولو لأعدل الناس

---

ابن باديس (عبد الحميد)، آثار ابن باديس، المصدر السابق، ج 1 ، مج 2 ، ص ص 131 – 134

او ينظر البصائر ، ع 71 ، 18 جوان 1937 ، ص 1







## قائمة الملاحق

3 القرآن هو كتاب الإسلام

4 السنة – القولية والفعلية – الصحيحة تفسير وبيان للقرآن

5 سلوك السلف الصالح – الصحابة والتابعين واتباع التابعين – تطبيق صحيح لهدي الإسلام

6 فهوم أئمة السلف الصالح أصدق الفهوم لحقائق الإسلام ونصوص الكتاب والسنة

7 البدعة كل ما أحدث على أنه عبادة وقربة ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه و على آله و سلم فعله وكل بدعة ضلالة

8 المصلحة كل ما اقتضته حاجة الناس في أمر دنياهم ونظام معيشتهم وضبط شؤونهم وتقدم عمرانهم مما تقره أصول الشريعة

9 أفضل الخلق هو محمد صلى الله عليه وسلم لأنه

أولا – اختاره الله لتبليغ أكمل شريعة إلى الناس عامة

ثانيا – كان على أكمل اخلاق البشرية

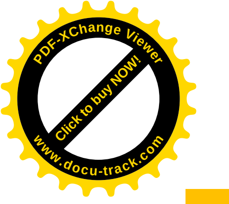
ثالثا – بلغ الرسالة ومثل كمالها بذاته وسيرته

رابعا – عاش مجاهدا في كل لحظة من حياته في سبيل سعادة البشرية جمعاء حتى خرج من الدنيا ودرعه مرهونة

10 أفضل أمته بعده هم السلف الصالح لكمال اتباعه له

11 أفضل المؤمنين هم الذين آمنوا وكانوا يتقون وهم الأولياء والصالحون فحظ كل مؤمن من ولاية الله على قدر حظه من تقوى الله

12 التوحيد أساس الدين فكل شرك – في الإعتقاد أو في القول أو في الفعل – فهو باطل مردود على صاحبه







13 العمل الصالح المبني على التوحيد به وحده النجاة والسعادة عند الله فلا النسب ولا الحسب ولا الحظ بالذي يغني عن الظلم شيئا

14 اعتقاد تصرف أحد من الخلق مع الله في شيئ ما شرك وضلال ومنه اعتقاد الغوث و الديوان

15 بناء القباب على القبور وقد السرج عليها والذبح عندها لأجلها والإستغاثة ب أهلها ضلال من أعمال الجاهلية ومضاهات لأعمال المشركين فمن فعله جهلا يعلم ومن أقره ممن ينسب إلى العلم فهو ضال مضل

16 الأوضاع الطرقية بدعية لم يعرفها السلف ومبناها كلها على اللغو في الشيخ والتحيز لأتباع الشيخ وخدمة دار الشيخ و أولادهإلى ما هنالك من استغلال و إذلال و إعانة لأهل الإذلال والإستغلال ومن تجميد للعقول و إماتة للهمم وقتل للشعور وغير ذلك من الشرور.

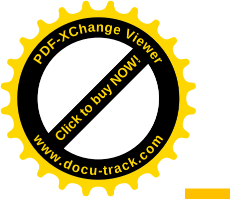
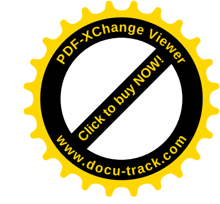
17 ندعوا ما دعا إليه الإسلام وما بيناه منه من الأحكام بالكتاب والسنة وهدي السلف الصالح من الأئمة مع الرحمة والإحسان دون عداوة أو عدوان

18 الجاهلون والمغرورون أحق الناس بالرحمة

19 المعاندون المستغلون أحق الناس بكل مشروع من الشدة والقسوة

20 عند المصلحة العامة من مصالح الأمة يجب تناسي كل خلاف يفرق الكلمة ويصدع الوحدة ويوجد للشر الثغرة ويتحتم التئازر والتكاثف حتى تنفرج الأزمة وتزول الشدة باذن الله ثم بقوة الحق وادراع الصبر وسلاح العلم والعمل والحكمة

قل هذه سبيلي : أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله و ما أنا من المشركين



## الملحق 15 : نداء إلى رئيس المؤتمر الإسلامي الجزائري و إلى اللجنة التنفيذية [835]

لقد علمتم أن الحكومة الفرنسية لم تجب أي مطلب من مطالب المؤتمر رغم وعد رئيس الوزارة يوم زاره الوفد بتنجيز بعضها المستعجل على رجاء أن تكون مطالب المؤتمر من أول ما ينظر فيه .

غير أنه قد حدث اليوم ما دل على أن مطالب المؤتمر غير ملتفت إليها ولا منظور فيها وذلك بما قررته الحكومة من تكليف اللجنة البرلمانية التي يرأسها م.قرنيت ببحث جديد لا ينتهي إلا بعد ثمانية عشر شهرا ... و بعد ذلك تأتي الوفود للبحث و السؤال المدقق

فزيادة على ما في هذا من التسويف و المماطلة فإنه دليل قطعي على أن مطالب المؤتمر لا عبرة بها . و هذا يوجب على اللجنة التنفيذية أن تجتمع لتقرر قرارها الصريح الحازم وتقف موقفا جديا إزاء هذا الحادث الجديد ثم يكون من واجبها أن تدعوا إلى عقد مؤتمر عام فوق العادة ليقرر قرارا إجماعيا من طلبات لا يخالف فيها أحد ويقرر قرارا إجماعيا في الموقف الذي تقفه الأمة الجزائرية إذا لم تجب إلى تلك المطالب في أجل محدود.

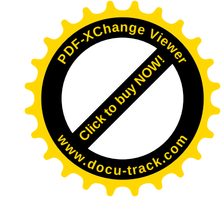
وعليه فإني كمسلم جزائري أطلب من سيادة الرئيس أن يأمر اللجنة التنفيذية للمؤتمر بأن تجتمع في الخامس عشر من أوت الجاري

هذا و أنا الآن قد أديت أول واجب من واجباتي في الوقت الحاضر بهذا النداء والله المستعان على إتمام الواجبات الأخرى .

[835] الشهاب ج 6 مج 13 ص 294 و ينظر كذلك الى:

طالبي (عمار) ، المصدر السابق، مج 2 ، ج 1 ، ص 363

و اعيد نشر هذا النداء في جريدة البصائر السنة الثانية العدد 78 الجمعة 13 اوت 1937 ص 6



**الملحق 16 : منشور مقاطعة" السانطونير "[836]**

نداء الى سكان قسنطينة المسلمين

إخواننا القسنطينيين

في مثل هذه الأيام منذ قرن مات أجدادكم المجاهدون المدافعون والفرنسيون المهاجمون في ميدان البطولة والشرف وطويت صفحة من التاريخ على شهادته بالشجاعة والتضحية للغالب والمغلوبومضت مائة سنة كانت كافية لنسيان تلك المأساة وضمد تلك الجروح وتقريب السكان المتجاورين بعضهم من بعض .

لكن قوما من الأنانيين الذين يأبون إلا أن يكونوا سادة متفوقين و إلا أن يشعروا المسلمين بسلطة الغالبين على المغلوبين هؤلاء القوم – وليسوا كل الفرنسيين - أرادوا في هذه الأيام أن يقيموا احتفالات عسكرية بدخلة قسنطينة تثير العواطف وتمس كرامة الأحياء منا والأموات وتنافي مبادئ الأخوة والرحمة التي ندعوا إليها.

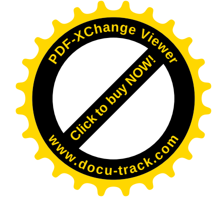
يحتفلون احتفالاتهم ومطالب الشعب الجزائري بعرقلتهم معطلة وحقوقه بسعيهم مهملة وسوط القوانين الإستثنائية نازل بيدهم على ظهره في كل يوم

لهذا فقد اجتمعت 14 جمعية إسلامية من جمعيات قسنطينة يوم السبت 18 سبتامبر الماضي في نادي الإتحاد وكانت كلها مستنكرة لهذه الإحتفالات عازمة على مقاطعتها فقررت - بالإجماع – مايلي :

نحن – الممثلين لجمعياتنا - نرى احتراما لأنفسنا واحتراما لأجدادنا واحتراما للإنسانية :

[836] الشهاب ج9 مج 13 ، نوفمبر 1937 ، ص 427 – 429




## قائمة الملاحق

أولا: أن لا نشارك في هذه الإحتفالات ولا نحضرها

ثانيا : أن نكون في هدوء تام عام

إخواني القسنطينيين !

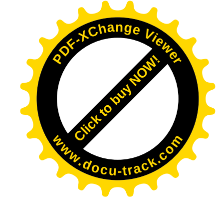
قد فعل المؤتمر الإسلامي الجزائري واجبه فاحتج على هذه الإحتفالات في اجتماعه العام الأخير وقدم مكتبه ذلك الإحتجاج إلى الوالي العام وقدمه مكتب لجنة القسنطينية إلى مير قسنطينة وفعلت الجمعيات الإسلامية القسنطينية واجبها بما قررته في قرارها المتقدم و أخوكم هذا – كقسنطيني – فعل واجبه بنشر هذا المنشور عليكم فما بقي إلا أن تقوموا أنتم بواجبكم

فقاطعوا هذه الإحتفالات ولا تشاركوا فيها

كونو في هدوء وسلام

وعليكم السلام من اخيكم

عبد الحميد ابن باديس



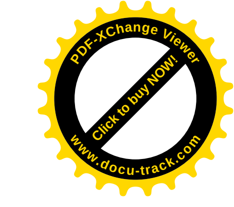
## الملحق 17 : فتوى جمعية العلماء في التجنيس والمتجنسين[837]

التجنس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة، ومن رفض حكما واحد من أحكام الإسلام عد مرتدا عن الإسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتد بالإجماع، والمتجنس – بحكم القانون الفرنسي – يجري تجنسه على نسله فيكون قد جنى عليهم ب إخراجهم من حظيرة الإسلام و تلك الجناية من شر الظلم و أقبحه و إثمها متجدد عليه ما بقي له من نسل في الدنيا خارجا عن شريعة الإسلام بسبب جنايته. فإذا أراد المتجنس أن يتوب فلا بد لتوبته من إقلاع كما هو الشرط اللازم بالإجماع في كل توبة . و إقلاعه لا يكون إلا برجوعه للشريعة الإسلامية و رفضه لغيرها . فإقلاعه لا يتحقق عندنا في ظاهر حاله – و هو الذي تجري عليه الأحكام بحسبه – إلا إذا فارق البلاد الذي يأخد فيها ذلك القانون إلى بلاد تجري عليه فيها الشريعة الإسلامية. قد يكون صادقا في ندمه في ما بينه وبين الله، و لكننا نحن في الظاهر الذي أمرنا باعتباره في إجراء الأحكام لا يمكننا أن نصدقه وهو ما يزال ملابسا لما ارتد من أجله من أحكام تلك الجنسية ولهذا لا تقبل توبته ولا تجرى عليه أحكام المسلمين"

عبد الحميد ابن باديس

[837] البصائر ، ع 95 ، 14 جانفي 1938 ،ص 2







**الملحق 18 : نص الرسالة التي وجهها ابن باديس لمعلمي الإسلام و العربية لمواجهة قوانين الإدارة الإستعمارية [838]**

ندعو كل معلم مكتب قر آني أو مدرسة طلب الرخصة من الإدارة و لم يجب و كل معلم مكتب قرآني أو مدرسة منع من التعليم و كل معلم نزعت منه رخصته أن يكاتبنا بما وقع له من ذلك و يعرفنا بتفصيله و جميع ما يتعلق به لنسعى في نازلته السعي المشروع .

كما ندعو كل من تعدى عليه من معلمي الديانة في المساجد أن يكاتبنا و يعرفنا لنتتبع بطريق القانون كل من روعه و انتهك حرمة الدين و المسجد من رجال السلطة كائنا من كان

كما ندعو كل جماعة يريدون تأسيس جمعية و فتح مدرسة لتعليم الإسلام و العربية أن يكاتبونا و يعرفونا لنرشدهم إلى الوجوه القانونية اللازمة

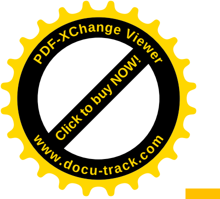
نهج الأربعين شريفا عدد 17 بقسنطينة

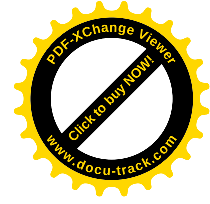
Rue alexis – lambert. 17 Constantine

عبد الحميد ابن باديس

[838] طالب ( عمار ) ، المصدر السابق، ج 1 ، مج 2 ، ص 245 – 246 أو ينظر إلى :

البصائر، 8 افريل 1938 ، ص 1








## الملحق 19 : كتاب مفتوح لسعادة وزير الداخلية للجمهورية الفرنسية[839]

**يا سعادة الوزير :**

إن الأصداء المتجاوبة عن زيارتكم للقطر الجزائري أفهمت الأمة الجزائرية المسلمة أنها زيارة تمهدون بها لإصلاح سياسي اجتماعي اقتصادي يفتقر إليه هذا الوطن فالتفتت هذه الأمة إلى الماضي واستعرضت الزيارات الوزارية المتعاقبة و آثارها فهبطت درجة التفاؤل فيها إلى حد بعيد ولكن ما جاء في بعض خطبكم ( أن الظروف غير الظروف ) أمسك فيها رمق الأمل

كان من تمنيات الأمة أن يقال عن زيارتكم أنها استجابت للصرخات المنبعثة من أعماقها و أنها تمهيد لتحقيق مطالبها وسترون بأعينكم وتدركون بعقلكم – إن لم تحل الحوائل بينك وبين الحقيقة– ما يقنع ضميركم الحي وعاطف تكم الإنسانية وفكركم الديموقراطي أن القضية الجزائرية لا تداوي بإصلاحات مهما كانت سريعة و إنما تداوي بحقوق تعطى و رغائب تحقق فارم بعينيك – يا سعادة الوزير – إلى ما وراء الصفوف الأمامية التي تقابلك في هذه الزيارة تر الحقيقة وارهف سمعك إلى الأصوات المنبعثة من تلك تسمع الحقيقة وإن الطبيب لا يبني العلاج على أقوال الأصحاء وشهادتهم للمريض ، و إنما يرتب العلاج على كلام المريض لأنه ينير له سبيل الحكمة وعلى أناته وصرخاته لأنها تثير فيه عاطفة الرحمة و إذا اجتمعت الحكمة والرحمة في نفس الطبيب ضمنا سداد الدواء وعاجل الشفاء

و إننا نتمنى لكم في زيارتكم هذه توفيقا يرفع ذكركم ويقرن بحل القضية الجزائرية اسمكم

[839] الإبراهيمي ( أحمد طالب)، المصدر السابق، ج 2 ، ص 154 – 155 او ينظر :
جريدة النهضة التونسية 30 افريل 1947 و جريدة الإصلاح عدد 48 8 ماي 1948







بقيت جهة أخرى تمس إحساس المسلمين وتحز في نفوسهم وهي الدين الإسلامي من أوقافه المهضومة إلى معابده المظلومة إلى تعاليمه المعدومة إلى قضائه المشوه وقد أغفلتم هذه الجهة في تصريحاتكم فقال قوم أن الدينيات لا تدخل في السياسات وقال المسلمون إذا كان الأمر كذلك فما بال الحكومة الجزائرية احتكرت لنفسها كل ما يتعلق بديننا منذ قرن وزيادة فاستولت على أوقافنا ومساجدنا و أمسكت في يدها مقاليد رجال الدين منا وضايقت التعليم الديني بالقرارات ومسخت القضاء الإسلامي في الأحوال الشخصية وهي من صميم الدين

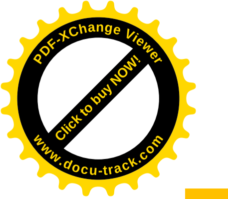
إن الأمة الجزائرية المسلمة تعتقد أن حقها الديني لا ينبغي أن يكون محل جدال و مطل لأنه لا يتعارض مع مصلحة دين آخر وترى أن من حقها – كأمة ذات مقومات حيوية — أن تطالب بفصل الديني الإسلامي عن الحكومة فصلا رسميا عاجلا و أن تسلم لها أوقافها الدينية ومساجدها تتصرف فيها تصرفا حقيقيا مباشرا و أن ترفع القيود الإدارية عن تعليمها الديني العربي و أن تتمتع في أحوالها الشخصية الدينية بقضاء نافذ صريح مبني على تعليم إسلامي واسع صحيح

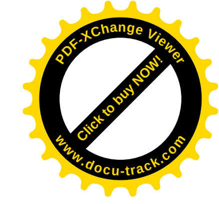
**يا جناب الوزير :**

إذا سمعتم صيحات طلاب الحقوق السياسية و الإقتصادية فاسمعوا هذه الصيحة المنبعثة من طلاب الحقوق الدينية. و إن جمعية العلماء المسلمين المسلمين الجزائريين تعبر في هذا عن ر أي كل مسلم جزائري وهي تحمل — مع هذا — لسعادتكم كل تقدير واحترام

رئيس جمعية العلماء

محمد البشير الابراهيمي







## الملحق 20 : كتاب مفتوح إلى الرئيس الجمهورية الفرنسية[840]

أيها الرئيس : نحييكم – على كثرة الحوائل بيننا – كما يحيي العربي الكريم ضيفه ويسوؤنا ويسوء الحقيقة أن تزورو الجزائر فتروا كل شيئ إلا الجزائر

يسوء الحقيقة أن تزوروا الجزائر زيارة تعد من أعمالكم وتسجل في تاريخهم وتشغل نقلة الأخبار ومستمعيها أياما ويسيل فيها نهران من مال ومداد و أنتم لم تروا الجزائر الحقيقية بما فيها من م آس وبلايا وجهل وفقر وظلم وشعب كامل يتألم وطائفة قليلة تتحكم و إنما رأيتم زمرا لم يحدها إليكم أمل واسع ولم يحفزها إلى لقائكم ضمير حر ولم يعرضها أمامكم سائق من عقيدة ولا داع من اختيار و إنما جمعت بوسائل كالتجنيد الإجباري وسيقت بأسباب من الترغيب والترهيب ليس فيها إيمان ولا وجدان .

يسوء الحقيقة والواقع أن تزوروا الجزائر هذه الزيارة التقليدية التي تقابل بالمظاهر المصطنعة والخطب المصنوعة و أن تحاطوا بالمواكب الرسمية التي تحجب عنكم الحقائق كما يحجب الضباب نور الشمس و أن تصافح سمعكم أصوات ليس لها فيها صوت حر فلو كنتم أجانب عن الجزائر وعما يجري فيها لخشينا أن تصدروا عن الجزائر وفي ذهنكم منها صورة غير صورتها

كل الذي ترونه وتسمعونه في زيارتكم هذه مجموعا ومتفرقا ليس هو الجزائر ولا صوت الجزائر و إنما هو شيئ م ألوف في الجزائر لا يثير اهتماما من عاقل ولا حركة من مجنون أما حقيقة الجزائر فاستجلوها – إن كنتم تريدون الحقيقة – مما وراء المظاهر تجدوها في جملة : وطن تسعة أعشار من فيه رقيق زراعي وخدم صناعي مفروض عليه الحرمان من كل حق وعشرة العاشر مفروض لهم التمتع بكل حق وبين الفريقين فريق انفصل عن الأول ولم يصل إلى الثاني وهو الذي ترونه

[840] الإبراهيمي ( أحمد طالب)، المصدر السابق، ج3 ، أو ينظر : البصائر ، ع 81 ، 30 ماي 1949






تغير الكون وما فيه ولم تتغير الحكومة الجزائرية في نظرتها إلى الدين الإسلامي والمسلمين فالدين الإسلامي مملوك للحكومة الجزائرية تحتكر التصرف في مساجده ورجاله و أوقافه وقضائه وقضية فصل الدين عن الحكومة معلقة بين السماء والأرض لا يهبط بها إنصاف ولا يصعد بها عدل وواقفة بين حكومة الجزائر موقف التنافس تلك تحكم بالفصل قولا وهذه تحكم بالوصل عملا وهي تماطل في الفصل لأنها لا تريده وهي تهيء الوسائل لتعطيل تنفيذه أو لجعله صورة بلا حقيقة وجسدا بلا روح وهي تملك من وسائل التعطيل مجلسا يقدم البحث في مرتباته و ألقابه على البحث في مصالح الأمة التي لم يكن لها في تكوينه رأي ولا في انتخابه حرية

والتعليم الديني في هذا الوطن المسلم معطل بتعطيل المساجدومئات الآلاف من شباب مسلمين يتشوقون إلى تعلم دينها ولكن مساجدهم الموقوفة لذلك مغلقة في وجوههم والدين الإسلامي وتعلمه وتعليمه حق طبيعي وضروري لتسعة ملايين من المسلمين ولكنهم محرومون منه والتعليم العربي في هذا الوطن العربي جريمة يعاقب مرتكبها بما يعاقب به المجرم من تغريم وتغريب وسجن ومدارسه تعاني من التضييق والتعطيل ألوانا متجددة ورجاله عرضة في كل حين للمحاكمات في المحاكم الجمهورية التي تتسم بوسمكم والمحاكمات على التعليم جارية على قدم وساق في هذه الأيام التي تسبق زيارتكم لكأنها إعداد لها وابتهاج لها ولو كانت قضايا المحاكم وسجلات البوليس و أعمال الحكام مما يعرض عليكم أو كان عمار السجون ممن يمثلون بين يديكم لر أيتم من الأولى عشرات القضايا المتعلقة بالتعليم العربي في ضمن الجرائم في ضمن الجرائم والمخالفات ولر أيتم من بين الآخرين كثيرا كثيرا من المعلمين في عداد المجرمين و أن قانونا يمنع التعليم كيفما كان لونه ويعاقب المعلم كيفما كان جنسه لهو عدو العلم !! فكيف تسيغه فرنسا العالمة وكيف تشرعه فرنسا المعلمة؟..

**أيها الرئيس :**





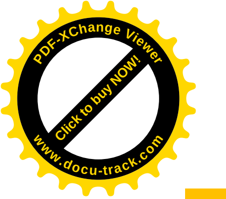
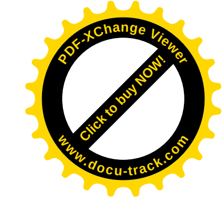

إن الشعب الجزائري قد أصبح – من طول ما جرب ومارس – في حالة ي أس من العدالة وتسفيه للوعود والعهود وكفر بهذه الديموقراطية التي يسمع بها ولا يراها و إنه أصبح لا يؤمن إلا بأركان حياته الأربعة ذاتيته الجزائر وجنسيته ولغته العربيتين ودينه الإسلامي لا يستنزل عنها برقى الخطب والمواعيد ولا يبغي عنها حولا ولا بها بديلا

و إن الشعب الجزائري على نقصه واختلاله لم يكن للأمة فيه ر أي فكيف يجني منه ثمرة ؟ أو ينتفع منه بنتيجة ؟ و إن المجلس الذي انبثق منه ناقص بنقصه مختل باختلاله وقد جالت الأيدي في تكوينه فجاء كالمولود سقطا ليس فيه شيء من خصائص الحياة فكيف ترجى منه الحياة و أن الشعب الجزائري مريض متطلع للشفاء وجاهل متوثب إلى العلم وبائس متشوق للنعيم ومنهوك من الظلم مستشرف إلى العدالة ومسبعد ينشد الحرية ومهضوم الحق يطلب حقه في الحياة وديموقراطي الفطرة والدين يحن إلى الديموقراطية الطبيعية لا الصناعية ولكنه ليس كما يقال عنه : جائع يطلب الخبز فإن وجده سكت

**أيها الرئيس :**

إن حكومات الجزائر تعاقبت في ألوان من المذاهب، و لكن الشعب الجزائري لم ينل على يدها خيرا ولم يصل إلى قليل ولا كثير من حقه المهضوم لا في دينه ولا في دنياه و إنما هي مظاهر تتبدل بلا فائدة وسطحيات تغير بلا جدوى وأسماء بلا معان والحقيقة هي هي...

و إن هذه الحكومات المتعاقبة تجري – من يوم كانت – على أسلوب من شر أساليب الإستعمار و أقبحها فهي تتخذ الدين الإسلامي آلة لخدمة تتمسك هذا التمسك بمساجده و أسبابه وهي تجعل السياسة آلة لهدم الدين الإسلامي وهي تحارب اللغة العربية والتعليم العربي لتجعل من ذلك وسيلة إلى محو الجنسية العربية وهي تسد أبواب العلم في وجوه المتعلمين بوسائل شتى ليبقى الشعب أميا جاهلا فينسى نفسه وتاريخه ويقنع بأخص الحضوض في الحياة و أن بقاء نحو من مليونين من أبناء



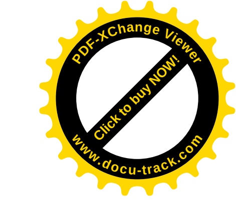
الشعب محرومين من التعليم بجميع أنواعه لأصدق دليل على ذلك إن حكومة توسع السجون و تضيق المدارس حكومة سيئة الظن بنفسها قبل أن تكون سيئة الظن بالشعب.

**أيها الرئيس :**

ظهرت في عهد هذه الجمهورية الرابعة نغمة جديدة أنكرناها و كفرنا بها لأنها لا تنسجم مع ماضينا و لا تتناسق مع حالنا و لا مستقبلنا ، و انتقدها الرأي العام العالمي العاقل اليقظ المنطقي لأنها ناشزة عن قرارها مخالفة للواقع المحسوس ، هذه النغمة هي نغمة " الوحدة الفرنسية " و لا يشك عاقل في أن كلمة الوحدة هذه مقطوعة الصلة من معناها و كأن واضعها هازئ بنفسه أو بالناس أو بهما معا ولكأنها سخرية ساخر لم تسبقها روية ولم يحكمها منطق ولم يحكها تدبر

لا يسيغ منطق ولا عقل كيف تكون الوحدة بين سيد وبين مسود وكيف تتصور بين حاكم مزهو بعصبية جنسية تظاهرها عصبية الدينية وبين محكوم ؟ وكيف تتفق في وطن ساكنوه صنفان وقوانينه صنفان ؟ وكيف تتم في بلد كنيسته حرة وبيعته حرة ومسجده مستبعد ؟ وكيف تتجاور في عقيدة أو لسان مع كلمة السيادة الفرنسية التي تلوكها الألسنة وتتضح بها الأقلام خصوصا في هذه الأيام ؟

إنكم أقمتم في الجزائر في عهدها الأخير عامين و أحطتم رؤية وعلما بما يجري فيها و أنها باقية حيث تركتموها ما تقدمت إلا في التأخر وما ترقت إلا في الإنحطاط فيعيذكم بشرف الحرية وحرمة الضمير الإنساني وكرامة العلم – أن تغتروا بما تسمعونه من خطب وبما ترونه من مظاهر فكل ذلك مهيأ لتغطية الحقيقة والتظليل عنها فالتمسوها في جذب العقول لا في خصب الأرض وفي فوضى الحياة لا في نظام المواكب وفي بؤس البادية لا في نعيم المدينة – تجدوها ماثلة للعيان ناطقة للبرهان صادقة في البيان .



## الملحق 21 : برقية احتجاج[841]

ننشر هنا برقية الإحتجاج التي بعثت بها جمعية العلماء إلى المراجع العليا للسلطات الفرنسية على ما عومل به أحد أعضائها المحترمين بمدينة تبسة وهو الشيخ عيسى سلطاني وهذا نص البرقية:

**رئيس الجمهورية الفرنسية**

رئيس الوزارة ، وزير الداخلية ، وزير العدلية ، جاك ديكلو، نائب رئيس المجلس الوطني شارل الويس، رئيس الجماعة الاشتراكية ، والي الجزائر العام ، عامل قسنطينة

ترفع جمعية العلماء المسلمين احتجاجاتها على المعاملة الجائرة التي عومل بها أحد أعضائها من ذوي المكانة الرفيعة في التعليم الديني الإسلامي بإفريقيا الشمالية إذ سامه سوء العذاب كوميسار الدرك بمدينة تبسة و أهين لديه إهانة شنيعة .

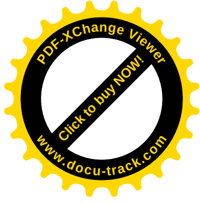
وحيث أن جمعية العلماء تحيط حضرتكم علما بهذه الأعمال الوحشية التي تعد من طرف الكوميسار حملة مدبرة لتدمير سمعة الإسلام وتعليمه فهي تلفت نظركم إلى أن هذا الجو لا يتلائم مع احترام الشخصية الإنسانية التي تعهد بها الدستور الفرنسي والتصريح العالمي لحقوق الانسان .

رئيس جمعية العلماء

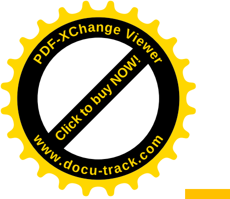
محمد البشير الإبراهيمي

[841]الإبراهيمي ( أحمد طالب)، المصدر السابق، ج 2 ، ص 327 أو ينظر : البصائر ، ع 94 ، 7 نوفمبر 1949




# بيبليوغرافية البحث






# ببليوغرافية البحث

القرآن الكريم

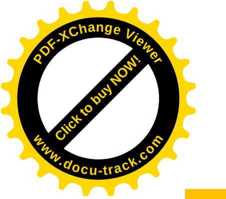
## القسم الأول : المصادر

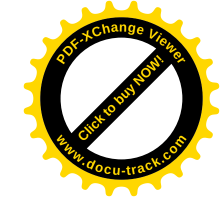
### أولا: الوثائق الأرشيفية

**1- الأرشيف المحفوظ.**

أرشيف ولاية قسنطينة:


1. A w c , boite 307 ( servises reformes ), 06 – 08 – 1935 , N= 2146
2. A w c , boite 20, ( servises reformes ), 22 – 11 - 1941 , N= 3244
3. A w c , boite 20, ( servises reformes ), 04 – 02 - 1941 , N= I. 722
4. A w c , boite 20 ,( servises reformes ), 26 – 02 – 1942 , N= 41/1942
5. A w c , boite 11, ( servises reformes ), 27 – 11 – 1943 , N= 5008
6. A w c , boite 165 ( servises reformes ), 16 – 12 - 1947 , N= 10.11.621
7. A w c , boite 165 ( servises reformes ), 14 – 11 - 1950 , N= 7654
8. A w c , boite 11, ( servises reformes ), 02 – 12 – 1943 , N= 1369
9. A w c , boite 11, ( servises reformes ), 08 – 12 – 1943 , N= 6852
10. A w c , boite 307, ( servises reformes ), 08 – 05 – 1938 , N= 2160
11. Bulltin mensuel du comité de l'afrique française et du comité du maroc. Paris 1940



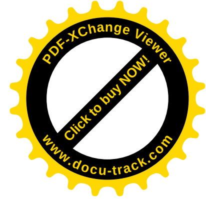






## 2- الأرشيف المطبوع.

### أرشيف المكتبة الوطنية الفرنسية (**B.N.F**):


1. Comité deL'afrique française Comptes – rendes du congrés de La Colonisation Rurale, Alger, 26-29 Mai 1930, 1er Partie, Alger, Anceienne Amprimerie Victor Heintz.
2. G.Le Beau,(G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1936 , Alger, Ancienne Imprimerie Victor Heintz, 1937 .
3. G.Le Beau,(G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1935 , Alger, Ancienne Imprimerie Solal, 1936
4. J . Carde (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1930, Alger, Ancienne Imprimerie Victor Heintz, 1931
5. J . Carde (G.G), Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1933, Alger, Ancienne Imprimerie Solal Rampe de La Pêcherie, 1933
6. J . Carde (G.G) Exposé De La Situation Generale De L'Algerie En 1932 Alger Imprimerie Solal 1933
7. M. Jonnart, Les Réformes Indigénes, 23 Juin 1918, Alger , Discours de M.Le (G.G) A L'ouverture de La Session Ordinaire de Délégations Financieres Algériennes Du 23 Juan 1918
8. Pierre (Bordes), (G.G) a la veille du centenaire de lalgerie francaise / discours de M . le Gouverneur general a louverture de la session ordinaire de delegations financieres Algériennes, Novembre 1928 - Mars 1929, Alger, 1929

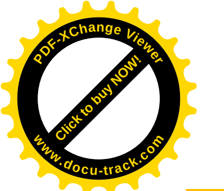
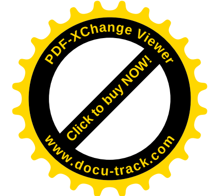



**ثانيا : الصحافة**

**باللغة العربية:**

**البصائر : السلسلة الأولى**

1 -البصائر ، ع 1 ، 27 ديسمبير 1935
2 -البصائر ، ع 2 ، 10 جانفي 1936
3 -البصائر ، ع 4 ، 24 جانفي 1936
4 -البصائر ، ع 8 ، 21 فيفري 1936
5 -البصائر ، ع 13 ، 3 مارس 1936
6 -البصائر ، ع14 ، 10 أفريل 1936
7 -البصائر، ع16 ، 24 افريل 1936
8 -البصائر، ع21 ، 29 ماي 1936
9 -البصائر، ع 23 ، 12 جوان 1936
10 - البصائر، ع 24 ، 19 جوان 1936
11 - البصائر، ع 29 ، 24 جويلية 1936
12 - البصائر، ع 30 ، 31 جويلية 1936
13 - البصائر، ع31 ، 7 اوت 1936
14 - البصائر، ع 38 ، 09 أكتوبر 1936
15 - البصائر، ع 40 ، 23 أكتوبر 1936
16 - البصائر، ع 64 ، 23 أفريل1937
17 - البصائر، ع 67 ، 14 ماي 1937



18 - البصائر، ع 76 ، 23 جويلية 1937

19 - البصائر ، ع 79 ، 20اوت 1937

20 - البصائر، ع 90 ، 10 ديسمبر 1937

21 - البصائر، ع93 ، 31 ديسمبر 1937

22 - البصائر، ع 95 ، 14 جانفي 1938

23 - البصائر، ع 98 ، 4 فيفري 1938

24 - البصائر، ع100 ، 18 فيفري 1938

25 - البصائر ، ع 103، 11 مارس 1938

26 - البصائر، ع 108 ، 15 افريل 1938

27 - البصائر، ع 114 ، 20 ماي 1938

28 - البصائر، ع 135 ، 10 أكتوبر 1938

29 - البصائر، ع 140 ، 18 نوفمبر 1938

30 - البصائر، ع 151 ، فيفري 1939

31 - البصائر، ع 157 ، 17 مارس 1939

32 - البصائر، ع171، 22 جوان 1939

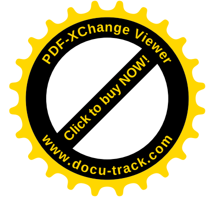
33 - البصائر، ع 174 ، 14 جويلية 1939

34 - البصائر، ع 178 ، أوت 1939

**البصائر : السلسلة الثانية**

35 - البصائر، ع 1 ، 25 جويلية 1947

36 - البصائر، ع2 ، 1 أوت 1947

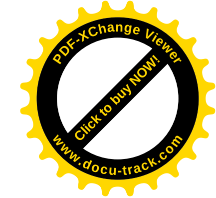





37 - البصائر، ع 3، 8 أوت 1947
38 - البصائر، ع 4 ، 29 أوت 1947
39 - البصائر، ع 41 ، 28 جوان 1948
40 - البصائر، ع 65 ، 31 جانفي 1949
41 - البصائر، ع 66 ، 7 فيفري 1949
42 - البصائر، ع 67 ، 14 فيفري 1949
43 - البصائر، ع 68 ، 21 فيفري 1949
44 - البصائر، ع 69 ، 28 فيفري 1949
45 - البصائر، ع 70 ، 7 مارس 1949
46 - البصائر، ع 71 ، 14 مارس 1949
47 - البصائر، ع 72 ، 21 مارس 1949
48 - البصائر، ع 73 ، 28 مارس 1949
49 - البصائر، ع 79 ، 9 ماي 1949
50 - البصائر، ع 136، 8 جانفي 1951
51 - البصائر ، ع 172، 15 أكتوبر 1952
52 - البصائر، ع 349، 13 يناير 1956

**الشهاب**

53 - الشهاب ، افريل 1930
54 - الشهاب، ج 5، مج 7، ماي 1931
55 - الشهاب، ج 6، مج 7، جوان 1931

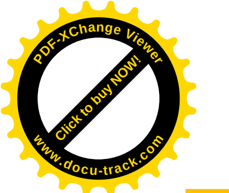
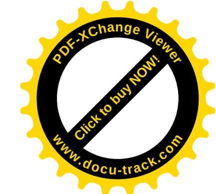





56 - الشهاب، ج 4، مج 9 ، مارس 1933
57 - الشهاب ، ج11 مج 10 أكتوبر 1934
58 - الشهاب، ج 3 ، مج 11 ، 3 جوان 1935
59 - الشهاب، ج 7 ، مج 11 ، أكتوبر 1935
60 - الشهاب، ج 9، مج 11، ديسمبر 1935
61 - الشهاب، ج 3، مج 12، جوان 1936
62 - الشهاب، ج 4 ، مج 12 ، جويلية 1936
63 - الشهاب، ج 4 ، مج 12 ، جويلية 1936
64 - الشهاب، ج 6 ، مج 12 ، أوت و سبتمبر 1936
65 - الشهاب، ج 7 ، مج 12 ، أكتوبر 1936
66 - الشهاب، ج 8 ، مج 12 ، نوفمبر 1936
67 - الشهاب، ج9، مج12، ديسمبر 1936
68 - الشهاب، ج12، مج12، فيفري 1937
69 - الشهاب، ج1 ، مج 13 ، 14 مارس 1937
70 - الشهاب، ج 4، مج 13 ، 11 جوان 1937
71 - الشهاب، ج 5 ، مج 13 ، 10 جويلية 1937
72 - الشهاب، ج 6 ، مج 13 ، أوت 1937
73 - الشهاب، ج7 ، مج 13 ، سبتمبر 1937
74 - الشهاب، ج 8، مج 13 ، أكتوبر 1937

**الشريعة**

75 - الشريعة، ع1، 17 جويلية 1933




76 - الشريعة، ع2، 24 جويلية1933

77 - الشريعة، ع3 ، 31 جويلية1933

78 - الشريعة، ع4، 7 أوت1933

79 - الشريعة، ع6 ، 21 أوت1933

80 - الشريعة، ع7، 28 أوت 1933

**الصراط السوي**

81 - الصراط، السوي، ع1 ، 11 سبتمبر 1933

82 - الصراط السوي، ع2 ، 18 سبتمبر 1933

83 - الصراط السوي، ع3 ، 25 سبتمبر 1933

84 - الصراط السوي، ع 4 ، 9 أكتوبر 1933

85 - الصراط السوي، ع6 ، 23 أكتوبر1933

86 - الصراط السوي ، عدد7 ، 30 أكتوبر 1933

**السنة النبوية المحمدية**

87 - السنة النبوية المحمدية، ع6 ، 15 ماي 1933

88 - السنة النبوية المحمدية، ع12 ، 26 جوان 1933

89 - السنة النبوية المحمدية، العدد 13 ، 3 جويلية 1933

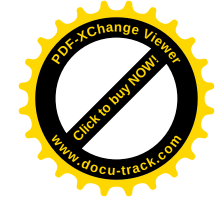
**باللغة الفرنسية:**

La Lutte sociale. 1941/01.

L'Echo de la presse musulmane. . 1935/11/08.

La Défense : 23 janvier 1936

La Défense : N°187, 20 Avril 1938




## ثالثا: الكتب

### باللغة العربية


1. الإبراهيمي ( أحمد طالب)، آثار محمد البشير الإبراهيمي، جمع و تقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، 1997
2. الابراهيمي (محمد البشير)، في قلب المعركة، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2007
3. الإبراهيمي (محمد البشير)، الطرق الصوفية، ط 1 ، مكتبة الرضوان، الجزائر ، 2008 (هذا الكتاب مقتطف من تصدير نشرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)

4 - ابن باديس (عبد الحميد)، تفسير ابن باديس، منشورات المعارف مؤسسة النشر و الطبع، وهران، الجزائر، 1991

5 - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وثائق الحركة الوطنية، نصوص أساسية و وثائق ( 1931 –1944 )، مطبوعات مديرية الوثائق لولاية قسنطينة، ط2، 1982

6 - خوجة (حمدان بن عثمان) ، المرآة ، تقديم و تعريب و تحقيق محمد العربي الزبيري، ط 2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1982

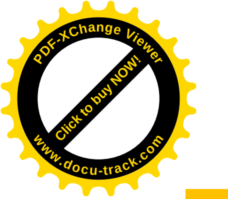
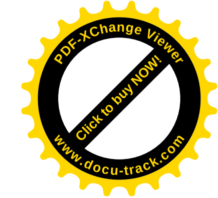
7 - خير الدين (محمد)، مذكرات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، دون طبعة، 2000

8 - طالبي ( عمار) ، آثار ابن باديس، إعداد و تصنيف طالبي عمار، الشركة الجزائرية، ط 3، 1997

9 - المدني (احمد توفيق)، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية ، مصر، (د.ت)

10 - المدني ( أحمد توفيق)، حياة كفاح، ج 2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1977

11 - المدني (أحمد توفيق)، جغرافية القطر الجزائري، مكتبة النهضة ، ط 2، 1963

# ببليوغرافية البحث

## باللغة الفرنسية:


1. Ben hbilise (cherif), L’algerie francaise vue par un indigéne. Imprimerie oriontale fontana fréeres. Algerie 1914.
2. G. ESPé DE METZ, les Colons , L'Algérie Aux Algériens et Par Les Algériens,Emile Larose Libraire-Éditeur , Paris, 1914 .
3. GSELL (Stéphane). Histoire ancienne de L’afrique du nord, Paris . Librairie Hachette
4. MIRANTE (Juan), La France Et Les œuvres indigénes en Algerie, Publications du Comité National Métropolitain du Centenaire de L'algerie 1930
5. RAYMOND (ronz) , L'algerie Du Centenaire Vue Par L'université De France, Publications du Comité National Métropolitain du Centenaire de L'algerie , 1930
6. PICLETPERE, les Missions Catholiques Françaises au 19 Siécle, Paris,1925



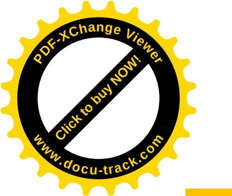



# القسم الثاني مراجع البحث

## أولا: الكتب:

### باللغة العربية


1. بشنون (الشيخ سليمان)، الجذور الشعبية في الحركة الإصلاحية، دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2012
2. بقطاش (خديجة) ، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر ( 1830-1971) ، منشورات دحلب، الجزائر، 2007
3. بلاسي (نبيل أحمد) ، الإتجاه العربي و الإسلامي و دوره في تحرير الجزائر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990
4. بن خليف (مالك)، الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد ابن باديس، ط 1،دار طليطلة ، الجزائر، 2010
5. بن رحال (الزبير)، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية و الفكرية 1889-1940، دار الهدى ، الجزائر، 2009
6. بن العقون (عبد الرحمن بن براهيم)،الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة الفترة الثانية 1936 . 1945، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1984
7. بوحوش (عمار)، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، ط 1 ، لبنان 1997
8. بوصفصاف (عبد الكريم) ، جمعية العلماء المسلمين و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1945، ط1 ، دار البعث للنشر، قسنطينة، الجزائر، 1981
9. بوعزيز (يحي)، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995







10. تركي (رابح)، الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح و التربية في الجزائر، ط 4 المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984

11. تليلاني (أحسن)، جريدة النجاح حقيقتها و دورها، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007

12. حمانة (البخاري)، فلسفة الثورة الجزائرية، دار الغرب للنشر و التوزيع، ط1 ، الجزائر، 2005

13. الخطيب (أحمد)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985

14. الدراجي (محمد)، مواقف الإمام الإبراهيمي، عبد الحميد بن باديس، عالم الأفكار، ط 1 ، الجزائر ، 2007

15. الرفاعي (أحمد)، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ط 1، دار البعث، قسنطينة 1980

16. رمضان (محمد الصالح)، شخصيات ثقافية جزائرية، دار الحضارة، ط1، الجزائر 2007

17. زروقة (عبد الرشيد)، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1913 – 1940 ، دار الشهاب، ط1 ، لبنان، 1999

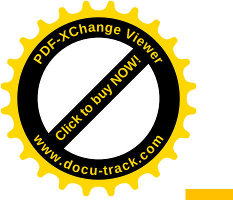
18. زوزو (عبد الحميد )، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007

19. سالم (محمد بهي الدين)، ابن باديس فارس النهضة و التنوير، دار الشروق، ط1، 1999

20. سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية 1900 – 1930، ط4، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 1992

21. سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ط 1. دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1990

22. سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي 1830 – 1954 ، ط 6، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009







23. سلوادي (حسن عبد الرحمان)، عبد الحميد ابن باديس مفسرا ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984

24. سعيدوني (ناصر الدين)، الجزائر منطلقات و آفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا و مفاهيم تاريخية، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت 2000

25. سعيدي (مزيان)، النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867 – 1892 ، دار الشروق للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، الجزائر، 2009

26. شهبي (عبد العزيز)، الزوايا و الصوفية و العزابة و الاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران الجزائر 2007

27. الصديق(محمد الصالح)، الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس من أرائه و مواقفه، دار البعث للطباعة و النشر، ط1، الجزائر 1983

28. العروي (عبد الله)، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1984

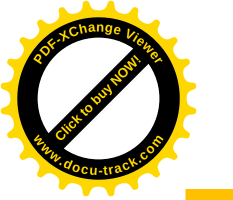
29. العلوي(محمد الطيب)، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830 - 1954، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر (د,ط)،(د.ت)

30. عمامرة (تركي رابح) ، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، ط 5، المؤسسة الوطنية للاتصال ،النشر و الاشهار الجزائر، 2001

31. عجالي (كمال)، الفكر الإصلاحي في الجزائر الشيخ الطيب العقبي بين الاصالة و التجديد، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007

32. الغربي (الغالي)، فرنسا و الثورة الجزائرية 1954 – 1958 ، دراسة في السياسات و الممارسات، غرناطة للنشر و التوزيع الجزائر 2009 فضيل (عبد القادر)، رمضان (محمد الصالح)، إمام الجزائر عيد الحميد ابن باديس، دار الأمة، الجزائر، 2012

33. فلوسي (مسعود)، الإمام عبد الحميد ابن باديس لمحات من حياته و أعماله و جوانب من فكره و جهاده، ط1، دار قرطبة للنشر و التوزيع، الجزائر ، 2006







34. قنانش(محمد)، قداش(محفوظ)، نجم الشمال الافريقي 1926 .1937، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د.ط)، (د.ت)

35. مؤيد (صلاح العقبي)، الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر تاريخها و نشاطها، دار البرق، لبنان بيروت 2002

36. مازوني (عبد الله)، الثقافة و التعليم في الجزائر و في المغرب، منشورات maspero ، باريس، 1969

37. مالكي (امحمد)، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، أوت 1994

38. مطبقاني (مازن صلاح)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1939، عالم الأفكار، 2011

39. مهساس (احمد)، الحقائق الإستعمارية و المقاومة، دار المعرفة ، 2007

40. مولود بن قاسم (قاسم)، ردود الفعل الدولية داخليا و خارجيا على غزوة نوفمبر أو بعض ماثر الفاتح نوفمبر ، دار البعث للطباعة و النشر قسنطينة الجزائر، 1984

41. الميلي(محمد)، المؤتمر الإسلامي الجزائري، دار هومه، ط1 ، الجزائر، 2007

42. الميلي (محمد) ، ابن باديس و عروبة الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1973

43. ناصر (محمد)، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954 ، دار الغرب الإسلامي، ط 3 ، بيروت، 2007

44. وعلي (محمد الطاهر)، التعليم التبشيري في الجزائر 1830-1904، منشورات دحلب، الجزائر ، ب ت .

45. ايفون (تيران)، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، دار القصبة، الجزائر، 2007



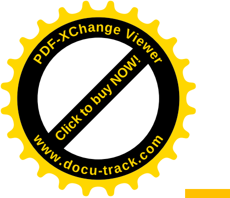


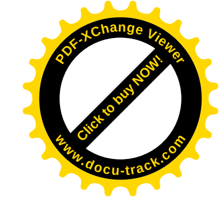


# ببليوغرافية البحث

## باللغة الفرنسية:


1. **Ageron** (Charles Robert), l'algerie algérienne , de napoléon 3 à de gaulle , la bibliotheque arabe sindibed , paris , 1980
2. **Ageron** (Charles Robert), histoire de l'algerie contemporaine , paris p.u.f ,1979
3. **Boualem** (bessaih), Les grandes figures de la résistance algerienne par l'epée et la plume 1830 – 1954 casbah edition alger 2009
4. **collot** (Claude), **henry** (jean-robert), le mouvement national algerien textes 1912 – 1954 , OPU, alger 1977
5. **Elison** (caston guedj) , enseignement indigéne en algerie au cour de la colonisation ( 1832 – 1962). edution les ecrivans, paris 2000
6. **Fanny** (colonna) , instituteurs algeriens 1883 – 1939 , office des publication universitaires . alger . 1975
7. **Kaddache** (Mahfoud) , la vie politique a alger de 1919 a 1939 , Sté nationale d'edition et de difusion, alger, 1970
8. **Kaddache** (Mahfoud), **Sari**(Djilali), l'Algérie pérennité et Resistances 1830-1960, Alger : place centrale , Ben Aknoun .
9. **Louis- jean** (calvet). La guerre des langues et les politique linguistiques. Hachette littératures. France. 1999
10. **SARI** (Djilali), l'émergence de l'intelligentisa Algerienne, (1850 - 1950) editions anep 2006
11. **Vatin** (Jean Claude), L'Algérie politique, histoire et société; éditions El Maarifa, Alger, 2010







**ثانيا: الكتب المترجمة**

1 -أجيرون (شارل روبير)، الجزائريون المسلمون و فرنسا 1871 – 1919، ترجمة م.حاج مسعود و ع.بلعربي، دار الرائد للكتاب

2 -أجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، ترجمة عياش سلمان، مج2، دار الأمة، 2008 ، ط 1

3 -الأشرف (مصطفى)، الجزائر الامة و المجتمع، ترجمة حنيفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007

4 -ألكسي (دو توكفيل)، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، ترجمة إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية 2008

5 -أوليفييه (لوكر غراندميزون)، في نظام الأهالي، ترجمة العربي بوينون، منشورات السائحي، ط 1، الجزائر، 2011

6 -أوليفييه (لوكر غراندميزون)، الإستعمار الإبادة، تأملات في الحرب و الدولة الإستعمارية، ترجمة نورة بوزيدة، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007

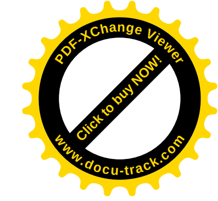
7 -أوليفييه (لوكر غراندميزون)، الجمهورية الإمبراطورية، في سياسة الدولة العنصرية، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر 2009

8 -بارفيلي (غي)، النخبة الجزائرية الفرنكوفونية 1900 – 1962، ترجمة محمد سعود و آخرون، دار القصبة، الجزائر، 2007

9 -جغلول (عبد القادر)، الإستعمار و الصراعات الثقافية في الجزائرن، ترجمة سليم قسطون، دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1984

10 - جوليان (شارل اندري)، إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة سليم المنجي و آخرين، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1978








11 - خرشي (جمال)، الإستعمار وسياسة الإستيعاب في الجزائر 1830 – 1962، ترجمة عبد السلام عزيزي، دار القصبة، الجزائر، 2009

12 - سارتر (جان بول)، مواقف مناهضة للإستعمار، ترجمة محمد معراجي، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر و الاشهار anep الجزائر 2007

13 - صاري (الجيلالي)، قداش (محفوظ)، الجزائر في التاريخ المقاومة السياسية 1900 – 1954، الطريق الإصلاحي و الطريق الثوري، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1987

14 - فرحات (عباس)، ليل الاستعمار، ترجمة ابوبكر رحال، المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية، الرغاية الجزائر، 2005

15 - مراد (علي)، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 الى 1940، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007

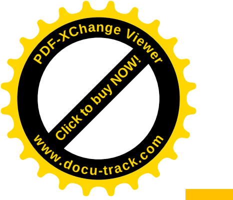
## ثالثا: المقالات (الدوريات – الملتقيات – المجلات ):

### باللغة العربية:

1 -بسايح (بوعلام)، "ابن باديس رجل علم و فكر و مصلح"، **مجلة الثقافة**، عدد 98، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، مارس افريل 1987

2 -بلحاج (محمد)، "الخطاب السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بين الإصلاحية و الثورية من خلال وثائق ارشيفية – محمد السعيد الزموشي نموذجا –" **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية**، العدد الأول سيدي بلعباس الجزائر

3 -بلعربي (خالد)، "الفكر الإصلاحي عند الشيخ العربي التبسي و سماته الوطنية"، **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية**، العدد الأول سيدي بلعباس الجزائر





## ببليوغرافية البحث

4 -بن نعمان (احمد)، "العلاقة الجدلية بين الاستعمار الثقافي و الشخصية الجزائرية" **مجلة الثقافة**، عدد 49، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع يناير فبراير 1979

5 -بوحوش (عمار)، "سياسة الإدماج و مصادرة الأراضي في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي" ، **المجلة التاريخية المغربية**، عدد 12، تونس ، جويلية 1978

6 -تاورتة (محمد العيد)، "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، رد فعل و أسلوب في المقاومة" ، **الملتقى الوطني للفكر الإصلاحي في الجزائر**، 2003

7 -تركي (رابح)، "البشير الابراهيمي في المشرق العربي"، **الاصالة** ، العدد 8 ماي جوان 1972

8 -التميمي (عبد الجليل)، "انطباعات حول أهمية الدين في الممتلكات الفرنسية في افريقيا"، **المجلة التاريخية المغربية**، عدد 1 ، تونس، جانفي 1974

9 -الجمالي (محمد فاضل)، "الشيخ البشير الإبراهيمي كما عرفته"، **الثقافة** ، العدد 87، الجزائر، ماي/ جوان 1985

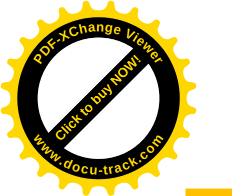
10 - الجمالي (محمد فاضل)، " الشيخ الإبراهيمي و رسالته التربوية " **المجلة التاريخية المغربية** ، عدد 5 جانفي 1976

11 - الجويلي (نصر) " جمعية العلماء المسلمين بين الدين و السياسة " **المجلة التاريخية المغاربية** عدد 49 – 50 جوان 1988

12 - حمادي (عبد الله)، "موقف المجاهد المرحوم عمار وزقان من الحركة الوطنية من خلال كتابه " الجهاد الافضل""، **الذاكرة مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة و الثورة** ، عدد 4، المتحف الوطني للمجاهد، 1996

13 - دودو (أبو العيد)، "مفهوم الثورة الثقافية في الجزائر"، **مجلة الثقافة** ، عدد 11الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، نوفمبر 1972

14 - رحماني(سعيد)، "مقاصد الشريعة عند الإمام عبد الحميد بن باديس" **مجلة الدراسات الإسلامية**، مجلة ثقافية سنوية يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى، جوان 2007






15 - سعد الله (أبو القاسم)، "مراسلة غريبة بين ابن باديس و احد علماء سوف"، **المجلة التاريخية المغربية**، عدد 19 -20، تونس، أكتوبر 1980

16 - شنيتي (محمد البشير)، "تاريخ الجزائر القديم من خلال المصادر الفرنسية" **مجلة التاريخ**، العدد 20 ، الجزائر، 1985

17 - عيساوي (احمد)، "الفكر الاصلاحي عند الشيخ العربي التبسي"، **الملتقى الوطني الرابع للفكر الإصلاحي في الجزائر** ، الجمعية الثقافية العربي التبسي، الجزائر

18 - فضلاء (محمد الطاهر)، "الإمام الشيخ عبد الحميد ابن باديس لم يكن صوفيا و لا طرقيا" **المجلة التاريخية المغربية**، عدد 21 – 22، تونس، أفريل، 1981

19 - قلايلية (العربي)، منهج بن باديس الإصلاحي وأثره في بناء الشخصية الوطنية الجزائرية، **العصور**، العدد2، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر، الجزائر، 2002

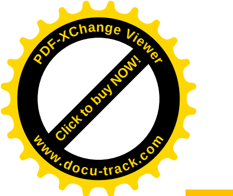
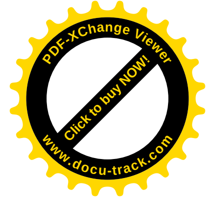
20 - مالكي (محمد)، "صورة المغرب العربي في الكتابات الاستعمارية" الملتقى الدولي حول **الاستعمار بين الحقيقة التاريخية و الجدل السياسي** 2 – 3 جويلية 2006 ، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، الجزائر 2007

21 - مرحوم (علي)، "حول الذكرى الأربعين لوفاة ابن باديس" **الثقافة**، العدد 56 ، مارس افريل 1980

22 - مريوش (أحمد) ، "الإصلاح الإسلامي في الجزائر، مصادره و مراجعه العربية فيما بين 1920 – 1950"، **الملتقى المغاربي الأول المصادر و المراجع العربية لتاريخ الجزائر 1830 – 1962** يومان دراسيان الجزائر 28 – 29 ديسمبر 1992

23 - مشري (محمد)، "الجزائر في كتابات المستشرقين الفرنسيين"، **الملتقى الدولي حول الجزائر في الكتابات المتوسطية**، 7 – 8 جوان 2010 ، قسنطينة يناير 2011

24 - ناصر (محمد)، "واقع اللغة العربية في الصحافة الإصلاحية في الجزائر"، **الاصالة**، العدد 17 – 18 وزارة الشؤون الدينية نوفمبر ، ديسمبر ، جانفي ، فيفري 1973 – 1974



25 - ولد النبية (كريم)، "سياسة الإخضاع و قوانين الأنديجينا من خلال أرشيف الإدارة الإستعمارية في الجزائر" ، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية** عدد 2 ، ديسمبر 2011

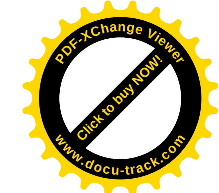
26 - البصائر ، ع 9 ، 17 – 24 جويلية 2000

27 - البصائر، ع155 ، 1 – 8 سبتمبر 2003

28 - البصائر، ع193 ، 24 – 31 ماي 2004

29 - البصائر، ع195 ، 7 – 14 جوان 2004





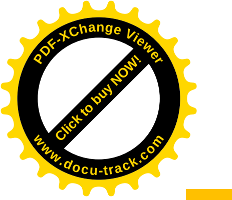
# ببليوغرافية البحث

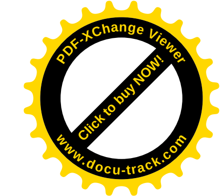
**باللغة الفرسية:**


1. **Ageron** (Charles Robert), Sur l'annee politique algerienne 1936 . **revue d'istoire maghrebine**. Juillet 1979. N 15 – 16 tunis
2. **Ageron** (Charles Robert), La petition de l'emire khaled au president wilson, (mai 1919 ) . **revue d'istoire maghrebine**. Octobre 1980. N 19 – 20. Tunis
3. **Ben chneb** (Saadedine) *quelques histoires arabes modernes d'algerie * . **revue africaine**. Tomc. 1956 .
4. **El–machat**(Samia), " le gouvernement du front populaire de la poussée nationaliste du maghreb, 1936 – 1937 " **revue d'histoire maghrébine** N°. 33 – 34 (juin) 1984
5. **Kaddache** (Mahfoud) , la question national algerienne et le parti communiste entre 1919 et 1939 , **Revue d'histoire et de civilisation du maghreb** , N10 , 1973
6. **Medjaouad** ( mohamed), les oulémas: du réformisme a la révolution et de medersa a L'ALN, **revue d'istoire maghrebine**. octobre 2011. N 143 tunis
7. **Nadir** ( Ahmed ) , le mouvment reformiste algerien et la guerre de libiration nationale , **Revue d'histoire maghribine** , juillet , 1975 , tunis


**باللغة الإنجليزية:**


8 - BELKASEM (SAADALLAH), the algerian ulamas 1919 – 1931, **Revue d'histoire maghribine** , N 2 , tunis , juillet , 1974






## رابعا: الدراسات الأكاديمية الجامعية

1. بلعجال (أحمد)، الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد سعيد الزاهري، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2005 – 2006

2. بورنان (سعيد)، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936 - 1954 ، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2008 – 2009

3. حشلاف (علي)، المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها 1931- 1939، رسالة لنيل شهادة الماجستير، معهد علوم الاعلام و الاتصال، جامعة الجزائر 1994

4. حمزة (محمد)، مواقف ابن باديس السياسية من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931 – 1940 ، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2000 – 2001

5. خليفي (عبد القادر)، احمد توفيق المدني و دوره في الحياة السياسية و الثقافية بتونس و الجزائر 1899 – 1983 ، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة 2006 – 2007

6. خميلي (العكروت)، جامعة الجزائر بين الأهداف الاستعمارية و تكوين الطلبة المسلمين الجزائريين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2008 – 2009

7. دربال (بلال)، السياسة اللغوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2010 – 2011

8. قريشي (محمد)، الأوضاع الإجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة التحريرية الكبرى 1945 – 1954 ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2001 – 2002

9. القورصو (محمد)، تأسيس و نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عمالة وهران 1931 – 1935 رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ، جامعة وهران، 1977 غير منشورة

## خامسا: المعاجم

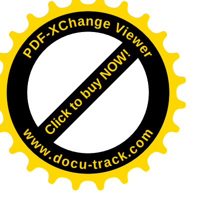
### باللغة العربية:

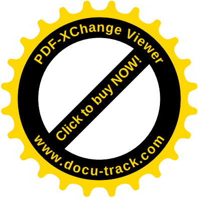
ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، مج 2 ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت 2005

### باللغة الفرنسية:

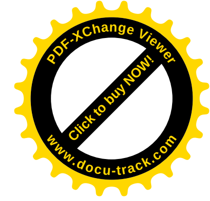
1- M. P. de Ménerville, Dictionnaire de la législation algérienne, code annoté et manuel raisonné des lois, ordonnances, décrets, décisions et arrêtés, Deuxiéme volume, publiés au "Bulletin officiel des actes du gouvernement" .1860-1866

2- Oxford Dictionary of Sociology, Oxford Dictionary of Sociology, 2nd, edit., Oxford University Press, London, 1998


PDF-XChange Viewer
Click to buy NOW!
www.docu-track.com


PDF-XChange Viewer
Click to buy NOW!
www.docu-track.com

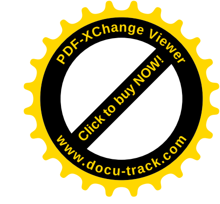
# فهارس البحث



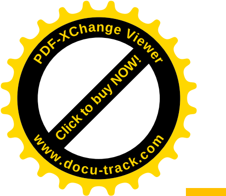
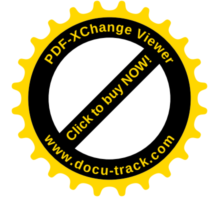
# فهرس الأعلام

## ا

# فهارس البحث

## ب

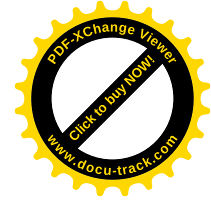
## فهارس البحث





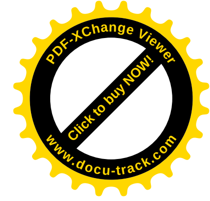
## فهارس البحث


PDF-XChange Viewer
Click to buy NOW!
www.docu-track.com


PDF-XChange Viewer
Click to buy NOW!
www.docu-track.com

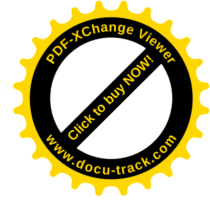
## فهارس البحث





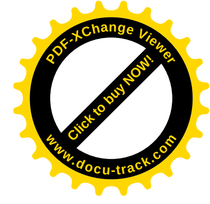


## فهارس البحث



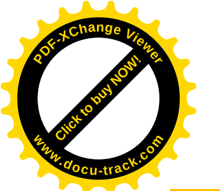
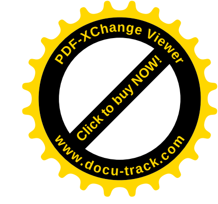

# فهرس الأماكن

# فهارس البحث




## فهارس البحث

## فهرسة مواضيع البحث

